الجمهوريّـة الجزائريّـة الديمقراطيّـة الشعبيّـة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأميـــر عبد القــادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة–

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي: ....

رقم التسجيل: ....

الجغرافية التاريخية لمجالات بني توجين

أطروحـة مقدمـة لنيل درجـة الدكتــوراه ل.م.د في التاريخ

تخصص تـاريخ المغـرب الأوســط وحضارتـه في العصر الوسيـط: السلطة والمجتمع في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط

من إعداد الطالب:

محمود عبـاد

إشراف الأستاذ الدكتور:

علاوة عمارة

لجنــة المناقشــة:

أعضاء اللجنـــة	الرتبــة	الجامعـة الأصليـة	الصفــة
نصيرة عزرودي	أستاذة محاضرة "أ"	جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة	رئيساً
علاوة عمـارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة	مشرفاً ومقرراً
عبد الجليل قريان	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة	عضواً مناقشاً
عبيد بوداود	أستاذ التعليم العالي	جامعة ابن خلدون، تيارت	عضواً مناقشاً
عُمـر بلبشير	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد بن بلة، وهران 1	عضواً مناقشاً
حسين بوبيدي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة عبد الحميد مهري، قسنطينة 2	عضواً مناقشاً

السنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2022-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بعد الحمد والثناء لله على توفيقي في إتمام هذه الأطروحة، أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل البروفيسور **علاوة عمارة** على قبوله الإشراف وتحمله عناء القراءة والتصحيح والتوجيه حتى استوى هذا العمل في صورته الأخيرة للمناقشة.

كما أتقدم بخالص شُكري لكل من أ/**د محمد حسن** من جامعة تونس، وأ/**د إبراهيم القادري بوتشيش** من جامعة مكناسة الزيتون، وأ/**د بختة مقرنطة** من جامعة معسكر على ما تفضلوا به من نصائح وتقويمات علمية ومنهجية، فلكم مني فائق العرفان والتقدير.

هذا وأتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم من بعيد أو قريب في إعداد وإخراج ومناقشة هذا العمل، كلٌ باسمه ورتبته.

إهــــداء

* **إلى والدي** تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه الفردوس الأعلى.
* **إلى والدتي** التي لم تبخل بدعائها، فأسال الله أنّ يطيل في عُمرها ويرزقها الصحة العافية.
* **إلى زوجتي** الغالية سُعاد على صبرها ودعمها الدائم لي.
* **إلى ولدي** وقرة عيني إياد.

المقـــدمـــة

المقدمة:

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على مجال داخلي لبلاد المغرب الإسلامي لم يسبق الحفر في متغيراته الجغرافية الوسيطة، أو في إطار ما يعرف بمباحث الجغرافية التاريخية التي أسست لها مدرسة الحوليات الفرنسية في ثلاثينيات القرن الماضي. فحدود المنطقة التي أبحث فيها، والتي تجمع ما بين متغير طبيعي-جيولوجي (يجمع بين التل شمالاً والسهوب جنوباً) لا شك أنّها تعرضت هي الأخرى لأنوع كثيرة من المتغيرات العمرانية والمسلكية والطوبونيمية، وحتى الحراك القبلي، سواء كان الأمر على المستوى السريع أو المتوسط أو البطيء، ومما يؤشر على ذلك جميعاً هو وجود إشارات استخلصنا منها الاستقرار أو الاختفاء وفي أحيان أُخرى مجرد العبور البشري على المنطقة.

في الحقيقة أنّ ما يمكن أن تضيفه أو أضافته مواضيع الجغرافية التاريخية في الحقل الأكاديمي عموماً هو ما تشهد عليه الدراسات السابقة في هذا الميدان البحثي من خلال تحقيقها لنتائج جديدة تتجاوز مجرد جمع وتركيب الأخبار والحكايات المتداولة في المصادر، واعتمادها طبعاً على مقاربات جديدة تتقاطع بين التاريخ والآثار وعلوم اللسانيات، خُصوصا تلك المنجزة في جامعات أُوروبا وأيضاً في الجامعات التونسية، وهذا ما حاولت أنّ أقوم به في هذا العمل فيما يخص بلاد بني توجين.

1/ لماذا مجال بنو توجين؟

لا شك في أن الانتقاء المتعمد لهذا النوع من المواضيع قد تم بناءً على عدة دوافع وأسباب، ومن بينها يبرز نقص الدراسات المتعلقة بالجغرافية التاريخية في الجزائر. سواء كانت هذه الدراسات من قبل باحثين جزائريين أو أجانب، وهذا يعتبر دافعا قويا لاختيار هذا الموضوع. علاوة على ذلك، ساهم المشرف في اختيار هذا الموضوع وشجع عليه كتجربة جديدة وجريئة، خاصةً وأن الموضوع يتشابه في شكله مع زميلي في الدفعة، صادق زياني، الذي شاركته الإشراف والتوجيه من قبل أستاذنا علاوة عمارة.

أمّا بالنسبة لاختيار هذا المجال الجغرافي بشكل خاص، فهو نابع من اقتناعي الشخصي وانتمائي العميق لهذا المجال، وهذا الانتماء يعد دافعًا قويًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن الاحتكاك المباشر بالمجال يُسهل عملية جمع البيانات الجغرافية والأثرية، بالإضافة إلى كل ما يتعلق بالذاكرة الجماعية. وهناك جانب آخر ذو أهمية كبيرة،

حيث قمت بالبحث في تاريخ هذا المجال أثناء دراستي للماستر في جامعة معسكر. ولكن كانت الدراسة محدودة لمنطقة بلاد الونشريس فقط، وقد ساهم هذا على الأقل في التعرف على المصادر الأولية للموضوع.

بعد استعراض مبدئي للموضوع من جوانبه المختلفة، توصلت بالتعاون مع أستاذي المشرف إلى تحديد عنوان البحث كما يلي: "**الجغرافية التاريخية لمجالات بني توجين**". وعند التحديق في هذا الموضوع بشكله، نجد أنّه لا يحمل إطارًا زمنيًا محددًا كما هو الحال في العديد من البحوث الأخرى. وعليه يجب أن أشير هنا إلى أنّ هذه الدراسة ستركز على الفترة الممتدة من نهاية العصر القديم حتى نهاية العصر الوسيط، وهو الإطار الزمني الذي يتناسب مع هذا البحث.

فيما يتعلق بمحددات الدراسة، يستدعي هذا البحث التركيز على خمسة عناصر رئيسية في دراسة المواضيع الجغرافية التاريخية. هذه العناصر تشمل المجالات، والمواقع، والطوبونيميا (أو أسماء المكان)، والمسالك، وأخيرًا الجماعات. تسليط الضوء على هذه العناصر سيساعد في فهم وتحليل الجوانب الجغرافية لمجالات بني توجين بطريقة شاملة وشمولية.

2/ الدراسات السابقة:

يتميز هذا البحث عن الدراسات السابقة في المجال بشكله ومضمونه. فهو يتطلب تناول محاور دراسة الجغرافية التاريخية المسبقة، بالإضافة إلى مدة زمنية طويلة تمتد خلال العصر الوسيط. هذه الخاصية غير موجودة في الدراسات السابقة التي انحصرت بشكل كبير في مرحلية البحث. وبالعبارة الأخرى، ركزت هذه الدراسات على فترات زمنية محددة تتسم بالتحولات الحدثية. كما اهتمت بشكل كبير بالنواحي المونوغرافية أو البيوغرافية، باستثناء بعض الدراسات القليلة التي تطرقت إلى جوانب معينة من المواقع والجماعات. وفيما يلي، سأستعرض الدراسات التي تم الاستفادة منها في هذا البحث.

قام الباحث روني باسي (René Basset)، المتخصص في دراسة لسانيات اللغة العربية والبربرية، بأبحاث وحفريات على بعض المواقع التاريخية، مثل حصن مرات وحصن تافركنيت. استفاد باسي في عمله من خبرته في اللغة العربية والبربرية، وتمكن من تحليل سلاسل الأسماء الموجودة في هذه المواقع. وقد ساعدته زياراته الميدانية لهذه المواقع أثناء إقامته في تيارت والونشريس في اكتساب المعرفة والمعلومات اللازمة.

قدمت الدراسات المنجزة بواسطة الباحث علاوة عمارة مساهمات هامة جدًا في فهم المجالات المختلفة، مثل كتامة وبلاد الزاب ومنطقة الساحل بشكل عام، على الرغم من تركيزها الأكبر على هذه المجالات مقارنةً بمجالات بني توجين. في مقاله المعنون بـ " :Les Fatimides et le Maghreb central littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires[1]"، تمكنت من تجميع المعلومات حول تواجد الدولة الفاطمية في مناطق تيهرت وأشير خلال القرن الرابع للهجرة (القرن 10 الميلادي). كما استفدت من مقالة الباحث "من الواحات إلى جبال الأوراس ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2_3هـ/8_9م)"، التي تم ترجمتها إلى العربية بواسطة عبد القادر مباركية في مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية[2]. ولاسيما في الفصل الأول، حيث تم تحديد حدود غرب بلاد الزاب التي تمثل في الوقت نفسه بداية مجال الدراسة. بالإضافة إلى ذلك، استفدت من دراسات أخرى مثل "ابن شداد الصنهاجي جامع تاريخ المغرب الوسيط" و "مدينة الجزائر في العصر الوسيط" بالاشتراك مع المرحومة زينب موساوي، و "من القائد العسكري إلى القائد الأسطوري صورة عقبة بن نافع في الدراسات الغربية". جميع هذه الدراسات قدمت المعلومات المهمة وأضافت قيمة كبيرة لبحثي.

دراسة بختة مقرنطة عابد، فكتابها ذو الأربع أجزاء (L'image de l'Algérie antique au travers des sources arabes du moyen âge)[3]، هو عبارة عن أطروحة دكتوراه تم نشرها في كتاب بعد مناقشتها في جامعة إيكس مرسيليا في عام 2005م، فهي تُعد مصدرًا هامًا للمعلومات المتعلقة بالمواقع الرئيسية، وخاصة تيهرت وأشير والمدية، بالإضافة إلى دورها في تحليل التاريخ القديم للمنطقة. وقد أضفى مقالها الخاص بشبكة المسالك في غرب المغرب الأوسط إضافات قيّمة في إنجاز الفصل الخامس من بحثي[4].

[1] *Revue du monde musulman et de la Méditerranée,* 139, (2016), p. 107-126.

[2] العدد 9، (2017م)، ص248.

[3] Ministère de la culture, Alger, 2013.

[4] Bakhta Moukraenta, «Essai sur le réseau routier de l'Ouest du Maghreb Central (Maurétanie Césarienne) d'après les géographes arabes (9ème –12ème siècles) », *L'Africa Romana, XVIe Congrès international di Studi*, Rabat, 2004, p. 300-380.

من جهته، أسهم إيف موديران (Yves Modéran) بتقديم دراسات مهمة حول القبائل المورية[1]، ومن خلال بحوثه، تمت إعادة فهم وتصحيح الفكرة الكلاسيكية المتبناة في المصادر العربية حول تقسيم القبائل إلى جذمين عميقين يُعرفان باسم "البتر" و"البرانس". بالإضافة إلى ذلك، قامت دراساته بالمساهمة في فهم جانب مهم من حركة الجماعات داخل مجال الدراسة خلال العصر الوسيط. ولقد أفادتني الدراسة الحديثة للباحث الأمريكي والتركيجي (Walter E. Kaegi) التي تحمل عنوان "التوسع الإسلامي والانهيار البيزنطي في شمال أفريقيا[2]". تتميز هذه الدراسة بعناصر مميزة من الناحية المعرفية والنقدية، حيث قدمت لي قراءة جديدة لحملات الفتح الأموي على بلاد المغرب، والقصص الأسطورية المصاحبة لها.

فيما يتعلق بموضوع جماعات بني توجين، أشير إلى مذكرة ماجيستر تمت مناقشتها في جامعة وهران بواسطة الباحثة عربية بورملة، تحمل المذكرة عنوان: "إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (7_8هـ/13_14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون"[3]. وقد تم التطرق من خلالها إلى معلومات حول مجال انتشار جماعات بني توجين، حيث اعتمدت الباحثة بشكل رئيسي على تجميع الأخبار والروايات المقدمة في كتاب العبر لابن خلدون، والتي تركز بشكل أساسي على الجوانب السياسية والعسكرية. إضافة إلى ما سبق، هناك مقال للباحثة أمال سالم عطية، بعنوان: "الجوانب الحضارية لإمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (13_14م)"[4]، حيث تناولت الظروف التي نشأت فيها إمارة بني توجين، بالإضافة إلى توضيح تركيبتهم البشرية ومختلف أنشطتهم الاقتصادية. كما قامت مؤخراً زهيرة لكحل من جامعة وهران بنشر مقال مشترك مع أستاذها المشرف، قادة سبع، يتناول دراسة حول جماعات بني توجين. وقد حمل المقال عنواناً يُعنى بدور قبائل المغرب الأوسط في الصراع بين دول المغارب خلال القرنين (7-8هـ/13-14م)، وتحديدًا قبيلة بني توجين كنموذج[5]. ومن بين النقاط الرئيسية التي تم التطرق إليها في البحث

---

[1] *Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècle)*,Rome, l'École française de Rome, 2003.

[2] *Muslim Expansion and Byzantine Collapse in North Africa*, New York, Cambridge University Press, 2010, p. 249-253.

[3] مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010م.

[4] أبحاث، اليومين الدراسيين حول التراث والإقليم، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، العدد 4، (2015م) ص 21-25.

[5] مجلة عصور الجديدة، 10، (2020م)، ص140-153.

هي قضية الكراهية التي مارستها جماعات بني توجين في سبيل تحقيق الوحدة المغاربية. كما تركز الدراسة أيضًا على الحروب والصراعات التي شاركت فيها القبيلة.

إلى جانب هذه الدراسات المذكورة، هناك أعمال أخرى تتعلق بموضوع بحثي، وعلى الرغم من أنها لم تتطرق إليه بشكل موسع، إلا أنها قدمت لي بعض الأفكار والمعلومات المرتبطة بالبحث وساهمت في توضيح العمل في مجال الجغرافية التاريخية. يمكنني أن أشير إلى بعض هذه الأعمال، على سبيل المثال:

قدم الباحث التونسي أحمد مشارق مقاربات تاريخية تتعلق بالتواصل الإثني لجماعات صنهاجة وزناتة خلال فترة الانتقال من العصر القديم إلى العصر الوسيط. وقد قام الباحث بالاستعانة بمقاربات طبونومية وأركيولوجية في عمليات التفكيك والاستقصاء والربط بينها وبين المواقع التي كانت غير معروفة سابقًا، مثل طبونيم أوزيا/هاز/سور الغزلان حاليًا، والإيثونيم Vsinaza /Saneg/ Sanhadja[1]. أشير هنا إلى أهم المقالين التي رجعت إليهما في الفصل السادس المتعلق بالجماعات:

1) Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité au Moyen Âge. Le cas des Gétules Misiciri Dansle Livre des Exemples d'Ibn Khaldûn.

2) Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité à nos jours: le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta.

تُشير المعطيات إلى أن الباحثة البلجيكية فرجينو بريفو (Virginie Prévost) قد خصصت دراسات شاملة باللغة الفرنسية تتعلق بالتاريخ الإباضي. ومع ذلك، تركزت العديد من دراساتها بشكل كبير على منطقة جنوب تونس (جربة)، وبشكل أقل على الواحات الجزائرية مثل سدراتة وبلاد الزاب، ولم تولِ اهتمامًا كبيرًا لمنطقة تيهرت. وعلى أي حال، استفدت من أبحاثها في موضوعات تتعلق بنقد النصوص الإباضية. وفيما

[1] Ahmed M'Charek, «De Tacite à Ibn Khaldûn, à la recherche de deux tribus berbères: masofi (masûfa) et vsinazi (banû sināg/sanhadja)», *Actes du 7eme colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes*, Sbeitla, 2010, p. 243.

يتعلق بالجانب العمراني، قمت بمقارنة ومقاربة بين العمارة الرستمية وتلك التي دراستها الباحثة في مختلف الفضاءات الإباضية[1].

أعمال الباحث محمد حسن قدمت فائدة كبيرة في توضيح كيفية التعامل مع موضوع الجغرافية التاريخية، وخاصة كتابه "الجغرافية التاريخية لإفريقية". ولقد ساعدتني هذه الأعمال أيضًا في مقاربة المدينتين القيروان وتيهرت. وقد استدعاني الرجوع إلى كتابه الثاني "القيروان في عيون الرحالة" نظرًا لتكرار متشابه في الروايات الأسطورية المذكورة في المصادر بنفس الطريقة حول المدينتين. لذلك، كنت أتطلع إلى فهم كيفية تحليل ومعالجة محمد حسن لهذه الروايات في السياق القيرواني. ومن جهة أخرى، ساعدني الكتاب في اكتشاف الجوانب العمرانية المتشابهة بين المدينتين.

فيما يخص دراسة الطوبونيميا وفهمها في السياق المحلي والمفاهيمي، استعنت بالمراجع العلمية للباحث في اللسانيات فريد بن رمضان وكتاب محمد البركة، بالإضافة إلى كتاب الباحث في الثقافة الأمازيغية محند أكلي حدادو. ونظرًا لعدم اطلاعي على اللغة المحلية "الشلحية"، كنت أعتمد بشكل كبير على القاموس الضخم (الأمازيغي-العربي) الذي نشره محمد شفيق لأول مرة في عام 1987م.

إشكالية الموضوع:

تهدف هذه الدراسة إلى التركيز على إشكالية رئيسية ومهمة، وهي استكشاف وتحليل التغيرات الجغرافية التي شهدتها المنطقة المدروسة في الفترة المحددة من نهاية العصر القديم حتى نهاية العصر الوسيط. كما تسعى الدراسة إلى فهم وتفسير هذه التطورات وإلقاء الضوء على الجوانب الغامضة والتحديات التي تحتاج إلى مزيد من التفصيل والتحليل.

إن هذا البحث الذي يتناول إشكالية أساسية في الجغرافية التاريخية للمجال، ينقسم بدوره إلى أسئلة فرعية تساعدنا على فهم الموضوع والإجابة عليها في فصول البحث، أذكر من بينها:

[1] تلك المعلومات تظهر أهمية بحوث فرجينو بريفو في توسيع فهمنا للتاريخ الإباضي وثقافته، وتوفير رؤى في مجال العمارة والنصوص بالإباضيين

_ على أي أساس يتم تحديد المجال؟ وهل يمكن استخدام التوطين الاجتماعي الغير منسجم كمجال دراسي لموضوع البحث، أم أنّ البحث عن الفضاء الإداري سيكون الأكثر دقة؟

_كيف تطورت المدن الكبرى داخل المجال وهل هناك علاقة ممتدة بين فترتها الوسيطة والقديمة؟

_ هل استمرت المواقع الصغيرة على نفس النسق من التوطين والاستمرارية في التعمير؟ أم هناك ما يكشف عن وجود قطيعة بعد الاستمرار ثم ظهور ثاني بعد القطيعة؟

_ ما هو حال الطرق والمسالك داخل المجال، وهل هناك استمرار بنفس النسق أو الكيفية مع الطرق القديمة، أم هناك تكييف لمسارات جديدة؟ وماهي الفواعل المتحكمة في ذلك؟

_ كيف أثر التعريب بعد استقرار السلطة الأموية في المجال على الطوبونيمات الموروثة عن الأجيال القديمة؟

_ ماهي التحولات التي شهدها المجال في البنية الاجتماعية؟ وهل هناك فعلا أثر للحركة العربية الهلالية على المجال؟

لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن هذه التساؤلات، تم الاعتماد على مجموعة من المناهج البحثية المتعددة. أولاً وقبل كل شيء، استُخدم المنهج التاريخي الوصفي لتوثيق ووصف العديد من المواقع والمسالك المدروسة، حيث تم تحليل تطورها عبر الزمن وتوثيق التغيرات الملحوظة. بالإضافة إلى ذلك، تم تبني المنهج التحليلي لاستنطاق النصوص الغامضة المتعلقة بالموضوع، هدفنا كان فهم المفاهيم والتحولات التي تنطوي عليها تلك النصوص وتوجيه التساؤلات اللازمة للكشف عن الحقائق والأفكار الغامضة. واستخدمنا أيضًا المنهج المقارن للتعامل مع النقص في المعلومات، حيث تمت دراسة المواقع والجهات المشابهة لتلك المدروسة، بهدف مقارنة وتحليل التشابهات والاختلافات بينها، وتوفير نظرة شاملة للتطورات المقارنة.

منهجية العمل:

بعد دراسة وتفهم كيفية وتقنيات دراسة الموضوع المتعلق بالمجالات الخمسة: المجال، العمران، الجماعات، المسالك، والطوبونيميا، وبفضل التوجيهات والدعم القيم الذي حصلت عليه من استاذي المشرف في كل نقطة، بما في ذلك إحالتي إلى دراسة الباحث التونسي محمد حسن في كتابه "الجغرافية التاريخية لإفريقية"،

الذي كان له تأثير كبير في تشكيل موضوع بحثي[1]. قررت تقسيم البحث إلى مقدمة وخاتمة، بالإضافة إلى ستة فصول بحثية.

تم توجيه الفصل الأول بعنوان "جَمَاعَات بني تُوْجِين فِي الخَارِطَة الجُغْرَافِيَة للتَحَوُلاَت المجَالِيَة: مُحَاوَلَة ضَبْط مَجَالاَت التَعَايُش". في بداية الفصل، قمت بالبحث عن أصول هذه الجماعة الزناتية من خلال الاستعانة بمصادر الأنساب والأخبار. ثم تناولت تعامل النصوص العربية مع كتابة اسم القبيلة، بدءًا من أقدم التسجيلات. وبعد ذلك، قمت بتتبع حركة التوطين للجماعة من منطقة إلى أخرى، وخاصة الحركة الكبرى التي انتقلت فيها الجماعة من السهوب نحو السيطرة على بلاد التل.

كما يجب التنبيه أنني في البداية وقعت في مشكل تحديد مجال الدراسة، لأنّ الاعتماد على مجال انتشار هذه الجماعات لا يسمح بتقديم مجال منسجم للدارسة، وهذا نتيجة تداخلها مع جماعات أُخرى في نفس المجال الواحد، ناهيك عن انتشارهم في فضاءات ومدن أُخرى لا يحكمها التجاور، أو بعبارة أخرى أنّ مناطق تمركزهم ليست متقاربة حتى نصنع منها مجالاً للبحث، وبالتالي حاولت الاعتماد على المجال الإداري الذي تحكم فيه اتحاد بني توجين، بمعنى الإمارة وذلك بما يتزامن ومرحلة محمد بن عبد القوي الذي يعد عهده الأكثر استحواذاً وتوسعاً في الأطراف الأربعة.

الفصل الثاني تم تخصيصه لدراسة أقدم مدينة مُعَمَّرة في المجال بعنوان "العَاصِمَة الرِيْفِيَة تِيْهَرْت الأَعْلَى: مَقْعَد عَلَى رَأْس جَبَل جَزُوْل". عملت في هذا الفصل على تحديد موقع المدينة بدقة، وذلك باستخدام تحليل المعطيات المتاحة من النصوص الجغرافية وكتب الرحلات، وأيضًا بالاستناد إلى خرائط الآثار التي تعود للحقبة الاستعمارية. واجهت بعض التحديات في وصف المدينتين المجاورتين تيهرت العليا والسفلى، وذلك بسبب ضعف المعلومات المتوفرة وتداخلها في التوصيف. بالإضافة إلى ذلك، تم التطرق في هذا الفصل إلى مسألة توضيح طوبونيميا تيهرت/تاهرت، وتوصلت في النهاية إلى استنتاج أنها تشير إلى مجالي المدينتين وليس مجرد اسم للموقع. تم مناقشة العمق التاريخي للموقع في الحقبة الرومانية، ومراحل اختيار الموقع والتوطين الإباضي فيه، وأيضًا مسألة الملكية العقارية التي طُرِحت في بعض النصوص، بالإضافة إلى الروايات الأسطورية التي

[1] أود أيضًا أن أعرب عن شكري للباحث على اللقاء العلمي الذي تم في مدينة أريانة بتونس في ربيع عام 2017م، حيث كان له دور مهم في توجيهي وتعزيز فهمي للموضوع.

ظهرت في وقت لاحق من تاريخ المدينة، وخاصة في نصوص التراجم الإباضية. فيما يتعلق بالجانب العمراني للموقع، تم استنطاق البيانات المتاحة للكشف عن العمارة القديمة وتحديد أنماطها ومواقعها. وتم أيضًا استعراض المنجزات الوسيطة ووصفها في النصوص منذ العصر الرستمي وحتى الفترة الفاطمية، مع المقارنة ببعض الخرائط والرسومات الحديثة. وأخيرًا، تمت متابعة استعمال الموقع حتى سقوطه النهائي.

تم تخصيص الفصل الثالث لدراسة مدينة تيهرت/تاقدمت، والتي تعد ثاني مدينة تأسست في المجال. يتكون الفصل من أربعة عناصر أساسية، في العنصر الأول، قدمت نظرة شاملة للمعالم الطبيعية والتضاريسية التي وثقتها المصادر، بالإضافة إلى تميزها عن غيرها من المواقع. وقد تمت مناقشة أنماط استخدام الطوبونيميا للموقع خلال العصر الوسيط. في العنصر الثاني، تم تحليل المبررات التي ذكرتها النصوص للتحول إلى تعمير الموقع والانتقال من المدينة الجبلية إلى تاقدمت، إلى جانب مناقشة بعض الروايات التي قد تكون أسطورية. تركز العنصر الثالث على الجانب العمراني للمدينة، حيث تمت محاولة إعادة تشكيل المنظر الحضري للمدينة الوسيطة باستخدام المعلومات المستمدة من النصوص التاريخية، وقد ساهمت زيارتي الميدانية للموقع واستعراض نتائج الدراسات الأثرية التي قدمها الباحثون مثل بيار سلامة ودوسوس لامار وبيار كادنا في تحديد مواقع بعض المنشآت داخل المدينة وتقديم فرضيات واحتمالات للمنشآت الأخرى التي ربما اختفت منذ فترة طويلة. في العنصر الرابع والأخير، تم استكشاف تطورات المدينة في ما بعد القرن الثالث للهجرة (09م)، بمعنى مكانة الموقع التي تحولت من أن تكون عاصمة للرستميين إلى مدينة حدودية تعرضت للتنازع في العصر الفاطمي والزيري، وحتى سقوطها النهائي على يد جماعات بني غانية في العشرينيات من القرن السادس للهجرة. (12م).

خصصت الفصل الرابع لاستكشاف مدينتين هامتين في الجزء الشرقي من المجال، وهما آشير والمدية. تم دمجهما في فصل واحد بسبب قلة المعلومات المتاحة عنهما والتشابهات والتواصل التاريخي الذي يجمعهما، بما في ذلك انتمائهما إلى القسم المجالي لبلاد تلكاتة صنهاجة. في الجزء الأول، تم التركيز على مدينة آشير من خلال استعراض الموقع وعملية التأسيس واستخدام الطوبونيم، استنادًا إلى النصوص الجغرافية والوصفية. ثم تم جمع الأدلة والإشارات المتعلقة بتطور عمران المدينة، ورغم ذلك، استدعت الحاجة إلى الرجوع إلى الخرائط الأثرية للموقع بسبب ندرة المصادر المكتوبة. في نهاية هذا الجزء من الفصل، تم تتبع التحول التدريجي للمدينة من المرحلة المدينة إلى الحصن، ثم تلاشيها تمامًا، وكان ذلك نتيجة للتوترات العسكرية التي شهدها الموقع في

بداية العصر الموحدي. الجزء الثاني جاء مخصصًا لمدينة المدية، وعلى الرغم من قلة المعلومات المتاحة عن آشير، إلا أنها تكاد تكون غائبة تمامًا بالنسبة للمدية. ومن خلال الأدلة المتاحة هنا وهناك، تم تحليل ثلاثة عناصر تسلط الضوء على الجغرافيا الخاصة بالموقع، بدءًا من الطوبونيم وعلاقته بالماضي الروماني، ثم تحديد الموقع وتاريخ إعادة تأسيسه على يد جماعات تلكاتة الصنهاجية، وأخيرًا استعراض المشاهد التي سجلتها النصوص الوصفية حول عمران المدينة.

بعد دراسة المواقع الحضارية الكبرى، خصصت الفصل الخامس لاستكشاف المواقع الصغيرة والهامشية في المجال تحت عنوان "جُغْرافية الحصون والقُرى والمسَالِك في مَجالات بَني تُوجين". قسم الفصل نفسه إلى ثلاثة أقسام رئيسية. في الجزء الأول، تم التركيز على تحديد المواقع ذات الدفاعات العسكرية مثل الحصون والقلاع، من خلال تحديد مواقعها وتتبع تطوراتها التاريخية واستخدام الطوبونيم. تم توثيق 15 موقعًا في هذا الجزء. في الجزء الثاني، بحثت عن المواقع غير المحصنة، والتي تشمل المستقرات الريفية، وعددها 06 مواقع في هذا الجزء. أما في الجزء الثالث، فقد حاولت التركيز على التغيرات الحاصلة في شبكة الطرق والمسالك التي اخترقت المجال، وتم تقسيمها إلى طرق رئيسية ومسالك فرعية. وفي النهاية، تم تضمين قائمة رقمية توضح المسافات والأطوال المشار إليها بين مختلف المواقع.

خصصت الفصل السادس والأخير من الأطروحة لدراسة التوطين والحراك القبلي في المجال، وقد تم تقسيم الفصل إلى قسمين: القسم الغربي الذي يشمل البلاد الممتدة غرب وادي الشلف، والقسم الشرقي الذي يشمل البلاد المعترف بها لجماعات صنهاجة. في هذا الفصل، قمت بمحاولة تتبع استقرار وحركة التوطين للجماعات المحلية والوافدة منذ بداية العصر الوسيط وحتى نهايته، باستخدام المعلومات المتاحة في المصادر المحدودة، بالإضافة إلى بعض الخرائط التاريخية المتأخرة.

في الخاتمة، وكما هو معمول فهي عبارة عن حوصلة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في الدراسة، وفي نفس الوقت اتخذت منها مخرجا لإنهاء العمل وليس لنهاية البحث، لأنّ الأطروحة قد فتحت الباب أمامي لمزيد من الاستكشاف والاستنتاج في جوانب أُخرى للمجال التي لاتزال غامضة وتحتاج إلى تمحيص إضافي.

3/ دراسة وتحليل المصادر

توجد مجموعة معتبرة من المصادر التاريخية المتاحة لدراسة هذا الموضوع، ومع ذلك، يلاحظ أن قيمتها تختلف من مصدر إلى آخر. وبسبب طول فترة الموضوع، فإن هذه المصادر لا تغطي كل فترات التاريخ المرتبطة به بالكامل، ولا سيما القرنين الأول والثاني للهجرة (8-7م) والقرن التاسع للهجرة (15م). وبناءً على ذلك، سأذكر فيما يلي بعض هذه المصادر المهمة التي ساهمت في فهم ودراسة المجال الذي أشتغل عليه.

أ/النصوص الإخبارية:

يُعتبر كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير (ت. بعد 290هـ/903م) مصدرًا مهمًا، حيث يوثق الروايات التاريخية التي تعود إلى بداية العصر الرستمي. ويتميز المؤلف بتركيزه الأساسي على سرد الأحداث السياسية والعسكرية، مما يقدم معلومات قيّمة حول تاريخ الإمامة الرستمية. ويُسجل أيضًا المعلومات المتعلقة بنهاية تلك الفترة الإمامية بناءً على حضوره كشاهد عيان. وبناءً على ذلك، يُسهم هذا الكتاب، الذي تم تأليفه في العقد التاسع من القرن الثالث الهجري (مطلع القرن 10م)، في توضيح بعض الجوانب القليلة جدًا من التطور العمراني والحضور الإثني في مدينة تيهرت ومحيطها. وبالإضافة إلى ذلك، يُقدم الكتاب معلومات قيّمة عن الدفاعات في المدينة وخارجها، مثل القلاع والقصور المنتشرة.

من بين مؤلفات القاضي النعمان (ت. 363هـ/974م)، يتميز نص "افتتاح الدعوة وابتداء الدولة" بأهمية خاصة، ويعود لك إلى وظيفته كقاضي القضاة في الجهاز الإداري الفاطمي، حيث كان يتلقى معلومات هامة ودقيقة من المعز لدين الله الفاطمي في شكل كتابات أو بلاغات. يكشف هذا النص عن النزاعات العسكرية وتطورات المواقع خلال فترة العصر الفاطمي، ولا سيما الحركات المناوئة لجماعات زناتة في منطقتي تيهرت وأشير

كتاب "تاريخ إفريقية والمغرب[1]" المنسوب للرقيق القيرواني (ت. 418هـ/1028م) يُعتبر مستندًا هامًا لكتابة المؤرخين اللاحقين مثل ابن الأثير والنويري وابن خلدون وغيرهم. وقد نُقل عنه روايات تاريخية تتعلق بجغرافية الجماعات المنتشرة في جنوب الونشريس وغرب وادي مينا، وبشكل خاص جماعات لواتة التي تعرضت لمطاردات الخليفة المنصور الفاطمي (334هـ/945م- 34هـ/952م). يشير أيضًا بشكل خاص إلى النقوش

[1] يعتبر الكتاب مفقوداً، باستثناء هذه القطعة الوحيدة التي وصلتنا منه.

المكتوبة على أضرحة الملوك النوميد[1]، بالإضافة إلى الصراعات الفاطمية الأموية في المنطقة والتي تشمل جماعات مغراوة.

كتاب "المقتبس في أخبار بلد الأندلس" لابن حيان القرطبي (ت. 469هـ/1076م)، تم الاعتماد عليه في توثيق واثبات الاستحواذات التي حققها الأموين لفترة قصير في مقاطعتي تيهرت وأشير، وهذا انطلاقا من المعلومات والرسائل التي وصلت إلى الأسرة الأموية في الأندلس، خاصة في الوقت الذي كان يعمل داخل ديوان قرطبة، ثم كمؤرخ للبلاط البني جهوري. يُشير أيضًا إلى الدور المهم لسوق ابن ماما وموقعه في الصراع الفاطمي الزناتي.

كتاب "سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكريا الورجلاني (ت. 474هـ/1081م) على الرغم من تأخر المؤلف عن العصر الرستمي، إلا أنه قدم أخبارًا مهمة بخصوص فترة الدولة الرستمية. لكن التعامل مع محتوى الكتاب تطلب مني الحذر بسبب وجود بعض الروايات الأسطورية التي تأثر بها، والتي تخرج عن السياق التاريخي الصحيح، وخاصةً فيما يتعلق بتلميع كرامات الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم، وتأسيس أو إعادة تأسيس المدينتين تيهرت العليا والسفلى.

كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت. 630هـ/1233م) كان له دور مهم في تزويدي بمعلومات عن المواقع الصغرى والمسالك. بالإضافة إلى ذلك، استفدت منه في تقديم معلومات حول البنية الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع للهجرة (9-10م)، ولا يقتصر دور الكتاب على ذلك فقط، بل ساهم أيضًا في توفير معطيات إدارية تتعلق بمنطقة مدينة أشير زيري، وكما هو معلوم، قد ساعده في ذلك الاعتماد على نقل المعلومات من المصنف المفقود لابن شداد الصنهاجي بعنوان "الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان".

كتاب "طبقات المشائخ بالمغرب" لأبي العباس أحمد ابن سعيد الدرجيني (ت. حوالي 670هـ/1271م) قد جمع كتابات سابقيه وقدم روايات مهمة حول بدايات التعمير الإباضي في منطقة تيهرت. وأيضًا، يكشف المؤلف لأول مرة عن المواقع والنقاط التي تجمعت فيها بعض الجماعات السكانية في شكل تحالفات قبلية.

أما ابن عذاري المراكشي (ت. بعد 712هـ/1312م)، فمعلومات كتابه "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" تغطي جميع فصول البحث. يتميز الكتاب بتوفير معلومات متعلقة بالمواقع

[1] في منطقة لجدار حالياً.

العمرانية، ومن بينها حصن أغزر القائم في مدينة تيهرت الجبلية، كما يحدد المسالك بنوعيها الطولية والعرضية للمجال، مما سهل عملية مقارنتها مع القرون المبكرة. بالإضافة إلى ذلك، يقدم الكتاب معلومات مهمة عن حركة الجماعات السكانية، وخاصة في المرحلة الفاطمية. ويتميز الكتاب أيضاً بربط رواياته بالأحداث العسكرية والتنظيمات الإدارية للمنطقة، واعتمد على عدة نصوص متقدمة خلال جمعه للمعلومات[1].

الكتاب الموسوعي "نهاية الأرب في فنون الأدب" لشهاب الدين النويري (ت. 733هـ/1332م)، ولا سيما الجزء رقم 24، قد استندت إليه في جميع فصول البحث، باستثناء الفصل الأول الذي يتعلق بتحديد المجال. فهو يسلط الضوء على سرد أحداث التاريخ السياسي الفاطمي في المنطقة، ويتطرق بشكل أقل إلى تاريخ التواجد الإباضي في منطقة تيهرت وأريافها، ومن خلال الكتاب، تمكنت من استخلاص بعض أسماء المواقع، علما أنّه يعتمد على مصادر مغربية متقدمة، من بينها الكتاب الضائع لابن شداد الصنهاجي.

كتاب عبد الرحمان بن خلدون (ت. 808هـ/1406م)، وهو ديوانه العبر، يُعد من أهم المصادر المزودة بالمعلومات التاريخية حول مجالات بني توجين، إن لم أقل إنّه من أهم مصادر دراستي على الاطلاق لكونه ضمن الكتاب بمعلومات ساعدتني في عملية بناء المجال الجغرافي للبحث، كما قدم معلومات نادرة لم تتكرر في مصادر أُخرى حول أنساب وجماعات بني توجين اعتمد فيها ابن خلدون على مصادر محلية مفقودة، مثل كتاب سابق بن سليمان المطماطي وكتاب النسابة المنكوشي. وبفضل إقامته الطويلة في قلعة بني سلامة لمدة تقرب من أربع سنوات، أصبحت معطياته أكثر دقة بشأن المجال وشاهداً مُهما للأحداث التي وقعت مع الجماعات المنتشرة والمتحركة بالقرب من القلعة. زيادة على ذلك، يُعتبر الكتاب الأكثر أهمية في وصف المواقع الريفية والحصون العسكرية، وأيضاً في تسجيل تغيراتها خلال القرن الثامن للهجرة (14م)، وهذا أمر مهم جداً في بحث الجغرافيا التاريخية. أما المصدر الثاني الذي اعتمدته فهو كتاب "رحلة ابن خلدون"، وقد أفادتني تنقلاته والمعلومات التي كانت لديه حول الحركات العسكرية في فهم تطور المسالك الداخلية والخارجية للمجال. بالإضافة إلى ذلك، يعد وصفه الوحيد للعمران الموجود في قلعة بني سلامة مهماً، ومع ذلك، بمجرد

[1] تجدر الإشارة إلى وجود تباين في المعلومات المسجلة بين التحقيق القديم، الذي قام به المستشرق إفاريست لافي بروفنسال مع كولان، والتحقيق الحديث الذي قام به بشار عواد معروف مع محمود بشار عواد. هذا الاختلاف قد أثار العديد من الاستفهامات والتساؤلات التي سيجدها القارئ في سياق البحث.

الوصول إلى سنة (783هـ/1381م)، الوقت الذي أنهى فيه كتابته، تنتهي معرفتنا بما حدث للقلعة بعد ذلك.

يحي بن خلدون (ت. 780هـ/1378م) كاتب الأمير أبي حمو الثاني ومؤلف كتاب "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، نجده يقدم معلومات قيمة حول الأحداث المرتبطة بالواقع العسكري والسياسي لتلمسان الزيانية، أشار من خلالها المؤلف لبعض الحصون التي شهدت حصارات ومواجهات عسكرية بين العبد الواديين وبني توجين. أمّا بالنسبة للجماعات، فقد تناول الموضوع بإشارات هامشية حول البطون المنسوبة لجماعات بني توجين. تم توظيف هذه المعلومات في الفصل السادس والأخير من البحث.

كتاب الداعي إدريس عماد الدين (872هـ/1468م) بعنوان "عيون الأخبار وفنون الأثار"، يعتبر مصدرًا هامًا على الرغم من تأخره الكبير في كتاباته حول العصر الإسماعيلي، وعلى الرغم من ذلك، قدم الكتاب معلومات قيمة حول التاريخ السياسي والعسكري للفاطميين في بلاد المغرب، وخاصة في مناطق كورة تيهرت وأشير. والملاحظة المهمة هنا هي استناد الداعي إدريس في جمع المعطيات إلى مصادر فاطمية موثوقة من الدرجة الأولى، مما يعزز قيمة ومكانة هذا المصدر مقارنةً بالنصوص المتأخرة. وعمومًا، يسلط الكتاب الضوء على بعض المسالك والطرق التي استخدمها الجيش الفاطمي في عمليات التنقل بين المناطق، بالإضافة إلى اشارته لبعض الجماعات التي شهدت انتشاراً واسعاً في المجال، وقد تم استخدام هذه المعلومات بشكل شامل في الفصل السادس من البحث

كتاب "مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار" لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني (ت. حوالي 833هـ/1430م) يُعتبر مصدرًا مهمًا من الطابع المحلي، حيث يكشف لنا عن الجوانب المناقبية لحوض الشلف ومحيطه خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (13-14م). ويتزامن هذا التوقيت تقريبًا مع فترة تمكن بني توجين من تأسيس سيطرتهم على المنطقة التي ندرسها. من جهته، يحتوي المصدر على معلومات تسلط الضوء على بعض أسماء المواقع التي شهدت أحداثًا تاريخية، مثل جبل وافرشان. كما يتضمن عناصر

اجتماعية في نصه، مما ساعدني في متابعة تجمعات السكان في غرب الونشريس، وخصوصًا جماعات مكناسة التي ينتمي إليها الولي الصالح أبو البيان واضح المكناسي[1].

ب/ النصوص الوصفية:

اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من النصوص والمصادر الوصفية والرحلاتية التي تناولت المجال الذي أبحث فيه. من هذه النصوص:

"كتاب البلدان" لأبي العباس اليعقوبي (ت. حوالي 284هـ/897م)، يُعتبر هذا المؤلف من أقدم المصادر الجغرافية المهمة للقرن الهجري الثالث[2] (09م)، وهذا طبعاً بالنسبة لمجال دراستي، فقد استفدت كثيراً من وصفه للمسالك والأماكن التي عبرها خلال قدومه إلى بلاد المغرب. ومن جهة الجماعات، قدم اليعقوبي معلومة فريدة عن تمركز بعض عناصر جماعات بني توجين بالقرب من مدينة هاز في هذه المرحلة. ولكنه لم يقدم الكثير من الأخبار بخصوص الجماعات الأخرى المنتشرة في المجال[3].

ساهم كتاب "المسالك والممالك" للإصطخري (ت. حوالي 340هـ/951م) في إنجاز الفصل الثاني المتعلق بمدينة تيهرت الجبلية، التي تم الإشارة إليها في بعض النصوص المتأخرة باسم تيهرت القديمة. فقد قدم المصدر معلومات حول الموقع والوصف الحضري للمدينة، وساهمت المعطيات التي وردت فيه في تأكيد حقيقة أن تيهرت تُعتبر طوبونيم للمنطقة بشكل عام وليس فقط للمدينتين. كما أفادني المصدر بالمعلومات المتعلقة بالمسالك والمسافات بين المدن المتواجدة داخل وخارج المجال. ومع ذلك، نجده يفتقر إلى المعلومات المتعلقة بالجماعات السكانية في المنطقة.

---

[1] في البداية، تم الاعتماد على النسخة المخطوطة كمصدر أساسي، وبعد ذلك، تم الرجوع إلى الطبعات المتتالية التي تم نشرها بواسطة عبيد بوداود وعبد القادر بوباية، حتى نقوم بمقارنة محتوياتهم مع بعض الكتابات الطوبونيمية التي كانت صعبة القراءة. كما تجدر الإشارة إلى وجود دراسة تفصيلية للباحث علاوة عمارة، تتناول الطبعات التي تم إصدارها حول نص المازوني، يراجع. Allaoua Amara, "L'abrégé de *Dībāǧat al-iftiḫār* : un texte du IXe/XVe siècle récemment édité relatif aux saints de la vallée du Chélif (Maghreb central) à la fin du Moyen Âge", Arabica, 67, (2020), p. 306-313.

[2] تم الانتهاء من كتابته في سنة 278هـ / 891م.

[3] يوجد للمؤلف كتاب ثانٍ بعنوان "تاريخ اليعقوبي"، ولكن المعلومات الموجودة فيه حول المجال قليلة جداً، باستثناء الإشارة الوحيدة التي تتعلق بكيفية كتابة الطوبونيم المعرب "تيهرت". اليعقوبي تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، 1960، ج1، ص190.

كتاب "المسالك والممالك" للحسن بن أحمد المهلبي العزيزي (ت. 380هـ/991م) يُعتبر من المصادر الجغرافية المفقودة التي كُتبت في عصر الخليفة العزيز بالله الفاطمي. تناول المؤلف المعلومات التي نُقلت عنه من قِبل مؤلفين آخرين في القرنين السابع والثامن للهجرة (13-14م) مثل ابن العديم وياقوت الحموي وأبو الفداء. وعلى ضوء نقولاتهم قام الباحث تيسير خلف بتجميعها في نسخة واحدة تمت طباعتها سنة 2006م. وعموماً، ساعدني المصدر في وصف الموقع الذي يضم المدينتين تيهرت الجبلية وتاقدمت، بالإضافة إلى ذكره بعض الطوبونيمات التي كانت تستخدم في تلك الفترة مثل تيهرت عبد الخالق وعراق المغرب. كما استفدت أيضًا من المصنف في توثيق المسافات بين بعض المواقع وقد قمت بإدراجها في شرح الفصل الخامس.

أما كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل (ت. 380هـ/977م) فهو أحد أهم المصادر الجغرافية في البحث. حيث ساهمت المعلومات التي سجلها في رحلتيه الأولى والثانية إلى بلاد المغرب في فهم الطرق والمسالك خلال العصر الفاطمي. ومع ذلك، يوجد بعض الارتباك أو الخلط في ترتيبه لبعض المواقع التي يجب على المسافر اجتيازها في تلك الفترة. كما ساعدني المصدر أيضًا في فهم الحالة الحضرية للمراكز الكبرى والمتوسطة وتفاصيل العمران والطوبونيميا المتعلق بها. ويظهر من خلال المصدر أنه استلهم بعض الأخبار من معاصره الإصطخري.

كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقديسي (ت. بعد 377هـ/987م)، يُعد من المصادر المهمة في مجال دراستي، ومع ذلك، تحتوي المعلومات المتاحة فيه عن المجال الذي أدرسه على قدر محدود. استفدت منه في تحليل استخدام طوبونيم تيهرت وتحديد مواقع بعض البنايات داخل المدن الحضرية. كما استفدت من ذكره للأسماء الموقعية التابعة لكورة تيهرت في استكشاف التطورات اللاحقة. وقدم المقديسي صورة عن الطرق التي تعبر المجال، مثل الطريق الذي يمتد من المسيلة شرقًا إلى أفكان غربًا، وذكر في عدة مناسبات المدة التي يستغرقها المسافر في السفر بين مدن المجال وبعض المدن المغربية الأخرى.

كتاب "المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري (ت. 487هـ/1094م)، أغلب المعلومات التي سجلها المؤلف الأندلسي في كتابه سنة (460هـ/1067م) نجدها مستمدة من النص الضائع لمحمد بن يوسف الوراق (ت. 363هـ/973م) المعرف بـ "ممالك أفريقية ومسالكها"[1]، وبالتالي فهي تعود إلى النصف الثاني من القرن

[1] فيما يتعلق بجغرافية أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب البكري راجع: Dominique Valérian, «Bakrī et le Maghreb», *Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (viie-xiie siècle)*, Paris, 2010.

الرابع الهجري (10م). على الرغم من ذلك، يحتوي المصدر على معلومات قيمة وثرية بشأن المواقع والمسافات، بالإضافة إلى اهتمامه بالجماعات والتغيرات الطوبونيمية. يضم الكتاب أيضًا إضافات تعود إلى القرن الخامس الهجري (11م)، جمعها البكري بصفة خاصة من التجار والعلماء الذين زاروا بلاد المغرب.

كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق" للشريف الإدريسي (ت. 562هـ/1166م)، هو مصدر غني بالمعلومات الجغرافية التي تسلط الضوء على التغيرات التي شهدها المجال في منتصف القرن السادس الهجري (12م) [1]. ومع ذلك، يتوجب علينا أن نلاحظ أمرًا هامًا فيما يتعلق بالوصف الذي قدمه الإدريسي لبعض المراكز الحضرية؛ حيث قد تكون بعض التقارير والمعطيات غير متوافقة تمامًا مع الحقبة الزمنية للقرن السادس الهجري (12م). فقد تم نقل معلومات تمامًا كما وردت في كتاب ابن حوقل، خاصة فيما يتعلق بوصف مدينة تيهرت ومحيطها. وباستثناء ذلك، فإن المصدر يقدم معلومات قيمة في الجانب الاجتماعي لنهاية العصر الحمادي، وخاصة فيما يتعلق بذكر أنواع الجماعات المتواجدة في أعالي الونشريس. كما يعتبر الكتاب مصدرًا جغرافيًا فريدًا يساهم في فهم التطورات المسالكية، ويساهم أيضًا في توضيح استمرارية أو اختفاء وظهور مواقع جديدة على الطريق المتصل بين القيروان وفاس.

كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" الذي تم تأليفه سنة (587هـ/1191م) من قِبل مؤلف مجهول، قد يكون ربما هو ابن عبد ربه الحفيد وفقاً لاعتقاد محمد بنشريفة. يبدو أنّ المؤلف قد اعتمد بشكل كبير على كتاب البكري، ولم يقدم شيئًا جديدًا يتعلق بالأحداث التاريخية أو الجغرافية المتعلقة بالفترة الزمنية للقرن السادس الهجري (12م)، ولا سيما فيما يتعلق بمجالنا المطروق.

أما معجم البلدان لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت. 626هـ/1229م) فهو نص مشرقي ينقل معظم معلوماته عن جغرافية البكري، وخاصة فيما يتعلق بوصف تيهرت والمناطق المجاورة لها. أيضا كتاب "الجغرافيا" لابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) فقد استفاد موضوعي منه في نقطة واحدة ومحدودة فقط، وهي كيفية كتابته للاسم القبلي (توجين).

---

[1] بالنسبة لتاريخ الإدرسي، راجع بشكل خاصل: Allaoua Amara et Annliese Nef, «Al-Idrīsī et les Ḥammūdides de Sicile: nouvelles données biographiques sur l'auteur du Livre de Roger », *Arabica*, 67, (2000), p. 121-127 ; Annliese Nef, « Al-Idrīsī : un complément d'enquête biographique » *Géographes et voyageurs au Moyen Âge*, Presses universitaires de Paris Ouest, 2010, p. 53-66.

كتاب "وصف أفريقيا" للحسن الوزان الملقب أيضًا بليون الأفريقي، ألفه في سنة (932هـ/1526م) ويحتوي على معلومات هامة جدًا حول مدينة المدية التي قام بزيارتها لمدة شهرين، وفي غضون ذلك قدم لنا المسافات التي تفصل بين المدينة ومدينة تلمسان ومنطقة الساحل. وبناءً على زيارته المؤكدة أيضاً لموقع أثار مدينة عبد الرحمان بن رستم (تيهرت/تاقدمت)، أكد لنا استعمال الطوبونيم القديم تاقدمت في هذا الوقت المتأخر، مما يعكس العودة من جديد إلى استخدام التسمية القديمة بعد تخريب المدينة على يد بني غانية، واستمرارها من ذلك الوقت حتى الوقت الحاضر.

ج/ الدراسات الأثرية:

تم نشر تقرير في عام 1843 للضابط أزيما دو مونقرافيي (Azéma de Montgravier)، الذي ليس باحثًا أكاديميًا وإنما يمثل فرقة عسكرية فرنسية. وقد قدم في التقرير مخططًا يحوي شرحًا شاملاً لبقايا مدينة تيهرت الجبلة خلال العصور الوسطى[1]. وقد ساهم هذا المخطط في تحديد أجزاء مهمة من المدينة التي كانت مجهولة لفترة طويلة. ومع ذلك، يجب الإشارة إلى أنّ الدراسات المعاصرة لم تُشر إلى استخدام هذا المخطط المهم، وهذا على الأقل وفقًا للمعلومات المتوفرة لدي.

أجرى جورج مارسي (Georges Marçais) ودسوس لامار (A. Dessus-lamare) تنقيبات في موقع تاقدمت في عام 1946م[2]، وكشفت هذه التنقيبات عن العديد من المراكز العمرانية، بما في ذلك القصبة وأبراج المراقبة. استفدت من هذه الدراسات في فصل الأطروحة الثالث من دراستي.

دراسات الباحث لوسيان قولفن (Lucien Camille Golvin) حول موقع مدينة أشير وبلاد صنهاجة، ففي الغالب هي عبارة عن مقالات ناقش فيها الباحث عدة جوانب من تاريخ المنطقة بمقاربات تاريخية وأثرية، ولا سيما خلال فترة الحكم الزيري بالجهة، حيث أفادتني بشكل كبير في المبحث العمراني لمدينة أشير.

[1] «Occupation de Tiaret (ancien Tahort des géographes arabes) », *le spectateur militaire*, 35, (1843), p. 667.

[2] Georges Marçais et Alfred Dessus-Lamare, «Recherches d'archéologie Musulmane:Tihert Tagdemt», *Revue Africaine*, 90,(1946).

في عام 2013م، قدمت الباحثة فاطمة جلجل من جامعة تلمسان، مذكرة حول موقع تيهرت الأثري. وفي هذه المذكرة، قدمت إضافة هامة تتعلق بالقياسات الطولية والعرضية للأسوار والمباني الأثرية، كما قامت بتحديد العديد من أنواع المباني الموجودة في الموقع[1].

أيضاً الكتابات الأثرية المكتشفة في مجال تيارت خلال الحقبة الاستعمارية، فهي كثيرة ومتنوعة وقد ساعدتني في قراءة الماضي اللاتيني للمنطقة. هذا ويُعد الوصول إلى محتوياتها أمراً سهلاً في ظل وجود دراسات سابقة نقلت هذه الكتابات، مثل الأبحاث التي أجراها بيار كادنا وستيفان قزال وجور مارسي، وأيضاً المجموعة التي نقلها لنا دوكساد ولوكلاغ وفايسات ودولابلونشار وروني كانيا.

نقائش العملة التي تم اكتشافها لأول مرة في حفرية مدينة وليلي سنة 1915م، فهي تعود إلى بداية الإمامة الرستمية[2]، وقد ساعدتني في تتبع تطورات طوبونيم تيهرت.

بالنسبة للمباني الأثرية الموجودة في المواقع حتى الآن، فإنها تكشف عن عينة من الفترة الوسيطة. ومع ذلك، يبقى التحدي هو اختفاء العديد من هذه المباني نتيجة لتقلبات الزمن أو بسبب التوسع السريع في بناء المدن الأوروبية، وهذا هو الوضع تقريباً في حالة موقع تيهرت الجبلية. وعلاوة على ذلك، نجد أنّ المعلومات الأثرية حول المواقع الوسيطة في المجال محدودة جدًا، نظرًا لأن الدراسات خلال الحقبة الاستعمارية كانت تركز بشكل رئيسي على مواقع ما قبل التاريخ والتاريخ الروماني.

كما ينبغي أن نشير إلى الدور المهم الذي تلعبه الخرائط التي تعود للحقبة الاستعمارية في مساعدتي على تتبع الآثار وتحديد المواقع التاريخية. ويعود الفضل في الحصول على هذه الخرائط، أو على أغلبها، إلى الموقع الإلكتروني المقدم من قبل المكتبة الوطنية الفرنسية (Gallica). وبالإضافة إلى ذلك، فإنه يوجد أهمية كبيرة للخرجات الميدانية لاكتشاف بعض المواقع عن قرب وفهم الوصف الذي تقدمه المصادر، وذلك لأن النصوص وحدها لا تكفي في البحث في الجغرافيا التاريخية.

[1] فاطمة جلجل، موقع تيهرت الأثري، مذكرة شهادة الماجيستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013م.

[2] « Les Idrissides à la Lumière de fulus frappés à Volubilis et Tahert », *Arabica,* 62, (2015), p. 732-735.

صعوبات البحث:

من بين الصعوبات التي واجهتني في إعداد هذه الدراسة المتواضعة، أود أن أذكر ما يلي:

_ صعوبة تحديد نطاق البحث الجغرافي، نظراً لتواجد عدة عناصر سكانية وليس فقط جماعات بني توجين. وفيما يتعلق بالجانب الإداري والعسكري، يوجد غموض في بعض المناطق الحدودية نتيجة للتغيرات والتقلصات السريعة التي لا تظهر بوضوح في المصادر.

_ التحدي الزمني الطويل لفترة الدراسة، وضرورة التمييز بين فترات القطيعة والتحول والاستمرارية في المشاريع والأحداث، مع أنّ هذا هو الغرض من الدراسة في حد ذاتها.

_ نقص المصادر المتاحة، خاصة في المناطق الريفية والجبلية الشمالية. بالإضافة إلى ذلك، هناك قلة في المعلومات المتعلقة ببعض القرون التاريخية، مما يؤدي إلى انقطاع في التسلسل المعلوماتي.

_ قيمة المصادر التاريخية التي وصلتنا تختلف بشكل كبير، وككل باحث إلاّ ويصطدم بحجم الاقتباسات ووجود الكثير من النقول والروايات الأسطورية، وهو ما أخذ مني الوقت لإخضاعها إلى مقاربات نقدية.

_ موضوع الجغرافية التاريخية الذي يتطلب الفهم الجيد لكيفية التعامل مع منهجية وتقنيات بحث جديدة نسبيا، أو على الأقل جديدة محلياً.

_ الصعوبة السادسة وهي غموض الفترة التاريخية القديمة للمجال وقلة معرفتي بتفاصيلها ومصادرها المتنوعة، وهو ما تطلب مني تخصيص وقت كاف لقراءة المراجع المتخصصة في هذه الموضوعات، وخاصة تلك المتعلقة بمجال موريطانيا القيصرية.

_ قلة معرفتي باللغة البربرية المحلية لترجمة بعض الطوبونيمات، وتم التغلب على ذلك من خلال الاستعانة ببعض القواميس المنشورة. ونفس الأمر ينطبق على صعوبة اللغة اللاتينية في شكل المعلومات الإبيغرافية.

_ صعوبة التعرف على وضعية المجال في الفترة من منتصف القرن الأول إلى منتصف القرن الثاني (6-7م) نظرًا لنقص المعلومات المصدرية حولها. ونفس الشيء ينطبق تمامًا على القرنين السادس والتاسع للهجرة (12و15م).

_ البحث في ظل جائحة كوفيد-19، حيث تأثرت إمكانية الوصول إلى الجامعة ومكتبات البحث لأكثر من عامين، وانقطعت الفرص للتواصل المباشر مع الأساتذة والباحثين.

الفصل الأول:

جَمَاعَات بني تُوْجِين فِي الخَارِطَة الجُغْرَافِيَة للتَحَوُلاَت المَجَالِيَة:

مُحَاوَلَة ضَبْط مَجَالاَت التَعَايُش

تحتوي الإستغرافيا الحديثة على مجموعة من الدراسات التي تتناول جماعات بني توجين، ولكن على قلتها نجدها جميعاً تركز على البحث في الأدوار التي لعبتها نُخبها السياسية، بالإضافة إلى تاريخ تحالفاتها مع الدولتين الزيانية والمرينية. في المقابل، هناك نقص في تحديد مجال انتشار هذه الجماعات وتحركاتها، سواء يتعلق الأمر بها كعناصر داخل نفس الجماعة وعلى اختلاف مواطنها واندماجها، أو من منطلق أنَّها اتحاد يحمل غطاء الأصل والمصلحة المشتركة معاً. وبصفة عامة، تعتمد معظم هذه الدراسات التي تم إنجازها حتى الآن بشكل كبير على المقاربة الخلدونية في تحديد المجال الجغرافي، ويعود ذلك إلى غياب الشواهد التاريخية والأثرية.

رغم أن ابن خلدون قدم معلومات قيمة ولا يوجد مصدر آخر يمكن مقارنته به، إلا أنني أجد أحيانًا أن رواياته تحمل نوعًا من التأويل والتضارب. وهذا يدفعني إلى البحث عن معلومات بديلة، خاصةً من خلال الاعتماد على الطوبونيميا ودراسة الأسماء المحلية والمكانية.

1- في أصل جماعات بني توجين: قراءة في النسب

قبل التطرق إلى التحولات التي شهدتها جماعات بني توجين في عمق بلاد المغرب الأوسط، يجب الإشارة إلى أصلهم كقبيلة بترية، وذلك وفقًا لتقسيم ابن خلدون الذي يقسم البربر إلى قبائل "البتر" أو "البرانس"[1]. ففي رواية ابن حزم القرطبي (ت. 456هـ/1064م) يذكر أن جماعات بني واسين هم من ورسيج بن زانا بن يحي بن ضري بن رجيك بن مادغيس بن بر[2]. بينما يعتبر ابن خلدون جماعات بني توجين من "ابن بادين بن محمد بن رزجيك بن واسين بن يصلتن بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن انديدت بن جانا[3]". وفي كتاب "صبح الأعشى"، يشير القلقشندي (ت. 821هـ/1418م) إلى نسب بني عبد الواد، حيث يذكر

[1] بخصوص التصنيف الكلاسيكي بين وجود قبائل البتر والبرانس، يمكن الاطلاع على دراسة الباحث الفرنسي إيف موديران Yves Modéran : Yves Modéran, *op.cit.,* p. 761-810.

[2] ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، 1982م ص495 – 598.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة خليل شحادة وسهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2000م، ج7، ص81.

أنهم من "ابن بادين بن محمد، من بني رحيك، بن واشين بن نصبين بن سرا بن إحيا بن ورسيك بن أديت بن جانا، وهو من زناتة[1]".

بناءً على المقتطفات السابقة، يمكننا القول أن هناك تسلسل واحد في النسب بين جماعات المذكورة. ومع ذلك، يظهر اختلاف في كتابة الأسماء بدقة، ويرجع ذلك في الغالب إلى صعوبة التعبير عنها ونقلها كقوائم لشعوب سابقة بين مؤلفين غير ملمين باللغات المحلية، خاصة المشارقة منهم.

الشيء الملاحظ هو أنَّ بادين بن محمد، الذي تم الإشارة إليه سابقاً، تشترك فيه كل من جماعات بني توجين التي نعتمد مجالاتها كإطار لدراسة، بالإضافة إلى بني عبد الواد وبني مصاب وبني زردال. أما بني راشد فيتشاركون مع بني بادين في محمد. ومع ارتفاع النسب إلى زحيك بن واسين، ستتجمع هذه البطون الخمسة السابقة الذكر مع بني مرين، أصحاب المغرب الأقصى في وقت لاحق[2]. يجب التأكيد على أن أصل جماعات بني توجين يرجع إلى زناتة الكبرى[3] (Zanenses)، وهذا لا يوجد خلاف فيه بين مختلف المصادر النصية التي تناولت زناتة في العصر الوسيط. وهذا يتعارض تمامًا مع أسطورة النسب المتعلقة بجماعات زناتة، التي تمت محاولة الحاقها بالنسب العربي[4].

---

1 القلقشندي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الأبيار، دار الكتب الإسلامية، 1982م، ص177.

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص79.

3 حول التقارب الطوبونيمي والمجال الجغرافي لجماعات زناتة في العصر القديم المتأخر والعصر الوسيط، يُنصَح بالاطلاع على مقاربة أحمد مشارق:
Ahmed M'Charek, «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'Antiquité à nos jours :le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta), *Académie des inscriptions et belles-lettres SEMP*, 2015,p. 463-468.

4 إن الادعاء بأن البربر، بما في ذلك زناتة، ينحدرون من أصل عربي لا يتجاوز حدود "الأساطير"، وقد أشار إليها ابن حزم القرطبي في القرن الخامس للهجرة كأكاذيب تاريخية من مؤرخي اليمن. (ابن حزم، المصدر السابق، ص495). وقد تجددت هذه الأساطير في القرن السابع للهجرة عندما قام ابن عذاري المراكشي بتجديدها في كتابه "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، 2013م، ج1، ص211) وقد دافع عنها يحي بن خلدون في القرن التالي، ولكن بشكل غير مقنع، في محاولة لربط أصول جماعات بني زيان بالمشارقة (العرب) وخاصة النخب الحاكمة بالأصل الشريف، (بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007م ص180-181). من بين الدراسات التي تناولت جانبا من أصول البربر أنظر:

تتميز جماعات بني توجين بالتنوع والتعدد، حيث يمكن تقسيمها إلى بطنين رئيسيين، الأول هو بنو مدن، ومنهم بنو يدللتن، وبنو قمري، وبنو مادون، وبنو زنداك، وبنو واسين، وبنو قاضي، وبنو مامت، أما الثاني فهو بنو سرغين، ويتضمن بنو تيغرين، وبنو منكوش، وبنو يرناتن[1]، وهي تقريباً نفس الأسماء التي ستتكرر معنا في الحديث عن تطورات التوطين بالنسبة لاتحاد بني توجين.

وما يلفت الانتباه في هذه الجماعات هو توزيعها المتنوع في مناطق مختلفة، بدءًا من المناطق التلية وصولاً إلى المناطق الصحراوية. وفي الغالب، يرجع معظمها، إن لم يكن كلها، إلى بلاد المغرب الأوسط في العصر الزياني.

2- التباين التسموي للإيثونيم بين الرسم والنطق: (ينجان، توجان، يوجين، تجان، تجين، تيجن، توجين).

نظراً لتباين المصادر التاريخية في كتابة المصطلحات المتعلقة بجماعات بني توجين، فإن الأمر يتطلب منا الاطلاع على الأسماء التي استخدمها المؤلفون في العصر الوسيط وتقييم مدى توافقها أو اختلافها، ومن ثم، يمكننا توضيح الصيغة الصحيحة المقبولة لتمثيل تلك الجماعات في سياق الدراسة.

يوجد أول ذكر لجماعات بني توجين في نص ابن الصغير بعنوان: "أخبار الأئمة الرستميين" وذلك في الإشارة إلى الجبل الواقع بالقُرب من تيهرت، حيث عبر عنه بجبل ينجان[2]، والذي من المفترض أنه يحمل اسم الجماعات في هذه الفترة المبكرة[3]. وفي جغرافية ابن حوقل (ت367هـ/978م) "صورة الأرض"، يتم كتابة الجماعات باسم توجان[4]، وفي بعض الأحيان باسم بنو يوجين [5]، أما في كتاب "أحسن التقاسيم" لأبو عبد

_ «Section de géographie historique et descriptive», *Bulletin du comité des travaux historiques et scientifiques*, Paris, 1, (1887) ,p. 196-200; Yves Modéran, *op., cit.*

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص206.

[2] هذا الطوبونيم سيتحول إلى جبل هوارة في وقت لاحق.

[3] ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986، ص48.

[4] ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م، ص89.

[5] المصدر نفسه، ص102.

الله المقديسي (ت380هـ/990م)، فنلاحظ كتابتها بصيغة تجان[1]. وفي كتاب البيان لابن عذاري المراكشي (ت695هـ/1296م)، يتم كتابتها بصيغة تجين[2]، بدون حرف الواو بعد التاء. ونجد أيضاً هذا الشكل في ملعبة الكفيف الزرهوني[3]، وفي مختصر ديباجة الافتخار للمغيلي المازوني (ت780هـ/1379م)[4]. في حين نلاحظ كتابتها تيجن في نص السير للشماخي (ت928هـ/1522م)[5].

أما بني توجين فنجدها بهذا الرسم في عدة مصادر تاريخية، منها جُغرافية ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) [6]، وكتاب بُغية الرواد ليحي بن خلدون (ت780هـ/1379م) [7]، وأيضًا في مؤلفات شقيقه عبد الرحمان بن خلدون، حيث تم توثيق هذا الشكل في أكثر من 84 موضعًا في كتاب العبر، بالإضافة إلى ذكرها في كتاب نثير الجمان لإسماعيل بن الأحمر (ت807هـ/1405م) [8] وغيرها من المصادر

بناءً على المعلومات المقدمة، يبدو أن الصيغة الأخيرة "بنو توجين" هي الأكثر قربًا للاستخدام الحقيقي لهذه الجماعات، وهذا يتأكد من خلال سببين رئيسيين: السبب الأول هو تكرار استخدام هذا الشكل في معظم النصوص المغربية، وبالتأكيد، كان ابن سعيد المغربي والشقيقين ابن خلدون عاصروا فترة نهاية إمارة بني توجين، مما يشير إلى أن كتابتها ربما تكون استندت إلى نصوص متداولة أو معلومات حية من الشهود. كما أنهم بالتأكيد كانوا على دراية جيدة باللغة الزناتية المستخدمة في المنطقة الغربية للمغرب الأوسط. أما السبب

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، 1909م، ص218.

[2] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص211.

[3] التي وصف فيها حملة السلطان أبي الحسن المريني على تونس سنة (747هـ/1347م). تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، المطبعة الملكية، 1987م، ص ص71. 81. 133.

[4] المخطوط، الخزانة العامة بالرباط، رقم، 2343، ص79. أما بالنسبة للنسخة المطبوعة التي قام عبد القادر بوباية بنشرها، فتكتب بصيغة "توجين"، وفي الإحالة، يشير المحقق إلى تدخله في عملية التصحيح أنظر: نفسه، تح عبد القادر بوباية، الجزائر، الرشاد للطباعة والنشر، 2017م، ص1.

[5] الشماخي، كتاب السير، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس هجري، دراسة وتحقيق محمد حسن، أوربيس للطباعة تونس، 1995م، ص247.

[6] ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970م، ص14.

[7] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ص180-181.

[8] ابن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نضمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص366.

الثاني هو استمرار استخدام هذا الشكل اللغوي حتى يومنا هذا، وخاصةً عند الإشارة إلى الجماعات القبلية أو المواقع التي تحمل الإيثنونيم الخاص بها[1].

3- التحولات المجالية من منطلق الشهادات النصية

الوثيقة تمثل النقطة الأولى التي ينبغي للباحث أن ينطلق منها، حيث توفر لنا توثيقًا للأحداث والحقائق التي قد لا تذكرها النصوص بوضوح. وبسبب أن الغرض الأساسي من كتابة الوثيقة كان لأهداف أخرى غير التأريخ، فإنها تحظى بمصداقية أكبر، وتساعد المتلقي في فهم سياق بعض القضايا التي قد يكون فهمها غير واضح من مصادر أخرى.

عند البحث عن الوثائق الأرشيفية التي تعود إلى فترة التاريخ الوسيط وترتبط بجماعات بني توجين في منطقة جبال الونشريسي وجنوبها، ندرك أن الحصول عليها قد أصبح أمرًا شبه مستحيل، وهذا الواقع يثير بطبيعة الحال العديد من التساؤلات حول سبب هذا الغياب.

الواضح أن طبيعة هذه الجماعات الزناتية، مثل بني توجين وبني واسين عمومًا، تتميز بنمط الترحال والتنقل. ونتيجة هذا النمط الحياتي، قد لم يكن لديهم اهتمام بتوثيق التواريخ والأحداث التي كانت لها أهمية في تاريخهم[2]. في المقابل، كانت المدن والمناطق الحضرية تولي اهتمامًا بحفظ إنجازاتها وتوثيق تاريخها، كما هو الحال مع الدواوين السلطانية.

---

[1] وفي سياق التقارب الأنوماستي للتجانية، سواء كانت تيارًا صوفيًا أو مركزًا للزاوية في ولاية الأغواط، يمكن اعتبار تسميتها مستمدة من أسماء أفراد تعرضت أسماؤهم للتحريف من "التوجيني" إلى "التيجاني" لسهولة استخدامها. وليس من الغريب أن يذكر المؤلف المازوني، على سبيل المثال، هذه الجماعات باسم "بني توجين"، ولكن عندما يشير إلى الأمير عليهم، يقول "عبد القوي التيجاني" (المازوني، المخطوط، ص135). وهذا الأمر ينطبق أيضًا على التجاني صاحب الرحلة الشهيرة، (رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس 1981م). وهناك العديد من الأمثلة في هذا السياق، ولا يمكننا ذكرها جميعًا هنا بالتفصيل.

[2] باستثناء هناك "تقييد في النسب لبعض زناتة المنكوشي"، لكنه للأسف يعتبر من الوثائق التي لا يوجد لها نسخ متوفرة حاليًا. على الرغم من أن ابن خلدون قد استعان به في وصف جماعات بني توجين، إلا أنني بحثت عنه في العديد من خزائن المخطوطات الجزائرية والمغربية والتونسية دون أن أتمكن من العثور عليها

قد أشار ابن خلدون إلى هذا الاختلاف في منهجية الكتابة التاريخية قائلاً: "لم يكن لهذا الجيل من زناتة في الأحقاب القديمة ملك يحمل أهل الكتاب على العناية بتقييد أيامهم وتدوين أخبارهم"، وأوضح أن العزلة التي كانت تفصل بين هؤلاء القبائل الزناتية وبين سكان الأرياف والمدن، ساهمت في تجاهل آثارهم وتراثهم التاريخي[1].

بلا شك، أن غياب ثقافة الكتابة التاريخية لهذه الجماعات قد أثر في تهميش المنوغرافيا الكلاسيكية المتعلقة بهذا النوع من الاتحادات المحلية (البربرية). وبالتالي، لم يتبق سوى القليل من الروايات التي تحمل معلومات عن تاريخ هذه الجماعات، وهي موجودة في مصادر متفرقة ومحدودة.

أمام هذا الواقع المعرفي، يجب أن نستند إلى الشواهد النصية للتعامل مع هذه الوضعية. ومن الأهمية بمكان استخدام ما ورد في كتاب ابن خلدون، الذي يُعتبر أحد أهم المصادر التي تناولت بتفصيل جماعات بني توجين، خاصةً في ديوانه العبر أين خصص فصلًا كاملاً لمناقشة هذه الجماعات. كما أن المؤلف كان له تواجد في الفترة الأخيرة من إمارة بني توجين، حيث استقر في قلعة بني سلامة في بلاد تاوغزوت بالقرب من فرندة. لذا، قد اعتمد في كتاباته على الشهادات والذاكرة الجماعية، وعلى المصادر المتداولة في ذلك الوقت. وبالإضافة إلى ذلك، يتعين علينا الاستعانة بالمعلومات الموجودة في المصادر الأخرى، وبمختلف المقاربات المكملة التي يمكنها المساهمة في تحديد مجالات بني توجين.

4- محاولة البحث عن جُذور التوطين

4-1 بنو توجين إلى وقت الفتح

من الصعب تتبع جذور جماعات بني توجين وتحديد مجال توطنها كجماعات منفصلة عن شعوب زناتة في الفترة التي تسبق قيام الإمارة، ويعود السبب الرئيسي لهذا إلى غياب الشواهد النصية والأثرية المعاصرة. بالإضافة إلى ذلك، تصنف هذه الجماعات في الطبقة الثانية وفقًا لتقسيم ابن خلدون، ولم يكن لها ظهور بارز في الأحداث السياسية والعسكرية للمغرب الوسيط حتى أوائل القرن الخامس الهجري (11م).

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص81.

لتحديد مجالات تواجد هذه الجماعات ضمن جماعات زناتة المختلطة، فإنه يمكن اعتبار بني توجين في البداية فرعًا من جماعات بني واسين[1]. ثم تم التمييز النسبي لهم فيما بعد، وأصبحوا يُعرفون ضمن جماعات بني بادين قبل ظهور وتأسيس الإمارة التوجينية، التي بدورها أصبحت معروفة باسمهم الخاص كإثنونيم.

كانت مجالات توطن جماعات زناتة خلال فترة الفتح الإسلامي تقع في منطقة التلول الشرقية من إفريقية، حيث كانوا في جوار وتحت تأثير وولاء القيادات البيزنطية، أين نُسجل وجودهم ثم اندماجهم في مناطق مثل طرابلس (Tripoli) وسبيطلة (Sufetula)، وشاركوا في صد الحملات الأموية على بلاد إفريقية بتحالف مع القائد جرجير. وبعد هزيمتهم أمام الفاتحين، انتقلوا إلى منطقة جبال الأوراس (Aurasius) والحصون الطبيعية القريبة منها. وهناك يلاحظ وقوفهم تحت غطاء اتحاد نسبته الأسطورة إلى الكاهنة في مقاومة حملات الفاتحين[2]

يمكن القول أن التحول في التوطين نحو الجهة الغربية بفعل القوة الفاتحة لا يعني بالضرورة طرد جماعات زناتة بشكل كامل من مناطقها في بلاد إفريقية، بحيث تقدم بعض النصوص التاريخية والوصفية دلائل على وجودهم في وقت لاحق. ففي الروايات التي جمعها ابن سلام الإباضي، يذكر أن بعض عناصر جماعات زناتة قد قدمت الدعم لأبي الخطاب عبد الأعلى المعافري في معركته ضد محمد بن الأشعث في تاورغا شرق مدينة طرابلس[3]، وذلك حوالي سنة 144هـ (761م). وهذه الروايات تؤكد حجم التواجد القوي في هذه المناطق بوجود حوالي ستة عشرة ألف مقاتل قادهم أبو هريرة الزناتي[4]. بالإضافة إلى ذلك، نلاحظ وجودهم في مناطق أخرى مثل القيروان[5] وقابس[6] وجهة قسطيلية[7] وغيرها.

---

[1] أن خلدون، العبر، ج7، ص83.

[2] حول هذا المسألة، يمكن العودة إلى الدراسة الحديثة للباحث الأمريكي والتركيجي: Walter E. Kaegi, *op.cit.*, p. 249-253.

[3] ابن سلام الإباضي، المصدر السابق، ص ص84. 129.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، ج4، ص504.

[5] ابن سلام الإباضي، المصدر السابق، ص132.

[6] اليعقوبي، كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م، ص185.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص78.

نُلاحظ أنَّ النصوص التاريخية للمؤلفين الوسيطيين لا تشير بوضوح إلى وجود توطين محدد لجماعات زناتة في فترة ما بعد الفتح الإسلامي، وخاصة في الفترة من بداية القرن الثاني الهجري (08م) حتى تأسيس الدول المستقلة. وبالتالي يعد هذا الأمر مصدر صعوبة في تحديد مواقع تواجدهم، خاصة في المنطقة الغربية من الأوراس كمرحلة انتقالية.

2-4 مجال توجين ضمن اتحاد بني واسين

في رواية ابن الصغير، يشير إلى وجود حضور قوي لجماعات زناتة بالقرب من تيهرت/تاقدمت في مرحلة حكم الإمام الرستمي الثالث، أفلح بن عبد الوهاب (ت240هـ/854م)، ويذكر أيضًا أن بعضهم استقر داخل المدينة في المرحلة الأخيرة من حكم ابنه، أبو اليقظان[1].

وفي نهاية القرن الثالث للهجرة (09م)، يذكر اليعقوبي في كتابه "البلدان" الذي كتبه حوالي عام 275هـ/889م، أن جماعات من بني يرنيان/يرناتن[2] كانت موجودة في الجهة الغربية من المسيلة، وتحديدًا في مدينة هاز[3] (Auzia) الواقعة على الطريق نحو تيهرت، أين يقول: "مدينة يُقال لها هاز، سُكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنو يرنيان من زناتة[4]". وبالتالي يمكننا استنتاج جهة توطنهم في تلك الفترة من خلال ذكر بنو يرناتن في هذا السياق.

أما في القرن الرابع الهجري (10م)، فنجد ذكرًا لطوبونيم "توجين" في جغرافية المقديسي، حيث يشير إلى جبل "توجان" ومدن "وهران" و"شلف طير" و"الغزة" وغيرها[5]. لا شك أن هذه المعطيات التي يقدمها المقديسي تشير إلى فترة سابقة لزمانه، حيث يُمكن التفريق هنا بوجود بعض الجهات المحلية ذات العلاقة

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص55. 91.

[2] وهي إحدى البطون المشهورة لبني توجين.

[3] وهي سور الغزلان حالياً، أنظر التحليل الطوبونيمي عند: Ahmed M'Charek, De Tacite à Ibn Khaldûn, à la recherche de deux tribus berbères: Masofi (Masûfa) et Vsinazi (Banû Sināg/Sanhadja), *Actes du 7eme colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes*, Sbeitla, 2010, p. 243.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص141.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ص218.

بالسلطة المركزية الممثلة في حاضرة تيهرت الرستمية، ومدينة تيهرت التي تحولت فيما بعد إلى مجرد قاعدة فاطمية متصارع عليها ابتداء من سنة 296هـ (909م). ومن الملاحظ أيضًا أن هذا الطوبونيم توجين يشير إلى علاقته بجماعات بني توجين التي من المحتمل أنَّ عناصرها عمرته في فترة متقدمة وغير معروفة. وهذا يطرح تحديًا في تحديد الموقع الجغرافي لجبل توجان.

في الدراسات الحديثة، نجد اقتراحين مختلفين بشأن مكان جبل توجان. يشير المستشرق البولندي تاديوش لفيتشكي (Tadeusz Lewicki) إلى أن جبل توجان قد يكون هو نفسه جبال الونشريس[1]، في المقابل، يربط الباحث محمد بن معمر الجبل بجبال بني شقران في الوقت الحاضر[2]، وبالتالي، يجب علينا الاستناد إلى مصادر المعلومات التي تطرقت إلى هذا الموضوع لتحديد المكان الصحيح لجبل توجان.

في رواية ابن الصغير عن الصراع بين جماعات هوارة والرستميين بقيادة عبد الوهاب بن أفلح، يشير إلى أنه بعد هزيمة هوارة "رحلوا إلى جبل ينجان[3]"، ولكن دون تحديد واضح لموقع هذا الجبل. كما ذكر ابن حوقل في وصفه للطريق من فاس إلى المسيلة موقع جبل توجان (بهذه الصيغة) على الطريق بين المعسكر[4] ويلل[5]. أما البكري في القرن الخامس الهجري (11م)، عند ترتيبه مراحل الطريق من تلمسان إلى بلاد إفريقية نجده لم يذكر هذا الطوبونيم واستخدم بدلاً منه طوبونيم آخر وهو جبل هوارة[6]، مما يشير ربما إلى اختفاء تسمية توجان. في المقابل، ذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق موضع الجبل على المحور الطرقي بين المعسكر ويلل[7]، وهو مشابه تقريبًا لما ذكره ابن حوقل سابقاً، باستثناء التصحيف الملاحظ لكلمة توجان إلى فرحان. لذلك يمكن أن الإدريسي ومصادره ربما استخدموا معلوماتهم من كتاب "صور الأرض"، وهذا يُلاحظ في نقلهم

[1] تاديوش لفيتسكي، "مملكة إباضية مغمورة: دولة بني مسالة" ضمن كتاب دراسات شمال إفريقيا، ترجمة أحمد بومزقو، مؤسسة تاولت الثقافية، ج1، ص 32.

[2] محمد بن معمر، "حفريات في تاريخ قلعة هوارة من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط"، *المواقف*، 12، (2017م)، ص181.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص48.

[4] معسكر حالياً.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص88-89.

[6] البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992م، ج2، ص830.

[7] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ج1، ص251.

لمعظم الوصف المتعلق بجهة تيهرت. وبالتالي، فإن إشارة الإدريسي للطوبونيم لا تعكس الواقع في القرن السادس للهجرة (12م).

بناءً على المصادر الجغرافية التي حددت موقع جبل توجان بين المعسكر ويلل، يمكن القول بأن جبال بني شقران الحالية هي المكان المشار إليه بجبل توجان/توجين كما أشار إليه الباحث محمد بن معمر، وفي الوقت نفسه، يعطينا ذلك فكرة عن أن جماعات من بني توجين كانت مواطنها في هذا المنطقة سابقًا.

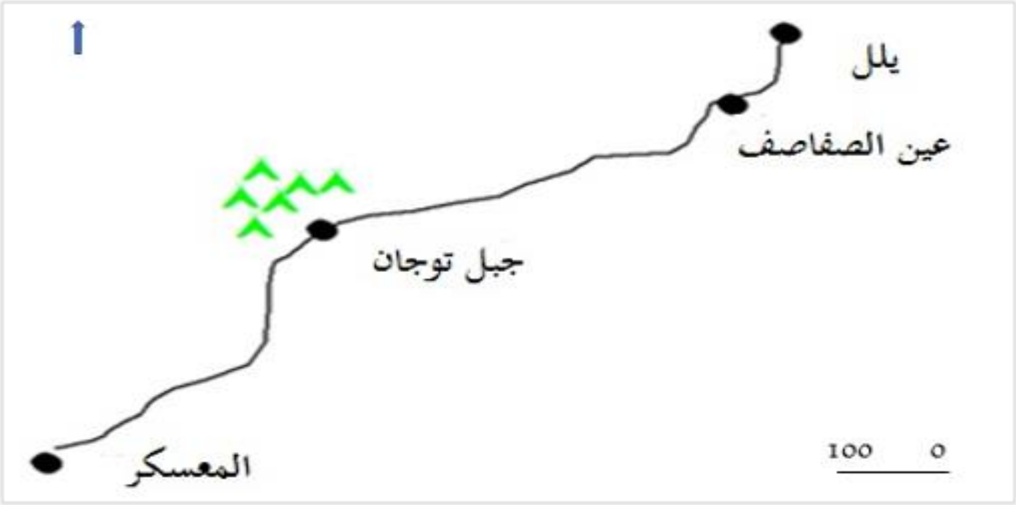

موقع جبل توجان/توجين على طريق المعسكر- يلل

قد يُعتبر اقتراح تاديوش لفيتشكي بأن طوبونيم الجبل هو الونشريس[1] (Anchorarius) مستبعدًا عند تحديد الموقع الجغرافي لجبل توجان. فهذا الاقتراح الذي يتبناه الباحث ربما كان قياساً على فكرة المجالات التي استوطنتها جماعات بني توجين خلال فترة الإمارة. وعلى الرغم من نقص المعلومات الدقيقة، إلا أنني أعتقد أنه ليس هناك ما ينفي وجود توطين لجماعات توجينية في بلاد الونشريس خلال القرن الثالث الهجري (09م)، حيث كانت هذه المنطقة تُعتبر الحد الفاصل بين صنهاجة وباقي زناتة.

بعد الحروب التي شهدتها التحالفات الصنهاجية والكتامية ضد زناتة المعارضة للفاطميين في بداية القرن الرابع الهجري (10م)، نلاحظ أن جماعات بني واسين قد اضطرت للانتقال إلى بلاد السهوب والصحراء من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وحتى جنوب بلاد الزاب. وبذلك أصبحت هذه المناطق هي موطنهم

[1] جاء هذا الطوبونيم في الجغرافيا القديمة التي ألفها بلينيوس حوالي 77_79م أنظر: Pline L'Ancien, *Histoire naturelle*, Desanges j, (éd. Trad), éd. Belles Lettres, Paris, 1980, XIII,95.

الرئيسي. في المقابل تشير الروايات أن صنهاجة وكتامة سيطرت على منطقة التلول، ولكنهم سرعان ما تراجعوا إلى القلعة والمسيلة، وتنازلوا عن التلول لصالح بني ومانو وبني يلومي[1]، الذين استخدموها كنقاط دفاع غربية أمام زناتة المعادية للفاطميين.

عند الرجوع إلى معطيات ابن خلدون بخصوص هذا التحول إلى بلاد السهوب، نلاحظ أنه استخدم عبارتي "إنزاحت" و"خرج"[2]، مما يوحي بأن المناطق الأولى التي استوطنتها هذه الجماعات هي مناطق الجبال وليس الواحات الصحراوية كما قد يتوقع البعض. هذا ويمكن اعتبار هذه المرحلة مفصلية في تحديد مناطق تواجد اتحاد بني واسين وبقية بطون زناتة الكبرى.

في العقد الثالث من القرن الرابع للهجرة (10م)، شهدت المنطقة اندلاع حروب بين موسى بن أبي العافية والقائد ميسور الفاطمي، وخلال هذه الفترة، أرسل موسى بن أبي العافية رسالة إلى الخليفة الأموي الناصر لدين الله (277-355هـ/891-961م)، حيث أخبره بوجود الجماعات البربرية والزناتية المقيمة على ضفتي نهر ملوية ونهر واصل.

وما يُلاحظ في هذه الرسالة هو أنها ذكرت جماعات بني واسين بشكل عام وبني يرناتن بشكل خاص[3]، وهو الأمر الذي تطرق إليه أيضًا ابن خلدون في كتابه. ويرجع ابن خلدون هذا الذكر لأن المناطق التي استقرت فيها تلك الجماعات كانت مواطنهم الأصلية قبل أن يؤسسوا الإمارة، فقد قال: "لأنَّ تلك المواطن هي

---

[1] إحدى بطون زناتة، وقد كانت مواطنهم إلى غاية القرن (6هـ/12م) موجودة في المغرب الأوسط، حيث سيطر في البداية بني ومانو على الجهة الشرقية من وادي مينا، في المقابل، سيطر بني يلومي على العدوة الغربية، أين توجد البطحاء وسيرات، ثم انتقلوا تدريجيا نحو تلمسان. للمزيد أنظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص257. ابن خلدون، العبر، ج7، ص84-87

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص83.

[3] بعض رسائل امراء زناتة للخليفة الأموي الناصر لدين الله نجدها في كتاب: ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق بيدو شالميتا، مدريد المعهد الاسباني العربي للثقافة، 1979م، ص255-261). أنظر أيضاً: Allaoua Amara, «Les Fatimides et le Maghreb central», *op.cit.*, p. 118.

مواطنهم قبل الملك[1]"، وكرر هذه الملاحظة في مناسبة أخرى قائلاً: "وأقاموا بتلك القفار إلى أن تسنموا منها هضبات الملك[2]".

بعد الإشارة التي قدمها اليعقوبي خلال القرن الثالث للهجري (09م) إلى توطين عناصر توجينية من بني يرناتن في مدينة هاز، شهدت هذه الجماعات تحولًا في موقعها إلى جهة بورة بفعل هجمات زيري بن مناد الصنهاجي (324-360هـ/936-971م)[3]، حيث أفاد البكري، نقلاً عن محمد بن يوسف الوراق، أنهم اضطروا للانتقال "إلى بورة على نهر جار يسكن حوله بنو يزناتن. وهم كانوا أصحاب هاز[4]". ومن هذا المعطى، يمكن التوصل إلى استنتاج أنَّ جماعات من بني واسين بشكل عام وبني توجين بشكل خاص كانوا موجودين خلال هذه الفترة من القرن الرابع للهجري (10م) في المنطقة المقابلة للتلول.

في بداية القرن الخمس للهجرة (11م)، شهد الصراع الحمادي الباديسي مطاردة باديس لعمه حماد الذي تحصن على ضفة نهر واصل، حيث اندلعت معركة سنة (405هـ/1015م) في تلك المنطقة. وخلال هذه الفترة بالذات، قدمت جماعات بني توجين تحت قيادة عطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز المساعدة العسكرية للأمير باديس في حربه ضد عمه حماد، التي انتهت بانتصاره عليه.[5]

ومن خلال هذه الرواية التي نقلها ابن خلدون عن الرقيق القيرواني، يتضح أن جماعات بني توجين لم تنضم إلى صفوف باديس إلا بعد أن وصل إلى جهة وادي الشلف وتحديداً عند مجرى نهر واصل الواقع على الضفة اليسرى من الوادي الكبير. وهذا يساعدنا في تحديد مجالاتهم خلال تلك الفترة التاريخية. وفي ذات

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص78.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص81.

[3] من الدراسات التي تناولت تاريخ زيري بن مناد الصنهاجي أنظر: L. Métivier, *Petite histoire de la Tunisie, Editeur* La Fléche, Paris, 1910, p. 44. 45. 311. بن زاوي طارق، "خدمات زيري بن مناد الصنهاجي ودورها في الدفاع على الدولة الفاطمية العبيدية في بلاد المغرب (332هـ-360هـ / 935م-971م)"، *مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية*، 9، (2019م)، ص11-26.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص830.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص ص209. 228. ج7، ص206.

السياق يذكر صاحب النص أنَّ عدد بني توجين كان حوالي ثلاثة آلاف مقاتل، من دون احتساب بقية السكان، وهذه المعلومة قد تُساهم في فهم حجم هذه الجماعات الديمغرافي في ذلك الوقت.

بعدما استولت الهجرة الهلالية على بلاد الزاب في النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة (11م)، نلاحظ أنه وقع تغير في مواقع جماعات بني واسي تحت تأثير هذه الهجرة التي أثيرت حولها الكثير من الجدل واتُهمت بالكارثة. وبناءً على ذلك، أصبحت مجالاتها تمتد من مصاب وجبل راشد إلى غاية نهر ملوية[1]، باستثناء بعض المجموعات القليلة التي استقرت في حصون الواحات جنوب مقاطعة الزاب[2]. ومن هنا يطرح التساؤل حول ما إذا كانت هذه الهجرة الهلالية قد تسببت في تحول مواقع جماعات بني توجين أم لا؟

خلال فترة التحول التدريجي لجماعات بني توجين نحو منطقة التلول، أشار ابن خلدون إلى أن جماعات بني يرناتن قد اختارت البقاء في مناطقها الأصلية في بلاد السهوب، وهو ما نراه من خلال قوله: "كان بنو يرناتن هؤلاء، من أوفر قبائل بني توجين وأعزهم جانباً، وأكبرهم صيتاً. ولما دخل بنو توجين إلى تلول المغرب الأوسط، أقاموا بمواطنهم الأولى ما بين ماحنون وورينة، ثم يعودون من القبلة يجولون جانبي نهر واصل من أعلى وادي شلف[3]".

وفي رواية أخرى له، ذكر ابن خلدون أماكن تواجد جماعات بني توجين قبل دخولهم منطقة التل. حيث قال: "كانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريس من أرض السرسو، وهو المسمى لهذا العهد نهر واصل[4]".

ومن هذه الروايات يظهر لنا جانباً من مجال توطين جماعات بني توجين خلال الفترة التي تسبق العقد الثامن من القرن الخامس الهجري (14م)، وهي بداية تحولهم أو تحول جزء كبير منهم، من المناطق الخلفية نحو منطقة التل.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص80. 84.

[2] علاوة عمارة، "من الواحات إلى جبال الأوراس"، ص258.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص218.

[4] المصدر نفسه ج7، ص205.

خريطة مجالات بني توجين عند نهر واصل (محمود عباد)

من خلال ما سبق، يتضح أنَّ جماعات بني توجين استقرت خلال الفترة المذكورة في المناطق الشرقية من اتحاد بني واسين، وكذلك في الغرب من جهة بلاد الزاب. وبهذا الاستقرار، تكون قد حافظت ولو نسبيا على مجالاتها توطينها السابقة في القرن الثالث والرابع الهجري (9-10م). ومع ذلك، نُلاحظ أن بعض العناصر من هذه الجماعات قد اندمجت في أوساط اجتماعية أخرى بعيدة عن انتمائها الأصلي، فقط كل ما يجمعهم هو الرابطة المذهبية النكارية. وعلى سبيل المثال، نلاحظ هذا الاندماج في واحات وقصور بني مصعب بالنسبة للوهبين من جماعات بني توجين[1].

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص80. وفي ذات الموضوع أنظر أيضاً: Emile Masqueray, *formation des cités chez les populations sédentaires de L'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouïa de L'Aoras, Beni Mezab)*, Ernest Leroux, Paris, 1886, P. 53.

5- دخول جهة التل من المجالات الريفية للمغرب الأوسط وبداية تأسيس إمارة توجينية

من خلال ذكر بني توجين بشكل محدد في المصادر التاريخية وتمييزهم عن باقي الجماعات الكبرى من بني واسين وبني بادين خلال هذه المرحلة التاريخية، يمكن أن يُسهل علينا محاولة تحديد مجالاتهم، سواءً كجماعات أو كاتحاد يحمل غطاء الإمارة، وذلك من خلال بناء جغرافية لمجال البحث. ولكن قبل التعمق في تفاصيل هذا المجال، يجب التوقف عند حقيقة المرحلة الانتقالية التي مرت بها بني توجين من بلاد السهوب إلى بلاد الشمال التلي في المغرب الأوسط. ويجب فهم ما إن كانت المحددات المجالية في النصوص ذات دقة وموثوقية عالية، وعلى أي أسس تم بناء هذه الجغرافية. هذا ما سأحاول الكشف عنه في هذا المبحث.

5-1 النص الخلدوني وإقرار الجغرافيا المجالية

في نص ابن خلدون، وجدنا محاولات متباينة لتحديد مجالات بني توجين بعد تحركهم إلى الأعلى نحو بلاد التل. فقد قدم خريطة بحدود مختلفة تضمنت أقصى اتساع لهم من مواطن بني راشد غرباً حتى جبال التيطري شرقاً، وجنوباً شملت بلاد السرسو وجبالها وصولاً إلى بلاد الزاب[1]. وفي نفس الجهة الغربية، أشار أيضا ابن خلدون: "مما بين قلعة سعيدة[2]". أما الناحية الشمالية، فظلت مبهمة في نصه واكتفى بالتلميح إلى السفوح الشمالية من جبال الونشريس.

بناءً على أنَّ هذا المجال لم يكن بمعالم ثابتة، على عكس الحدود السياسية الحالية للدول، فإن المحددات الجغرافية لتلك الفترة تبقى نسبية وقابلة للتغير. خاصة وأن بني توجين كانت تعيش في ظروف غير ثابة وتداخلت في العيش والصراع مع جماعات أخرى في العديد من المناطق.

تعد الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية والغربية من بين المناطق التي شهدت تداخلًا كبيرًا بين بني توجين والجماعات المختلفة، وخصوصًا في الصراعات مع بني عبد الواد ومغراوة، وهذا الأمر يجعل من وضع حد فاصل لتلك المجموعات صعبًا. لذلك، من الضروري التمحيص بشكل أكبر وعدم التسليم والاكتفاء بما ذُكِرَ

1 ابن خلدون، العبر، ج7، ص210.

2 المصدر نفسه، ج6، ص59.

في نص ابن خلدون فقط. فهو لم يبين أن منطقة البطحاء في الجهة الغربية للونشريس تابعة لمجالات بني توجين أم لا. وكذلك مدينة الخضراء في الشمال الشرقي، ووادي رهيو في الشمال الغربي، بالإضافة أيضاً إلى قلعة سعيدة التي يحتاج ذكرها إلى تحليل أعمق حول تبعيتها لمجالات بني توجين أو لجماعات أخرى مجاورة.

5-2 جماعات بني توجين في كرونولوجيا التوسع

من الممكن أن نقسم هذا التوسع الإقليمي في بلاد التل إلى ثلاث محطات رئيسية، حيث لعبت هذه المحطات دوراً هاماً في التحولات التي شهدها المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

في أواخر القرن الخامس الهجري (11م)، بدأت مرحلة التحول لجماعات بني توجين من الجنوب إلى الشمال التلي، بحيث تزامن ذلك مع فترة تولي عطية الخير، شيخ بني توجين، في حوالي سنة 486هـ (1093م). وعلى الرغم من تأخر وصول النص الوحيد الذي يشير إلى هذه المسألة بثلاثة قرون (ابن خلدون في القرن 8هـ/14م)، إلا أنه يذكر أن جماعات بني توجين أزاحت بني يلومي من حصنهم المعروف بالجعبات[1]. وقد كان موقع بني يلومي إلى ما وراء وادي مينا في الجهة الغربية، بحيث لا يمكن الوصول إلى هذه المنطقة والسيطرة عليها إلا بعد اجتياز سهل سرسو. وكما هو معلوم، كانت مواطن بني توجين في ذلك الوقت على ضفاف نهر واصل في الجهة الجنوبية الشرقية كما سبق الإشارة إليه في الأعلى.

يُشير ابن خلدون إلى أن بني توجين قد أضافوا أراضي منطقة السرسو إلى مواطنهم الأولى، ويأتي ذلك في جملته: "وصارت مواطنهم ما بين بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة[2]". وعلى الرغم من ذلك، تبقى الصعوبة في عدم توفير معلومات محددة حول الفترة التاريخية التي شهدت هذا التغلغل، إذ لم يُقدم ابن خلدون تاريخًا محددًا لهذا الحدث. ومع ذلك، بإمكاننا تحديد تلك الفترة التاريخية بالاستناد إلى معرفتنا بتاريخ استحواذ بني توجين على حصن الجعبات.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص76.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص205. المجال الذي يُحدده ابن خلدون بعد الاستحواذ على السرسو، يبدأ من بلاد بني راشد (وهنا يقصد جهة القلعة أو ما كان يُعرف بجبل هوارة)، ويمتد إلى غاية جبل دراك=دراق، الذي يمكن تحديده بشكل دقيق بفضل الطوبونيميا الحديثة، في الجهة الغربية من أولاد هلال بالمدية.

في الواقع، أنَّ إضافة المجال الممتد من نهر واصل إلى حصن الجعبات، يشير أنَّ الفضاء التيهرتي، المعروف بتطوراته التاريخية والجغرافية، قد أصبح في هذه الفترة من التاريخ جزءاً تابعاً للمجال التوجيني، وهذه نقطة إضافية بالنسبة لموضوع دراستنا.

خلال نفس الفترة التي لم تصل إلى القرن السابع الهجري (13م) نُلاحظ أنَّ الأمير على جماعات بني توجين وهو عطية الخير قد مدد توسعه إلى غاية السيطرة على بلاد منداس وما حولها من المناطق التي كانت سابقاً تحت سيطرة جماعات بني يلومي، كما تشير الروايات أَّن الوصول إلى هذه المنطقة والسيطرة عليها كان بإيعاز من السلطة الموحدية[1]، مما يُظهر وجود تحالف أو توجيه من السلطات الحاكمة لتوسيع نفوذ بني توجين وتعزيز سيطرتهم على مناطق جديدة.

تبدأ المرحلة الثانية من التوسع في عهد الأمير عبد القوي التوجيني (607-647هـ/1210-1249م)، فبعدما سيطرت مغراوة على منطقة المدية (Lambadia) في التيطري وعلى جبال الونشريس في ظّل تراجع السيطرة الموحدية، نُشاهد أنَّ حملات بني توجين هي التي أعادتهم إلى مواطنهم الأصلية في المجال الشلفي، ثم وزعوا هذه الأراضي الجديدة على بطونهم المتشعبة[2]. وعلى شاكلة الباحث الفرنسي روني باسي (René Basset) يعتقد الكثير من الباحثين أن بني توجين قد استولوا على مجال الونشريس الذي هو في الأصل ملكيات خاصة لبني مغراوة[3]، وهذا ينافي المعطيات التاريخية التي تشهد بأنَّ هذه المجالات الواسعة من الونشريس كانت قد تعاقب على سيطرتها مجموعات من القبائل المتنوعة[4]، ونعتقد بأنَّ جماعات بني توجين كان لهم حضور في فترة الصراع الفاطمي-الأموي.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص207.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص ص87. 116. 207.

[3] René Basset, « Une ancienne capitale berbère : Notes sur les ruines de Morat», *Académie des inscriptions et belles-lettres*, 4, (1901), p. 516. عربية بورملة، المرجع السابق، ص40.

[4] نلاحظ على سبيل المثال القائمة التي ذكرها الإدريسي حول الجماعات المحلية (البربرية) التي استقرت في جبال الونشريس خلال القرن (6هـ/12م)، وذلك بناءً على المعلومات التي وصلته من قبل مخبريه: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص253.

إذا كانت معارفنا اليوم تتفق على أنَّ امتداد هذه السلسة الجبلية للونشريس يمتد لمسافة 50 كلم من الغرب إلى الشرق، فأين يمكن اعتبار الحد الفاصل بين جماعات بني توجين ومغراوة في الشمال؟

حول هذا الموضوع من النقاش يرجع الفضل لابن سعيد المغربي خلال القرن السابع للهجري (12م)، في إشارته أن الملكية العقارية لجبال الونشريس تعود إلى جماعات بني توجين، وأن هذا الجبل يُعتبر منبعاً رئيسياً لتغذية وادي الشلف الذي يحوي مجالات مغراوة[1]، ما يعني ذلك أنَّ الأمير عبد القوي واتحاد بني توجين بصورة عامة قد أزاحوا جماعات مغراوة حتى أخروهم إلى السفوح السفلى للونشريس، وبالذات إلى منطقة وادي الشلف حيث كانت مواطنهم الأولى.

يُؤكد المازوني في كتابه "مناقب صلحاء شلف" المعطيات التي ذكرها ابن سعيد المغربي، حيث يذكر أنه بعد حدوث نزاع بين جماعات بني توجين ومغراوة، قرر الأمير عبد القوي التوجيني التحرك بقواته نحو زاوية الشيخ أبي يعقوب بالقرب من مازونة. وقد وصف المازوني حركة الأمير بالقول "جاء بقبيله ومحلته ونزل بشلف وسار بجيشه للزاوية[2]". هنا يتضح من خلال استعمال المازوني لعبارة "نزل بشلف" أن السُفوح كانت الحد الفاصل بين توجين ومغراوة. وبناءً على ذلك، فإن السلطة السياسية لجماعات بني توجين وجدت نفسها في الجهة الجنوبية العليا من وادي الشلف.

بالعودة إلى نص ابن خلدون الذي وضح فيه إزاحة جماعات بني توجين لمغراوة من الجبل، والذي يفيد بأنه "نازعهم عبد القوي وقومه أمر وانشريس، وغالبوهم إلى أن غلبوهم عليه...ثم تغلبوا على منداس وأوطنها أحياء بني مدن[3]"، نُلاحظ أنَّ هذا النص يُعطي أولوية في الترتيب لإزاحة مغرواة عن جبال الونشريس مقابل تغلب بني توجين على حصن الجعبات، وأيضاً اخراج زناتة بني يلومي من جهة تلول منداس. ولكن في اعتقادي، يبقى هذا الموضوع مستبعدًا، لأن التوسع في بداية الأمر كان على حساب منطقة سهل سرسو

[1] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص141.

[2] المازوني، المصدر السابق، 2017م ص197-198.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص207.

ومنداس[1]. فابن خلدون هُنا لا يُقدم ترتيباً زمنياً لمجالات التوسع بالنسبة لجماعات بني توجين، وهو ما نلاحظه في قوله أيضاً: "ولما تغلبوا على الأوطان والتلول، وأزاحوا مغراوة عن المدية وونشريس وتافركنيت، واستأثروا بملكها وملك الأوطان من غربيها مثل منداس والجعبات وتاوغزوت ورئيسهم لذلك العهد عبد القوي بن العباس[2]". والأمر الثاني من تقديم هذا النص هو تقديم معلومة جديدة تتعلق بفضاء تاوغزوت/تاغزولت الذي أصبح جزءًا تابعًا لمجالات بني توجين خلال المرحلة الثانية التي توافق توسعات الأمير عبد القوي بن العباس. في وقت لا زلنا نجهل الكثير عن الظروف التي ساهمت أو بالأحرى سهلت من امتلاكه.

إنَّ المحور الذي سلكته جماعات بني توجين في المرحلة الثانية من التوسع على بلاد التلول اتجه هذه المرة نحو الجهة الشمالية لضم المناطق الواقعة وراء منداس وإلى غاية جبال الونشريس، وذلك يشمل حصن مرات[3] وتافركينت وصولا إلى المدية. والشيء الملاحظ هُنا أنَّ متملكات بني توجين في المرحلة الأُولى تسبق إضافة التلول الأخرى بحوالي قرن من الزمن، وهذا إذا ما وضعنا في الحسبان أنَّ تاريخ إزاحة مغراوة عن الجبل يتوافق مع السنوات الأخيرة من مرحلة حكم الأمير عبد القوي على بني توجين.

خريطة المرحلة الثانية من توسعات بني توجين (محمود عباد)

---

[1] على اعتبار أنَّ هذه الهيمنة كانت بقيادة الأمير عطية الخير، في أواخر القرن الخامس للهجرة (11م). أنظر، ابن خلدون، العبر، ج7، ص76.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص207.

[3] ضريح سيدي رابح حالياً.

في سنة 639هـ (1242م)، خرج السلطان أبو زكريا الحفصي في حملة لمهاجمة الأمير يغمراسن بن زيان في عاصمته تلمسان، ويُلاحظ أن الأمير عبد القوي التوجيني (ت647هـ/1249م) قد استُخدم كدليل لهذه الحملة الحفصية. وقد اعتمد السلطان أبو زكريا المسلك الداخلي لعدة أسباب، أهمها حشد مقاتلين إضافيين من الجماعات العربية المنتشرة في بلاد الزاب وتخوم الصحراء الشمالية (صحراء زاغر) [1].

الجدير بالذكر أن هذا المجال الأخير الذي أشار إليه ابن خلدون في جنوب سلسلة جبال التيطري لم يكن معروفًا من قبل، وإنّما ظهر كطوبونيم جديد في القرن السابع الهجري (13م)، نسبة إلى عرب أزغاز[2] (قبائل رياح). وهو يشكل الحد الفاصل لمجالاتهم في الجهة الغربية، ويُقابله بداية المجال التوجيني. وكان السلطان أبو زكريا قد توصل إلى اتفاق مسبق مع الأمير عبد القوي بأن يلتقيا عند بداية مجالاتهم[3].

إنَّ الغرض الأساسي من تقديم وضعية جماعات بني توجين كحد فاصل بصحراء زاغر في هذه الفترة المتزامنة مع وصول الهجرات الهلالية، هو ليس حديث عن مسألة توطين جديد في هذه الجهة، وإنما هو إشارة لتواصلهم في الأراضي الواقعة قرب نهر واصل ووادي الشلف.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص391.

[2] يمتد هذا المجال اليوم من عين يوسف شمالاً إلى ما وراء الجلفة جنوباً، ونُلاحظ تواصل لطوبونيم "زاغر" بالقرب من حد الصحاري، حيث نجده يحمل اسم شط زاغز الشرقي.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص391.

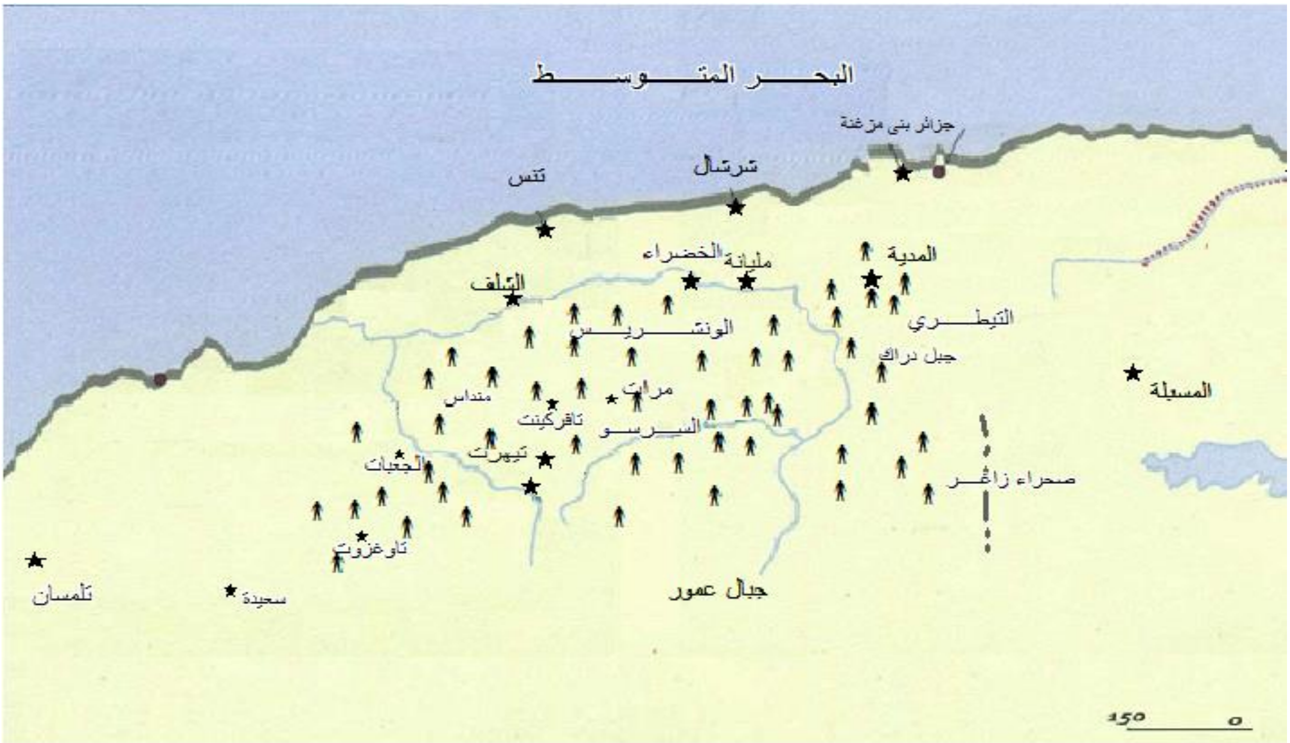

خريطة المرحلة الثالثة من توسعات بني توجين (محمود عباد)

في بداية المرحلة الثالثة من التوسع، قاد محمد بن عبد القوي التوجيني (684-647هـ/1249-1285م) مشيخة بني توجين بعد وفاة والده الأمير عبد القوي. ووفقًا لابن خلدون، "استوسق لمحمد هذا ملكه فتغلب على أوطان صنهاجة بجبال المدية وأخرج الثعالبة من جبل التيطري بعد أن تم الايقاع بمشيختهم وقتلهم[1]".

مع مراجعتنا للمرحلة الثانية من التوسع، نجد أنَّ الأمير عبد القوي كان قد أخرج عناصر مغراوة من المدية إلى مجالهم السابق في وادي الشلف. على الرغم من هذا الوضع، إلا أن النص الخلدوني الذي يطرحه هنا يبدو متناقضًا مع الرواية السابقة، ويثير بذلك إشكالية جديدة تتعلق بمعرفة الأمير التوجيني الذي قام بتوسيع نفوذه على حساب بلاد صنهاجة ومدينة المدية.

في ظل عدم معرفتنا بالتفاصيل الدقيقة للوضعية التي مر بها هذا القسم المجالي، يظل الاحتمال الوارد هو أنَّ الأمير عبد القوي هو من أخرج جماعات مغراوة من المنطقة. وفي المقابل، لم تشهد المنطقة خضوعًا

[1] ابن خلدون العبر، ج7، ص210.

لإمارة بني توجين إلا بعدما استولى عليها وعلى جهاتها الأمير محمد بن عبد القوي. حيث أنزل فيها جماعات أولاد عزيز من بني توجين وجعلها لهم مقاطعة إدارية تحت إشرافه وولائه.

وفيما بعد، تمكن محمد بن عبد القوي من السيطرة على جبل آشير الذي أصبح يُعرف في عصر ابن خلدون بجبل التطيري، واحتل بلاد صنهاجة التي تشمل موقع المدينة التي أسسها زيري بن مناد في سنة (324هـ/936م). وقد تميّزت هذه المنطقة بتوافد عرب الثعالبة بعد أن تخلى سكانها عنها من جماعات تلكاتة، ومع ذلك، قام الأمير محمد بن عبد القوي في سنة (681هـ/1282م) بتهجيرهم من بلاد التيطري وتوجيههم إلى سهل متيجة وحتى مدينة الجزائر التي عمروها إلى غاية نهاية العصر الوسيط[1]. وفي المقابل، تم تعويضهم بجلب جماعات بني حصين واقطعها للعيش في منطقة التيطري تحت طاعته وولائه[2]. وبهذا، تُعتبر بلاد التيطري جزءًا من مجالات بني توجين.

في سنة 664هـ (1266م)، خرج السلطان الحفصي أبو حفص عمر من تونس بهدف إخضاع الجماعات المناوئة له. وعندما وصل إلى المسيلة، التقى بالأمير محمد بن عبد القوي التوجيني الذي جدد له الولاء والطاعة، وقد قابل السلطان هذا الولاء بمجموعة من المنح، من بينها "أقطع له مدينة مقرة وبلد أوماش من عمل الزاب، وانقلب عنه إلى وطنه[3]".

ومع وجود غياب للمعطيات البديلة والتفاصيل حول هذه الجهة (من مقرة وبلد أوماش وناحيتها) في مصادر ابن خلدون، فإننا نواجه اشكالية حول مدى اعتبارها كجزء من جغرافية مجالات بني توجين. وإذا كانت هذه الفرضية صحيحة، يطرح سؤال حول سبب تجاهل ابن خلدون الحديث عنها عند تحديد مجالات بني توجين.

---

[1] علاوة عمارة، "الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطوّر مدينة وسيطة"، *مجلة معابر*، 2016، ص36-37.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص84. ج7، ص210. أنظر: J. France «La Mitidja De L'Antiquité a 1830» *Revue ancienne,* 3, (1927), p. 427.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص422.

في مرحلة سابقة من التوسع بقيادة الأمير عبد القوي، كشفت المعلومات أنَّ مواطن جماعات رياح وسليم كانت تتوقف في الجهة الشرقية من المجال التوجيني، وبالضبط عند صحراء زاغر الواقعة جنوب جبال التيطري[1]، لكن الملاحظ بعد ذلك، أنَّ هذه الجماعات حصل معها تراجع إلى جهة المسيلة، وخاصة خلال الفترة الثالثة من التوسع عندما تولي الأمير محمد بن عبد القوي قيادة جماعات بني توجين. وفي هذا السياق يُشير ابن خلدون أنه "احتل السلطان أبو زكريا بالمسيلة آخر وطن رياح[2]".

من المحتمل أنَّ هذا التراجع لجماعات رياح نحو المسيلة قد تسببت فيه بني توجين بمساعدة الموحدين الذين ساهموا في توسيع مجالهم الجغرافي. ومع ذلك، يبدو من المبالغ اعتبار هذه الجهة الواقعة شرقاً (وراء التيطري وجنوبه) كجزء تابع للمجال، وذلك لأنه لم يذكر أي سُلطة فعلية تخضع لمشيخة بني توجين في هذه المنطقة، على عكس ما هو الحال في مناطق أخرى تابعة لهم[3].كما أن هذه الجهة من مجال المسيلة ومقرة وحتى بسكرة لم تشهد أي نوع من التوطين للجماعات التوجينية، وبالتالي يجب اعتبارها كمجرد منطقة أو منحة مخصصة لممارسة النشاط الرعوي لا أكثر[4]. وبعض المحاولات لتحديد حدود مجال الزاب تُشير إلى أنه ينتهي في غرب المسيلة، وبالتحديد في مدينة هاز وفقًا لما أشار إليه الباحث علاوة عمارة[5].

لتحديد مجال هذه الدراسة بدقة، ينبغي التركيز على المراكز التي ساهمت في كتابة تاريخ الإمارة ضمن جغرافية مترابطة ومتداخلة مع البنية المجالية. وفي هذا السياق، يُعتبر تولي محمد بن عبد القوي قيادة بني توجين هو المرحلة التي شهدت نهاية التوسع في الجهات الحدودية الأربعة، وبالتالي، يمكن تحديد المجال البحثي ضمن هذه الفترة.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص391.

[2] المصدر نفسه، ج6، ص422.

[3] يظهر في هذا السياق تعيين أمراء من بني توجين لعمال على مناطق مختلفة، نذكر على سبيل المثال تعيينهم على منطقة أولاد عزيز في المدية، وعلى بني يرناتن بالقرب من جبل ماحنون، وعلى بني سلامة في تاوغزوت، وكذلك على بني تيغرين ومنكوش في الونشريس.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص210.

[5] علاوة عمارة، من الواحات إلى جبال الأوراس، المرجع السابق، ص248.

من جهة أخرى، يُفضّل عدم تحديد المجال بناءً على مناطق التوطين فحسب، لأن المجالات التي ينتمي إليها بني توجين لا تُعبر بالضرورة عن وحدة قبلية متكاملة تمامًا، بل هناك جماعات أخرى مندمجة معها في نفس المجال. وهذا الواقع نلاحظه في تاريخ المنطقة منذ الفتح وحتى نهاية فترة الإمارة، حيث تعايشت بني توجين مع جماعات أُخرى. وإضافة إلى ذلك، هناك عناصر توجينية استقرت في جهات أخرى بعيدة عن انتمائها الأصلي[1].

5-3 السلطة المركزية وإشكالية الولاء لبعض جهات الأطراف

غالبا ما تكون بداية أي سُلطة جديدة هو البحث عن مجال جغرافي واسع، ولكن من الصعب الحفاظ عليه مع مرور الوقت، ويتوجب قبول الخسارة التي قد تبدأ بتآكل الأطراف. هذه هي السنن التي تنطبق على الإمارات والدول عبر التاريخ. ورغم أنني لست هُنا لتفسير هذه الظاهرة تاريخياً، إلا أنني أسعى لاستكشاف مسألة السيطرة السياسية والعسكرية التي تحققت لبني توجين في بعض الجهات المجاورة، وخصوصًا خلال فترة قيادة محمد بن عبد القوي، التي لا يزال الكثير مجهولًا حولها نظرًا لندرة المعطيات التاريخية والأثرية.

الخضراء (Oppidum Novum):

يبدو أن لسلطة إمارة بني توجين كان لها حضور في مدينة الخضراء[2] أو على الأقل بالقرب من جنوبها. ويمكن الاستناد إلى سببين لدعم هذا الاحتمال: الأمر الأول يتعلق بتوجيه الأمير عبد القوي التوجيني الذي أزاح مغراوة عن منطقة الونشريس وجهات المدية، حيث أشار ابن خلدون إلى أنهم تراجعوا إلى مواطنهم الأولى

---

[1] على سبيل المثال نجدهم في قصور بني مصاب (ابن خلدون، العبر ج7، ص80)، كما كان للبعض منهم اقطاعات في نواحي قسنطينة، وتحديداً جماعات بني منكوش، بإقطاع من السلطة الحفصية مطلع القرن 8هـ/14م (المصدر نفسه، ج7، ص210). كذلك فإنَّ التواصل الطوبونيمي مُؤشر يكشف لنا عن استقرارهم في جهات مختلفة من بلاد الغرب الإسلامي، ففي الجنوب التونسي (في ولاية قابس غير بعيد عن مدينة مدنين) نجد قرية كاملة يطلق عليها توجان، ولازالت إلى يومنا تحافظ على تواصل هذا الإيثنونيم الخاص بها. «Excursion chez les Matmata octobre 1892, par le comte du Paty de Clam», *Bulletin de la Société de géographie de Toulouse*, 09-10, (1899), p. 370. ونفس الأمر بالنسبة مع بني توزين/تنزين في ريف المغرب الأقصى (إقليم ميضار)، بحيث يُعد الحسن الوزان هو أول من ذكرهم. الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1، ص345.

[2] عين الدفلى حالياً.

في مليانة وتنس وبرشك وشرشال ومازونة[1]، وهذه المجالات واقعة في الجهة الشمالية من وادي الشلف، ولكن لم يُذكر اسم مدينة الخضراء في هذا السياق. أما فيما يتعلق بالنصوص الجغرافية المعاصرة لفترة توسعات بني توجين، فنلاحظ عزوفها عن تقديم معلومات حول أسماء الجماعات التي استقرت في المدينة وناحيتها، ونذكر هنا الشريف الإدريسي[2]، وصاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار[3].

أمّا الأمر الثاني فهو يتعلق بالجانب الجيولوجي، بحيث لا يمكن فصل جهة الخضراء وجنوبها عن السلسلة الكبرى لجبال الونشريس. وهناك مُؤشر آخر يتعلق بوجود الخضراء في نصوص التاريخ الوسيط مرتبطة أساساً بإقليم الونشريس، فمثلاً، البشير صاحب ابن تومرت كان من مدينة الخضراء، وكان يُعرف باسم البشير الونشريسي. ومن المهم ذكر شهادة أبي بكر الصنهاجي التي وثقت الطريق الذي اتبعه ابن تومرت من متيجة إلى تلمسان، حيث ذكر "نحو مليانة ثم منها نحو وانشريش فنزلنا بالخضراء[4]".

وادي رهيو/ارهيو:

بالنسبة للجهة الغربية من المجال، يمكن اعتبار نواحي وادي رهيو نهاية التوسع بالنسبة لاتحاد بني توجين. ففي نص "بغية الرواد" لابن خلدون، يشير إلى وفاة الأمير يغمراسن الزياني (633-681هـ/1236-1287م) في موضع وادي رهيو أثناء خروجه لاستقبال ابنة الأمير أبي اسحاق الحفصي، وذلك خوفًا عليها من هجمات محتملة لجماعات بني توجين[5]. وعلى الرغم من ذلك، لم يوضح ابن خلدون إذا ما كان وادي رهيو ينتمي إلى مجال بني توجين أم لا، واكتفى بالإشارة إلى أنه يقع في جهة وادي الشلف.

من جهة أخرى، أشار شقيقه عبد الرحمان بن خلدون إلى أن الموضع الذي قُبض فيه الأمير يغمراسن هو من أعمال مغراوة[6]، مما يعني أنَّ وادي رهيو لا يدخل ضمن مجالات بني توجين. ومع ذلك، فإن حضور

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص87.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ص106.

[3] مجهول كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م، ص171.

[4] البيذق، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971، ص23.

[5] يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص207.

[6] ابن خلدون، العبر، ج7، ص210.

بني توجين في تلك المنطقة قد لا يكون بعيدًا، وربما كانوا قريبين من وادي رهيو، وهذا يظهر من تخوف السلطان يغمراسن من جماعات بني توجين على المسلك الرابط بين تلمسان ومليانة.

يبدو أن البحث في كتاب "مختصر ديباجة الافتخار" يفتح الباب أمام مزيد من التفاصيل حول وضعية وادي رهيو، حيث يوجد ثلاث روايات مختلفة في هذا السياق.

في الرواية الأولى، يتحدث المؤلف عن زيارة السلطان يغمراسن بن زيان للولي الصالح أبي البيان المكناسي، وأشار بالحرف الواحد أنه "نزل بمحلاته بأعلى خناق رهيو، بالموضع المعروف الآن بوازني سالم الصدر طيب الخاطر[1]". ومن الواضح أن هذه الرواية لا تقدم أي مؤشر على حضور سلطة سيادية لاتحاد بني توجين في الموضع المذكور.

أما الرواية الثانية، فتشير إلى أن الأمير التوجيني محمد بن عبد القوي هو الذي جاء بالسلطان يغمراسن للقاء الشيخ واضح أبي البيان[2]، مما يوحي بأن قسماً في الجهة الشرقية من وادي رهيو كان تحت سيطرة اتحاد بني توجين، ويتضح ذلك من خلال تدخل الأمير التوجيني في شؤون تخص هذه المنطقة بالتحديد.

في الرواية الثالثة والأخيرة للمازوني، يقول: "وأما أخبار محمد بن عبد القوي معه _ مع الولي أبي واضح_ فإنَّه لما نزل بعدوة وادي رهيو على اتجاه زاوية الشيخ سيدي واضح أرعوى الناس منه، وفروا حوله بخيامهم ومواشيهم، وأحدقوا بزاوية الشيخ مستجيرين به لائذين بحرمه إذ كان طالب نكاية في مغراوة القاتلين ابنه زيان في الحروب التي وقعت بينه وبين الشيخ أبي يحي بمقربة من جبل وانشريس[3]". فالملاحظ في قوله أنَّه "نزل بعدوة واد رهيو" تعني أنَّ الوادي يُعتبر بمثابة الحد الفاصل بين الجماعتين، وبالتالي لم يقع تجاوزه من قبل بني توجين خلال فترة قيادة محمد بن عبد القوي.

---

[1] المازوني، المصدر السابق، 2017، ص133. من المرجح أنه يقع في الناحية الجنوبية الشرقية من الوادي، وتحديدا من السد الذي يعرف باسم "قرقر" حالياً.

[2] المصدر نفسه، ص134.

[3] نفسه، ص145.

وفيما يتعلق بظهور توطن عناصر توجينية في العدوة الغربية، يبدو أن هذا يعود إلى فترة لاحقة عن فترة قيادة محمد بن عبد القوي. وقد أشار المستعرب الفرنسي لويس قان (Louis Guin) إلى هذه القضية في ترجمته لمخطوط عقد الجمان النفيس الذي نُشِرَ في أعمال المجلة الإفريقية[1].

بالإضافة إلى ذلك، يمكن الإشارة إلى أن جهة عمي موسى والوجلة وصولاً حتى تلول منداس تُعَدُّ من أعمال مقاطعة الونشريس التوجينية، ويرتكِز هذا الاعتبار على الجغرافيا الطبيعية التي تُعَتبَرُ امتداداً للسلسلة الجبلية.

صورة بواسطة القمر الصناعي تُظهر منطقة وادي رهيو

البطحاء:

تُشير المعلومات إلى أن هذه الجهة كانت تابعة لبني توجين في الفترة المبكرة لتكوين الإمارة. ففي الوقت الذي خرج فيه السلطان أبو زكريا الموحدي لمحاربة زناتة المغرب الأوسط في سنة 632هـ (1235م)، شملت هذه المحاربة جماعات بني توجين الذين اعتزلوا الخلافة وأعلنوا الانفصال عنها، وفي هذا السياق، يذكر ابن خلدون أنه "نزل البطحاء وأوقع بهم[2]". ومن خلال هذه الإشارة وفي هذه الفترة الزمنية، يمكننا أن نستنتج أن

[1] Louis Guin « Le collier de perles précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble de la contrée du R'eris», *Revue Africaine*, 35, (1891), p. 246.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص383.

وضعية البطحاء تُصنَّف كجزء تابع لمجال بني توجين، وإلا فكيف يمكن تفسير نزول السلطان الموحدي بهذا الموضع بالذات للقبض عليهم، وخصوصاً على أميرهم.

ومع ذلك، يُؤكد أن سلطة اتحاد بني توجين لم تكن لديها القوة الكافية للحفاظ على المنطقة، فلقد تراجع بني توجين بسرعة إلى مواطنهم ومناطق أخرى خلف جهة البطحاء، وذلك باعتبارها مجالًا مكشوفًا خسروا فيه جميع المعارك ضد الجيش الزياني، على عكس جبال الونشريس التي كانت قوية ومحصنة، وهذا ما أشارت إليه العديد من الروايات التاريخية التي تناولت فترة قيادة محمد بن عبد القوي لبني توجين[1]. وبالتالي، تُعتبر منطقة (البطحاء) خارج نطاق الدراسة وليس لها علاقة بسلطة اتحاد بني توجين في تلك الفترة.

قلعة سعيدة:

يبدو أن الجزم بتبعية قلعة سعيدة للفضاء التوجيني أو عدمه صعب نظرًا لسكوت المصادر عنها، إذ لم يتم ذكرها سوى في موضعين من كرونولوجيا التاريخ الوسيط، وكلاهما ارتبط بديوان العبر لابن خلدون. في النص الأول، يشير ابن خلدون إلى أن قلعة سعيدة هي منتهى المجالات الغربية لبني توجين[2]، ولكن ليس من الواضح ما إذا كان ذلك يعني أنها جزء تابع لهم أو ليست كذلك.

أما النص الثاني، فهو يشير إلى أن عيسى بن أبي الفتوح من بني يرناتن التوجينيين خرج عن جماعته وتولى إدارة سعيدة[3]، ويبدو أن عمله كان مرتبطًا بمصالح بني عبد الواد بدلاً من جماعات بني توجين. وبالإضافة إلى ذلك، يُذكر أن تاريخ توليه أمر سعيدة كان في فترة متأخرة جدًا، بعد انهيار اتحاد بني توجين.

بناءً على ذلك، يمكننا أن نستنتج أن الذكر المتكرر لقلعة سعيدة في كلا النصين يأتي في سياق الحديث عن جماعات بني توجين، لكن ذلك لا يُعتَبَر مؤشرًا قاطعًا لتبعيتها للمجال في ظل وجود دلائل تؤكد أن

---

[1] كما أشرنا سابقاً، فإنَّ فترة قيادة هذا الأخير هي التي سنقوم من خلالها ببناء جغرافية مجال الدراسة.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص59.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص219.

الجماعات التي عاشت في الموضع آنذاك هم بنو راشد. وبالتالي، يتعذر علينا أن نُحكِم بتأكيد تبعية القلعة للمجال التوجيني حتى تظهر مؤشرات أُخرى إضافية تُؤكد أو تُنفي ذلك.

وفي الأخير، بعد تجميع المعطيات السابقة وطرحها في الموضوع، يُلاحظ أنَّ مجالات اتحاد بني توجين تكون محددة بالصورة التقريبية كما هو موضح في الخريطة المرفقة.

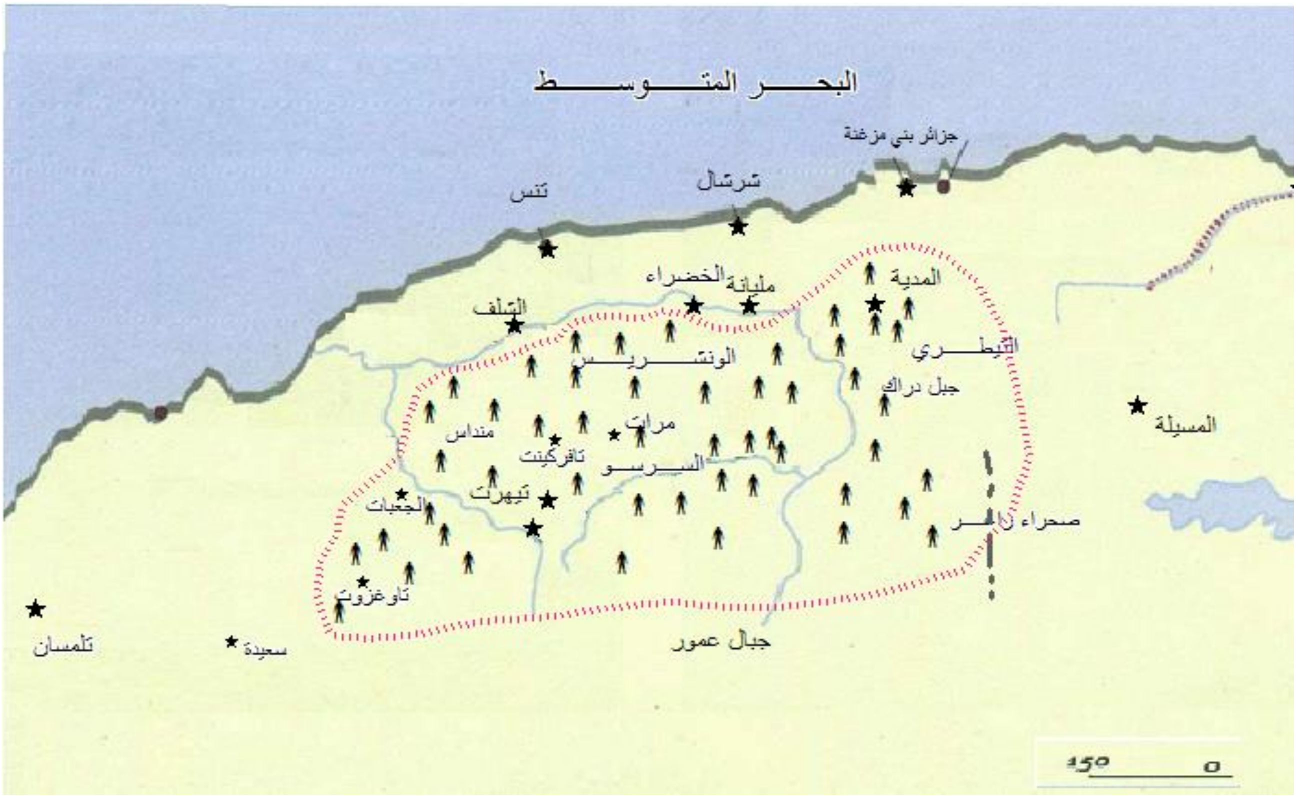

مجالات بني توجين خلال قيادة محمد بن عبد القوي المنكوشي التوجيني 647-684هـ/1249-1285م (محمود عباد)

الفصل الثاني:

العَاصِمَةُ الرِيْفِيَة تِيْهَرتْ الأَعْلَى: مَقْعَد عَلَى رَأْس جَبَل جَزُوْل

مدينة تيهرت القديمة تُعد واحدة من أهم المواقع التاريخية في المنطقة، حيث تم تأسيسها في العصر الروماني على خط الليمس الثاني، وشهدت تطورًا هامًا أثناء الفترة الإسلامية، حيث تم إعادة بنائها وترميمها لتصبح مدينة ثانوية بجوار العاصمة الرستمية، تيهرت/تاقدمت، واستمرت مكانتها حتى بداية العصر الفاطمي، ولكنها عانت من التخريب قبل أن ينتقل الفاطميون إلى مصر.

في دراسة هذا الموقع، سأعتمد بشكل أساسي على شهادات وروايات مؤلفين من العصر الوسيط، على الرغم من تأخر بعضها زمنيًا ووجود تناقضات في الأحداث التاريخية والروايات الميثولوجية. لذلك سيكون من الضروري التعامل معها بحذر شديد لفهم الحقائق بدقة.

بالإضافة إلى ذلك، ستلعب النقوش اللاتينية والتقارير والخرائط الأثرية دورًا كبيرًا في توفير المعلومات والأدلة للإجابة على بعض النقاشات المثارة حول هذا الموقع التاريخي. وعلى الرغم من أن بعض هذه المصادر معروفة منذ فترة طويلة، فإن البعض الآخر يُعَدّ جديدًا نسبيًا ويحمل معلومات قيّمة.

كما سأعتمد أيضاً على المقاربات الطوبونيمية واستخدام المشاهدة المتأنية بين النصوص التاريخية والواقع المادي لتوثيق المعلومات بشكل جيد.

على العموم لا يمكن تصور أنَّ هذه الدراسة وحدها ستكون كافية لعرض المدينة بشكل شامل في صورتها التاريخية. ولكن، سأسعى على الأقل لتوضيح منظور الجغرافية التاريخية للموقع الذي تم دمجه ضمن مجالات بني توجين بداية من سنة 486هـ (1093م)[1]، بعد تراجع الهيمنة المكناسية على المنطقة.

1- تحديد موقع المدينة

1-1 الموقع من منطلق الشهادات النصية

يطرح تحديد موقع المدينة في الفضاء السياسي لمقاطعة موريطانيا القيصرية مشكلاً في ظل غياب التراث اللاتيني المكتوب، مما يجعل من تاريخ هذه الفترة مجهولاً نسبياً. فهذا السكوت حول المدينة القديمة ساعد في خلق

[1] يظهر ذلك من خلال التوغل والسيطرة على المنطقة المتقدمة لحصن الجعبات. ابن خلدون، العبر، ج7، ص76.

قطيعة أبستمولوجية تجاه التحولات العميقة في المجالات الريفية خلال المرحلة اللاحقة من النصف الثاني للقرن الأول للهجرة (7م)، مما يجعل وضع تحقيب زمني دقيق أمراً صعباً في الوقت الحالي.

في الوقت نفسه، يُعَد تحديد ذلك خلال فترة العصر الوسيط المبكر أمرًا صعبًا أيضًا؛ إذ لا تزال المعطيات غامضة نسبيًا، وتكاد النصوص المكتوبة عنه تكون نادرة جدًا. وكل ما يتوفر لدينا حالياً هو تعبير عن حملات الفتح الأموي حوالي سنة 62هـ (682م) على المسلك الداخلي الذي يصل مدينة أضنة (Diana Veteranorum) كعاصمة لإقليم الزاب بمدينة تلمسان. حتى إنَّ الحديث عن موقع معين للمعركة التي حقق فيها جيش عقبة بن نافع[1] الانتصار المهم أمام الحاجز المسيحي يطرح في حد ذاته أكثر من علامة تساؤل[2].

بالإضافة إلى ذلك، نجد أن المعطيات النصية خلال الفترة ما بين الفتح وحتى نصف القرن الثالث الهجري (9م) لا تقدم أي مؤشرات لتحديد الموضع بشكل دقيق، وأخص هنا بالذكر ابن الصغير واليعقوبي كشهادات معاصرة. ومع ذلك، يجب ألا نستنتج أن المدينة كانت معزولة أو منغلقة على ذاتها خلال هذه المرحلة المهمة من التاريخ الوسيط؛ فقد تكون هناك أسباب أخرى لهذا الغموض والنقص في المعلومات حول تلك الفترة.

---

[1] يوجد العديد من الدراسات حول سيرة القائد، من أهمها أنظر: علاوة عمارة، من القائد العسكري إلى القائد الأسطوري صورة عقبة بن نافع في الدراسات الغربية، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م، ص45-59. موسى لقبال، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي، دار هومة، 2002م، ص1-120.

[2] البعض من المنوغرافيات الكلاسيكية تنظر للمعركة من زاوية تحليلية أنَّها وقعت عند أبواب الحصن القديم، ولكن لا يوجد دليل قاطع يدعم صحة هذه الفرضية. والسبب وراء ذلك يرجع إلى التركيز أكثر على ميكانيزمات الاتحاد البيزنطي-الموري لمواجهة الفتح الأموي، ومن ثم البحث عن الزيادة القوية في حجم أو حدة المقاومة مقارنة بجهات أخرى سابقة لها. ولكن الواقع يظهر شيئًا مختلفًا تمامًا، فابن عذاري المراكشي يُشير إلى أنَّ عناصر التكتل لمقاومة حملة الفتح الأموي كانت في إقليم تيهرت، وهو نفس الموضع الذي وقعت فيه المعركة، ومن ثم فإنَّ محاولة الاحتماء بالمدينة/الحصن لم تحدث إلا بعد هزيمة هذا التحالف. مما يعني أنَّ المدينة كموقع مُحصن لم يكن لها دور بارز في مرحلة الفتح الأموي (ابن عذاري المراكشي، النص، ج1، ص50).

وعلى الرغم من أن رواية ابن عذاري المراكشي قد تأخرت نسبياً، إلا أن تفاصيلها تُعزّزُها مقارنةً مع العديد من النصوص الأخرى التي تتحدث عن مسارات عقبة بن نافع. ومن خلال المحتوى المركب لتلك النصوص، يتضح أن الأمويين نزلوا مدينة بغاية ثم مدينة أضنة، ولكن الحديث عن تيهرت يُشير إلى وضع مختلف تماماً. فالمعلومات المتوفرة تشير إلى أن هذه الحملة العسكرية للفتح وصلت إلى جهتها، ولكن لا يُذكَر بوضوح أن عقبة بن نافع نزل على مدينتها كما هو الحال مع الجهتين السابقتين. أنظر: (الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، تح محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م، ص43. ابن الأثير، النص، ج3، ص451. النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح عبد المجيد ترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م، ج24، ص13. ابن خلدون، العبر، ج6، ص193.)

خلال فترة القرن الرابع هجري (10م)، نجد بداية متأخرة ومحتشمة للمؤلفات المشرقية في إفادتنا بمعلومات تحدد موقع المدينة. وأول نص لدينا يعود إلى الإصطخري (ت.346هـ/957م)[1] حيث يشير إلى أنَّ موقع المدينة أقرب ما يكون إلى إقليم جزائر بني مزغنة ونكور، مقارنةً بالموقع الثاني المعروف بتيهرت/تاقدمت[2]، ما يعني أنَّ المدينة تيهرت الأعلى موجودة في الجهة الشمالية الشرقية من العاصمة التي أسسها عبد الرحمان بن رستم، وهذا طبعاً إذا اتبعنا المسلك بين هذه الأخيرة ومدينة بني مزغنة[3]. لكن هذا الوصف لا يكفي لتحديد مكانها الحقيقي أو الدقيق.

تُشير ملاحظات ابن حوقل (ت.367هـ/977م) الذي زار الموقع في رحلته الطويلة الى بلاد المغرب،[4] إلى أن موقع المدينة يقع على رأس جبل ليس بالعالي[5]. وهي تقريبا نفس المعلومة التي بينها المؤلف العزيزي (ت.380هـ/991م) باستثناء إضافة مقاربة مكانية في تحديد الموقع في سياق كلامه: "ومدينة تاهرت الأولة [الأولى] على جبل متوسط والمسافة بينها وبين مدينة أشير أربعة مراحل"[6].

يظهر من التركيز في هاتين الشهادتين أن الجانب الطوبوغرافي الجبلي كان يُعتبر سمة بارزة في مدينة تيهرت خلال الفترة الوسيطة. وربما يعود السبب وراء ذلك إلى طبيعة مصادر التجارة المشارقة التي كانت تعتاد رؤية المدن الإسلامية على أراضٍ سهلية أو مفتوحة في جميع الاتجاهات. ومن هنا يمكن أن يكون وجود المدينة على جبل مكانًا استثنائيًا ومميزًا، مما جعلها تلفت انتباه هؤلاء المسافرين والمؤرخين.

---

[1] فيما يتعلق بهذا المؤلف، ينظر تحليل أندريه ميكل: André Miquel, «La description du Maghreb dans la géographie d'al-Içt'akhrî», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 15-16, (1973) p. 231-239.

[2] الإصطخري، المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال الحيني، منشورات الذخائر، 2004، ص34.

[3] حول التطورات التاريخية لهذه المدينة، أنظر بشكل خاص: علاوة عمارة وزينب موساوي، مدينة الجزائر في العصر الوسيط، إنسانيات، 44-45، (2009م)، ص25-42.

[4] وهي المعلومات التي قام بجمعها مع جهات أخرى من العالم في كتاب أطلق عليه اسم "صورة الأرض". وتوجد دراسة مهمة لهذا المصدر قام بنشرها الباحث في إسلاميات القرون الوسطى، جان كلود غارسين: Jean-Claude Garcin, «Ibn Hawqal, l'Orient et le Maghreb», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 35, (1983), p. 77-91.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[6] أحمد المهلبي، المسالك والممالك والمعروف بكتاب العزيزي، تح تيسير خلف، دمشق، دار التكوين، 2006، ص48.

في المقابل، يقدم ابن الصغير شرحاً حول هذا الجبل المتوسط الارتفاع حسب وصف الجغرافيين في القرن الرابع الهجري (10م)، وكذلك كمكون جيولوجي لفضاء تيهرت، خاصة فيما يتعلق بالأورونيم، حيث يقول: "جبل متصل بالسوس، يسميه أهل السوس درن، ويسمى بتاهرت جزول، ويسمى بالزاب أوراس[1]".

على الرغم من هذه المعلومات القيمة، فإنها قد تظل نسبية وغير دقيقة في تحديد موقع المدينة داخل السلسلة الجبلية جزول/جيتول (Gaetulus) الممتدة غرب مقاطعة الزاب[2].

إن الاعتماد فقط على الوصف الجغرافي للقرن الرابع الهجري (10م) لا يكفي لتحديد موقع مدينة تيهرت التاريخية بدقة. ومع ذلك، تقدم النصوص التاريخية اللاحقة معلومات أكثر دقة حول الموقع، حيث ذكر البكري خلال القرن الخامس للهجري (11م)، نقلاً عن محمد بن يوسف الوراق معلومات تفصيلية تشير إلى وجود تيهرت السفلى على بُعد خمسة أميال من مدينة تيهرت القديمة (ما يعادل 09 كيلومترات اليوم)، كما توضح هذه المعلومات أن المدينة تقع إلى الناحية الشرقية من معسكر عبد الرحمان بن رستم[3]، وهو ما يُطابق بشكل عام المركز التاريخي لمدينة تيارت اليوم.

أما بالنسبة للمعلومات التي ذكرها الإدريسي في منتصف القرن السادس الهجري (12م)، فليس من المستبعد أن تكون مجرد نقل أو تكرار لمعلومات سبق ذكرها في وصف ابن حوقل للمنطقة[4]، وذلك نتيجة تطابقها الكبير رغم اختلاف الفترة التاريخية، وبالتالي فهي ليست ذات أهمية بالنسبة لموضوع بحثنا الحالي.

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص149.

[2] يمكن اعتبار طوبونيم قزول/جزول اشتقاق من الإيثنونيم القيتول (Gaetulus) التي غطت جل المنطقة الممتدة بين جبال الأطلسي وتخوم الصحراء. ويمكن ملاحظة هذا التواصل الطوبونيمي من الفترة الليبية القديمة إلى يومنا في عدد معتبر من الجهات، ولا سيما بالقرب من الفضاء التيهرتي، كما هو الحال مع تاجزولت بالقرب من فرندة، وبلدية بوغزول جنوب ولاية المدية وحتى في المجال الشلفي الساحلي. إضافة إلى انوماستيكا أفراد وجماعات مسجلة في موضع قصر البوخاري (Auzia) خلال الفترة الرومانية. من بين الدراسات المهمة حول هذا الموضوع أنظر: Jacques Gascou, «Le cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afrique Romaine», *Mélanges de l'école française de Rome*, 82, (1970), p. 723-736.

[3] البكري، النص، ج2، ص734. ومن المصادر المتأخرة التي نقلت المعلومة أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م، ج2، ص7. 8. الدرجيني، طبقات المشائخ، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البعث قسنطينة، 1974م، ج1، ص43. الحِميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984، ص126.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص255.

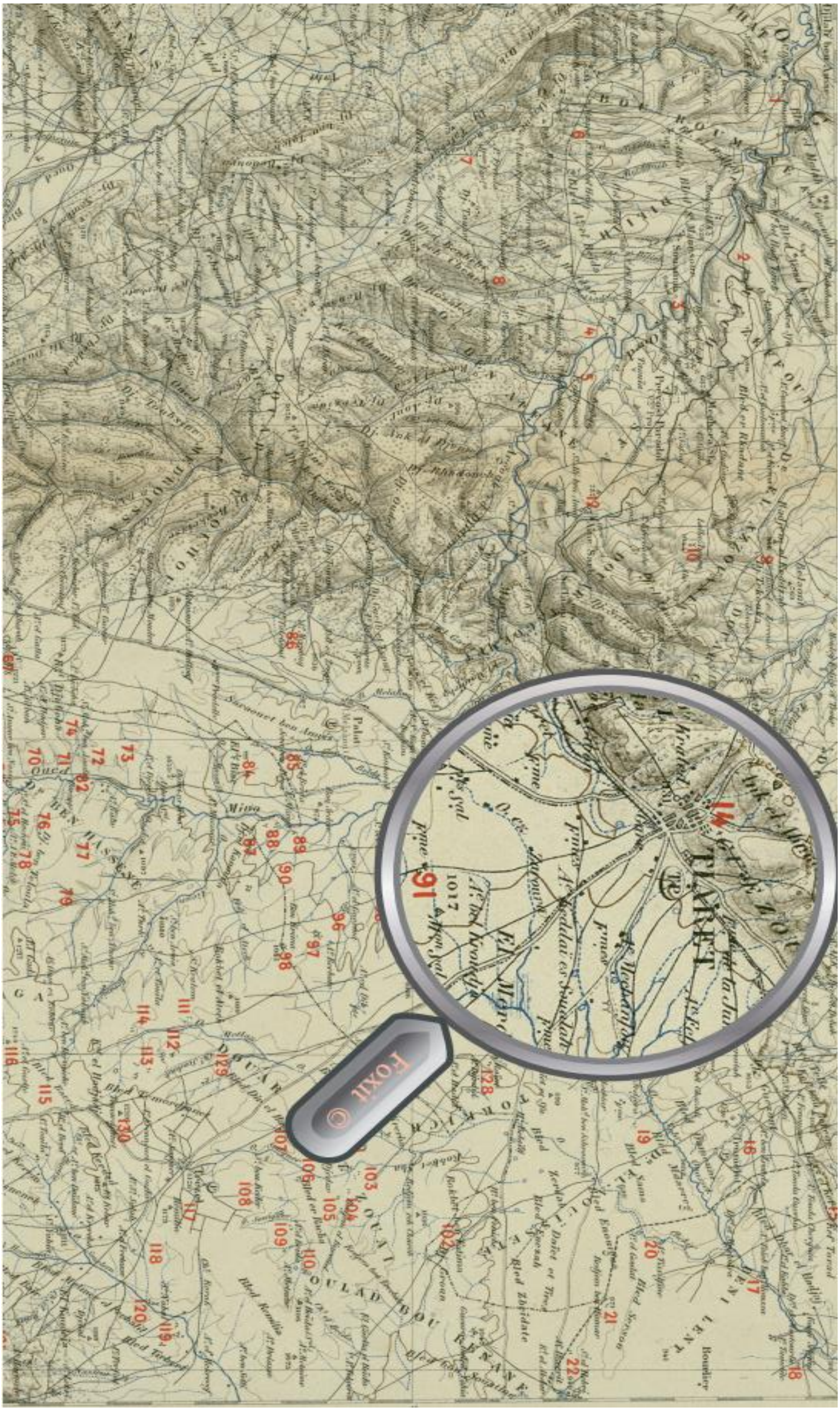

{موقع بقايا آثار المدينة على خارطة الأطلس الأثري}

S. Gsell, *Atlase archéologique de L'Algérie* (cartes), Algie Adolphe Jourdan, 1911, feuille 33

2-1 الموقع من خلال المُعطيات الحديثة

في القرن الثامن عشر ميلادي، كانت الشهادات المكتوبة قادرة على توجيهنا نحو الجهة العامة التي يقع فيها الموقع التاريخي لمدينة تيهرت. ومع ذلك، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، شهد المنطقة تحولًا عميقًا نتيجة توطين الفرنسيين وتطور التعمير العسكري والمدني للمدينة الحديثة. وهذا التحول يستدعي استخدام محددات أكثر دقة لتحديد موقع المدينة التاريخية وفهم حالتها الحالية.

ساهمت تقارير الإدارة العسكرية الفرنسية بشكل كبير في توفير معلومات هامة، ومن بينها تقرير أزيما دو مونقرافيي (Azéma de Montgravier) المؤرخ في 26 أفريل 1843م، وقد تناول فيه الخرائب الموجودة في الموقع، ولكن لم يتم تحديد الموقع الدقيق لآثار المدينة، باستثناء إشارته الوحيدة بوجودها على ضفة وادي تيارت[1].

أعتقد أنه من الطبيعي أن تُحافظ هذه الشهادة على نفس النمط الكلاسيكي في تحديد الموقع، نظراً لأنَّ فرقة المدفعية العسكرية التي قادها أزيما دومونقرافيي، بإشراف الكولونال لاموريسيار (Lamoricière)، هي التي قامت بتجديد الموقع بعد انقطاع دام تسعة قرون تقريباً، أين تم تحويل الموقع بعد ذلك إلى مركز عسكري لمراقبة جنوب الونشريس وسهل سرسو، مما أدى إلى تغيير طبيعة الموقع الأثري بشكل تلقائي. وتلك التغييرات تسببت أيضًا في تحديد الموقع بشكل مختلف بعد تلك الفترة.

في نهاية سنة 1861م[2]، قدم فيسات (Vayssettes) تقريرًا هامًا حول رحلته من بوغار شرقًا إلى تلمسان غربًا. وأشار في تقريره إلى المنشأة التي أصبح من الصعب فهم حدود اتجاهاتها[3]، ويرجع السبب في ذلك بلا شك إلى 18 سنة من البناء السريع للمدينة الأوروبية، مما أدى إلى تغطية جوانب عديدة من الموقع الأثري للفترة الوسيطة.

---

[1] Azéma de Montgravier, *op.cit.,* p. 667.

[2] في شهر سبتمبر.

[3] Vayssettes, « De Boghar à Tlemcen en suivant la ligne des postes (septembre 1861) », *Revue Africaine*, 6, (1862), p. 29.

من ناحية أخرى، خلال جولته سنة 1883م لدراسة جانب من موريطانيا القيصرية، أشار روني دولابلونشار (De la Blanchère) إلى امتداد أنقاض المدينة من الهضبة حيث يوجد المعقل على حافة الوادي بالقرب من مقر المكتب العربي، وينتهي الموقع على الجانب الآخر في الجزء العلوي من القرية الاستيطانية[1].

إن ما قدمه روني دولابلونشار لا يُعتبر تحقيقاً لما فشل فيه فيسات سابقًا، بل يستدعي منا النظر بحرص وعناية. فمقاربته المكانية ليست تحديداً كاملاً ودقيقاً لموقع مدينة الفترة الوسيطة، وإنما تعتبر محاولة تحديد للموقع الروماني القديم _كجزء من داخل المدينة الرستمية_ الذي أصبحت تُديره المؤسسة العسكرية الفرنسية.

ومن جهته فقد أوضح دوكوساد (De Coussade) شيئًا مهمًا حول هذه المسألة في ملاحظاته سنة 1851م بخصوص أثار الاستيطان الروماني في المنطقة، حيث أشار بوضوح إلى أن المركز العسكري احتل جزءًا من الموقع باستخدام مواد ذات أصل روماني[2]. وبالتالي، يُظهر أن الفرنسيين أعادوا الاعتبار لموضع الحصن الذي استمر كمؤسسة عسكرية حتى الاستقلال، وحتى وقتنا الحالي.

المنظر العام للموقع خلال سنة 1903م

[1] René de la Blanchère, «Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie césarienne», *Archives des missions scientifiques et littéraires, imprimerie nationale*, 10, (1883), p. 72.

[2] De Caussade, « Notice sur les traces de l'occupation romaine dans la province d'Alger », *mémoires de la société archéologique de l'Orléanais,* Paris, Dumoulin libraire Quai des Augustins, 80, (1851), p 263.

نشر الباحث الفرنسي بيار كادنة (Pierre Cadenat)، المختص في أثار الفترة القديمة ومدير المقاطعة الأثرية بتيارت خلال الفترة ما بين عامي 1952 و1962م[1]، مقالًا هامًا حول أحد أشكال الدفن الرومانية في مجلة "Antiquités Africaines" في عام 1969م. وفي هذا المقال، قدم توضيحًا لحدود الموقع القديم بعدما فقدت أثار مدينة العصر الوسيط مكانتها، كما هو موضح في الشكل رقم (01). ويُلاحَظ أن ما ذكره الباحث يتوافق بشكل كبير مع مخطط مدينة تيارت الذي نُشِرَ عن طريق إدارة الجيش الأمريكي في عام 1943م، كما هو موضح في الشكل رقم (02).

الشكل *01*: موقع مدينة تيهرت القديمة وفقاً لمخطط بيار كادنا (Pierre Cadenat)[2]

[1] Georges Souville, *op.cit.,* p. 25-28.

[2] Pierre Cadenat, « Curieuse tombe à étage dans une nécropole antique de Tiaret », *Antiquités Africaines,* 3, (1969), p. 226.

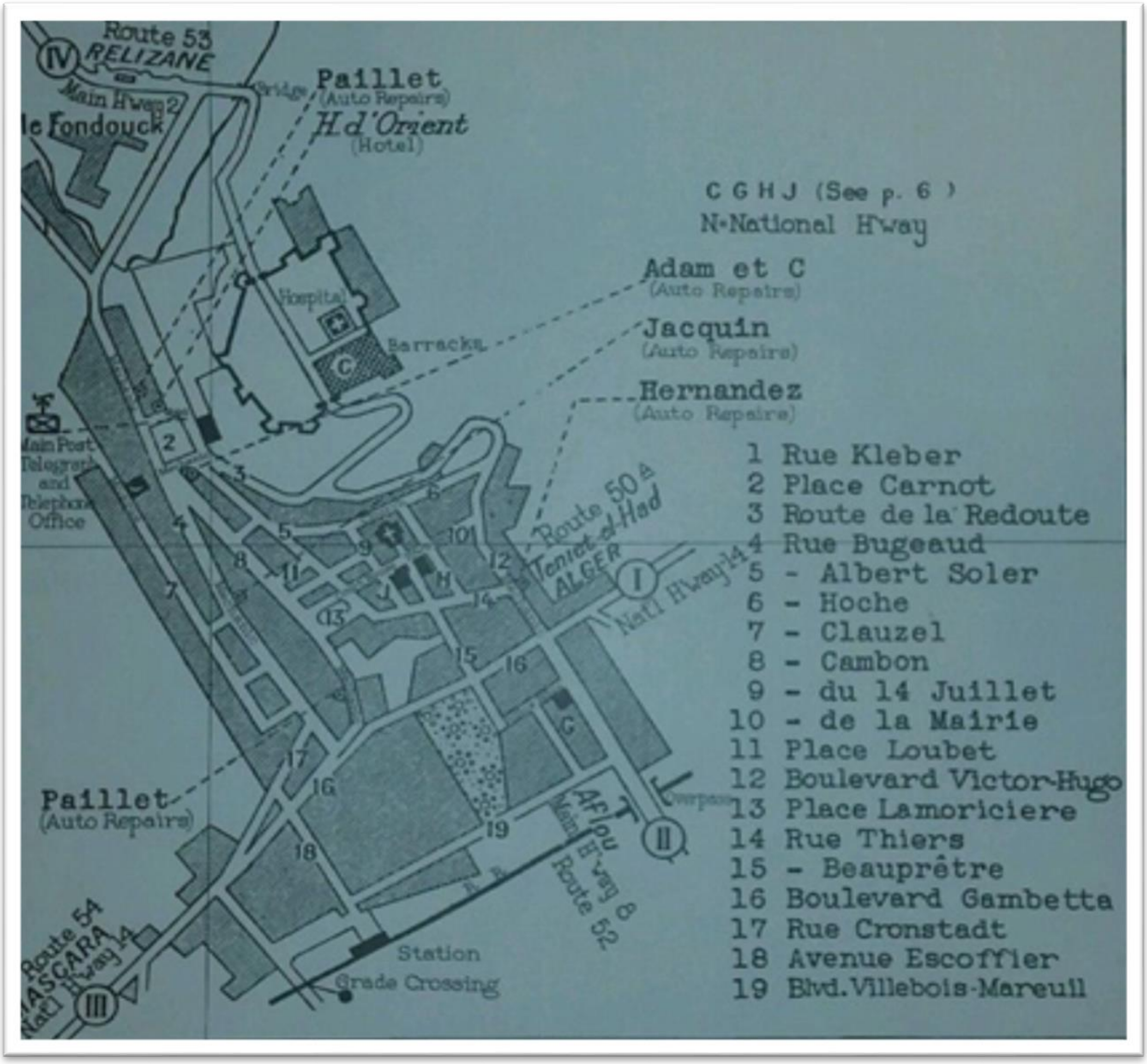

الشكل 02: موقع مدينة تيهرت القديمة حسب مخطط إدارة الجيش الأمريكي سنة 1943م[1]

[1] Tiaret, Alegria-Maps, U.S. Army, Corps of Engineers, Geographical section G.S.G.S 4275, G8344. T551 1943, U53, Library of congress (r47b1).

_ في الوقت الحاضر، وبعد استعادة الجزائر لاستقلالها، تم استغلال الموقع بإنشاء مدرسة ضباط الصف للإشارة في سنة 1980م. وفي سنة 2014م، أطلق على المدرسة اسم "الشهيد حمايدية الطاهر". وبعد الإنشاءات التي شهدتها عاصمة الولاية، تحرَّك الموقع نحو الجهة الشمالية الشرقية، وأصبحت إحداثياته الجغرافية (35°22'32.5"N 1°19'07.5"E)، على امتداد الهضبة جنوب الملعب وثانوية ابن رستم، وبارتفاع يصل إلى 1125 مترًا عن سطح البحر.

2- المسألة الطوبونيمية

2-1 تيهرت/تاهرت على ضوء نقائش العملة

في الواقع، مازال طوبونيم الفترة القديمة مجهولاً بالنسبة لنا حتى اليوم، بحيث أن جميع النقوش التي تم اكتشافها في محيط المدينة هي عبارة عن مذكرات قصيرة لم تقدم الاسم الجغرافي للموقع[1]. أما بالنسبة لعملية الربط بين طوبونيم الفترة الوسيطة وتنغارتيا (Tingariensis) الأسقفية الرومانية، التي ارتبط اسمها بمقاطعة موريطانيا القيصرية حوالي سنة 484م[2]، فإنه يظل من الصعب تحديد استخدام موضعها نظراً لقلة الشهادات اللاتينية المسجلة حولها.

بينما يرغب البعض، بما في ذلك بعض مؤلفي الحقبة الاستعمارية وبعض الدراسات الحديثة، في الترجيح بشدة أن يكون هناك تواصل طوبونيمي بين الفترتين القديمة والوسيطة بناءً على التطابق الإسمي الفيلولوجي[3]. ولكن بسبب عدم وجود مصادر موثوقة تؤكد صحة هذا الاعتقاد، يجب أن نتعامل مع هذه الفرضية بحذر وننتظر اكتشاف مصادر جديدة قد تساعدنا في التأكد من صحتها في المستقبل.

---

[1] حول هذه المجموعة من النقوش، أنظر: De Caussade, *op.cit.,* n 79-80-81-82 p. 314-315. L. Leclerc, «inscriptions romaines, recueillies à Tiaret dans la province d'Alger», *Revue archéologique*, Paris, 11, (1855), p. 441-446. *Corpus Inscriptionum Latinarum (Inscriptiones Africae Latinae)*, 8, p. 832-833. Vayssettes, *op.cit.,* p. 30. De la Blanchère, *op.cit.,* p. 72-73. Pierre Cadenat, «Notes d'archéologie tiarétienne», *Antiquités africaines*, 24, (1988), p. 45.

[2] أنظر على سبيل المثال: Visconde de Paiva Manso, *Historia ecclesiastica ultramarina*, Lisboa imprensa nacional, 1872, p. 109. Jean Yanoski, *L'Afrique chrétienne et domination des Vandales en Afrique*, Paris, libraire de Firmin-didot, 1883, p. 50.

[3] راجع بشكل خاص: Oscar Mac Carthy, *Géographie physique économique et politique de l'Algérie*, Dubos Frères imprimeurs-libraires, Alger , 1858, p. 406. Odilon Niel, *Géographie de l'Algérie*, Legendre libraire, , p. 462. Louis Piesse, *Itinéraire de l'Algérie de la Tunisie et de Tanger*, librairie Hachette, 1876Bône Paris, 1882, P. 270. Mgr Toulotte, *Géographie de l'Afrique chrétienne,* imprimerie Notre-Dame-des-Prés, 1894, P. 164. *L'Afrique du Nord,* illustrée grand journal hebdomadaire Algérie Tunisie Maroc, Edition coloniale, Alger, 30 juillet 1927, p. 10.

تكشف الدراسات الحديثة المرتبطة بتاريخ المجال التيهرتي/التاهرتي في الفترة الوسيطة عن عينة من النتائج والقراءات المختلفة حول كيفية كتابة الطوبونيم. بحيث هناك ثلاثة أشكال متباينة، بعضها يعتبر بجدية ويستند إلى الأسس البحثية الصحيحة، وبعضها الآخر يفتقد للدقة في التعامل مع الأسماء وتطوراتها.

المجموعة الأولى تُكتب وتُنطق تِيْهَرْتْ (بكسر التاء وتبعها ياء ساكن) بحجة أنها كتبت بهذا الشكل في العديد من النصوص المغربية، ويُعتبر لوكلار (L. Leclerc) أول من اعتمد هذه الطريقة بعدما بحث عنها في مخطوطة ابن سعيد المغربي (ت.685هـ/1286م)[1]. ونبَّه إبراهيم بحاز[2] إلى نفس الطريقة بعد دراسة القطعة المنسوبة للرقيق القيرواني (ت.420هـ/1029م) وابن سعيد المغربي وابن عذاري المراكشي (كان حي عام 712هـ/1312م)[3]. لكن أستبعد اطلاعه على الطريقة التي استعملها لوكلار.

لا شك أن لوكلار وابراهيم بحاز وغيرهم، الذين اعتمدوا على الفرضية المبنية على هذا الشكل، قد انطلقوا من فكرة واحدة تم طرحها خلال مطلع القرن الثامن الهجري (14م)، وذلك عندما عثرنا على تصريح لأبو الفداء في كتابه "تقويم البلدان[4]"، حيث أصر على ضرورة اعتماد النطق المغربي للكلمة[5]. ومع ذلك، يبدو أن الوضع الحالي للنصوص المغربية لا يُطابق النتيجة التي تم التوصل إليها سابقاً.

في أقدم نص محلي باللغة العربية يعود لصاحبه ابن سلام الإباضي اللواتي (ت.273هـ/778م)، وفي جميع الروايات التي جمعها، نجد تسمية المدينة باسم "تاهرت"[6]. وهذا النطق يتكرر أيضًا في نصوص أخرى، حيث

[1] L. Leclerc, *op.cit.*, p. 441.

[2] تُعَدُّ مذكرة الماجستير لإبراهيم بحاز من بين أقدم الدراسات الأكاديمية العربية التي تناولت موضوع الفضاء التيهرتي الرستمي. تمت مناقشتها في سنة 1983م في كلية الأدب بجامعة بغداد تحت عنوان: "الدولة الرستمية (160-296هـ) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية"، وقد أُعيد طبعها في الجزائر ثلاث مرات؛ الأولى في سنة 1985م، والثانية في المطبعة العربية في 1993م، والطبعة الثالثة من قبل دار ألفا بالجزائر في سنة 2010م.

[3] المرجع نفسه، 1993م، ص86. أنظر كذلك: ابن الصغير، المصدر السابق، ص25، الهامش رقم 2، فاطمة جلجل، المرجع السابق، ص08.

[4] هناك دراسة حول تاريخ هذا المؤلف، يمكن العودة إليها: Paul Chaix, « Notice sur Aboulfeda », *Le Globe, Revue genevoise de géographie,* 6, 1867, p. 355-371.

[5] أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ص138. وفي نفس السياق، ذكر أنَّه وجد الاسم مكتوبًا "تيهرت" عند ابن سعيد، ويُرجح أنَّ هذا النحو هو الأقرب إلى الصواب. ونقل القلقشندي هذه الطريقة أيضًا في كتابه: صبح الأعشى، ج5، ص111.

[6] ابن سلام الإباضي، المصدر السابق، ص ص 93. 110. 134.

يُذكر بأن أحمد بن الفتح، المعروف بالخزر التاهرتي، الذي كان قاضيًا للمدينة وشاعرها في العصر الرستمي، يكتب اسم المدينة باسم "تاهرت" في كتاب المسالك الذي ألفه البكري[1]. ونفس الأمر ينطبق على الشاعر بكر بن حماد التاهرتي (ت.296هـ)، حيث أخرج محمد بن رمضان شاوش أبياته الشعرية في جامع أطلق عليه عنوان الدر الوقاد[2].

يبدو أن الأمر مقبولًا عند استثناء شهادات ابن الصغير[3] واليعقوبي[4] كمصدرين للفترة الأخيرة من العصر الرستمي، نظرًا لأنهما ليسا مغاربة ولا يمتلكان معرفة باللغة المحلية[5]. ولكن عندما نأخذ بعين الاعتبار تسجيل الاسم "تاهرت" في نفس المؤلفات المغربية السابقة، مثل ما فعله البكري[6] وعبد الواحد المراكشي[7] وابن عذاري المراكشي[8]، فإن هذا يفرض الاعتراف بالتناقض. بالإضافة إلى ذلك، نجد هذا الاسم مستخدمًا في نصوص مغربية أخرى لم يتم مراجعتها من قبل، بما في ذلك أعمال مشهورة مثل "القاضي عياض" (ت.544هـ/1149م)[9]

[1] يقول الشاعر الخزر التاهرتي:

تاهرتُ أنتِ خليّة وبريّة عوضتُ منك ببصْرة فاعتاضي

_ أنظر ما نقله كل من: البكري، المصدر السابق، ج2، ص789. الحِميري، ص109.

[2] يكتب بكر بن حماد:

ما أخشن البَرْدَ وريْعَانهُ وأطرفَ الشَمْس بتاهرتَ

_ أنظر ما نقله: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص8. الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي (200_296هـ)، جمع وتقديم محمد بن رمضان شاوش التلمساني، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011م، ص65.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص25. 41. 45. 53. (وفي جميع مقاطع الكتاب دون استثناء).

[4] اليعقوبي، البلدان، المصدر السابق، ص ص 138. 142. 143. 146. 149. نفسه، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، 1960، ج1، ص190.

[5] يبدو أنَّ عدم القبول ليس بالضرورة يمنع أن تكون كتابتها سماعاً من أطراف وجماعات محلية، لا سيما إذا كانت من مجموعات مستقرة. فالأمر ربما سيزيد من امكانية فرص الاطلاع على وثائق ومراسلات مكتوبة. وأتحدث هنا بشكل خاص عن ابن الصغير الذي لا يمكن أن تتطابق وضعية شهاداته مع بقية نصوص الرحلة المشرقية، حيث تكون فترات إقامتها عادةً قصيرة أو محدودة جدًا.

[6] البكري، المصدر السابق، ج1، ص319؛ ج2، ص789.

[7] عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد سعيد العريان، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1963م، ص411.

[8] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص207؛ ج2، ص ص125. 193. 198. 199. 200؛ ج3، ص ص 300. 366.

[9] القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح سعيد أحمد عراب، المكتبة المغربية، 1982، ج7، ص42.

و"كتاب الصلة" لابن بشكوال (ت.578هـ/1182م) [1]، وكتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، الذي يرجح أن يكون مؤلفه من ورجلان[2]. إضافةً إلى ذلك، ارتبط اسم تاهرت بالمدينة في أكثر من 78 موقعًا في ديوان العبر لابن خلدون. وبالتالي فإنَّ هذه الطريقة السابقة تعتبر نتائجها ضعيفة بصفة عامة.

يبدو أنه بالنظر إلى النصوص المغربية التي تشير بقوة إلى اسم "تاهرت"، يمكن فهم أن الرسم الطوبونيمي الصحيح هو "تاهرت" وليس "تيهرت". ومع ذلك، ينبغي أن نتساءل عما إذا كان اعتماد المصادر المكتوبة وحدها كافيًا للتأكد من الكتابة الصحيحة للطوبونيم.

وقبل ذلك، يجب أن نكمل النظر في الأبحاث، حيث وجدنا أن أصحاب المجموعة الثالثة اكتفوا بتجميع الأخبار دون اتخاذ موقف واضح تجاه هذه المسألة، ولم يروا أي مشكلة بين الكتابتين، دون التعمق في الترجيح[3]. بالمقابل، المجموعة الثانية والأخيرة ترى أن الطوبونيم يجب أن يكتب "تَاهَرْتْ"، لكنها أيضًا لا تقدم مبررات علمية واضحة وتعتمد فقط على وجود هذا الشكل في بعض النصوص التاريخية.

يبدو أن الاعتماد فقط على المصادر المكتوبة قد لا يكون كافيًا للوصول إلى الكتابة الصحيحة للطوبونيم، وبالتالي فإن الحصول على المزيد من البيانات الأثرية، وخاصة كتابات السكة النمسمائية التي تم اكتشافها في حفرية موقع وليلي سيساهم في التحقق من الاسم الصحيح والتأكد من دقة النتائج. *(أنظر الشكل (1)(2)(3))*[4]

---

[1] ابن بشكوال، الصلة، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1989م، ج1، ص452.

[2] كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة (ق6هـ/12م)، تح الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الورجلاني، عمان، وزارة التراث والثقافة، 2009م، ص ص 283. 289.

[3] نلاحظ كتابتها في العديد من الدراسات السابقة.

[4] الصور من دراسة نشرها الباحثان توفيق بن شقرون ولدوفيك ليتر: Toufik Benchekroun et Ludovic Liétard, *op.cit.*, p. 732-735. أنظر أيضاً: Ludovic Liétard, «Two Rustamid Fulus struck in Tiharat and Tilimsin », *Journal of the Oriental Numismatic Society*, 220, (2014), p. 20-22.

الوجه: ضُرب هذا الفلس بتيهرت.
الظهر: مما أمر به عبد الوهاب.

الوجه: ضُرب هذا الفلس بتيهرت.
الظهر: مما أمر به راشد بن قادم.

الوجه: ضُرب هذا الفلس بتيهرت.
الظهر: ضرب هذا الفلس بوليله.

يُلاحَظ أن هذه العملات الثلاثة تشترك جميعًا في رسم الاسم الجغرافي "تيهرت"، وبالنظر إلى السياق التاريخي المحيط بتلك المجموعة من القطع، تشير المعطيات إلى أنها ترتبط بفترة واحدة من العصر المبكر للدولة الرستمية، وهي فترة حكم الإمام الثاني عبد الوهاب بن رستم. ومع هذا، فإن هذه المسألة المتعلقة بالعملات تثير الكثير من الضبابية بخصوص التحولات في الاستخدامات أو التبعية بالنسبة لمدينة تيهرت إلى الأدارسة، ولا يمكن بسهولة تقديم تفسير دقيق ومنطقي حولها[1].

أعتقد أن ضرب هذه المسكوكات جاء بقالب واحد لم يتغير منه سوى الشعارات المكتوبة على الظهر، وهذا ما يمكن مشاهدته على القطع الثلاثة عند تتبع تشكيلات الخط في كتابة نص الوجه. وبالتالي، يتمتع هذا

[1] فيما يتعلق بهذه المسألة نجد تحليل عند: Toufik Benchekroun et Ludovic Liétard, *op.cit.*, p. 732-735.

القالب بخاصية واحدة وليست كتابات متعددة، ومع ذلك، يظل هذا هو أهم وأقدم دليل موجود يؤكد أن الكتابة الطوبونيمية لها تسمى "تيهرت"[1].

2-2 تيهرت طوبونيم مدينة أم فضاء يشمل الأحواز؟

يمكن ملاحظة تواجد طوبونيم "تيهرت" في العصر الوسيط المبكر، حيث كانت تتكون من مدينتين متقاربتين تحملان نفس الاسم، ولكن الجانب الذي يُستحق المناقشة هو محاولة فهم السبب وراء هذه الازدواجية في تسمية المكان داخل الإقليم الواحد، مع التمييز المحلي فقط من خلال إضافة مكون ثاني للاسم.

ينبغي لنا أولاً أن نميز بين الفضاء الإسمي لتيهرت، الذي يتطلب دراسة معمقة لتحديد حدود الاستخدامات، ونطاق المجال الذي حصلت عليه الدولة الرستمية. في الوقت الحالي، يُلاحَظ استخدام طوبونيم "تيارت" ليشمل ولاية بأكملها، وليس مجرد مدينة حديثة، مما يجعلنا نعتقد أن للوضع مرجعية تاريخية متجذرة في منطقة تيهرت.

من المرجح أن "تيهرت" كانت طوبونيمًا يُعبر به عن إقليم واسع يضُم مجموعة من القرى والقرى المحصنة في تفاعل مشترك. بحيث قد يكون السبب وراء اعطاء الطوبونيم للمدينة القديمة وبعدها للمدينة الرستمية تمثيلاً للعاصمة المحلية، وهذه هي الفرضية الأكثر احتمالية. ولدينا بعض الأدلة التي تفسر ذلك؛ ؛ فعندما وصف الإصطخري تلك البلاد الخلفية الواقعة غرب بلاد الزاب، ذكر أن "مدينة كورة تاهرت اسمها تاهرت[2]". وفيما يتعلق بوصف المقديسي لإقليم بلاد المغرب من جهة الشرق، ذكر: "أول كورة من قبل مصر برقة ثم إفريقية ثم

---

[1] من المؤسف أنَّ روني داجورن (René Dagorn)، في مقاله الذي نُشِرَ في عام 1973، لم يُرَكِّز على إظهار محتوى الكتابة التي وردت في الشاهِد القبري التيهرتي، الذي تم اكتشافه في منطقة القيروان. حيث يمكنه أن يساعدنا في التأكيد على صحة المعلومات أو وضع نُقاط اعتبار جديدة تساعدنا في تحديد المعلومات بشكل أدق. René Dagorn, « Quelques réflexions sur les inscriptions arabes des nécropoles kairouanaises », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée,* 13-14, (1973), p. 244

[2] الاصطخري، المصدر السابق، ص34.

تاهرت[1]". كما ذكر في موضع آخر أن "تيهرت هي اسم القصبة أيضاً[2]". وأضاف ابن حوقل أن "كورة تاهرت من إفريقية عند الجميع، وكانت في القديم مفردة العمل والاسم في الدواوين[3]".

من المعروف أن شهادة ابن حوقل المكتوبة عن بلاد المغرب تمتاز بدقة المعلومات إلى حد ما. ومع ذلك، يجب أن نأخذ في اعتبارنا أنه استلم كتاب الاصطخري كهدية من صاحبه، وبالتالي فإن إعادة صياغة المصطلحات الواردة في كتاب المسالك والممالك لا يمكن تحليلها إلا كتأكيد على صحة معطياتها التي تم الحصول عليها من داخل الإقليم، حيث زار الرحالة ابن حوقل الموقع مرتين خلال القرن الرابع الهجري (10م) [4].

وفي النهاية، يبقى الاستفادة من رواية ابن عذاري المراكشي مع بداية القرن الثامن للهجرة (12م)؛ حيث يعبر عن اتحادية مواجهة الفتح الأموي باقليم تيهرت[5].

تتضح من هذه الطريقة التي تتحدث بها الروايات الوسيطة تأكيدًا موضوعيًا حول طوبونيم "تيهرت"، الذي لم يكن مقتصرًا على موقع مدينتين فقط، بل كان يمتد ليشمل المجال ككل؛ بمعنى أنه كان يُعبِّر عن إقليم واسع يضم مجموعة من المدن والقرى المشتركة.

ومع ذلك، يُلاحَظ أن معطياتنا التاريخية الحالية لا تكشف بشكل دقيق عن رسم حدود استعمال الاسم، أو بمعنى آخر، النطاق الطوبونيمي؛ وذلك بسبب أن المصادر الوسيطة ركزت بشكل لافت على المجال الحضري وأهملت المجالات الريفية، مما أدى تدريجيًا إلى سقوط الذاكرة المحلية في النسيان. وقد ساهم هذا الوضع في تحويل نطاق استخدام طوبونيم "تيهرت" عند مؤلفي الفترات اللاحقة، من طابع إقليمي إلى مرتبط بموقع مدينة معينة. ومن المهم فهم هذه النقطة وتصحيحها لاستعادة المعلومات المفقودة وفهم الاستخدام الأصلي للطوبونيم.

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص216.

[2] المصدر نفسه، ص229.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص93.

[4] André Miquel, *op.cit.*, p. 231.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

2-3 الطوبونيميا المرافقة وسؤال النموذج الدلالي

لقد حافظت المدينة على استخدام الطوبونيم الأساسي "تيهرت" في جميع التشكيلات التاريخية التي رافقتها. ومع ذلك، تذكر المصادر استخدام مكون ثاني للاسم بهدف التمييز المحلي دون التخلي عن الأصل، وهذا يتعلق خاصة بعد إنشاء المدينة الثانية "تيهرت/تاقدمت."

البرج: ارتبط هذا الطوبونيم بنزول الجماعات الإباضية في المنطقة، واستُخدم لأول مرة بمفرده في نص الدرجيني الذي أُلِف بعد سنة 651هـ (1253م) ليعبِّر عن صورة الموقع وارتفاعه في جبل جزول[1].

تيهرت القديمة/ تيهرت الأعلى: ظهرت الاستخدامات الأولى لهذين الطوبونيمين بعد إنشاء موقع تاقدمت من قِبَل الجماعات الإباضية. وفي الوقت نفسه، شهدت المدينة الثانية التي أسسها الإمام عبد الرحمان بن رستم استخدام الصفة العكسية للمدينة الأولى (تيهرت الحديثة/ تيهرت السفلى)[2]. ومما يُلاحَظ أن هذه الاستخدامات الطوبونيمية تواجدت بشكل خاص في النصوص المكتوبة خارج حدود القرن الثالث للهجرة (09م) [3]

تيهرت عبد الخالق: يُعتبر الرحالة الحسن بن أحمد المهلبي أول من استخدم هذا الطوبونيم في مؤلفه المعروف باسم "المسالك والممالك" أو "كتاب العزيزي" الذي ألفه خلال النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة (10م). وفي هذا المؤلف، أشار إلى أنه "يُقال للقديمة: تاهرت عبد الخالق ... تاهرت القديمة هي تاهرت عبد الخالق[4]". كما يمكن أن تُعَدَّ تعابير ياقوت الحموي والقلقشندي نقلاً تقليديًا من جغرافيته في فترة متأخرة[5].

---

[1] الدرجيني، النص، ج1، ص43.

[2] إنَّ هذه الحالة الطبيعية التي تنطلق في البداية من مجرد فكرة ثم إلى عادة وبعدها إلى استعمال شعبي نجدها تتكرر وبكثرة في الأقاليم المائية والزراعية، أو عند حدوث كيانات استيطانية جديدة كما هو الحاصل معنا.

[3] من أمثلة هذه النصوص المكتوبة أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ المهلبي، النص، ص48؛ أبو زكريا الورجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982، ص81؛ البكري، النص، ج2، ص734-735؛ ياقوت الحموي، النص، ج2، ص7_8؛ الدرجيني، ج1، ص43؛ القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ص169؛ ابن عذاري المراكشي، النص، ج1، ص50؛ القلقشندي، النص، ج5، ص111-112؛ الحِميري، النص، ص126.

[4] المهلبي، النص، ص48.

[5] ياقوت الحموي، النص، ج2/ص9؛ القلقشندي، النص، ج5، ص111-112.

على الأرجح أنَّ البدايات الأولى لاستخدام هذا الطوبونيم كانت بعد عودة الخلفاء الفاطميين إلى مصر سنة 361هـ (971م)، وبداية السيطرة الجديدة لصنهاجة على منطقة تيهرت. ومع ذلك، لا يبدو أنه كان ذا أهمية كبيرة في الوسط الاجتماعي بحيث لم يحافظ على تواصله في الفترات الزمنية. أما بالنسبة لأصل هذا الاسم ونسبته، فإننا لا نمتلك إجابة مقنعة لهذا السؤال، خاصة وأنه غير موجود في نصوص أو روايات أُخرى.

3- العمق التاريخي لإنشاء تنغارتيا (Tingartiensis) من خلال الكتابات اللاتينية

في سياق مناقشته حول الفضاء التيهرتي، أشار ابن عذاري المراكشي إلى صعوبة معرفة تاريخ أو فترة تأسيس الموقع[1]. ولكن يجب التنويه بأن فكرة المؤلف هذه لا يمكن تعميمها كإجابة نهائية، بحيث أن معظم المعلومات التي وصلته كانت من النصوص العربية المتقدمة التي لا تحمل إجابة حول هذا السؤال، ويرجع ذلك لانقطاع المعلومات والروايات المكتوب بين فترات المنطقة التاريخية، وخاصة بين نهاية الفترة القديمة وبداية الفترة الإسلامية.

ومع ذلك، يبدو أن بقايا النقوش اللاتينية المكتشفة حديثاً ستكون ذات أهمية كبيرة في تسليط الضوء على الموقع وتوفير معلومات إضافية. فقد اعتمد الراهب جوزيف ميناج (Joseph Mesnage) في بحثه حول إفريقيا المسيحية على مجموعة هامة من المخلفات التاريخية، وأوضح وجود كتابات لشواهد قبور مسيحية يعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي، حيث وجد أقدمها مسجل لأحد الكهنة بتاريخ 469م[2]. وفي التقرير الذي قدمه أزيما دومنقرافيي (Azéma de Montgravier) حول مستوطنة تيارت في سنة 1843 م، تم الكشف عن نقشة جنائزية مؤرخة بسنة 430م[3]. ومن خلال كتابات دوكوساد التي نشرها سنة 1851م حول الهيمنة الرومانية

---

[1] ابن عذاري ، المصدر السابق، ج1، ص50.

[2] Joseph Mesnage, *L'Afrique chrétienne, évêchés, ruines antiques*, Ernest Leroux, Paris, 1912, p. 486.

أنظر أيضا:

_ Pierre Cadenat, «Curieuse tombe à étage dans une nécropole antique de Tiaret», *op.cit.*, p. 225. *La Méditerranée de Paul-Albert Février,* Publications de l'École française de Rome, 225, (1996) P. 951.

[3] نص النقيشة في: Azéma de Montgravier, *op.cit.*, p. 667.

بالمنطقة، وُجِدَ شاهد جنائزي لقسيس يشير إلى وجود مستوطنة تيهرت الرومانية في العام 432م من المقاطعة، (أي 399م تحت حكم هونوريوس Honorius).[1] بالإضافة إلى مرثية أخرى لقبر مسيحي مؤرخ بسنة 411م[2].

على الأرجح أنه تم العثور على هذه الشواهد الجنائزية في مقبرة تقع بالجهة الغربية من موقع المدينة الأثرية على وادي تيارت[3]. وبالنسبة لأهمية هذه الشواهد، فهي تعتبر بمثابة خزان يحتفظ نسبيًا بسلامة الذاكرة الرومانية في المنطقة، وتمتلك أهمية كبيرة بالنسبة لمؤرخي المسيحية، وبشكل خاص المدرسة الفرنسية. ومع ذلك، بناءً على المعلومات المسجلة عليها، فهي لا تتجاوز حدود القرن الرابع ميلادي.

وفيما يتعلق بالأقدم، تعد النقوش المكتشفة على كتلة من الحجر الرملي الصلب التي خلدها ايويروس (Iverus)حوالي سنة 211م من أقدم الكتابات التي تم العثور عليها في الموقع[4]. فهي تعتبر بمثابة دعوة للتحول إلى "الآلهة القوية"، وتُظهر في الوقت ذاته مرحلة جديدة من انتشار المسيحية في المنطقة المتقدمة على السهوب.

---

1 De Caussade, *op.cit.,* p. 315.

2 Ibid., p. 315.

3 أشار أزيما دو مونقرافيي سنة 1843م إلى وجود المقبرة في الجهة المقابلة من وادي تيارت، وقد تم تأكيد ذلك من قِبَل فيسات Vayssettes في سنة 1861م، وستيفان قزال Stéphane Gsell في سنة 1911م. ومع ذلك، يبدو أن البنية التحتية الحديثة غطت الأراضي التي كانت تقع عليها المقبرة، حيث لا يُعرف بالتحديد أين تمت ملاحظتها، وتم تأكيد هذا الأمر من قِبَل الباحث بيار كادنة في سنة 1969م .أنظر: Azéma de Montgravier, *op.cit.,* p. 675. Vayssettes, *op.cit.,* p. 29. Stéphane Gsell, *Atlase archéologique de l'Algérie*, Alger, 1911, feuille 23, (n14). Pierre Cadenat, Curieuse tombe à étage dans une nécropole antique de Tiaret, *op.cit.,* p. 225.

4 تم العثور عليها في بداية القرن العشرين، أثناء عملية تهيئة أحد المنازل في شارع 14 جويلية، ووفقًا للخريطة الطبوغرافية لمدينة تيارت، يتواجد الشارع في الجهة الجنوبية من الموقع الأثري. راجع المخطط الذي نشرته إدارة الجيش الأمريكي في سنة 1943م Tiaret, Alegria-Maps, U.S. Army, Corps of Engineers, Geographical section G.S.G.S 4275, G8344. T551 1943, U53, Library of congress (r47b1).

D(i)IS | OMNI | POTENTI(bus) | IVERVS | PROC(urator)

AVG(ustorum) | N(ostrorum)[1]

يبدو أن المدينة، في نشأتها الأولى، قد تأسست في بدايات القرن الثالث ميلادي لأسباب عسكرية. فبعدما اقتصر تقدم الرومان على مناطق سطيف (Sitifis)[2]، وهاز (Auzia)،[3] وجواب (Rapidum)،[4] وصولا إلى وادي الشلف (Chinalaf) [5] والسهول المجاورة للساحل الوهراني، ظهرت سيطرة روما الجديدة على المناطق المجاورة، وحدث ذلك في أول سنوات حكم سبتيموس سفيروس (Septimius Severus 193-211) في منطقة بلاد المغرب، وتحديداً حوالي سنة 201م، أين تمت توسيع السيطرة لتشمل جبال الونشريس وفرندة، وصولاً

---

[1] لقد حافظت الإدارة الاستعمارية على هذه الوثيقة المهمة حتى عام 1962م. وفي عام 1988م، نُشِرَت صورة للوثيقة عن طريق الباحث الأثري بيار كادنة في العدد 24 من المجلة الإفريقية. أنظر: Pierre Cadenat, Notes d'archéologie Tiarétienne, *op.cit.,* p. 46.

[2] فيما يتعلق ب الهيمنة الرومانية على المنطقة، راجع على سبيل المثال: Pierre Salama, « Les voies romaines de Sitifis à Igilgili. Un exemple de politique routière approfondie », *Antiquités Africaines*, 16, (1980), p. 101-134.

[3] أنظر بشكل خاص: Jean-Pierre Laporte, «Notes sur Auzia», *op.cit.,* p. 300-317.

[4] Jean-Pierre Laporte, «Rapidum : le camp et la ville», *op.cit.,* p. 253-267.

[5] Edme Mentelle, *Encyclopédie méthodique Géographie ancienne,* Paris, libraire, hôtel de Thou, 1787, P 485.

إلى المنحدرات الشمالية لجبال سعيدة، بهدف ربط منطقة السهوب بشبكة من الحصون. وقد أصبحت هذه الحصون تظهر بشكل لافت من جبال الأوراس (Aurasius)[1] شرقا إلى تلمسان (Pomaria) غربا، وقد نجح هذا الحصار في صده للحركات المناوئة القادمة من جهة الجنوب[2]. مما أدى ربما إلى دفع روما لكتابة النقش تخليداً لهذا الانتصار المهم في المنطقة والتأكيد على أهمية الموقع العسكرية والاستراتيجية في ذلك الوقت.

بناءً على ذلك، يبدو من المحتمل أن تأسيس الموقع يعود زمنيًا إلى الفترة بين 201-211م. وتزداد هذه الفرضية تأكيدًا نظرًا لعدم وجود أي دليل على تواجد عمراني خلال الفترة المسبقة للقرن الثالث ميلادي[3]. وحتى المخلفات الأثرية التي استُخدمت كمواد بناء، قد أشار الباحث ستيفان قزال (Stéphane Gsell)، إلى احتمال أن تكون ذات صناعة رومانية بامتياز[4].

4-هل المنشأة مدينة أم حصن عسكري؟

من الضروري أن نطرح تساؤلات حول طبيعة الموقع الذي شُيدت عليه المدينة الرومانية، هل كان فعلًا مدينة أم مجرد حصن دفاعي لمراقبة حدود موريطانيا القيصرية؟ يهدف هذا الاستفسار إلى استكشاف نوعية

---

1 فيما يتعلق بآثار الاستيطان الروماني في هذه المنطقة من سلسلة الأطلس أنظر: Pierre Morizot, « Vues nouvelles sur l'Aurès antique », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,* 123-2, (1979) p. 309-337.

2 Paul-Albert Février, *op.cit.,* p. 53.

3 يبدو أن روجر دي بايلي ديهيرمينز قد أجرى الكثير من الأبحاث والأعمال المتعلقة بالآثار والمواقع التي تعود لفترة ما قبل التاريخ في المجال التيهرتي خلال سنتي 1963 و 1964م. ومع ذلك، فإنه لم يُشر إلى هذه المساحة من بحثنا في النصوص التي تم نشرها: Roger de Bayle des Hermens, «Influences sahariennes dans le néolithique de la région de Tiaret», *Bulletin de la Société préhistorique française*, vol. 60, n° 1-2, (1963), p. 79-91. idem, « Gisements préhistoriques inédits de la région de Tiaret », *Bulletin de la Société préhistorique française*, 61-2, (1964), p. 452-46. idem « Les industries préhistoriques de la cité Fronzy, Tiaret, Algérie », *Bulletin de la Société préhistorique française,* 61-1, (1964), p. 65-83

أنظر كذلك:

_ Pierre Cadenat, « Les gisements préhistoriques de Mesguida Tiaret », *Bulletin de la société préhistorique française*, 66-5, (1969), p. 151-154.

4 Stéphane Gsell, *op.cit.,* feuille 23, n 14.

الموقع، بغية فهم حجم ونطاق التطورات الحضارية التي حدثت فيه عبر المراحل التاريخية اللاحقة. ويجدر بنا أن نذكّر أن هذا الموقع يعاني من نقص حاد في المعلومات والمصادر المادية، ولهذا السبب سنعمل جاهدين على تعويض هذا النقص من خلال إعادة النظر في المخلفات المادية المتاحة التي قد تساعدنا في هذه المناقشة.

يبدو أن نصوص التاريخ الوسيط، وبخاصةٍ المغربية، تُشير إلى أحداث ووقائع متنوعة حول الموقع التاريخي خلال فترة الفتح الأموي. ومن الملاحظ أن هذه النصوص تتضمن تباينًا وتناقضًا في الوصف والشهادات المقدمة. على سبيل المثال، في القطعة المنسوبة للرقيق القيرواني، يُذكر "وفر جميع الروم عن المدينة[1]". في المقابل، ذكر الدباغ (ت.696هـ/1297م) في كتابه "معالم الإيمان" وجود "حصن بيزنطي قديم اقتتل فيه العرب والروم والأفارقة[2]". وأشار ابن عذاري المراكشي إلى نجاح المسلمين في هزيمة التحالف البيزنطي-الموري بقيادة عقبة بن نافع، حيث "فرق جمعهم وسبقتهم خيل المسلمين إلى باب مدينتهم فأفنوهم وقطعوا آثارهم[3]".

وبعد مرور قرن من تلك الأحداث، شهدت روايات الجماعات الإباضية انقلابًا في الوصف، حيث قُدم الموقع على أنه مجرد حصن قديم وليس مدينة قديمة[4]. فمن المهم هنا فهم سبب هذا التحول في الوصف، خاصةً مع سهولة توظيف هذه الروايات العربية المكتوبة. ومع ذلك، ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن الاعتماد على هذه الروايات بمفرده قد لا يؤدي إلى نتائج دقيقة، ولذلك يتطلب الأمر التفتيش في مصادر أكثر تقدمًا حول الموقع للحصول على رؤية شاملة وموضوعية حول تاريخه وطبيعته.

بعودتنا إلى معطيات الكتابات اللاتينية التي جمعها دوكوساد (De Caussade) في سنة 1851م ولوكلار (Leclerc)في سنة 1855م حول الموقع، نجد أنها تُعَدُّ أول دليل تاريخي له. فتلك الكتابات اللاتينية التي قَدَّمَتْ

---

[1] الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص43.

[2] الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أُصول القيروان، تح محمد ماضور ومحمد الأحمدي ابو النور، مصر، مكتبة الخاني، ج1، ص185.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

[4] من بين الأمثلة حول هذه النصوص: البكري، المصدر السابق، ج1، ص734؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص43؛ الحِميري، ص126.

عينة جديدة من اللغة اللاتينية المنتشرة على الحدود الغربية لمقاطعة موريطانيا القيصرية، فقدمت أيضًا مختصرات حول الحياة العائلية في الموقع، وليس فقط الجوانب العسكرية.

على سبيل المثال، في النقيشة رقم (01) حسب ترتيب لوكلار، يمكن استنتاج وجود امرأة مع طفلها في الموقع. أما في النقيشة الجنائزية رقم (08)، فتوجد معلومات مختصرة تفيد بوجود طفلة متوفاة في سن الأربعة أشهر وسبعة أيام[1]. وقد أشار دوكوصاد إلى نقش لاتيني يحمل لوحة ترمز لثلاث شخصيات، بما في ذلك صورة لطفل[2].

تفسير هذا التنوع في الكتابات الإيبغرافية والنقوش[3] يُشير إلى أن الموقع كان يحتوي على تنوع في الفئات العمرية والاجتماعية لسكانه، بالإضافة إلى ذلك، يُظهر شكل هذه الكتابات ومحتواها أنها كانت موجهة بشكل خاص للجمهور العام من المسيحيين الكاثوليك الذين كانوا يستخدمون اللغة اللاتينية في تلك الفترة.

5-ملاحظات حول اختيار الجماعات الإباضية للموضع

بلا شك، أن اختيار الجماعات الإباضية موقعًا لبناء مدينتهم في هذا المكان بالتحديد لم يكن عرضًا أو محض الصدفة، بل جاء بعد دراسات ومشاورات مدروسة اعتمدتها القيادات الإباضية. لتوضيح هذه الفكرة لدينا رواية هامة ينقلها الشماخي في وقت متأخر عن العصر الرستمي، ويتضح نصها كالتالي: "إن المسلمين ورؤساء العابدين وكبراء الزاهدين وجماعة المؤمنين اتفقوا أن يتخيروا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا للإسلام، فأرسلوا الرواد فطاروا أطراف تلك البلاد فاستحسنوا موضع تيهرت فاتفق رأي المسلمين على بنائها[4]". وعلى

[1] Leclerc, *op.cit.,* p. 443-446. *Corpus Inscriptionum Latinarum*, op.cit., n 9727-9730, p. 832.

[2] De Caussade, *op.cit.,* n° 82, p. 315.

[3] إضافةً إلى المعطيات السابقة، تم العثور على أحجار منقوشة تحمل أشكالًا متنوعة في الموقع التاريخي. من بين هذه الأحجار، تم العثور على طائر بشكل إوزة وتمثال نصفي مؤطر، بالإضافة إلى اثنتين من الأحجار التي تعقد في يد واحدة تاجًا مستطيل الشكل. ويُشار حسب المعطيات الواردة في سنة 1861م إلى أن هذه الأحجار المنقوشة كانت محفوظة في الموقع من قبل الدائرة العسكرية الفرنسية. أنظر: De Caussade, *op.cit.,* p. 315; Vayssettes, *op.cit.,* p. 29.

[4] الشماخي، المصدر السابق، ص43-44.

هذا الأساس، يمكن أن يُعَتَبَرَ أن مدينة تيهرت العُلْيَا خضعت لتقاليد اختيار موقع البناء كجميع المدن الإسلامية الأخرى، وقد تكونت أمثلة على ذلك من خلال اختيار القيروان كنموذج سابق لها في المغرب الإسلامي[1].

في الواقع، لا يوجد معلومات دقيقة عن المواقع التي قامت الجماعات الإباضية بزيارتها قبل اخيارهم النهائي لموقع تيهرت العُلْيَا، وذلك لأن المصادر تختلف في ذكر هذه التفاصيل، وربما يكون السبب في ذلك هو عدم توثيق بعض الأحداث بالشكل الكافي. ولكن على الأقل، سأحاول تتبع الأدلة المتاحة والمسارات المعروفة التي يُعتقد أن الإباضية اتبعوها للوصول إلى المنطقة، وذلك لفهم العوامل التي أدت إلى اختيارهم النهائي لموقع تيهرت العُلْيَا.

1-5 سوف-اجج: قاعدة اجتماع جنوبية للبحث عن مكان بناء مدينة.

تُجمع الروايات المكتوبة، سواء المغربية أو المشرقية، على تفسير خسارة الجماعات الإباضية لمدينة القيروان لصالح الجيش العباسي في سنة 144هـ (761م). ومن المهم أن نُلاحِظَ أن الحدث سيكون بمثابة الدافع الأساسي الذي أدى إلى لجوء عبد الرحمان بن رستم[2] إلى عمق بلاد المغرب، وتحديداً المناطق التي تضم مواطن جماعات لماية. ويظهر من خلال بعض الروايات أن السبب الأساسي لهذا الانتقال هو وجود حلف قديم بين الطرفين، في حين ربما هناك أسباب أخرى مهمة، وهي وجود فضاء محيط يسمح بإعادة ترتيب أمور الدعوة والحكم في تلك المناطق التي تتميز بتضاريس معقدة، كما أنها تبعد عن مركز السلطة العباسية في بلاد المغرب.

قام بعض الباحثين بمحاولة إيجاد تفسير لهذه المسألة، وقد اعتمدوا في بناء تحليلاتهم على مجموعة من الروايات التي تبدو متناقضة مع بعضها[3]، حيث تشير " أن ابن رستم عند تحوله من القيروان سنة 144هـ (761م) نزل على لماية في موضع المدينة تيهرت القديمة، ثم اهتدوا فيما بعد أنه أفضل بقعة حصينة يمكن لهم الاستقرار

---

[1] حول هذه المسألة القيروانية راجع التحليل في كتاب: محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، المجمع التونسي للعلوم والأدب والفنون، تونس، بيت الحكمة، 2009، ص33.

[2] أنظر الترجمة التي قدمتها: Virginie Prévost, «Abd al-Raḥmān b. Rustam», *the Encyclopaedia of Islam Three,* Leiden, Brill, (2011), p. 1-2.

[3] من بين هذه النصوص نذكر بشكل خاص: البكري، المصدر السابق، ج2، ص735. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص105.

فيها[1]". ولكن في رأيي، تعاني هذه القراءة من ضعف في الدليل التاريخي الموثوق، خصوصًا وأن المعلومات تُظهِرُ أن تأسيس الموقع كان بعد حوالي 16 سنة من هزيمة القيروان ودخولهم بلاد المغرب. وبالتالي، يتعين علينا التساؤل: ما هو السبب وراء هذا التأخير في بنائهم للمدينة في نفس الموقع الذي اختاروه؟

يوضح أبو زكريا الورجلاني في كتابه "السير" أن الإباضيين "اتفقوا أن ينتخبوا موضعًا يبنون فيه مدينة تكون حرزاً وحصنًا للإسلام، فأرسلوا الروافد في الأرض فرجعوا فدلوهم على تاهرت[2]". وبالتالي، هذا يُوضِحُ أن موقع تيهرت العُلْيَا كان مختارًا بناءً على اعتبارات أخرى، وليس ضمن حدود مجالات لماية الإباضية.

لكي نؤكد ونوضح هذه النقاط بشكل أفضل، يشير الدرجيني إلى أن أتباع ابن رستم القادمين من إفريقية بعد هزيمة القيروان "وصلوا حول وادي أجج وهو جبل منيع قصده عبد الرحمان وتحصن به[3]". وفي نفس السياق، يشير أيضًا "أنَّ عبد الرحمان لما تحصن بوادي أجج وتحصن بالجبل لحقه هناك ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس وسمع ابن الأشعث بذلك، فأقبل مجداً معداً في طلبه فأخبر أنَّه في جبل منيع حتى وصله، فحاصر عبد الرحمان بعد أن عسكر على عسكره مخافة أن يأتيه ابن رستم وأصحابه، فأطال المكث تحته، فوخم عسكر ابن الأشعث ووقع فيهم الجدري، ومات منهم خلق كثير، فجمع ابن الأشعث أصحابه فقال لهم مستشيرا: قد رأيتم هؤلاء القوم وماهم فيه من المنعة واقامتنا عليهم لا تُجدي شيئا، فرجع إلى القيروان وقد يئس من عبد الرحمان وأصحابه[4]".

---

[1] على سبيل المثال: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص23. عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م، ص30. فاطمة مطهري، تاريخ وحضارة تيهرت الرستمية، الجزائر، النشر الجامعي الجديد، 2017م، ص278. فاطمة جلجل، المرجع السابق، ص61.

[2] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص81.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص36.

[4] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

تُسلط هذه الرواية الضوء على أمرين: الأول هو حجم الحصانة الطبيعية التي يتمتع بها المكان، والتي لا تتوافق مع المظهر الجيولوجي لجبل جزول. والأمر الثاني هو استخدام الطوبونيم "وادي أجج" لأول مرة، ومن المؤكد أنه لم يُسجل استخدام هذا التسمية في أي مرحلة تاريخية سابقة للحصار أو بعده في موقع المدينة تيهرت.

في كتابه "تاريخ المغرب الكبير"، يشير محمد علي دبوز إلى إجابة حول تحديد موقع سوف أجج. وقد استند دبوز في ذلك إلى الذاكرة الشفوية التي حصل عليها من مقربٍ له، والتي تُشير إلى تواصل الطوبونيم المركب "عين سوف-أقيق/سوف-أجج". وهذا الطوبونيم يُشير إلى منطقة تقع بين مدينة الشلالة شرقاً والسوقر غرباً، وبالتحديد جنوب ولاية تيارت الحالية [1].

وتأكيدا لهذا الطرح من خلال بعض نتائج البحوث الجيولوجية التي ركيزة في دراسة مواضيع الجغرافيا التاريخية، وجدت أنَّ الباحث والش (Jules Welsch) نُشر له مقال سنة 1890م حول الأراضي الجوراسية جنوب الونشريس، وبتعرضه لهذا القسم المجالي بيّن وجود استعمال للطوبونيم "سوف-أجج" في المنطقة القريبة من جبل قوجيلة[2]. ونفس الأمر بالنسبة للفريق الذي أشرف عليه ستيفان قزال (Stéphane Gsell) في إعداد كتاب الأطلس الأثري للجزائر مع بداية القرن العشرين، بحيث نُلاحظ تسجيله لاستخدام الطوبونيم "سوفقيق" في نفس الجهة الغربية من المقاطعة الأثرية لمنطقة الشلالة، وبالضبط حيث الترميز (36) الذي يُوضح وجود بقايا قصر قديم في المنطقة[3].

تؤكد بعض البحوث الجيولوجية هذا التصور في دراسة مواضيع الجغرافية التاريخية. فقد نُشِرَ مقال للباحث جولز ويلش (Jules Welsch) في سنة 1890م حول الأراضي الجوراسية جنوب الونشريس، وقد أظهرت هذه

[1] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010م، ج2، ص237.

[2] Jules Welsch, « Les terrains jurassiques dans les environs de Tiaret, Frenda et Saida (département d'Oran, Algérie) », *Bulletin de la société géologique de France*, 18, (1890), P. 439.

[3] وفقاً لشهادة ستيفان قزال، فإنه يبدو من الصعب تحديد الفترة التاريخية التي يرجع إليها هذا المبنى الأثري. ينظر.

_ Stéphane Gsell, *op.cit.,* feuille 34, n 36.

الدراسة وجود استعمال للطوبونيم "سوف-أجج" في المنطقة القريبة من جبل قوجيلة[1]. كما وجد الفريق الذي قاده ستيفان قزال (Stéphane Gsell) في إعداد كتاب "الأطلس الأثري للجزائر" في بداية القرن العشرين، تسجيلًا لاستخدام الطوبونيم "سوفقيق" في نفس الجهة الغربية من المقاطعة الأثرية لمنطقة الشلالة، مُظهرًا وجود بقايا قصر قديم في تلك المنطقة[2].

{موقع سوف-أجج على خريطة الأطلس الأثري للجزائر}
Stéphane Gsell, op.cit., feuille 34, n° 36.

[1] Jules Welsch, « Les terrains jurassiques dans les environs de Tiaret, Frenda et Saida (département d'Oran, Algérie) », *Bulletin de la société géologique de France*, 18, (1890), P. 439.

[2] يبدو أنه من الصعب، وفقاً لشهادة قزال، تحديد الفترة التاريخية التي يعود إليها هذا المبنى الأثري. ينظر.
_ Stéphane Gsell, *op.cit.,* feuille 34, n 36.

بالإضافة إلى ما تم ذكره سابقاً، يُلاحظ من خلال الملاحظة التضاريسية للموقع وجود تطابق واضح مع ما ذكره الدرجيني حول الحصانة الطبيعية التي تميز المنطقة بشكل عام.

توضح جميع المعلومات المذكورة أن المكان كان موضع اجتماع الإباضية بعد هزيمة القيروان في سنة 144هـ (761م)، ومن خلال هذا المكان، تم اختيار موقع تيهرت العُلْيَا كمقر لمدينتهم المستقبلية (التي تبعد نحو 70 كيلومترًا). هذا وتجدر الإشارة أنه لا يوجد أي دليل ينفي أن الموقع كان جزءًا من الإقليم الإسمي لتيهرت. ومع ذلك، فإن فرضية أن الموقع هو نفسه موقع المدينة القديمة يمكن أن تُستبعد تمامًا وتعتبر غير ممكنة.

5-2 الوافد الجديد: حدث بتاريخ مجهول

في البداية، يجب أن نولي انتباهًا لنقطة مهمة وهي أن النصوص التاريخية تشير في حديثها عن نزول الإباضية بالموقع أو ذكرها لبداية التعمير إلى فترة زمنية واحدة مشتركة، وهذا الطرح يتأكد من خلال محاولة اصلاح الموقع واختيار موضع الصلاة، حيث لا يُرى لهذه الخطوة التأجيل عند الإباضية، وسنقوم بتفصيل ذلك لاحقًا.

يُشير فايسات (Vayssettes) في سنة 1861م إلى أنه لاحظ وجود كتابة تذكارية عند أسفل قوس الباب الشمالي للمدينة، تحمل تاريخ تأسيسها وأسماء من أشرفوا على هذه المهمة[1]. مما يعني أن الإباضية قد كتبوا للأجيال المستقبلية تاريخ تأسيس مدينتهم الجديدة، وهي سابقة لم تتكرر مع مدن أخرى في بلاد الغرب الإسلامي خلال الفترة المبكرة من العصر الوسيط[2]. ولكن يعد الأمر المؤسف أن هذه الكتابة التذكارية لم يتم الحفاظ عليها، وفايسات لم ينقل لنا النص المكتوب فيها، وإلا كان بموجبها يمكننا التوصل إلى تاريخ تأسيس الموقع بشكل قاطع والتجاوز عن جميع النقاشات والشكوك التي تحيط بالموضع[3]. وبالتالي، لم يبق لدينا سوى الاعتماد على النصوص المتأخرة للحصول على المزيد من المعلومات حول هذا الموضوع.

إن الصعوبة التي نواجهها في تحديد تاريخ تحول الجماعات الإباضية إلى تعمير موضع مدينة تيهرت الأعلى لا تعود فقط إلى قلة المعلومات التاريخية، وإنما تتعلق أيضًا بطبيعة هذه المعلومات ووجود التناقضات والاختلافات في الروايات والقصص التاريخية المتناقلة. بحيث أن التاريخ الذي تم تسجيله في النصوص التاريخية قد يكون غير دقيق أو مشوب بالأخطاء.

استنادًا إلى الكثير من الروايات التي سمعها أبو زكريا الورجلاني، يذكر أن القيادات الإباضية، وتحديدًا السلالة الرستمية، استطاعت أن تحكم سيطرتها على منطقة تيهرت لمدة تتجاوز 150 سنة [4]. وبالتالي، إذا

---

[1] Vayssettes, *op.cit.,* p. 30.

[2] على الأرجح أنها محاكاة لمجموعة النقوش اللاتينية التي كانت تنتشر بكثرة في المحيط المجاور.

[3] على الرغم من الجهود المبذولة في الكشف عن هذه النقيشة، إلا أنه لا توجد أي أخبار أو دلائل على الاحتفاظ بها كقطعة تذكارية أو تسجيلها في كتابات مؤلفي القرن التاسع عشر. ويعود السبب وراء هذا الفشل بالدرجة الأولى إلى اهتمام غالبية المؤرخين والأثريين في فترة الاستعمار بفحص النقوش اللاتينية في المنطقة، مما أدى إلى تهميش الفترة الإسلامية اللاحقة ووضعها في غموض كبير.

[4] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص48.

اعتمدنا أن سقوط تيهرت بيد أبي عبد الله الداعي كان في سنة 296هـ (908م)، فإنَّ تاريخ هذا النزول يمكن أن يكون في سنة 146هـ (763م)، أي بحوالي عامين من حادثة القيروان. ومع ذلك، يجدر بنا أن نلاحظ أننا لا نعرف بالضبط مقدار هذه الزيادة التي تتجاوز 150 سنة.

بالإشارة إلى كلا من البكري وابن عذاري المراكشي، يُبينان أن فترة الإمامة الرستمية في تيهرت استمرت لمدة 130 سنة[1]، مما يعني أن نزولهم بالموقع كان في سنة 166هـ (782م). لكن حتى هذا التاريخ غير مقبول تمامًا في ظل وجود أحداث تؤكد أن الجماعات الإباضية كانت موجودة في الموقع قبل هذا التاريخ.

هُناك إشارة أخرى للبكري تفيد بأن نزول القيادات الإباضية إلى الموقع كان في نفس السنة التي وقعت فيها هزيمة القيروان، أي في سنة 144 هـ (761م). ومع ذلك، يجدر بنا أن نلاحظ أن مساهمة البكري تنقطع في توثيق مسلك الرحلة الطويلة والشاقة التي قادها عبد الرحمان بن رستم ومؤيديه وانتهت في موضع المدينة القديمة تيهرت[2]. وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن طريق الرحلة من القيروان إلى تيهرت، بتتبع كل الحيثيات والظروف المعلن عنها في المصادر، يفترض أن تكون لعدة أشهر، بداية من اجتماع المشايخ الإباضية في جبل سوف-أجج، ثم نزول ابن الأشعث[3] لحصارهم لفترة معتبرة، وصولاً إلى إرسال الخبراء في اختيار موضع مدينتهم المستقبلية. وبالتالي، فإن صحة هذا التاريخ الذي يُقدمه البكري تبدو ضعيفة جدًا.

فيما يتعلق بالنصوص المشرقية، وعلى وجه التحديد رواية ابن الأثير (ت.630هـ/1233م) والنويري (ت.733هـ/1333م) التي نقلتها عن ابن شداد الصنهاجي، نجد أنها تركز على حادثة فريدة من نوعها. تتعلق هذه الحادثة بجعل فترة نزول الجماعات الإباضية في تيهرت مقترنة بهزيمة تهوذة (Thabudeos) أمام حملة معمر بن عيسى السعدي، وذلك بعد حصار مدينة طبنة (Thubunae) سنة 153هـ (770م) [4].

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص126. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص176.

[2] البكري، المصدر نفسه، ج2، ص735.

[3] يوجد لمحمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي ترجمة متقدمة في كتاب: الكندي، الولاة والقضاة، تح محمد حسن اسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ص82.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص151؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص43.

ومع ذلك، لا يوجد شيء يشير إلى وجود علاقة بين الجماعات الإباضية والموقع التيهرتي قبل هذا الوقت. وإذا افترضنا صحة هذا الطرح في عملية التحويل، فإننا نواجه مشكلة في مسألة التخيير أو مجموعة الخبراء التي بعثت بها القيادات الإباضية في النواحي المجاورة. هل هو صحيح أن يكون لهم حُضور في وقت تدور فيه الحرب بمنطقة تهوذة؟ ثم ما حاجة الجماعات الإباضية إلى أن تتخطى المجال الممتد من تهوذة إلى تيهرت في هذا التوقيت الصعب، علماً أن أقرب المسالك سيكون مروراً بجهة المدينة طبنة؟ وبالتالي فإن هذه المعطيات لا تشكل جامعاً متجانساً مع الحدث الأبرز، وهو النزول في موقع تيهرت.

وفي إشارة أُخرى لابن شداد الصنهاجي، نقلها كلاً من ابن الأثير في القرن السابع الهجري (11م) وأبو الفداء في بدايات القرن الثامن الهجري (14)، يُذكر من خلالها أن بني رستم أحكموا السيطرة على تيهرت لمدة تزيد عن 160 سنة[1]، مما يعني أن البدايات الأولى ستكون حوالي سنة 136هـ (753م). وهذا التاريخ يُثير التساؤلات والتحير، حيث إنه مبكر حتى على خسارة القيروان في حد ذاتها.

يبدو أنَّ هزيمة بلاد الزاب قد دفعت الجماعات الإباضية للعودة إلى موقع سوف-أجج للمرة الثانية على التوالي، وذلك لوجود سببين رئيسيين. أولاً، كانوا على دراية كافية بالموقع، وكان من الضروري أن يحصنوا أنفسهم طبيعياً وبشكل جيد في الوقت الذي أصبح فيه من الصعب التصدي لخطر الولاة العباسيين. وثانيًا، كان الموقع هو نفسه الذي خرجوا منه لحصار مدينة طبنة، وعلى الأقل كانوا يملكون بعض الملكيات البسيطة هناك، وبالتالي كان من الطبيعي أن يعودوا إلى نفس المركز.

في أخبار ابن عذاري المراكشي، نجد تباينًا واضحًا حول تاريخ نزول الجماعات الإباضية في موضع تيهرت. فقد أشار إلى أنهم نزلوا في سنة 161هـ (777م) [2]، وهو التاريخ الذي اعتمده هشام جعيط عند مناقشته لتشكل

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص461. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسنية، ج2، ص66.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص207.

الدول المنفصلة عن الجناح الشرقي الذي تمثله العاصمة القيروان، بما في ذلك الدولة الرستمية[1]. ولكن ابن عذاري لم يذكر مصدر معلوماته حول هذا التاريخ بالتحديد.

علينا أن نلاحظ أن المؤلف المراكشي قدم سابقاً تواريخ متناقضة بشأن نزول الجماعات الإباضية؛ حيث ذكر تاريخ 144هـ (761م) في موضع معين، وتاريخ 166هـ (782م) في موضع آخر[2]، وهذا الاختلاف يوضح أنه اعتمد على عدة روايات مختلفة في مصادره.

من خلال المعطيات السابقة، التي تأتي متأخرة بالنسبة للصعر الرستمي ومتباينة في تفاصيلها، لم أجد أي تاريخ يكون مؤكدًا بالكامل. ومع ذلك، أعتقد أنه من الممكن أن نجد أمورًا مهمة في كتاب السير لأبي زكريا الورجلاني؛ حيث يشير إلى سماعه لروايتين مختلفتين حول مسألة مبايعة عبد الرحمان بن رستم للإمامة. الرواية الأولى تشير إلى أنه تولى الإمامة في تيهرت في سنة 160هـ (776م)، بينما الرواية الثانية تضعه في الإمامة في بداية سنة 162هـ (778م) [3]. لا نرغب حاليًا في مناقشة موضوع الإمامة الذي يستحق إعادة النظر، لكن الأمر الذي يستحق النقاش هو: لماذا تم الترجيح بين هاتين الروايتين دون إدراج تواريخ أخرى؟

يبدو أن هناك ارتباطًا تاريخيًا بين السنتين المذكورتين وعصر التأسيس، وليس تعارضًا كما يشير أبو زكريا الورجلاني. فالأكيد أنه في سنة 162هـ (778م) شهدت الجماعات ظهور نظام الإمامة من خلال مبايعة عبد الرحمان بن رستم، بالإضافة إلى نقل مشروع العاصمة المستقبلية من موقع تيهرت العُليا إلى موقع "تاقدمت" بعد فترة من الاستقرار، وسيأتي التفصيل في ذلك لاحقاً

وبناءً على هذه النقاط، يمكن أن يكون تاريخ 160هـ (776م) مؤشرًا مهمًا لنزول الجماعات الإباضية إلى موقع تيهرت العُليا وتعميرها. ولتعزيز هذا الطرح، هناك مجموعة من الدلائل، فسواء تمت مبايعة عبد الرحمان بن رستم في هذه السنة أو غيرها، فإن الرواية التي سمعها أبو زكريا تشير بوضوح إلى وجوده في تيهرت سنة 160هـ

---

[1] Hichem Djait, « L'Afrique arabe au VIIIe siècle (86-184 H./705-800) », *Annales. Économies, Sociétés, Civilisations*, 28-3, (1973), p. 602.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص105.

[3] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص81. ثم أعاد نقلها الدرجيني دون أي زيادة. أنظر: المصدر السابق، ج1، ص40.

(776م)، مما يعني وجود الاباضية بالمدينة في هذا التاريخ. ومن ناحية أخرى، تُعتبر هذه السنة أول إشارة للجماعات الإباضية في النصوص الإخبارية منذ هزيمة تهوذة سنة 153هـ (770م)، بالإضافة إلى أن رواية ابن عذاري السابقة (التي تتمحور حول تاريخ 161هـ / 777م) تكون أقرب بكثير إلى هذا التحديد. وأخيرًا، من الناحية النظرية، يمكن اعتبار فترة الترقب من موقع سوفجج لمدة حوالي 06 سنوات كافية لترتيب أمور مجلس الشورى ومن ثم صناعة القرار الهام في اختيار مكان التحول إلى مدينة تيهرت وتعميرها.

6- منطلقات في التعمير الإباضي

6-1 إشكالية تُطرح حول الملكية العقارية

لمناقشة هذه المسألة المتعلقة بالملكية العقارية في عمقها التاريخي، نجد أنفسنا أمام روايتين إباضيتين متعارضتين جذريا. الرواية الأولى سجلها أبو زكريا الورجلاني في العقد السابع من القرن الخامس للهجرة (11م) وقد جاء فيها: " فاتفق جمهور المسلمين مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة أن يأخذوها من غلتها. وقد كانت قبل ذلك غياضا عامرة بالوحوش والسباع والهوام[1]".

ما يُلاحظ هو أن هذه الرواية تمّ نقلها من قِبل الدرجيني في نص "طبقات المشائخ" خلال القرن السابع الهجري (13م)[2]، ثم نُقِلت بعدها بفترة من قِبل الشماخي خلال القرن العاشر الهجري (16م) في جزء تراجم علماء المغرب من كتاب السير، لكن من دون تقديم أي جديد فيما يتعلق بالمسألة[3].

عند وضع هذه الرواية في السياق التاريخي والنظر إلى المقاربات المكانية، يتبين لنا أن أبا زكريا الورجلاني قد اختلط بين موضعين للمدينة، وهما تيهرت الأعلى وتيهرت الأسفل، مما يُظهِر وجهة نظر ضعيفة أو مستبعدة. فالتناقض بين وصف المكان بأنه كان مأهولًا بالوحوش والسباع والهوام، وبين عقد اتفاق مع أهل تيهرت القديمة يجعل الرواية تبدو غير منطقية وقد تحمل في طياتها جوانب أسطورية.

[1] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص81.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص40.

[3] الشماخي، المصدر السابق، ص43-44.

ومن الواضح أن تيهرت الأعلى كانت الموقع الذي اتفقت الجماعات الإباضية على بنائه في البداية، وهو نفس الموضع الذي أُخرِجت منه الوحوش بحسب القصة الأسطورية. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف تم تحويل ملكية المكان من المدينة الرومانية السابقة إلى أي من الجماعات البربرية، سواء كانت بواقي الفتح أو التي استوطنت المنطقة في وقت لاحق؟ وفي حالة طرح هذه الوضعية حول موقع تيهرت الأعلى، فما هي وضعية مدينة تيهرت/تاقدمت في هذا السياق التاريخي؟

يعود سبب ضعف هذه الرواية إلى أن أبا زكريا الورجلاني قد اعتمد الكثير من الروايات التي سمعها بدون تحقق من صحتها. وهذه الرواية التي نناقشها تُعتبر مثالًا على ذلك، حيث يبدأ بالقول: "حدث غير واحد من أصحابنا... [1]"، مما يُظهِر عدم التأكد من مصدر الرواية. ومن جهتها، توصلت الباحثة البلجيكية فرجينو بريفو (Virginie Prévost)، التي أجرت العديد من الدراسات حول النصوص الإباضية، إلى استنتاج عام بأنه يجب التعامل بحذر شديد مع بعض مواضيع كتاب السير، وقد اعتبرت بعض الروايات والمعلومات غير قابلة للاستخدام[2]. ومع ذلك، فإن هذا الضعف لا يُقلِّل من أهمية المصدر ككل في الحفاظ على بعض عناصر الذاكرة الإباضية وإثراء معرفتنا بتاريخ تلك الفترة.

تم نقل الرواية الثانية في نص الدرجيني خلال منتصف القرن السابع الهجري (13م)، حيث ورد فيها: "وكان موضع تاهرت لقوم مستضعفين من منداس وصنهاجة فراودهم عبد الرحمان على البيع فأبوا فوافقهم أن يؤدوا إليهم الخراج من الأسواق ويبيحون لهم بنيان المساكن، فبنوا واختطوا وسمي موضع تاهرت معسكر عبد الرحمان[3]". يبدو أن المصدر الذي اعتمد عليه المؤلف في نقل هذه الرواية هو محمد بن يوسف الوراق (ت.362هـ/973م)[4]

---

[1] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص81.

[2] Virginie Prévost, « L'ibadisme berbère. La légitimation d'une doctrine venue d'Orient», *La légitimation du pouvoir au Maghreb médiéval. De l'orientalisation à l'émancipation politique, Madrid, Casa de Velázquez*, 2011, p. 55.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص43.

[4] أشار المؤلف إلى ذلك في النص السابق.

الذي له تأليف مفقود في أخبار تيهرت وممالك بلاد المغرب خلال فترة نشاطه العلمي في السنوات ما بين 318-359هـ (930-970م)، وتُعتبر معطياته مهمة حول هذا المبحث.

تم نقل هذه الرواية أيضًا بواسطة البكري في جغرافية المسالك والممالك عن محمد بن يوسف الوراق[1]. إلا أن ما ميز نسخة القرن السابع الهجري (13م)، وبالتحديد النقل الذي كتبه الدرجيني، هو تكملة النص الذي يحدد طوبونيم الموضع الذي وقع عليه الاتفاق، وهو "تاهرت معسكر عبد الرحمان"، وهذا الطوبونيم لا يمكن أن ينطبق سوى مع مدينة تيهرت/تاقدمت فقط.

من المهم أن نلاحظ أن صيغة العقد المتفق عليه (خراج السوق) تشير إلى التفكير في إنشاء المدينة الجديدة "تيهرت/ تاقدمت" كعاصمة سياسية واقتصادية. وهذه المدينة هي التي يُمكن رؤية تطور حركتها التجارية تتحقق بشكل واضح خلال فترة الإمام الثاني عبد الوهاب بن رستم. والجدير بالإشارة أيضاً، هو وجود الطوبونيما التي تُظهر توطين جماعات بني منداسة/منداس وحتى صنهاجة في هذا المحيط القريب من المدينة الجديدة، في المقابل لا يوجد لهم أي حضور في المدينة القديمة[2].

والحصيلة، يُمكن القول إن المسألة العقارية في نشأة مدينة تاهرت الأعلى لم تكن مطروحة ولم تكن الجماعات الإباضية النازلة في حاجة إلى إذن أو اتفاق مسبق مع أي نوع من الجماعات الأُخرى، على غرار ما حدث في القيروان عند أول التعمير على منطقة سهل قمونية[3]. وبالتالي، يمكن القول إن أبا زكريا الورجلاني قد حصل معه اختلاف في تنظيم الروايات وتحديد الجهة المعنية بالمسألة.

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734-735.

[2] تُشير بعض الروايات إلى أن صنهاجة لعبت دورًا مهمًا في المدينة "تيهرت/ تاقدمت" خلال الفترة التي شهدت فتنة الإمام أبو حاتم. أنظر: (ابن الصغير، المصدر السابق ص91). أما بالنسبة لجماعات بني منداسة، يظهر أن اسمها يرتبط بالمنطقة الشمالية من المدينة. ومع مرور الوقت، أصبح اسمها مُرتبطًا ببلدية في جنوب ولاية غليزان.

[3] فيما يتعلق بالمسألة العقارية لموقع مدينة القيروان، راجع بشكل خاص: محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع: فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص70. نفس المؤلف، القيروان في عيون الرحالة، المرجع السابق، ص31.

2-6 نحو التأسيس الميثولوجي

لا يمكن إنكار المساهمة التي قدّمها أبو زكريا الورجلاني في نقل بعض الأساطير، فقد أورد قصةً تقول: "فلما اتفقوا على عمارتها، أمروا مناديًا ينادي إلى من بها من الوحوش والسباع أن أخرجوا، فإنا أردنا عمارة هذه الأرض، وأجلوا لها ثلاثة أيام، وبلغنا أنهم رأوا بها وحشًا تحمل أولادها في أفواهها خارجة منها[1]".

ما يُلاحظ أن هذا التوظيف الميثولوجي ليس جديدًا، وإنما نجده يتكرر بنفس الطريقة التي تم بها تأسيس مدينة القيروان على يد عقبة بن نافع في سنة 50هـ (670م)[2]. وقد قام الباحث التونسي محمد حسن بتفسير بلورة هذه الرواية الأسطورية بأنها تعود بالأساس إلى الانطلاق في بناء العاصمة المتقدمة لمواصلة الفتح الأموي، حيث ذكر "أنه اكتسى صبغة رسمية ودار في احتفال عظيم وجلبة شديدة روعت أمن وحوش المكان، فكان هذا الاحتفال مصدرًا لتلك الأساطير التي تقص علينا كيف أخذت السباع تخرج من الشعراء سمعًا وطاعة لأمر عقبة لها بالرحيل[3]". لكن الأمر يختلف تماماً في تيهرت، بحيث لا يمكن لهذه الفرضية أو القراءة أن تنطبق على تأسيس مدينة تيهرت الأعلى نظراً لاختلاف الظروف الطبيعية والسياسية المحيطة بها وتغير الجماعات وتطور الذهنيات والممارسات. ومع ذلك، نُلاحظ أن الرواية بقيت واحدة تسجل الاستمرارية، وتُسجِلُ أيضًا وجود تفاعل إيجابي معها في بعض الدراسات.

في نظري ومن دون مبالغة، يمكن اعتبار أن البعض من الإباضية قد اقترحوا سياقًا إيديولوجيًا يمكن أن تتطور فيه هذه الأسطورة لتصنع موازنة بين مدينتين (القيروان وتيهرت الأعلى) يتم تسويقه لاستقطاب أكبر عدد من الجماعات الوافدة، بما في ذلك السلالات القادمة من الشرق بشكل مهم، فهي تهدف إلى تعمير الموضع وتشكيل قوة جديدة في عمق مجالات بلاد المغرب. هذا من جهة، ومن جهة ثانية سيعبر هذا الشعور بأنَّ عبد

[1] أبو زكريا الورجلاني، النص، ص81. وبما أنَّ للمؤلفين الإباضيين توجه النسخ عن بعضهم البعض نجد أنَّ الدرجيني قد أعاد نقلها، النص ج1، ص41؛ ومن بعده الشماخي، النص، ص43-44.

[2] نجد أقدم تسجيل لهذه الرواية الأسطورة في كتاب: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح شارلزتوري، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1999م، ج2، ص196.

[3] محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، ص33.

الرحمان بن رستم ليس بأقل درجة من كرامات عقبة بن نافع في الحصول على الشرعية القيادية _الموجودة أصلاً_ ومن ثم الحصول على رتبة الإمامة.

يبدو أن هناك تفسيراً واحداً فقط يسمح بنقل هذه الحيوانات المفترسة خارج محيط المنطقة، إن كانت موجودة فعلاً، وهو تلك النار التي أطلقها النازلون الجدد لإحراق الأشجار بهدف وضع خطط بناء جديدة. ولكن أكثر إفادة هو أنَّ القصة التي يرويها كل من الدرجيني والشماخي فيما يخص وضع الحيس للخنازير حتى تقتلع الجذور بعد عملية التحريق وتفسيرها على أساس نوع من الحيل للتخفيف من العمل الشاق ومسابقة الزمن تبدو هي الأخرى مجرد أسطورة لا أكثر[1]، وقبل هذا، نرى كيف كان يُلح أصحاب هذه الروايات على كرامات عبد الرحمان بن رستم، لكن ترجع بعد ذلك وتفسر أن للخنازير دوراً مهماً في عمليات الإصلاح. وبالتالي، هل بقاؤها في نظر مؤلفي هذه القصص يجعلها غير معنية بالحيوانات المخاطبة بالخروج من الموقع؟ يبدو أننا بحاجة ماسة إلى التعمق في هذا النوع من الروايات قبل استخدامها بشكل نهائي.

7- محاولة إعادة تشكيل الفضاء الحضري للمدينة الوسيطة

يثير شبح الغموض الذي يحيط بالمدينة استحالة تقديم الصورة المجهرية للعمران الخاص بها، وذلك نظراً لفقر المعلومات والمصادر المتعلقة بالموضوع. وفي المقابل، يلاحظ اهتمامًا واضحًا من المؤلفات الإباضية المتأخرة بجمع الروايات الخاصة بالحضور الروحي للائمة والزهاد، وطبيعي أن تتخلل سيرهم مجموعة قليلة جدًا من الإشارات للمنشآت الدينية والمظاهر التحصينية. وبالتالي، تبقى المعالم المدنية مجهولة في الوقت الحالي، مما يجعل من الصعب فهم خطط البناء بالدقة اللازمة.

7-1 الحصن القديم

أثناء تشييد مدينتهم الخاصة، كانت الإباضية بحاجة إلى البنايات الدفاعية القديمة، وهذا الأمر منطقي للغاية نظرًا لتهديدات الموالين للعباسيين في جهة تُعد أقل حصانة طبيعية مقارنة بما كانت عليه في جبل سوف-أجج. وبالمقابل، تُعتبر النصوص المسجلة حول الموقع "الحصن" حلقة مظلمة لا تكفي وحدها لتقديم قياسات

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص41. الشماخي، المصدر السابق، ص43-44.

جغرافية بعد التغير الجذري الذي شهده الموقع والضاحية معًا. لذلك، كان علينا أن ننتظر حتى سنة 1843م عندما قدَّم الضابط الفرنسي أزيما دو مونقرافيي (Azéma de Montgravier) رسمًا مهمًا يتضمن المخطط العام لبقايا أثار الموقع.

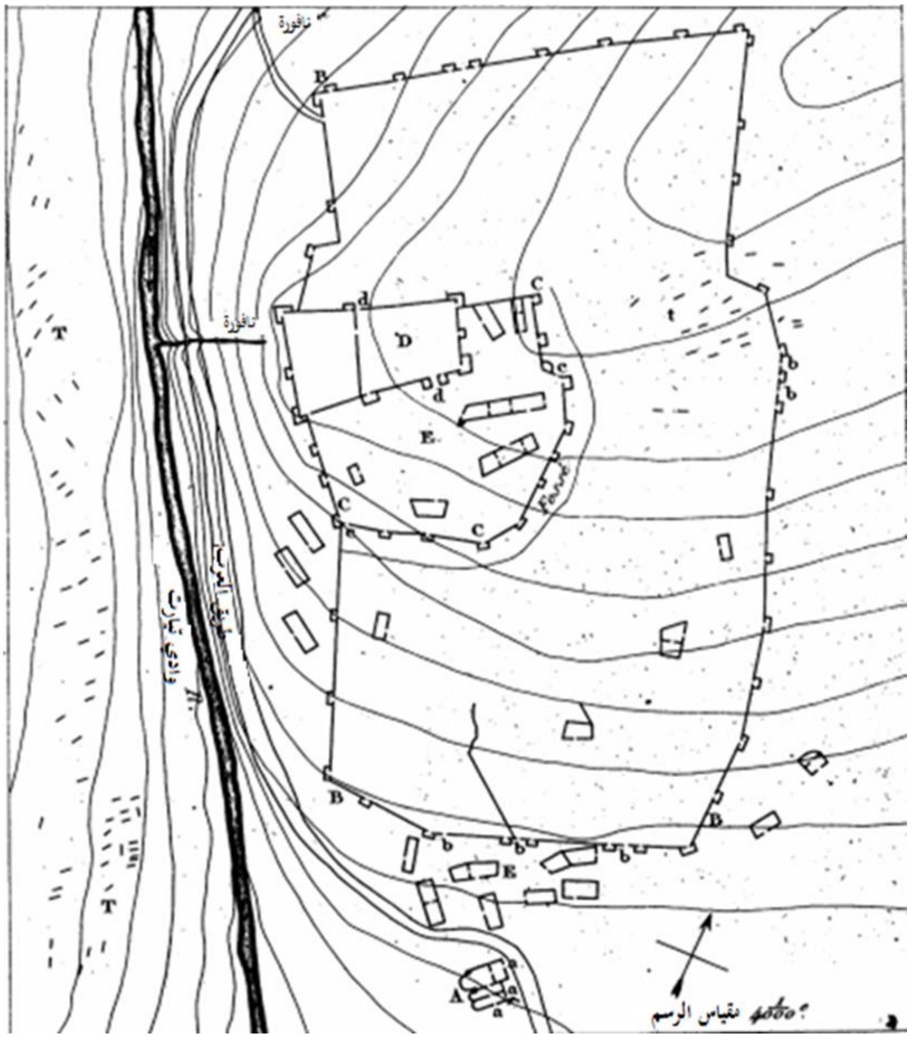

المخطط العام لآثار منطقة تيهرت الأعلى حسب أزيما دو مونقرافي «Azéma de Montgravier» سنة 1843م

A . المبنى.
B . تحصين المدينة.
C . بدايات التحصين للمخيم . .
D . القلعة أو المعقل.
E . تأسيس المباني العامة والخاصة.
T .قبور رومانية محفورة على الصخر .

a . باب المبنى. A.
b . باب تحصين المدينة. B.
c. باب التحصين. C.
d . باب التحصين. D.
t . مقبرة عربية .

من خلال المخطط، يمكننا ملاحظة تمركز الحصن في الجهة الغربية، حيث يميل نسبيًا إلى الشمال من المساحة العامة. وهذا التحديد يؤكد ما أشار إليه روني كانيا (René Cagnat) في كتابه المنشور في عام 1892م حول الجيش الروماني في إفريقيا[1]، أين استند في دراسته إلى مجموعة مهمة من المعطيات الميدانية والتقارير العسكرية،

[1] توجد ترجمة للمؤلف عند: René Dussaud, « Notice sur la vie et les travaux de M. René Cagnat », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,* 81-5, (1937), p. 374-389.

بالإضافة إلى فكرة المخطط السابق لأزيما. وتوصل في النهاية إلى استنتاج مفاده أن هذا الحصن، الذي يشهد انخفاضًا نسبيًا، هو فعلًا الموقع القديم للمدينة[1].

لفهم وضع الحصن في الفترة الوسيطة، ينبغي إلقاء الضوء على معلومة مهمة تتعلق باستخدام نوعين من الطوبونيم وهما:

1_ **حصن إِغْزَرْ**: الاستخدام الأول والأخير لهذا الطوبونيم جاء متأخرًا نسبيًا، يُعزى إلى بدايات القرن الثامن الهجري (14م)، حين أشار ابن عذاري المراكشي إلى إعادة "فتح أبو القاسم بن عبيد الله حصن أغزر" في سنة 316هـ (928م)، وذلك بعد الانتفاضة التي نظمها السكان المحليون على العامل الفاطمي في تيهرت[2]. أما بالنسبة إلى مدلوله، فهو ينحدر من اللغة المحلية (البربرية) المتعلقة بالمظهر الهيدروغرافي للمنطقة. وبناءً على المعطيات السابقة التي أكدت أن موقع الحصن يقع بالقرب من الوادي الذي أشار إليه البكري بالهيدرونيم "تاتش"[3]، وهو الوادي المعروف اليوم بوادي تيارت، يتضح أن حصن أغزر يحمل في معناه "الحصن بجوار الوادي[4]".

---

[1] René Cagnat, *L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Ernest Leroux, Paris, 1892, p. 600.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص205.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص735. في حين أن صاحب كتاب "الاستبصار"، ذكر هذا الهيدرونيم بوادي "تانس" عند نقله المؤكد عن جغرافية البكري (الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م، ص178).

[4] حول التواصل الطوبونومي في مناطق واسعة من المغرب الإسلامي، نجد أنه يرتبط في كثير من الأحيان بأسماء مجاري مائية تتميز بغزارة الأشجار، ومن بين الأمثلة نجد، "وادي أغزر" الذي أشار إليه ابن الزيات بجوار مدينة مراكش، من الناحية الشمالية الشرقية، وقد أصبح في الوقت الحاضر يُعرف باسم "وادي إيسيل" (ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، 1984م، ص341. محمد البركة وآخرون، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، المغرب الأقصى، أفريقيا الشرق، 2012م، ص 34). ويوجد أيضاً "وادي أغزر أملال" الواقع في الأوراس، والذي ينبع من قمة شيليا وقمم أشمول وأريس. بالإضافة إلى "وادي أغزر أمقران" في منطقة بجاية. و"قصر أغزر" في واحة تيميمون.

وهناك أيضًا إشارة إلى مدينة متيجة التي كانت تُعرف بطوبونيم "أغزرنة" في العصر الوسيط، وقد نبه البكري خلال القرن الخامس الهجري إلى أن هذه التسمية مشتقة بشكل غير دقيق من طوبونيم "إغزر". أنظر: البكري، المصدر السابق، ج2، ص744.

2_ **حصن برقجانة**: يعد البكري أول من استخدام هذا الطوبونيم في كتابه "المسالك والممالك" خلال القرن الخامس الهجري (11م)، ولكن بطريقة غير كافية. فقد اكتفى بإبراز أن "تيهرت القديمة، وهي حصن لبرقجانة، ... إنّ بشرقيها حصناً لبرقجانة، وهو تيهرت القديمة[1]". ولكنه لم يشير إلى بداية هذا الاستخدام الطوبونيمي على الحصن، والذي ترتبط نسبته بإحدى الجماعات الغريبة في النسب[2]. ومن جهته، يبدو أن الحموي نقل هذا الاسم خلال القرن السابع الهجري (12م)، ولكن بتصحيف الطوبونيم إلى "حصن ابن بخاثة[3]"، وهو خطأ ربما وقع أثناء عملية النسخ.

هناك نقص في المعلومات المتوفرة حول مكونات الحصن وتوطين الجماعات والاثنيات خلال القرون الأولى من التاريخ الوسيط. باستثناء ثلاث إشارات مذكورة في كتاب البيان لابن عذاري المراكشي، تُوثِّق الأولى منها أقدم عملية فتح أموية للمنطقة في سنة 62هـ (681م). ومن خلالها، يظهر أنَّ الحصن كان يحتوي على مدخل تم الإشارة إليه عندما حقق القائد عقبة بن نافع انتصاراً في ناحية سهل سرسو على بقايا التحالف البيزنطي-الموري، حيث ذكر:"وسبقتهم خيل المسلمين إلى باب مدينتهم فأفنوهم وقطعوا أثارهم[4]". وعلى الرغم من ذلك، فإن الرواية لم تقدم تحديدًا واضحًا للجهة التي يقع فيها الباب، كما لم توضح ما إذا كان للحصن مجرد مدخل واحد أم عدة أبواب.

من خلال المخطط السابق، يُظهر أزيما دو منقرافيي أنَّ الحصن يحتوي على بابين؛ الأول يخترق السور الجنوبي، ويبدو أنه ذو أهمية بحكم الانفتاح الاستراتيجي على المنطقة السهلية في القديم. مع احتمال وارد أن

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 734- 735.

[2] لمراجعة النسب حول يوغرطة وهذه الجماعات، أنظر التحليل في: Mbarek Redjala, «Les Barghwâta (origine de leur nom)», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 35, (1983), p. 121; Charles-Emmanuel Dufourcq, «La coexistence des chrétiens et des musulmans dans Al-Andalus et dans le Maghrib du Xe siècle», *Occident et Orient au Xe Siecle: Actes du IXe congrès de la Société des Historiens Médiévistes de l'Enseignement Supérieur Public* Paris, (1979), p. 211.

[3] الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

يكون هذا الباب هو نفس الباب الذي أشار إليه ابن عذاري سابقاً، ويُعَدُّ مسلكًا بسيطًا للاتصال مع مركز المدينة الوسيطة. أمَّا الباب الثاني، فيستند على حائط الشمال، والظاهر أنه أقل أهمية مقارنة مع الباب الأول.

بعد نحو 68 سنة من تقديم أزيما دو مونقرافيي لمخطط المدينة، نجد أن ستيفان قزال يُشير إلى وجود باب واحد فقط يفتح في الجهة الجنوبية، ولكنه لم يقدم توضيحًا حول غياب المدخل الثاني[1]، ومع ذلك، قد يكون غياب المدخل الثاني ناتجًا عن تحول المشهد العام للبناء بعد إنشاء المركز العسكري الفرنسي على الموقع.

لا شك في أنَّ الحصن قد أصبح يأخذ قيمته الدفاعية من الموروث الروماني خلال فترة إحكام السيطرة الفاطمية على المجال، وذلك من خلال محاولة الحفاظ على التبعية الإقليمية أمام المعارضة المحلية الشديدة[2].

في رواية ثانية، بالموازاة مع سنة 299هـ (911م)، تشير إلى أنَّ عامل الخليفة المهدي بالله على تيهرت وهو دواس بن صولات قام بحبس بني دبوس لما سمع بمباطنة محمد بن خزر ومطالبته بتحرير المدينة من السيطرة الفاطمية داخل هذا الحصن[3]. وبالتالي، يُفترض أن يتضمن الحصن دوراً داخلية للحبس، ولكن يبقى من الصعب جدًا تحديد بدايات استخدامها بدقة. ومن جهته، ذكر ستيفان قزال بالاعتماد على الشواهد الأثرية أن للحصن الروماني ثلاث بنايات رئيسية، يضم كل منها معقلًا صغيرًا[4].

وأخيراً، يُشير ابن عذاري المراكشي إلى أنَّ الإمام القائم بأمر الله الفاطمي قد هدّم سور الحصن في سنة 316هـ (928م)، وذلك أثناء استعادة السيطرة الفاطمية على الفضاء التيهرتي بعدما فقدتها لفترة وجيزة، ويصف بدقة ما حدث: "نقب السور عليهم حتى سقط، وهلك ممن كان تحته وفوقه عدد كثير، فلما نظروا إلى الغلبة

[1] Stéphane Gsell, *op.cit.,* feuille 33, n° 14.

[2] نجد أن أغلب النزاعات والمعارضات المحلية القائمة خلال الفترة الرستمية كانت تتجه نحو مركز العاصمة الجديدة تيهرت/تاقدمت.

[3] ابن عذاري، المراكشي، ج1، ص191.

[4] Stéphane Gsell, *op.cit.,* feuille 33, n° 14.

أحرقوا الأمتعة، وعرقبوا الدواب والمواشي، وقاتلوا الشيعة حتى قُتلوا وأُسر منهم من استأسر وانتهب ما في الحصن[1]".

من خلال هذه الرواية السابقة، يُمكن أن نُلاحظ مدى قوة هذا السور، وتضمنه لمجموعة من الأبراج، وذلك حسب ما جاء في عبارة "هلك ممن كان تحته وفوقه". ومن جانبه، لقد ركز أزيما دو منقرافيي في كتابته للتقرير على الإشارة لقوته رغم عديد الثورات التي شهدها[2]، مما يعني أنَّ رواية التهديم التي ذكرها ابن عذاري[3] كانت جزئية فقط ولم تشمل كل الحصن. هذا ومن غير المستبعد أن تكون السلطة الفاطمية هي من أعادت ترميمه لصد خطر زناتة النصرية عموما وبني خزر بشكل خاص.

لا توجد معلومات مؤكدة حول طول وارتفاع السور، سواء في النصوص القديمة والوسيطة أو حتى التقارير الأثرية الحديثة. وبالتالي، من المجازفة أن نقترح رقماً غير مؤكد. هناك فقط مُلاحظات فايسات (Vayssettes) خلال سنة 1861م التي تسمح بتقدير سمك الحائط بحوالي 2،5 متر[4]، وهو تقريبا نفس الحجم أو السمك الذي أكده ستيفان قزال في زيارته للموقع[5].

ومرة أخرى، يُشار إلى أن الحصن كان صرحًا كبيرًا واحتوى على برجين، لكنهما تضررا نتيجة الصراعات المتكررة حول الموقع[6].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص205. أنظر دراسة: Allaoua Amara, «Les Fatimides et le Maghreb central, *op. cit.,* p. 117.

[2] Azéma de Montgravier, *op.cit.,* p. 675.

[3] "نقب السور عليهم حتى سقط، وهلك ممن كان تحته وفوقه عدد كثير، فلما نظروا إلى الغلبة أحرقوا الأمتعة، وعرقبوا الدواب والمواشي، وقاتلوا الشيعة حتى قُتلوا وأُسر منهم من استأسر وانتهب ما في الحصن".

[4] Vayssettes, *op.cit.,* p. 29.

[5] Stéphane Gsell, *op.cit.,* feuille 33, n° 14.

[6] Vayssettes, *op.cit.,* p. 29.

بناءً على المعلومات المتوفرة، يبدو أن الحصن كان يحتوي على مخازن للأمتعة وقد تكون في شكل غرف، وكذلك مرابط للدواب والماشية[1]. بالإضافة إلى ذلك، يُفترض وجود مجموعة من السكنات التي احتاجتها جماعات برقجانة للاستمرار في التوطين[2].

7-2 المسجد الجامع

من التقاليد المتعارف عليها عند الجماعات المسلمة، بغض النظر عن تركيباتها السياسية والمذهبية، هو تأسيس المدينة الإسلامية بتأكيد اختيار مكان بناء المسجد الجامع في المقام الأول. وقد كان من المعتاد أن يكون المسجد الجامع حاضرًا في وسط الموقع المراد تعميره بأبعاد دقيقة، نظرًا لأهميته المركزية، وبعد ذلك يتم وضع الخطط والدروب والمرافق الحياتية الأخرى حوله، وتكتمل المدينة بالتحصين الخارجي الذي يمثله السور الدفاعي. ومع ذلك، تُظهر هذه المدينة خصوصيات جديدة، قد يكون من الصعب فهمها وتحليلها بشكل كامل.

نستطيع فهم نقطة مهمة، وهي أنَّ المسجد الجامع لم يُشيد مباشرة على البقايا العمرانية القديمة، بحيث نُلاحظ أنَّ الجماعات الإباضية عندما نزلت في الموقع بدأت في تنقية المكان وإزالة الأشجار التي وُرد ذكرها في

---

[1] لا شك أن مثل هذه المرابط الكبيرة قد ساهمت في زيادة الإنتاج المحلي من الدواب والماشية، وهو ما يتضح من المصادر الوسيطة التي تقول: "وهي إحدى معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية". أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص86. الإدريسي، المصدر السابق، ج1، 256. الحِميري، ص126.

[2] بعد استحواذ الفرنسيين على الموقع، شهدت المنطقة توسعاً عمرانياً سريعاً نظراً لأهميتها الاستراتيجية، وخاصة في مواجهة مقاومة الأمير عبد القادر. فقد تم إضافة مساحة جديدة إلى جانب الحصن كما هو موضح في مخطط أزيما السابق من خلال ا الجدار (C). وفي سنة 1891م، أشار لالمنان (Charles Lallemand) إلى وجود مجموعة من البنايات والتقسيمات الأخرى، خاصة في الموقع الروماني القديم، من بينها حي المعقل (la Redoute)، والمنطقة التجارية، والحي العسكري الذي يُطلق عليه تسمية "الحصن". ويضم هذا الحي ثكنات المشاة، وثكنات سلاح الفرسان، ومخازن عسكرية، ودائرة الضباط. كما يوجد في الموقع كنيسة بالإضافة إلى المستشفى. أنظر: Charles Lallemand, *L'Ouest de l'Algérie. Réseaux exploités par la compagnie de l'Ouest-Algérien, lignes de l'Ouest-Algérien et de la Cie franco-algérienne*, Challamel et Cie, éditeurs, Paris, 1891, P. 160.

ومن جهته فقد أنجز فابر (M. Fabre) في سنة 1899م مخططاً لتوسُع المدينة الحديثة على حساب الموقع الأثري، وهو ما ينبغي العودة إليه لإكمال دراسة تطورات محيط المدينة حتى وقتنا الحاضر. M. Fabre, «Note sur la ville romaine de Tiaret», *Société de Géographie et d'archéologie de la province d'Oran,* 20, (1900), p. 45-47.

النصوص الوسيطة عبر الشعراء والغياطل[1]. وبالتالي، لا يمكن أن تكون هذه الأشجار جزءاً الحصن القديم باعتباره كان مبنياً وفي نفس الوقت كان حديثاً العهد بالتوطين خلال نهاية العصر القديم.

ينقل الدرجيني (على الرغم من تأخره عن فترة الحادثة) معلومة مهمة في سياق موضوعنا، حيث يشير إلى أنَّه تم اختيار أربعة أماكن محتملة "فاقرعوا عليها أيها يجعل المسجد الجامع، فوقعت القرعة على المكان الأول الذي أصلحوه لصلاتهم فبنوا الجامع به[2]". من خلال هذه الرواية، يظهر أنَّ طريقة اختيار موضع المسجد الجامع بواسطة القرعة تُشير إلى عدم إيلام الجماعات الإباضية لأهمية تحديد موقع المسجد الجامع في المدينة، وتحديدًا في مركز الوسط. ومن المهم الإشارة إلى أنَّ اختيارهم لموقع المسجد الجامع عبر عملية القرعة لن يتحكم في توزيع باقي البنايات والخطط في وقت لاحق، حيث كان التمصير له شكلًا مرتبطًا بمركز دفاعي قديم يُفترَض أن يكون جزءًا من الموضع الذي يحتل مساحة جغرافية ضيقة تم إصلاحها.

في الوقت نفسه، ينبغي عدم ربط ذلك بخصوصية الفكر الإباضي. وأود أن أشير إلى هذا الأمر لتوضيح وجود تحليلات مبنية على المقاربات مع مساجد مدن وادي ميزاب المعزولة عن التجمعات الكبيرة، وبالتالي تشبيه وضعية تيهرت بهم. ومع ذلك، فإن حججهم ضعيفة نسبياً[3]. خاصةً وأنّ المقديسي عندما حدد موقع المسجد الجامع في المدينة أشار أنه يوجد بالقرب من سوق المدينة[4]، والتي قد تعزز فكرة وجود فوضى بالقرب منه

من الواضح أن خطط المدينة واختيار موقع المسجد الجامع قد تبعت نهجًا مختلفًا في تيهرت، ولذلك لا يمكن الجزم بأن المسجد الجامع كان في وسط المدينة بنفس الطريقة التي اعتُمِدَ بها في المدن التقليدية الأخرى، مثل مدينة الكوفة والفسطاط، وحتى مدينة القيروان [5] التي تُعتبر موطنا للكثير من الإباضية قبل انتقالهم مع عبد الرحمان بن رستم إلى تيهرت

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص43. أنظر أيضاً: الشماخي، المصدر السابق، ص43.

[2] الدرجيني، المصدر نفسه، ج1، ص41. الشماخي، المصدر نفسه، ص43-44.

[3] أنظر على سبيل المثال: محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص21.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ص228.

[5] بخصوص التحليل المتعلق بتأسيس مدينة القيروان وبناء مسجدها الجامع راجع: محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، ص33 35.

يبدو أن خاصية الأحكام الفقهية لدى الإباضية لا تتعارض مع بناء المسجد الجامع في أي زاوية أخرى من المدينة غير الوسط. ويشير محمد عبد الستار عثمان إلى أمثلة من مدن الإباضية، مثل سامراء، حيث تم تأسيس جامعها بجوار المدخل الرئيسي للمدينة[1]. لذلك، إذا كانت هذه الطريقة ستسهل الصلاة للغرباء مع أهل المدينة دون المساس بخصوصية المدينة وحرمتها، فمن المحتمل أن بناء المسجد في مدينة تيهرت كان بالقرب من السوق لنفس الغرض، وقد يكون السوق والمسجد موجودين معًا بالقرب من الباب الرئيسي في الجهة الجنوبية الغربية.

وعلى أية حال، لا تقدم النصوص معلومات تبين أن الجماعات الإباضية قد أكملت بناء المسجد الجامع قبل تحولها إلى تعمير موضع تيهرت/تاقدمت، مما يثير تساؤلات حول وضع المسجد الجامع في تلك الفترة.

بالنسبة للرواية التي نقلها الدرجيني، والتي تشير إلى تمام بناء مدينة كاملة بعد القرعة،"فوقعت القرعة على المكان الأول الذي أصلحوه لصلاتهم، فبنوا الجامع به ثم أخذوا في إنشائها وعمارتها فجعلوها ديارا وقصورا[2]"، فإنها تبدو ضعيفة للغاية، خاصة وأن المؤلف يشير إلى وجود اختلافات في الروايات المتعلقة بمسألة بناء مدينة تيهرت[3].

من المرجح أن الجامع لم يكتمل إلا بعد فترة من الانقطاع، والتي لا نعرف مدتها بالضبط، لأنَّ الروايات التي وصلتنا عن ميكانيزمات التحول لتعمير الموضع الثاني تيهرت/تاقدمت تُشير إلى أنهم "كانوا يبنون بالنهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم فبنوا بعد ذلك تاهرت السفلى[4]". وبغض النظر عن صحة

[1] محمد عبد الستار عثمان، أثر الأحكام الفقهية الإباضية على العمارة الإسلامية في المناطق الإباضية حتى نهاية القرن 6هـ/12م، عمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2015م، ج3، ص66.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص41.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص42.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734-735. نقل البكري هذه الرواية عن كتاب محمد بن يوسف الوراق، ثم نقلها كل من: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8. والدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص43.

الأسباب الواردة في هذه الرواية، فإنَّ وضعها في هذا السياق يقودنا إلى معرفة التطور العمراني الذي شهدته المدينة في تلك الفترة بشكل خاص.

إذا كان الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم قد اهتم في السنوات الأخيرة من حياته بتطوير مدينته الجديدة، فإننا نعتقد أن خليفته الإمام عبد الوهاب هو من أكمل بناء المسجد الجامع، خاصة وأن فترة حكمه شهدت تطورًا وازدهارًا عمرانيًا في مختلف المرافق للمدينة[1].

عند البحث عن مكانة المسجد الجامع بعد تحول المدينة الرستمية إلى عاصمة مقاطعة فاطمية في سنة 296هـ (908م)، نجد أنه استمر في المحافظة على نفس الدور، سواء بالنسبة للمصلين الباقين من الجماعات التي تشيعت في المدينة[2]، أو الوافدين الجدد. وهذا يتضح من الوصف الذي قدمه بعض الجغرافيين في القرن الرابع للهجرة (10م)، حيث ذكر ابن حوقل بأنها تحتوي على جامع، وكذلك المحدثة أيضًا بها جامع ولكل إمام وخطيب[3]، وأكد العزيزي وجود منبر في المسجد الجامع[4]، وهذا التأكيد يتماشى مع ما ذُكر عند المقديسي[5].

أما بعد هذه الفترة، فلم نجد أي معلومات حول المسجد الجامع في مختلف النصوص والروايات، مما يُظهر غياب تفاصيل إضافية حول دور المسجد في مراحل لاحقة من تاريخ المدينة.

[1] من المفترض أن تكون المواد المستخدمة في بناء المسجد الجامع بسيطة ومحلية، مثل الخشب الذي استخلص من الغابة بعد إصلاحها، والحجارة التي لم يتم قلعها أو نقلها من مكان آخر، بل تم استخدامها من بقايا المباني المهدمة أو التي لم تكن ذات فائدة أخرى. وهذا الأمر يُعد امتيازًا مهمًا أسهم بشكل كبير في ديناميكية تطوير المدينة بشكل سريع جدًا.

[2] يُشير ابن خلدون إلى أن الجماعات المستقرة في تيهرت، على غرار لماية وازداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة، قد اضطرت في سنة 298هـ / 911م للتخلي عن إباضيتها والانضمام إلى حوزة الشيعة (العبر، ج6، ص160). ويذكر ابن عذاري أيضًا أن جماعات هوارة ولماية قد جددت البيعة للشيعة في سنة 313هـ / 925م، بعد فترة قصيرة من المقاطعة (المصدر السابق ج1، ص205).

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[4] العزيزي، المصدر السابق، ص48.

[5] المقديسي، المصدر السابق، ص229.

7-3 السوق

يعتبر الوقوف على درجة النشاط التجاري في المدينة من الأمور المهمة جدًا، خاصة عندما يتعلق الأمر بمعرفة أنواع السلع المتداولة وحجم المبادلات التجارية، لأن سوقها كان يُعتبر محطة استراتيجية لتدفق تجارة قوافل الصحراء. ومع ذلك، يبقى الكثير من التحدي في فهم كل هذه الجوانب في مدينة تيهرت الأعلى، نظرًا لطبيعة المصادر القليلة المتوفرة.

تعود أقدم إشارة للسوق في المدينة إلى القرن الرابع للهجرة (10م). فقد قام ابن حوقل، نظرًا لنشاطه في التجارة، بتسجيل ملاحظاته حول حال التجارة في تلك المدينة، مقارنةً بالمدينة الثانية التي أسسها عبد الرحمان بن رستم، حيث أشار إلى أن "التجارة والتجار بالمحدثة أكثر[1]". فهذه الشهادة وإن كانت لا تُشير مباشرة إلى وجود السوق فهي تحمل البديل أو المعنى الذي يُبين وجوده، إذ لا يمكننا أنّ نتصور وجود نشاط تجاري منظم في ظل غياب السوق وغياب الرقابة التي يمارسها عليه المحتسب.

وفي القرن الرابع للهجرة أيضًا، وصف المقديسي منطقة تيهرت وأكد على رشاقة أسواقها[2]. ونفس الشيء بالنسبة للإدريسي الذي تعين عليه نقل أخبار سابقيه، أشار: "وبها ناس وجمل من البربر لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة[3].

إن تحديد موقع السوق في مدينة تيهرت الأعلى يُعد أمرًا صعبًا نظرًا لندرة المعلومات حوله هذا الجانب. وفيما يتعلق بذلك، أشار المقديسي أن موقع السوق قريب من المسجد الجامع في المدينة[4]. وبناءً على هذه المعلومة، يفترض أنه قد كان بجوار الباب الجنوبي الغربي، الذي كان البوابة الرئيسية للقادمين إلى المدينة. كما يجدر بالذكر أن هذا الباب يتميز بوجود ثلاثة مداخل (حسب مخطط أزيما السابق)، وربما هذا التصميم الذي

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص87.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص229.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص256. وهي نفس المعطيات التي ينقلها: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص126.

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص218.

تم اعتماده في الباب كان يهدف إلى تسهيل حركة التجار وتنقلهم داخل المدينة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن وضع السوق بالقرب من هذا الباب كان يساهم في الحفاظ على المناطق السكنية المتواجدة في الجزء الخلفي.

أما بالنسبة للمعطيات التي نشرها بيار كادنة (Pierre Cadenat) حول اكتشافه لاثنين من القباب المتصلتين في الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، فقد أشار إلى صعوبة تحديد فترتها التاريخية[1]. وبما أنَّ موقعهما يتطابق مع نفس الجهة التي نفترض وجود السوق فيها، فمن الممكن أن يكونا عبارة عن مطامر تُستخدم لتخزين نوع محدد من السلع خلال الفترة الوسيطة.

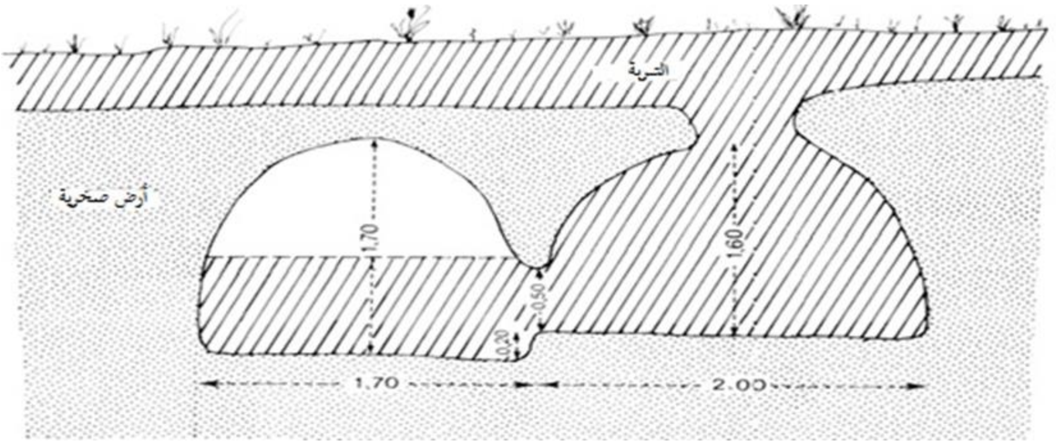

شكل (المطامر)، مقتطع من مقال كادنة « Pierre Cadenat »[2]

7-4 الحمامات

يعتبر ابن حوقل الوحيد الذي تطرق إلى وجود الحمامات في الموقع[3]، ولا توجد في المصادر الأخرى أي معلومات تُحدد مواقعها داخل المدينة بشكل خاص. وهذا الغموض ليس مقتصراً فقط على الموقع الداخلي للحمامات، بل يمتد أيضاً إلى توزيع المنازل والقصور وحتى المقابر سواء داخل أو خارج حدود المدينة.

في كتابه "الأثار القديمة في الجزائر"، يسلط ستيفان قزال الضوء، في فصل مخصص للحمامات، على وجود حمام في المدينة أثناء العصر الروماني، ويتموضع هذا الحمام في الجهة الجنوبية السفلية من المدينة. ولكن لم تبقَ

[1] Pierre Cadenat, Notes d'archéologie tiarétienne, *op cit,*. p. 46.

[2] Ibid., p. 46.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

من أثاره في الفترة الحديثة أو حتى في فترة زيارة ستيفان قزال للموقع سوى بعض الغرف التي تحمل الأقواس[1]. وفي توضيح آخر لآثار المدينة القديمة في كتابه "الأطلس الأثري للجزائر"، يُشير إلى وجود أثار واضحة للأنبوب الذي كان يستخدم لتوصيل المياه إلى هذا الحمام.[2]

قبل شهادة ستيفان قزال بنحو 58 سنة، نجد أنّ الضابط الفرنسي أزيما دو مونقرافيي قدم مخططا يتطابق مع نفس موقع الحمام في الجهة الجنوبية عند المبنى (A) (كما هو واضح في المخطط السابق). وهو يتضمن غرفاً ذات أقواس مشابه للتصميم الذي أوضحه ستيفان قزال. كما أشار أزيما في ذات السياق أنَّه المبنى الوحيد الذي تم الحفاظ عليه بشكل جيد في تلك المنطقة. لكن وبحكم أن أزيما كان مختصاً في الجانب العسكري وليس في الأثار القديمة، قد انطلق بسرعة إلى استنتاج أن هذا المبنى كان في الأصل كنيسة يعود بنائها إلى القرون الأولى من التواجد المسيحي. وبالطبع، هذا الاعتقاد غير صحيح.

يبدو صحيحاً أن الحمام ذو الهندسة الرومانية قديمة العهد، ولكن هذا لا يعني أنه لم يتم استخدامه خلال الفترة الوسيطة، حيث استمر في البقاء بنفس الهيئة والتصميم لفترة طويلة. وأخيرًا، يجب أن نلاحظ أن موقع الحمام كان خارج حدود المدينة، مما يشير إلى أنه كان يمثل جزءًا من المنطقة المحيطة بالمدينة.

---

[1] Stéphane Gsell, *Les monuments, antiques de l'Algérie*, Albert Fontemoing, Paris, 28, (1901), p. 234.

[2] Stéphane Gsell, Atlase archéologique, *op.cit.,* feuille 23, n 14.

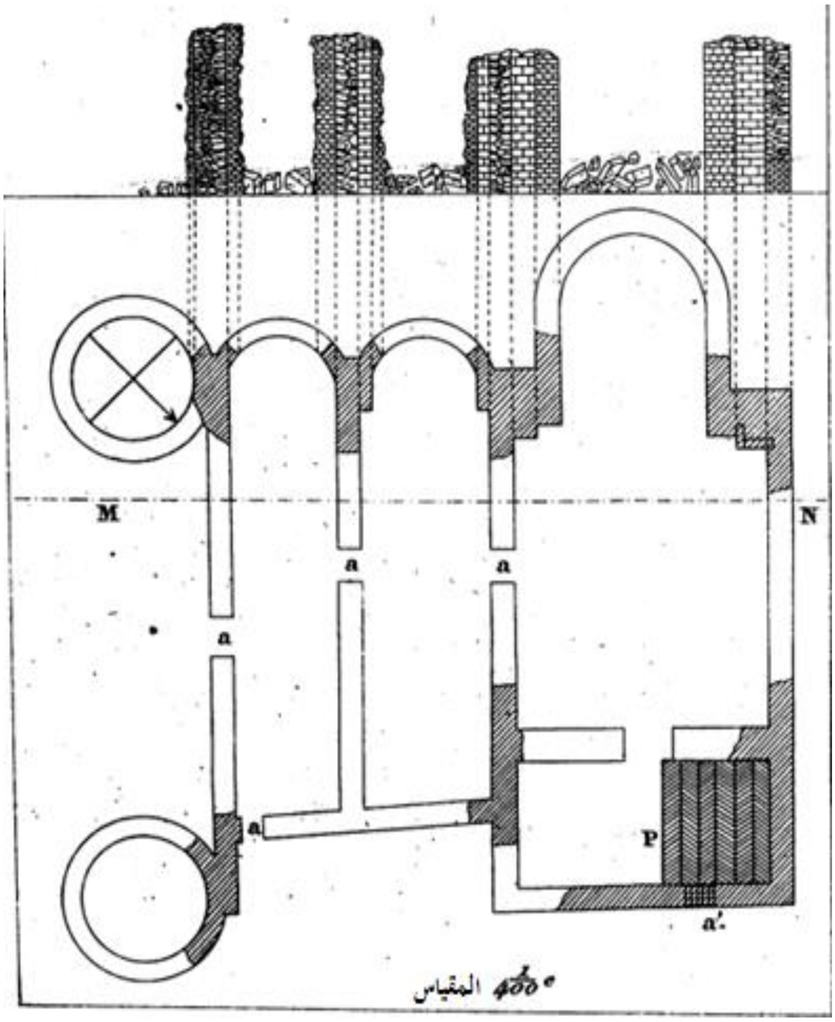

مخطط أزيما دو مونقرافي
«Azéma de Montgravier»
سنة 1843م الخاص بأثار المبنى A .

الأجزاء المتبقية.
بقايا الأساسات.

a . الأبواب.
à . أبواب بقيت موجودة.
P . مساحة عليها رصف أرضي.

5-7 سور الحاضرة

الاستمرارية الصحيحة للمدينة تعتمد بشكل أساسي على وجود السور الذي يفصل ويحمي الداخل عن الخارج. بل وببساطة، ليس هناك موقع يُطلق عليها تسمية المدينة من دون وجود السور. فعلى واقعه، يُعتبر السور نظامًا ضروريًا للتجمع الحضري في مكان واحد، وفي نفس الوقت يمكن أن يُؤمِّن الدفاع عن المدينة، خاصة في زمن الحروب والحصارات.

لدينا مصدر وحيد لابن حوقل يُشير فيه إلى وجود السور في المدينة، حيث يقول: "والقديمة ذات سور وهي على جبل ليس بالعالي[1]". أما الإصطخري في وصفه للمدينة، فقد اكتفى بالإشارة إلى أنها مدينة كبيرة،

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86. ومع ذلك، رغم وضوح النص، يُشير الباحث رشيد بورويبة إلى وجود سورين. أنظر: مدن مندثرة تاهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، ص13.

دون تقديم تفاصيل إضافية حول وجود السور[1]. وفي ذات السياق، ذكر الإدريسي في القرن 6هـ (12م) معلومات من مصادر سابقة. ومع ذلك، يجب أن نكون حذرين من التفسيرات غير الدقيقة من جانب المؤلف، وذلك استنادًا إلى ما ذكره في كتابه حيث يُشير إلى وجود "مدينتين كبيرتين أحدهما قديمة والأُخرى محدثة، والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور[2]". يُلاحظ هنا أن الإشارة تتجه إلى أن المدينة التي أسسها عبد الرحمان بن رستم لم تكن مُحاطة بجدار، وهذا التفسير غير صحيح على الإطلاق.

بما أنَّ المعلومات التي جمعها الإدريسي حول الموقع تنحصر على وجه الخصوص في نقل شهادتي ابن حوقل والإصطخري، فهذا نتيجة لما كُتب ووُرد عن الموقع حتى ذلك الوقت، أو على الأقل بالنسبة لما كان متاحًا من المعلومات في تلك الفترة، باعتبار أن المدينة لم تعد موجودة في زمن الإدريسي. وهي بطبيعة الحال معطيات غير كافية للحصول على قياسات دقيقة فيما يتعلق بأبعاد السور أو تفاصيل شكله، وكل ما يمكن افتراضه هو أنَّ هذا السور تم بناؤه في الفترة الوسيطة، ربما لربط الحصن القديم بالتطورات التي أُضيفت على الحي المحيط من قِبل الإباضيين.

يبدو أن أزيما دو مونقرافيي (Azéma de Montgravier) كان يحمل وجهة نظر مختلفة في هذا السياق، إذ يقول: "هذه الأسوار والأبراج التي نتتبع آثارها بدقة على الأرض، نجد لها نفس النمط في باقي المدن الرومانية في مقاطعة وهران، حيث تُشكِّل كتلًا كبيرة من الحجر المنحوت على جانب واحد وترتبط بمقابض حديدية تجمع بينها[3]".

وكما سبق الإشارة إليه، فإن الجماعات الإباضية التي استوطنت المنطقة في القرن الثاني الهجري (08م) قد استغلت الموارد المتاحة في المكان لإعادة بناء وترميم متطلباتها العمرانية. تم تسليط الضوء على هذا الأمر من قبل روني كانيا "René Cagnat" في عام 1892م وستيفان قزال "Stéphane Gsell" في عام 1911م، عندما قاموا بزيارة المدينة، حيث أكدوا أن الأبراج المحيطة وبعض المرافق المبنية من الحجر والمرتبطة بالحديد تعود إلى فترة

[1] الإصطخري، المصدر السابق، ص34.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص255-356.

[3] Azéma de Montgravier, *op.cit.,* p. 667. René Cagnat, *op.cit.,* p. 600.

متأخرة بعد العصر الروماني[1]. وفي الأخير، إن توجيه الانتباه إلى لوحة تذكارية مثبتة أسفل قوس الباب الشمالي، كما أشار إليه فايسات (Vayssettes) في عام 1861م والتي تحمل أسماء الإباضية القائمين على بناء المدينة، يُعد دليلاً قويًا على تحديد الفترة الوسيطة التي تم فيها بناء السور[2].

يظهر بوضوح أن المدينة الكبيرة، كما ورد وصفها من قبل الإصطخري[3]، تتطلب ضرورة وجود سور يتناسب مع ضخامتها وأهميتها. وعلى الرغم من أن الضابط أزيما دو مونقرافيي (Azéma de Montgravier) لم يحدد بدقة طول السور الذي تم اكتشاف أثاره، إلا أنه يجب أن نعترف بأن المخطط الذي أعده يفتح لنا نافذة للكشف عن وجود حوالي 34 برجًا للحراسة على طول محيط سور يأخذ شكلاً شبه مستطيل، بحيث تم توزيعهم بانتظام وعلى مسافات متساوية. ومن بين هذه الأبراج، تم تجهيز 04 على الأقل بدور إضافي يدعم مراقبة الأبواب.

وبالإضافة إلى ذلك، يُفترض وجود برج آخر أُضيف خلال الفترة الاستعمارية على الفضاء المستغل والمتصل بالحصن القديم، باعتباره يساوي نفس المسافة في الجدار الجديد (C)، وهذا وفقًا لما نلاحظه في المخطط السابق.

جرت العادة الدفاعية أن تبلغ المسافة بين كل برجي حراسة في العديد من الأماكن والمدن المغربية مقدار 25 متراً[4]، وحتى في بقايا أسوار المدينة الجديدة "تاقدمت" نجدها فعلاً قريبة من هذا القياس. وبالتالي، من المحتمل أن مسافة سور المدينة تساوي بالتقريب 850 مترًا.

الجدار	عدد الأبراج	المسافة
الشمال الشرقي	13	325م
الشمال الغربي	06	150م
الجنوب الغربي	10	250م
الجنوبي	05	125م

[1] René Cagnat, *op.cit.,* p. 600. Stéphane Gsell, Atlase archéologique, *op.cit.,* feuille 23, n 14.

[2] Vayssettes, *op.cit.,* p. 30.

[3] الإصطخري، المصدر السابق، ص34.

[4] دومنيك فاليرين، بجاية ميناء مغاربي 1067_1510، ترجمة علاوة عمارة، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، 2014م، ج1، ص143.

متوسط طول المدينة يبلغ حوالي 287.5 متر، وعرضها يقدر بحوالي 137.5 متر، وبالتالي يصبح إجمالي المساحة التي تم استثمارها من قبل الجماعات الإباضية في بناء المدينة تقريبًا 3.95 هكتار.

وفقاً لمخطط أزيما دو مونقرافي (Azéma de Montgravier) فإنَّ السور يخترقه بابان. الباب الأول يتضمن ثلاثة مداخل على الجهة الجنوبية، ويُعتبر البوابة الرئيسية التي تفتح على الممر الهام الذي يؤدي إلى داخل المدينة. أما الباب الثاني، فيقع في الجهة الشمالية الشرقية، وهو مزود بمدخلين. ومن خلال إشارة فايسات (Vayssettes)، يظهر أن الباب الثاني يتميز بوجود قوس علوي[1]، وربما يتكرر هذا التصميم في بوابات أخرى. بالإضافة إلى ذلك، قد يوجد باب ثالث غير ملحوظ من قِبل أزيما دو منقرافيي، يقع في الجهة الشمالية الغربية ويحتوي على مدخل واحد فقط، ومما يدعم هذا الاحتمال هو وجود برجين قريبين من بعضهما، وهذا الأمر يكون بشكل خاص عند الباب لمراقبته بعناية. هذا بجانب أن المسافة تبدو طويلة نسبيًا في حال استخدام إحدى البوابات الأخرى للتنقل إلى هذه الجهة[2]. أما بالنسبة للجهة الرابعة والأخيرة، فلم يتم تجهيزها ببوابة بسبب صعوبة المنطقة وعدم توفر إمكانية التنقل من خلالها. وفيما يخص أسماء هذه البوابات، فما زالت مجهولة ولا توجد معلومات تُشير إليها في المصادر

من خلال اللوحة الوحيدة التي رسمها لويس بودان (Louis Boudan) للمدينة في سنة 864هـ (1460م)[3] يظهر وجود سور قوي ذو شرافات دائرية الشكل وممرات للحراسة، كما تُشير اللوحة أيضاً إلى وجود الحصن داخل المدينة في الموقع الذي يطل على الوادي، وعلى الرغم من ذلك، لا تتطابق هذه المشاهدات في جميع الجوانب مع المخطط الذي قدمه أزيما دو مونقرافيي. بل يتميز هذا العمل الأكونوغرافي بمعلومات غير دقيقة[4]، ولاحظنا أنه يُسلط الضوء بشكل خاص على الجوانب المسيحية في المنطقة أكثر من غيرها.

---

[1] Vayssettes, *op.cit.,* p. 30.

[2] كما يجب أن نأخذ في الاعتبار أنه في الفترة الحديثة ظهرت في المدينة مسارات أُخرى، بما في ذلك مسلك يمتد من نفس الباب المشار إليه، والمعروف بطريق مستغانم. (M. Fabre, *op.cit.,* p. 47.) وبلا أدنى شك، أن هذا الاستخدام كان متواجدا منذ العصر الوسيط.

[3] Paris, BNF, département Estampes et photographie, 12148/btv1b6902300h.

[4] أثناء رسم هذه اللوحة، كانت المدينة عبارة عن مجموعة من الأطلال التي يصعب تحديد تفاصيلها بوضوح.

6-7 الدروب

عندما ننظر إلى المدن التاريخية، يظهر بوضوح أن الدرب يكون الأكبر والأكثر استخدامًا للتنقل داخلها، وغالبًا ما يمتد من المنطقة المركزية وينتهي عند الأبواب الخارجية. وكلما ازداد عدد الأبواب زاد عدد الدروب، وهو بدوره يتفرع إلى مجموعة من الأزقة التي تسهل الوصول إلى أقصى نقاط المدينة.

فيما يتعلق بمدينة تيهرت الجبلية، فإن المصادر التاريخية لا توضح الدروب التي كانت فيها بشكل جيد، باستثناء النص الوحيد للمؤلف المقديسي خلال القرن الرابع للهجرة (10م). حيث يُشير أن "دروبها المعروفة أربعة باب مجانة، درب المعصومة، درب حارة القفير، ودرب البساتين، بقربها مدينة تسمى رها وقد خربت[1]"، ومع ذلك، لم يوضح المقديسي المدينة التي يشير إليها بالتحديد، مما يثير تساؤلًا حول ما إذا كان يشير إلى مدينة تيهرت الجبلية أم تيهرت تاقدمت.

ما يلاحظه هو أن هذه المسألة، على الرغم من أهميتها، لم تتلق النقاش الكافي من قبل الباحثين الذين اهتموا بتاريخ وعمران تيهرت. وقد أشار الباروني (غير الأكاديمي) في كتابه "الأزهار الرياضية" إلى أن هذه المعلومة ترتبط بمدينة تيهرت تاقدمت، ولكنه لم يقدم أي تفسير أو دليل على هذه الفرضية[2]. مع أنه تم تبنيها أيضًا من قِبل عثمان الكعاك[3] وعبد الرحمان خليفة[4] وغيرهم. في المقابل، يبدو لي أن هذه القراءة غير دقيقة.

من بين الأمور التي تظهر بوضوح أن النص السابق لا يشير إلى مدينة تيهرت/تاقدمت، نجد أنه لا توجد دلائل تفيد بوجود موقع آخر لمدينة قريبة من تاقدمت سوى مدينة تيهرت الجبلية ذاتها. على النقيض، هناك تواجد لمجموعة من المواقع الأثرية المحيطة بتيهرت الجبلية في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية[5]. ويلاحظ أن هذا الارتباط الطوبونومي (رها = لوها) استمر وبقي واضحاً في الجهة الشمالية الشرقية من أثار مدينة تيهرت الجبلية،

---

[1] المقديسي، المصدر السابق، ص285.

[2] الباروني، الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م، ج2، ص45.

[3] عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ص120.

[4] Abderrahmane Khelifa, «L'urbanisation dans l'Algérie médiévale», *Antiquités africaines,* 40-41, (2004), p. 280.

[5] ما يعزز هذا الطرح هو وجود الملاحظات الميدانية والدراسات الأثرية (القليلة جداً) التي تمَّ إجراؤها حول المنطقة، بما في ذلك أعمال بيار كادنة.

وتحديداً في منطقة عرش أولاد لقرد جنوب الونشريس، أين يظهر بوضوح من خلال خريطة دوفور أوغست هنري[1] (D. Auguste-Henri) وخريطة أوغست وارنييه (Warnier Auguste) وكاريت إرنست[2] (Carette Ernest) التي تعود للقرن التاسع عشر الميلادي.

ومن ناحية أخرى، يُسهم التوافق في الأسماء بين اتجاهات الدروب وتوزيع البنية العمرانية للمدينة في توجيهنا، حيث يبدو أن كل اسم كان مرتبطاً بالمنطقة التي يشرف عليها.

- درب المعصومة: يمتد جنوبًا نحو الباب الذي يربط المدينة بالمركز السياسي في تيهرت/تاقدمت[3].
- درب البساتين: يمتد إلى الجهة الشمالية الشرقية، وهي المنطقة التي تطل على سهول سرسو الزراعية.
- باب مجانة: من المثير للانتباه أن يُذكر هنا بابًا وليس دربًا، حيث يمتد نحو حصن برقاجنة (الموقع القديم).
- درب حارة القفير: قد يكون تفسير هذا الاسم غامضًا بالنسبة للبعض من الباحثين، لذلك تم تفسيره بأكثر من طريقة. ومن الأمثلة وجود تأويل بأنه يمكن أن يكون "حارة الفقير" بدلاً من "حارة القفير"، ولكن هذا التأويل ليس مدعومًا بأدلة قوية[4]. فالملاحظ أنه يستند إلى مصطلح "حارة"، والذي لا يُستخدم عادة بشكل شائع في بلاد المغرب، بالإضافة إلى أن "القفير" ليس مصطلحًا مألوفًا في اللغة المحلية (الأمازيغية). ومن الجدير بالذكر أن هذا المصطلح يتواجد في اللغة العربية ويُشير إلى جراب النحل. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أن ابن حوقل أثنى على وفرة النحل والعسل في المنطقة أثناء وصفه

---

[1] Auguste-Henri Dufour, *Carte de l'Algérie et d'une partie de la Méditerranée indiquant le rapport qui existe entre l'Afrique et l'Europe*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, Ge DL 1838-2.

[2] Warnier Auguste et Carette Ernest, *Carte de l'Algérie divisée par tribus*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE B-2285 (RES).

[3] كانت المدينة خلال الفترة الرستمية تتبع مركز الحكم في العاصمة تيهرت/تاقدمت، ولا تُظهر مصادرنا أي دليل على وجود أي نوع من الاستقلالية.

[4] ذكر الباروني أنه لاحظ كتابة الكلمة "القفير" (بتقديم حرف القاف على الفاء) في جميع النسخ التي قام بدراستها، وفي الوقت نفسه أشار إلى إمكانية أن تكون هذه الكلمة جزءًا من لغة العامة للإشارة إلى وجود مكان يرتبط بالفقراء، وقد يكون هذا المكان يتشارك مع اسم الدرب نفسه (الباروني، المرجع السابق، ج2، ص45). ومع ذلك، نجد أنه ليس هناك دليل مكتوب في مصادرنا يؤكد وجود جماعات معينة تعرف بهذا الاسم أو ترتبط بهذا المعنى المحدد للفقراء. وبسبب ذلك، تبقى صحة هذه الاستنتاجات ضعيفة.

للمدينة[1]. علاوة على ذلك، فإن الجهة الشمالية الغربية هي المنطقة الوحيدة التي يتوافق معها هذا الدرب، كونها تبدو معزولة وقليلة الحركة فيها. وأخيرًا، هذا السياق سيؤكد مجددًا وجود الباب في هذه الجهة.

8-مرحلة القرن الرابع للهجرة (10م): بداية النهاية

تكشف المعطيات المتاحة في هذا القرن عن انطلاق فترة جديد من التراجع العمراني، سواءً على مستوى تيهرت أو على مستوى المغرب الإسلامي بشكل عام. ويعود هذا التراجع بشكل أساسي إلى تأثير الحروب العديدة التي شهدتها المرحلة الفاطمية، والتي ساهمت بشكل كبير في دفع المنطقة نحو مرحلة جديدة من التأثر بسيطرة الجماعات البدوية.

وفي هذا السياق، يأتي ابن حوقل كشاهد أساسي ورئيسي لتفصيل حال بلاد المغرب خلال هذه الفترة الزمنية. ومع ذلك، يُلاحظ أن معطياته المسجلة حول تيهرت تحمل شهادتين تتعارضان. في الشهادة الأولى، أشار ابن حوقل إلى الحالة المميزة بالحيوية والنشاط التجاري في تيهرت وتنظيمها العمراني. أما في الشهادة الثانية، فأشار إلى تحول جذري في الوضع "عما كانت عليه وأهلها وجميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم ودوام القحط وكثرة القتل والموت[2]".

وفقاً لدراسة جان كلود غارسين (Jean-Claude Garcin) الذي بحث في مسار رحلة ابن حوقل إلى بلاد المغرب، فإنه قد مر بمنطقة تيهرت في فترتين مختلفتين: الأولى كانت خلال مغادرته المهدية في سنة 336هـ (947م)، ووصوله إلى الأندلس في بداية سنة 337هـ (948م)، والثانية وصل فيها إلى مصر عبر بغداد في سنة 360هـ (971م)، ثم تواجد في صقلية بعد ذلك بسنة واحدة[3]. ومن هنا يطرح السؤال: هل تمكن ابن حوقل من التعرف على وضعية المدينة في هاتين الزيارتين، وهل من الممكن أن تكون الأمور مختلفة وأنه قد قدم شهادتين متعارضتين؟ ومع ذلك، يجب أن ننتبه إلى نقطة مهمة، وهي أن تخريب المدينة لا يعني بالضرورة إفراغها من جميع السكان بشكل كامل.

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[2] المصدر نفسه، ص93.

[3] Jean-Claude Garcin, *op.cit.,* p. 86.

بعد مرور مائة سنة تقريبًا، نجد أنَّ المؤلف البكري، عندما وصف منطقة تيهرت، ركز بشكل واضح على وصف مدينة تيهرت/تاقدمت. وعلى الجانب المقابل، لم يتطرق إلى وصف المدينة الجبلية تيهرت. مع العلم أنّه قد أنهى تأليف كتابه المعنون بـ "المسالك والممالك" في سنة 460هـ (1068م)، وهذا قد يشير إلى عدم وجود المدينة خلال الفترة الثانية من القرن الخامس الهجري (11م)[1]. ومع ذلك، يجب أن نكون حذرين في ترتيب تواريخ البكري، الذي نقل معظم معلوماته من محمد بن يوسف الوراق، واستفاد أيضاً من معلومات أُخرى استقاها من التجار، وبالتالي فهي تعود إلى الربع الأخير من القرن الرابع الهجري (10م).

يعتقد بعض الباحثين أن المدينة عادت من جديد خلال القرن السادس للهجري (12م) وذلك بدليل أنَّ الإدريسي قام بوصفها مرة أخرى[2]. لكن الواقع يثبت العكس تماماً، فالمعطيات التي دونها الإدريسي كانت مستمدة من كتاب ابن حوقل والإصطخري، وبالتالي فهي تعتبر معلومات متقدمة ولا تخص القرن 6هـ (12م).

لا تُقدم مصادرنا الجغرافية والرحلاتية أي تاريخ محدد لسقوط المدينة، أو بعبارة أخرى لسقوط مميزات التمدن فيها، فجميع المعطيات المتاحة تأتي بشكل متفرق وغير منسق، وهي غير كافية لتوفير تفاصيل دقيقة حول عملية تخريبها.

الإشارة المهمة في هذا الموضوع تأتي من رواية ابن عذاري المراكشي في كتابه "البيان المغرب" خلال القرن السابع للهجرة (13م). فبعد أن تناول ملحمة سنة 299هـ (911م) واحراق المدينة[3] _ الأمر الذي ربما أثر على هيكلها _ يعود ويشير مجدداً إلى أنَّ المدينة تيهرت القديمة هي التي دمرها الخير بن محمد بن خزر الزناتي[4]. ما يعني أن ذلك وقوع في الفترة التي شهدت نزاعاً بين اتحادية زناتة والجماعات الإسماعيلية قبل نقل دولة المعز إلى مصر في سنة 361هـ (972م). ومن المعلوم أيضاً أنَّ هذه السنة الأخيرة (361هـ) هي نفسها التي قُتل فيها الخير

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 734-735.

[2] من بينهم: سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة الأموية، الرياض، العبيكان للنشر والتوزيع، 2011، ص96.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص191.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص210.

بن محمد بن خزر على يد بلكين بن زيري[1]، وهي أيضاً الفترة التي تزامنت مع تسجيل ابن حوقل لملاحظاته في الرحلة الأخيرة.

على الرغم من أن هذه الإشارات ظهرت في وقت متزامن، وتوحي جميعها بنهاية محتملة للمدينة، إلا أن التاريخ المحدد لهذا الحدث الذي أشار إليه ابن عذاري غير معروف. وهذا يدفعنا للتساؤل عما إذا كان بالإمكان تحديد السنة التي وقع فيها تخريب المدينة على يد الخير بن محمد بن خزر.

يبدو أنه من الصعب معرفة جميع حملات الخير بن محمد بن خزر على مدينة تيهرت، وهو الأمر الذي ينطبق أيضًا على ترتيب التواريخ المتعلقة بها. لكن ما يجدر بالذكر، أن ابن خلدون في روايته حول حملات الفاطميين على زناتة يشير إلى أن محمد بن خزر وحلفاؤه من مغراوة قد "زحفوا إلى تاهرت مع حميد بن يصل قائد الأموية سنة ثلاث وثلاثين[2]، وزحف معه الخير بن محمد وأخوه حمزة وعمه عبد الله بن خزر، ومعهم يعلى بن محمد في قومه بني يفرن وأخذوا تاهرت عنوة، وقتلوا عبد الله بن بكار، وأسروا قائدها ميسور الخصي بعد أن قتل حمزة بن محمد بن خزر في حروبها[3]".

ليس من الضروري الإسهاب في ذكر جميع الروايات المتعلقة بهذه الحملة على مدينة تيهرت، وذلك نظراً لتشابه المعطيات الواردة فيها. في حين أن ما يؤكد بشكل كبير تخريب المدينة في هذه الحادثة، وبالتحديد في سنة 333هـ (972م)، هو اشارة ابن خلدون في الرواية السابقة، حيث يقول أنَّهم "أخذوا تاهرت عنوة"، مما يشير إلى استخدام القوة في فتحها. وفي مقاطع أخرى من الرواية، نلاحظ أيضاً ابن خلدون يُشير أنَّهم "اقتحموا تاهرت

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص39.

[2] تحول من وال للفاطميين على كورة تيهرت، إلى خدمة محمد بن خزر ابتداءً من سنة (328هـ/949م)، ثم عينه بعد ذلك الخليفة عبد الرحمان الناصر على القيام بأمور الدعوة الأموية في المنطقة التي ستعرف بعد قليل بالمغرب الأوسط، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص16. ج7، ص35.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص35.

عنوة[1]"، وأن هذه الحملة كانت "بمثابة الفتح[2]"، وأنهم "هزموهم وملكوا تاهرت[3]". وبالتالي، فإن هذه السياقات جميعاً تكوّن صورة واضحة عن تدمير المدينة خلال هذه السنة المحددة وهي (333هـ/972م).

وكخطوة لتأكيد أفضلية هذا التاريخ أكثر، فإن ابن عذاري المراكشي يُشير في روايته إلى نفس السنة بالتحديد[4]. وفي سياق آخر من الرواية يضيف أنه "في عقب شوال قدم رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي أمير الغرب ومعه رسول حميد بن يصل الزناتي يعرفان الناصر بما كان من دخولهما مدينة تاهرت وأنهما أقاما الدعوة له[5]".

أما بالنسبة لتواريخ الرسالتين التي أشار إليها ابن عذاري المراكشي، والتي وصلتا إلى قرطبة بين السنتين 338هـ (949م) و339هـ (950م) من أجل إخبار الأمويين بسيطرة الخير بن محمد بن خزر على تيهرت[6]، فهما متأخرتان زمنياً، وقد يكون تحديد تاريخهما غير دقيق بشكل كبير. وهذا التقدير يستند إلى ما ذكره ابن حماد الصنهاجي في كتابه حول أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم[7]، حيث أشار إلى أن إسماعيل الشيعي استعاد السيطرة على المدينة في سنة 336هـ (947م)[8]، وبالتالي غادر حميد بن يصل المدينة، وتم تعيين يعلى بن محمد اليفرني

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص39.

[3] نفسه، ج7، ص24.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص209.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص193.

[6] الرسالة الأولى، كتبها البوري بن موسى بن أبي العافية إلى الخليفة الناصر الأموي عن طريق أحمد بن الأطربلسي، أمّا الثانية فأرسلها الخير بن محمد بن خزر، وقد تم قراءتها بجامعي قرطبة والزهراء. أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص198-199.

[7] هناك ترجمة للمؤلف في مقالة: رافعي نشيدة، شخصية ابن حماد الصنهاجي (628هـ) صاحب مخطوط أخبار ملوك بني عبيد، الحضارة الإسلامية، 14، (2013م) ص 393-399.

[8] ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ص77. ابن الآبار، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، 1985، ج2، ص388.

للحكم بناءً على مصالح الفاطميين في المنطقة، بعدما كان يدعو لعبد الرحمان الناصر قبل ذلك[1]. وقد شهدت المنطقة في مرحلته هدوءاً نسبياً حتى وصول جوهر الصقلي وقيادته للحملة العسكرية في سنة 348هـ (959م)[2].

في الختام، هناك نقطة مهمة يجب الإشارة إليها، وهي أنَّ تاريخ تخريب المدينة المفترض 333هـ (972م) يسبق زيارة ابن حوقل بثلاث سنوات، وهذا يبين أن شهاداته المتباينة لم تكن مستندة إلى زياراته المتكررة للمنطقة. وبالتالي، يبقى هناك تفسير واحد وهو أنَّ جزءاً من معلوماته استمدها من كتاب "أحسن التقاسيم" للمقديسي، الذي اعتمد عليه بشكل مباشر في رحلته، بينما استند في الجزء الآخر إلى ملاحظاته الميدانية.

بناءً على المعلومات الواردة في هذا الفصل، نستنتج أن مدينة تيهرت الجبلية كانت محطًا للكثير من الأحداث والتحولات المهمة عبر تاريخها. وخاصة خلال الفترة الرستمية والفاطمية. ومع ذلك، يبقى التباين الموجود في الروايات عائقاً أمام فهم التطورات الطوبونيمية والعمرانية التي شكلت ملامح تاريخ هذه المدينة التي لا تزال تحتاج إلى دراسة وفهم أعمق.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج4، ص57؛ ج7، ص24.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص 261؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص209.

الفصل الثالث:

المدَيْنَة تيهرت تَاقْدمْت حَاضِرَة جِهَوِيَة عَلى حَافة الصَحْرَاء

1- تضاريس جهة المدينة ومراجعة طوبونيميا الموقع

1-1 المشهد التضاريسي

يظهر من المعطيات التي سجلتها المصادر حول الطبوغرافيا المميزة للمدينة الوسيطة أنها لم تجلب الكثير من وجهات النظر الجغرافية. فقد تركزت مساهمتها المذكورة على إبراز نقطتين فقط، هما: معاناة المدينة من سيطرة التلال المحيطة بها من جميع الجهات، وتحديداً التلال المتأتية من سلسلة جبال جزول/قزول[1]، مما يجعلها غير واضحة سوى بعد التقرب منها. واسناداً إلى ما ذكره ابن خلدون، فإنَّ الجانب الشمالي من المدينة يُعرف باسم تلول منداس[2]. وهي منحدرات ذات غطاء نباتي كثيف، تكشف عنه الإشارة التي قدمها البكري بخصوص اختيار عبد الرحمان بن رستم لموقع بناء مدينته الجديدة، حيث وجد موقعاً وحيداً خالياً من الأشجار[3].

أما الميزة الثانية، فتتجلى في القيمة المضافة للموقع بوجود شبكة مهمة من الأودية التي تتدفق بالقرب من المدينة، ولا سيما الوادي الكبير مينا، الذي تُشير المصادر إلى دوره البارز في تعزيز النشاط الزراعي[4]. وأخيراً، يجدر بالذكر أن إسحاق بن الحسين أشار في كتابه "أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في جميع المناطق" إلى أن موقع المدينة ينفتح على الواجهة الصحراوية في الجنوب[5].

فيما يتعلق بالمسافة بين المدينة وجارتها تيهرت العليا، أشار المهلبي إلى أنها تمثل مسافة مرحلة واحدة فقط[6]. وعندما نحدد هذه المسافة بعناية، نجد أنها تتطابق مع موقع معروف لدى معظم الباحثين المهتمين

---

[1] اليعقوبي، البلدان، ص149؛ كتاب الاستبصار، ص178؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص159. وفي سياق آخر، يُشر إلى أنها تقع بين الريف والصحراء، وتحديداً جنوب المنطقة المعروفة بطوبونيم "البطحاء،" أنظر: المصدر نفسه، ج7، ص105.

[3] البكري، المصدر السابق ج2، ص735؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص44.

[4] اليعقوبي، البلدان، ص149؛ المقديسي، المصدر السابق، ص229؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص735؛ الاستبصار، المصدر السابق ص178؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

[5] تح فهمي سعيد، بيروت، عالم الكتب، 1988م، ص100.

[6] المهلبي، المصدر السابق، ص48.

بدراسة التاريخ المحلي لهذه المدينة الرستمية. ومن الأدلة الأخرى التي تؤكد ذلك، اسمرار استخدام الطوبونيم "تاقدمت" في الإشارة إلى المنطقة منذ الأوقات الأولى لتأسيس المدينة وحتى الوقت الحاضر، بالإضافة إلى تطابق بعض الآثار بدقة مع الوصف الذي قدمته المصادر التاريخية[1].

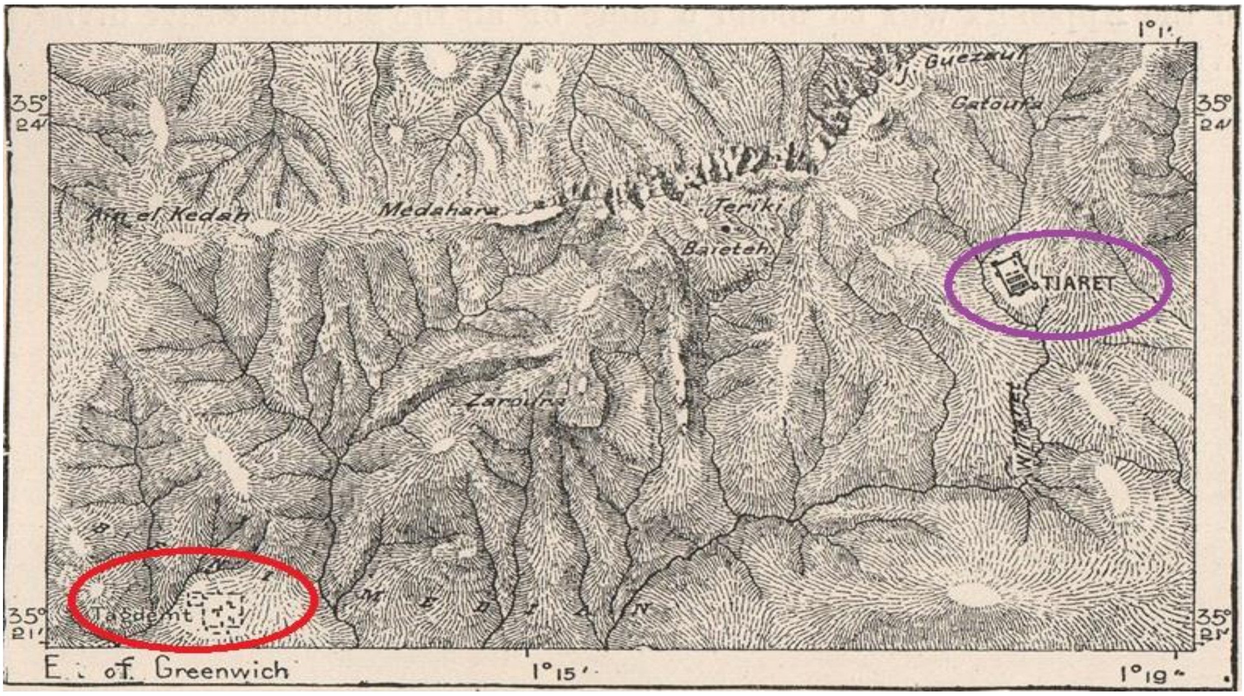

خريطة لتحديد موقع المدينتين، تيهرت العليا وتيهرت السفلى (جاك إليز روكلس Élisée Reclus[2])

1-2 التسجيلات الطوبونيمية

يظهر أنَّ الجماعات المحلية، وبصفة خاصة صنهاجة ومنداسة، قد أطلقت على الموقع طوبونيم "تاقدمت" منذ فترة يصعب تحديد بدايتها بالضبط. في حين يبدو أن هذا الاسم كان مستعملاً قبل بداية التعمير الإباضي للموقع، وهذا ما أشار إليه البكري في السرد الذي تناول فيه اختيار عبد الرحمان بن رستم لموقع بناء المدينة بعد مفاوضات معقدة للحصول على الملكية العقارية، حيث أكد أن هؤلاء المالكين كانوا يطلقون على هذا الموقع

---

[1] هناك العديد من الدراسات التي قامت بتحديد موقع تيهرت/ تاقدمت، نذكر من بينها على سبيل المثال: فاطمة جلجل، المرجع السابق، ص22. الخريطة، ص81.

[2] Élisée Reclus, *The Earth and Its Inhabitants, Africa: North-west Africa*, New York, D. Appleton and Company, vol, 2, (1887), p. 343.

الجغرافي طوبونيم "تاقدمت"[1]. وبالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى أنَّ هذا الطوبونيم يتطابق مع الاسم القديم "قادوم كاسترا (Gadum-Castra)" الذي تم الإشارة إليه في منطقة موريطانيا القيصرية دون أي تحديد[2].

بعدما نقل عبد الرحمان بن رستم العاصمة التي كان مشروعها الأول في منطقة جبل جزول، وقام بتأسيسها في هذا المنخفض الاستراتيجي المعروف بـ "تاقدمت"، ساهم الوضع أيضاً في نقل اللقب "الفخري" تيهرت الذي كانت تتبناه المدينة الجبلية سابقاً، وقبلها المدينة الرومانية. وذلك ربما لأسباب تُضفي الطابع السياسي على العاصمة الجديدة للدولة الرستمية في تعاملاتها مع المناطق التابعة لها.

من خلال هذه الفترة الزمنية، نجد أن مصادرنا بدأت تستخدم الطوبونيم "تيهرت" بدلاً من "تاقدمت"، وهذا يظهر بواضح في أقدم الشهادات المسجلة، ولا سيما تلك التي تتزامن مع الفترة الأخيرة من حكم الدولة الرستمية[3]. لكن ينبغي التوضيح أن ذلك لا يشير إلى اختفاء طوبونيم "تاقدمت" بشكل نهائي، بل على العكس، قد تم تسجيله في كتاب "المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة"[4].

---

[1] أشار البكري إلى أن مصطلح "تاقدمت" في اللغة العربية يعبّر عن الدف، وأن اختيار اسم الموقع بهذا الطوبونيم جاء نتيجة التشابه بين شكل الموقع المربع وشكل الدف. البكري، المصدر السابق، ج2، ص735. كما نجد هذه المعلومات مقتبسة عند: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص8-9.

[2] هناك العديد من الدراسات الأوروبية التي اقترحت في القرن التاسع عشر الميلادي بأن مدينة "تاقدمت" هي نفسها المدينة الرومانية "قادوم كاستر (Gadum Castra)"، وذلك بناءً على التقارب في التسميات. أنظر على سبيل المثال:

_ James Playfair, *A System of Geography: Ancient and Modern*, London, P. Hill Edinburgh, 6, (1814), p. 101 ; Léon Roches, *Trente-deux ans à travers l'Islam, 1832-1864*, Paris, Firmin-Didot, 1884, p. 277 ; Alfred François Nettement, *Histoire de la conquête de l'Algérie: écrite sur des documents inédits et authentiques*, Paris, J. Lecoffre, 1870, p. 188.

ومع ذلك، يجب ملاحظة أن الباحث محمد البشير شنيتي يُشير إلى أنّ "قادوم كاسترا" الرومانية تتطابق في الوقت الحاضر مع موقع مرجة سيدي عبيد في ولاية غليزان، إلا أنه لا يوجد دليل قوي يمكن أن يوضح هذا التطابق بشكل قاطع. أنظر: محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، الجزائر، دار الحكمة، 2003م، ص127.

[3] أنظر كلاً من: ابن سلام الإباضي، المصدر السابق، ص ص93. 110. 134. ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص25. 41. 45. 53 وفي باقي صفحات الكتاب من دون استثناء. اليعقوبي، البلدان، ص ص138. 142. 143. 146. 149. نفسه، تاريخ اليعقوبي، ج1، ص316. ابن خرداذبة، المسالك والممالك ويليه كتاب الخراج، ليدن، مطبعة بريل، 1889، ص ص88. 265.

[4] تم توثيقه "تايدمت" وهذا لا يُعد تصحيفاً أو تغيرا لأن لغة البربر تتحمل الاستبدال ما بين القاف والياء حسب متغيراتها. أنظر: كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تح الحاج سليمان بن ابراهيم وبابزيز الورجلاني، سلطنة عمان، وزارة التراث والثقافة، 2009م، ص298.

لم تقدم المصادر معلومات حول نوع الطوبونيم الذي كان يُستخدم على الموقع بعد تخريب المدينة في أوائل القرن السابع الهجري (13م). ومع ذلك، ظهرت تسمية "تاقدمت" مرة أخرى في القرن العاشر الهجري (16م)، من خلال استخدام الحسن الوزان لهذا الطوبونيم أثناء زيارته للمنطقة ووصفه لبعض البقايا الأثرية هناك. وإضافة إلى هذه المعلومات، أشار الحسن الوزان إلى أن السكان المحليين هم من أطلقوا على الموقع هذا الاسم "تاقدمت"، والذي يعبّر عن المفهوم العتيق[1]. وبالتالي، في هذه الحالة يُمكن أن نلاحظ تجديد استخدام الاسم الأصلي، الذي استمر معنا حتى اليوم باعتباره طوبونيمًا خاصاً بالأرض، وليس فيما يتعلق بالمدينة بحد ذاتها.

في المقابل، ينبغي ألا يُفهم الاستخدام الكثير لتسميتي "تيهرت الحديثة" و"تيهرت السفلى" من قِبل مؤلفي الحقبة الوسيطة على أنه تغييرات طوبونيمية شهدتها المدينة. بل يمكن تفسير هذه التسميات، التي ظهرت في وقت متأخر نسبيًا[2]، على أنها جزء من محاولة لتقديم وصف دقيق يسلط الضوء على الاختلاف بين المدينتين. ويرجع السبب وراء ذلك إلى استمرار المدينة القديمة، التي كانت تُمثل العاصمة الرومانية في هذه المقاطعة الحدودية على خط الليمس الثاني، في الاحتفاظ بنفس الطوبونيم، ولم يتم التنازل عنه لصالح المدينة الجديدة التي أصبحت عاصمة الرستميين.

وبالإضافة إلى ذلك، يُمكن أن نستند إلى دليل آخر يُؤكد هذه الفرضية الوصفية، وهو عدم تسجيل هذا الشكل من الأسماء في أي نوع من الأخبار التي تتعلق بمعاملات رسمية مع المدينة، وعلى سبيل المثال، نقوش العملة التي تم اكتشافها مؤخراً تُعد مثالًا واضحًا على هذا الأمر[3].

1 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص40. 251. وهو يختلف جذريا عن التفسير الذي كتبه البكري قبل ذلك.

2 أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح محمد محي الدين عبد المجيد، مكتبة النهضة المصري، ج1، ص146. ابن حوقل، المصدر السابق، ص78؛ المقدسي، المصدر السابق، ص216، 229؛ البكري، المصدر السابق، ج2، ص735؛ ابن خليكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972م، ج2، ص344؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

3 لقد نُقش على الوجه اسم "تيهرت" من دون زيادة. راجع الصورة في مقال: Toufik Benchekroun et Ludovic Liétard, *op.cit.,* p. 732-735.

يُلاحظ أيضًا في النصوص التاريخية وجود أسماء أُخرى تُميز المدينة، فقد ذكر اليعقوبي أنه يطلق عليها "عراق المغرب[1]". ويبدو أن هذا الاستخدام كان خلال فترة محددة، تتزامن مع مرحلة النشاط التجاري للمدينة وازدهارها من الناحيتين العلمية والعمرانية، لكن بمجرد تراجع مستوى ومكانة المدينة، تلاشى هذا اللقب وتوقف استخدامه[2].

في وصف البكري للطريق بين الغزة ومدينة تيهرت، أشار إلى أن المدينة كان يُطلق عليها "معسكر عبد الرحمان بن رستم[3]". ويبدو أن بداية استخدام هذا الاسم تعود إلى تأسيس المدينة في سنة 162هـ (728م)، واستمر هذا الاستخدام حتى فترة يصعب التكهن بها. وهُنا نلاحظ أنَّ النص الذي نقله الدرجيني حرفياً من الكتاب المفقود لمحمد بن يوسف الوراق، يُشير إلى أن الموقع كان يُسمى: "معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم"[4]. وبالتالي، عندما نقيس عبارة "إلى اليوم" مع فترة النشاط العلمي لمحمد بن يوسف الوراق، التي امتدت من 318 إلى 359هـ (970-930م)، يظهر أن استخدام هذا الاسم استمر طوال الفترة الرستمية والفاطمية.

بالإضافة إلى ذلك، أشار الدرجيني في رواية ثانية وفريدة أن المدينة كان يُطلق عليها تسمية "المعسكر المبارك[5]"، وعلى الرغم من ذلك، لم تذكر باقي مصادرنا هذا الاسم، مما يعني أن استخدامه كان ذا تأثير محدود.

2- دافعية التحول في التعمير

تُظهر الروايات المتعلقة بالهزيمة الاباضية في القيروان وهجرتهم نحو المناطق المحمية من خطر الجيش العباسي أن فترة استقرارهم في المدينة القديمة (الجبلية) كانت قصيرة للغاية، وتتضمن هذه الروايات أيضاً تلميحات إلى

---

1 اليعقوبي، البلدان، ص143.

2 المهلبي، المصدر السابق، ص48. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص9؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص122؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص111.

3 البكري، المصدر السابق، ج2، ص735؛ ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص9.

4 الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص44.

5 المصدر نفسه، ج1، ص46.

أن الحرفيين قاموا فيها بجهود ملموسة في مجال الإصلاح والبناء، وذلك خلال مدة لا تتجاوز السنتين، من 160-162هـ (776-778م).

إن هذا الإعلان المفاجئ وربما غير المتوقع بشأن الانتقال من تيهرت القديمة إلى موقع تاقدمت[1] جاء من دون أن تعلق عليه مصادرنا أي إجابات واضحة، باستثناء ما يُترجمه البكري إلى وضع أسطوري، ذكر فيه: "يقال: إنهم لما أرادوا بناء تيهرت، كانوا يبنون النهار، فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تيهرت السفلى[2]"، هذه الرواية تثير تساؤلات حول الجهة المسؤولة عن هذه المؤامرات التي أدت إلى تعطيل مشروع بناء المدينة.

في دراسته، قدَّم محمد علي دبوز محاولة لتفسير رواية البكري من خلال اقتراح فرضية ترتكز على وجود أزمة في التنظيم الهيكلي. وهي في الأصل تتناقض مع المعطيات التاريخية المتاحة، حيث يقترح دبوز أن السبب وراء ذلك يعود إلى جماعات مناداسة وصنهاجة التي ربما تبنت موقفاً معادياً لابن رستم بسبب التنازل عن أراضيها. كما أشار دبوز في ختام دراسته إلى أن عبد الرحمان بن رستم قد اختار الابتعاد عن هذا الصراع من أجل الحفاظ على علاقته الإيجابية مع سكان المدينة[3]. لكن الأمر المؤكد حاليًا هو أن هذه المسألة مع جماعات مناداسة وصنهاجة لم تكن محل نقاش وتفاوض إلا في إطار ملكية تاقدمت، وقد انتهت بتحقيق اتفاق بين الطرفين.

من ناحية أخرى، لا يبدو أن الخلافات السياسية والعسكرية ولا حتى الإجراءات التنظيمية، قد عرقلت عملية التعمير، بل على العكس، نستطيع أن نرى من خلال الروايات أنَّ ديناميتهم في مجال التواصل الاجتماعي كان واضحاً وهادئاً طوال فترة التأسيس. وحتى إذا قبلنا بصحة الرواية التي قدمها البكري على حساب أي ظرف آخر مجهول، يبقى السؤال: كيف يمكن تفسير العودة لتعمير نفس الموقع بعد فترة زمنية قليلة

---

[1] إنَّ هذا التحول في عمليات التعمير لا يشير بالضرورة إلى تهجير السكان وإفراغ الموقع من كامل نسيجه الاجتماعي، بل من المتوقع أنه تم تجميد أعمال البناء لفترة محددة، خلال هذه الفترة عمل المهنيون على تنفيذ مشروع مدينة تاقدمت واستكماله.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص735.

[3] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، سوريا، دار إحياء الكتب العربية، 1963م، ج3، ص266.

جداً من تركه؟ وهذا يجعلنا نشك في الجوانب الميثولوجية لهذه الرواية، خُصوصا وأنَّ البكري لم يحصل فيها على دليل قاطع[1]، وإنما استند إلى أقاويل تبدو متأخرة، كما يتضح من عبارة "يُقال" التي استخدمها في مقدمة كلامه.

بعيداً عن الرواية البكرية، توجد عدة تفسيرات وقراءات أخرى لبعض الدارسين، ومن بينهم على سبيل المثال، رشيد بوروبية الذي يُشير إلى أن هذه المسألة ترتبط أساساً بعبد الرحمان بن رستم الذي كان يسعى لتعزيز مكانته عبر تأسيس مدينته في موقع بكر، بمعنى أنه لم يكن مأهولاً سابقاً، وأنَّه كان يطمح في الحفاظ على ذكره بالطريقة التي قام بها عقبة بن نافع عند تأسيس القيروان، وإدريس الأول عند تأسيس مدينة فاس[2]. ولاحظنا تأثير هذه الفرضية في العديد من الدراسات المحلية[3]. لكن المعطيات التاريخية تكشف عكس ذلك، حيث تُظهر أن الموقع تم استغلاله خلال الفترة الرومانية[4]، ونفس الأمر ينطبق على استغلال موقع تأسيس مدينة القيروان في سهل قمونية[5].

يبدو أن سبب التحول نحو بناء الموقع الجديد ينبع من أسباب استراتيجية ذات طابع فكري وموضوعي، وقد تم تنفيذه استناداً إلى ملاءمة وخصوصية كل مكان. بحيث يلاحظ أن موقع تيهرت الأعلى يوجد في بيئة غابية ذات تضاريس معقدة بكثافتها، مما أدى إلى وجود أزمة عقارية غير متوافقة مع تطلعات ومشروع الرستميين في إقامة مدينة كبيرة هناك. ومن هنا، يبدو أن موقع تاقدمت كان الاختيار المناسب والأقرب لجماعات الإباضية، خاصة مع ذكر البكري أنهم "نزلوا موضع تيهرت اليوم، وهو غيضة أشبة، ونزل عبد الرحمن منه موضعاً مربعاً لا شعراء فيه[6]".

---

[1] لم يُشر البكري إلى أنه نقل الرواية عن محمد بن يوسف الوراق.

[2] رشيد بوروبية، مدن مندثرة، ص13-14.

[3] أنظر على سبيل المثال: عبد الكريم يوسف جودت، ص ص32، 36؛ فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص192؛ فطيمة جلجل، المرجع السابق، ص62.

[4] محمود عباد، "العمران الديني في الحاضرة الجهوية تيهرت/تاقدمت خلال العصر الإسلامي الوسيط: شواهد تاريخية وأخرى أثرية تكشف عن الماضي اللاتيني للموقع"، عصور الجديدة، 11، (2021م)، ص103-120.

[5] محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية، ص70.

[6] البكري، المصدر السابق، ج2، ص735؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 44.

بالنسبة للجانب الثاني، فيتعلق الأمر بأهمية المياه وشبكتها الهيدروغرافية الموجودة في موقع تاقدمت. حيث تذكر المصادر التاريخية أن الموقع يتوسط ثلاثة أودية، من بينها وادي مينا ووادي تاتش. وقد ألقى جورج مارسي الضوء على هذا الجانب بشكل خاص في تفسيره لسبب التحول، مشيراً إلى أنه من عادات المسلمين عند تأسيسهم للمدن، أنهم يُولون اهتمامًا خاصًا لاختيار المواقع التي تتمتع بتوفر المياه[1].

3- المشهد الحضري للمدينة

قبل أن نناقش إحدى قواعد التحضر، ينبغي أن نبدي مُلاحظة أولية حول مراحل التطور العمراني للمدينة المدروسة، والتي يمكن تقسيمها إلى أربع محطات تاريخية مهمة:

المرحلة المبكرة: تمتد لمدة ثلاث سنوات فقط بين (162-165هـ / 778-780م)، وقد شهدت هذه الفترة تقدمًا بطيئًا في وتيرة البناء، على الرغم من استمرار العمل دون وجود مضايقات ملحوظة. ولعل الإشارة التي ذكرها ابن الصغير حول هذه الفترة بأنهم: "شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الموات[2]"، لا تبين وجود رغبة كبيرة في النشاط، مع احتمال أن السبب الناجم عن ذلك هو نتيجة فقر الموارد المالية وعدم وجود مُنافسة بارزة، سواء داخلياً مع الجماعات المحلية في تطوير المباني الأساسية أو خارجياً مع المدينة القديمة التي كانت في حالة جمود.

المرحلة الثانية: تمتد من (166-781/169-784م) ويمكن اعتبارها فترة الانطلاق الفعلية لعمليات التعمير، بحيث تميزت المدينة بتحقيق وتيرة عمل متسارعة في إنشاء المباني الحضرية والتحصينية، إلى جانب تأسيس ورشات عمل متنوعة خارج حدود المدينة، مثل المطاحن وغيرها. ويُعزى ما تم تحقيقه جزئيًا إلى المساعدات المالية التي تلقاها الإمام عبد الرحمان بن رستم من الجماعات الإباضية المشارقة، والتي شكلت مصدراً هاماً لاستقطاب العبيد ومساهمتهم في عمليات البناء. وبفضل هذا النشاط القوي، تمكنت المدينة من تحقيق تطورات ملحوظة في زمن قصير، كما يؤكده ابن الصغير في وصفه لعودة الوفد المشرقي لتقديم المزيد من

[1] Georges Marçais et A Dessus-Lamare, «Recherches d'archéologie Musulmane:Tihert Tagdemt », *Revue Africaine,* 90 (1946.) p. 29.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 29.

المساعدات، حيث ذكر أنهم "وجدوا الأمر قد تبدلت وأحوال المدينة والأشياء قد حالت وذلك أنَّهم قد نظروا إلى قصور قد بنيت وإلى بساتين قد غرست وإلى أرحاء قد نصبت وإلى خيول قد ركبت وإلى حفدة قد اتخذت السور والعبيد والخدام قد كثرت[1]".

من الجدير بالذكر أن عمليات التطوير لم تتوقف بشكل نهائي بعد الزيارة الثانية للوفد المشرقي إلى المدينة، على الرغم من إعادة الجماعات الإباضية لمساعداتهم المالية[2]. وإنما تشير المعطيات إلى إقامة بعض المباني الجديدة، وخاصة خلال فترة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب[3] التي استمرت حولي نصف قرن من الزمن، اشتهر فيها بتشييد العديد من القصور[4].

المرحلة الثالثة: وهي فترة مفصلية، تبدأ مع تولي الإمام أبي بكر بن أفلح السلطة، وتأتي بالأخص مع الحادثة الشهيرة المتعلقة بمقتل صهره ابن عرفة حوالي سنة 241هـ (855م). حيث تعرضت المدينة لحالة من الفوضى والصراعات الداخلية والخارجية مما أدى إلى توقف جزئي في عمليات التطوير العمراني، الذي يبدو أنه تحول إلى صناعات حربية تحصينية ترتبط بجماعات محددة أحياناً، وأحياناً أُخرى تتعلق باتحاديات مشتركة. بالإضافة إلى ذلك، شهدت المدينة أعمال تخريب متعمدة للعديد من السكنات المدنية، ومن أمثلتها حرق درب العجم والنفوسيين في أكثر من مناسبة[5]. ثم بعد ذلك، توالت الخسائر خلال حكم الإمام أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، وخُصوصا في سياق النزاعات بين أفراد الأُسرة الأميرية[6] حول مقاليد السلطة،

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 35.

[3] تولى الإمامة في مطلع القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلاد.

[4] نفسه، ص 53.

[5] نفسه، ص 71.

[6] نلاحظ أن منصب الإمامة، ورغم أنه يتضمن على مظهره بعض عناصر الشورى، إلا أنه بقي ضمن حدود أسرة عبد الرحمان بن رستم. ومن الجدير بالإشارة إلى أن الشخص الذي يتولى منصب الإمام تم تسميته في بعض الأحيان باسم "الأمير". ويجلى ذلك من خلال ظهور هذا اللقب بتكرار في صفحات متعددة من نص ابن الصغير، على سبيل المثال يُمكننا الإشارة إلى الصفحات: 53، 63، 67، 79، 80، 83. وبالإضافة إلى ذلك، استخدم المؤلف نفسه مصطلح "السلطان" في الصفحتين 70 و79.

واستمر ذلك لفترة طويلة[1]، وفي هذا الصدد نشير إلى ما ذكره ابن الصغير إلى أن "البلد قد فسدت وفسد أهلها في تلك الحروب[2]".

المرحلة الرابعة والأخيرة: تمتد من بداية الهيمنة الفاطمية على المدينة وإلى غاية تخريبها على يد جماعات بني غانية في العقد الثالث من القرن السابع الهجري (13م)[3]. وخلال هذه الفترة، وقعت المدينة ضحية للصمت السائد في المصادر التاريخية، إلى درجة غياب ما يؤكد حضورها في هذا الفضاء السياسي المضطرب، باستثناء بعض الإشارات النادرة حول تجاذب القوى المتصارعة عليها، أو التحدث بشكل محدود عن تعيين ولاة جدد من قبل السلطة الفاطمية ولاحقاً من قبل خلفائهم الزيريين. في المقابل لا توجد معلومات حول البنايات المشيدة في هذه المرحلة، بالإضافة إلى صعوبة تحديد مدى استمرارية تلك البنايات التي تم انشاؤها خلال المراحل الثلاثة السابقة.

3-1 بناء التحصينات

أ- سور الحاضرة

يعد بناء السور الذي يحيط بالمدينة أمراً لا يمكن التخلي عنه لضمان خصوصية التحضر. وقد كانت أهميته واضحة من خلال التنبه إلى مدى تعرض أمن المدينة وسلامتها من تهديدات الولاة العباسيين، الذين استمروا في محاولات القضاء على تكوين هذا المركز الخاص بالجماعات الإباضية[4]. وعلى الرغم من حصانة الموقع الطبيعي في تكوينه، إلا أنه يفتقر إلى حماية تضاريسية كافية مقارنة مع الجهة التي تقع فيها مدينة تيهرت العليا. وبالتالي، لن يكون من السهل الدفاع عنها إلا إذا تم تصميم التحصينات بشكل متقن ومثالي.

[1] هذا النزاع كان قائماً بين الإمام أبي حاتم وعمه يعقوب بن أفلح، وبسببه انقسم السكان إلى فرقتين متعارضتين، وكل فرقة تتمسك بمبايعتها لإمام معين. وبالتالي نظريا قد أصبح يوجد إمامين متنافسين، أما عمليا، فجمهور الإباضية، ورغم خسارتهم للمدينة واستقرارهم في الحصون الخارجية، لكنهم ظلوا ملتزمين بولاية الإمام أبي حاتم. أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص95-100.

[2] المصدر نفسه، ص101.

[3] الوحيد الذي أشار إلى هذه المعلومة التاريخية، هو: ابن خلدون، العبر، ج6، ص140.

[4] حيث سمحت الظروف للولاة العباسيين بتأسيس مدينة "العباسية" بالقرب من مدينة تيهرت، وتُشير الروايات إلى أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب قام خربها في سنة 249هـ/863م، ولم يبق في وقتنا الحاضر من الأثار الدالة عليها أي شيء. راجع: ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص66.

هُناك عدد محدود من المصادر التي تُشير إلى وجود السور في المدينة تيهرت/تاقدمت[1]. لكنها في جميع الأحوال لا تقدم سوى معلومات سطحية لا تفصح عن الطول والارتفاع أو توضح بالضبط كيفية تشكيل هذا السور وهياكله. ومع ذلك قد يُترجم الحجم الكبير للمدينة طول السور الذي يحيط بها، وفي هذا الصدد نلاحظ أنَّ جُل النصوص والروايات المسجلة حولها تلقي الضوء بشكل لافت على عظمتها[2]. في المقابل، يعتبر الحسن الوزان المؤلف الوحيد الذي قدم تقديراً محدداً لطول السور خلال القرن 10هـ (16م)، حيث يؤكد بالحرف الواحد أنَّه "يبلغ طول محيطها عشرة أميال كما يلاحظ ذلك من تتبع أسس أسوارها[3]". ورغم أن هذه المسافة تبدو كبيرة جداً[4]، إلا أننا للأسف لا نملك اليوم سوى بعض الأجزاء القليلة من السور الأثري، وهي غير كافية لتحديد مقياس جديد للطول. لكنها تتيح لنا فهمًا محدودًا عن القوة والتحصين الذي كان يجمع ما بين ربوتين متقابلتين[5].

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734. الاستبصار، المصدر السابق، ص178.

[2] اليعقوبي، البلدان، ص149. المهلبي، المصدر السابق، ص48؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص178. إسحاق بن الحسين اليمني، المصدر السابق، ص100.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص40.

[4] ما يعادل 16.0934 كلم. وهو رقم مبالغ فيه مقارنة بالحجم الجغرافي للموقع. ومع ذلك، يشير تقرير جورج مارسي ودوسوس لامار الذي أجري في سنة 1949م، إلى أن الشكل العام للمدينة كان عبارة عن مستطيل غير منتظم يبلغ طوله حوالي 1100 متر وعرضه يتراوح بين 700 و800 متر، وهو التقدير الأقرب إلى الواقع. باستثناء، يبدو أن هناك خطأً في تحديد موقع السور بالقرب من القصبة الموجودة في الجزء العلوي من الهضبة الجنوبية. في حين هناك دلائل أثرية تشير إلى أن بعض أجزاء السور تنخفض نحو "وادي تاتش" بمسافة قليلة فقط عن مجرى الماء. (Georges Marçais et A. Dessus-Lamare, *op.cit.*, p. 31-32.)

ــ أما بالنسبة للملاحظة التي سجلها الباحث رشيد بورويبة حول نتائج التقرير السابق لجورج مارسي ودوسوس لامار، فهي تشكك في جميع تلك القياسات. مشيراً إلى أنّ زيارته الميدانية للموقع لم تكشف إلا عن مساحة تقدر بنحو 300 متر طولاً و200 متر عرضاً. ولكن يجدر بالإشارة إلى أن هذه المساحة التي قدمها بورويبة تتطابق بشكل كبير مع الآثار البارزة لمدينة الأمير عبد القادر التاريخية التي تقع في أعلى الهضبة الشمالية، ولا تمثل مدينة العصر الوسيط على الإطلاق. أنظر: رشيد بورويبة، مدن مندثرة، ص39.

[5] يمكن مراجعة الوصف الذي قدمته الباحثة فاطمة جلجل حول سور المدينة: المرجع السابق، ص28-29.

ــ في هذا الوقت الذي يشهد اندثار معظم الرصيف الأثري للسور، فالأكيد أن السبب يعود بالأساس إلى استخدامه في بناء مدينة الأمير عبد القادر ابتداءً من سنة 1836، ثم نقلها لتكوين المدينة الأوروبية الحديثة ابتداءً من سنة 1842م، وأخيراً في بناء القرية "الفلاحية" في نفس الموقع خلال عهد الرئيس هواري بومدين.

يبدو أن المدينة قد استمرت على نفس المساحة التي حددها في البداية الإمام عبد الرحمان بن رستم، وفي هذا الصدد توجد إشارة ذكر من خلالها ابن الصغير أنَّ بأموال أهل البصرة "اتسعوا في البلد وتفسحوا فيها[1]". ويُؤكد استخدام مصطلح "التوسعة" في السياق التاريخي السابق على ارتباطه ببداية تأسيس المدينة، حيث يُشير إلى وضع خطة كبيرة للبناء. ولا يُقصد من وراء هذا المصطلح أن الجماعات الإباضية سيطرت على مناطق جديدة.

من ناحية أخرى، يظهر أن الاحتمالية ضئيلة لحدوث توسيع للسور في أي اتجاه مجاور بعد ذلك، إذ ذكر ابن خلدون في كتابه "العبر" أن المدينة قد تمدَّنت واتسعت في زمن عبد الرحمان بن رستم، ولكنه لم يشير إلى أي توسع آخر عندما تحدث عن الإمام عبد الوهاب وخلفائه[2]. ورغم البحث، لم نعثر على أي دليل يشير إلى العكس من ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين قد اقترحوا تأويلًا مختلفًا، حيث أصروا على فكرة تفيد بأن منطقة المدينة في زمن الإمامين عبد الرحمان بن رستم وعبد الوهاب كانت تقتصر على الهضبة الشمالية فقط، وأنه توسع العمران إلى الهضبة الجنوبية في عهد الإمام أفلح [3]، ويستند هؤلاء إلى رواية ابن الصغير التي ذكر فيها أنَّ نفوسة قد ابتنت العدوة خلال عهد الإمام أفلح[4]. ومن الواضح أنَّ هذا الدليل غير كاف لتأكيد فرضية الادماج المذكورة، بالنظر إلى أن ابن الصغير عندما ذكر إنجازات الإمام أفلح، لم يشر إلى توسعة المدينة بل اكتفى بذكر أنَّه "شمخ في ملكه وابتنى القصور، واتخذ بابا من حديد، وبنى الجفان[5]". وبالإضافة إلى ذلك، نلاحظ أن العدوة المذكورة كانت في موقع خارج المدينة، كما سيتم التطرق له لاحقاً.

---

1 ابن الصغير، المصدر السابق ص 33.

2 ابن خلدون، العبر، ج6، ص159.

3 سعاد بوجلابة فوزية، "تاريخ مدينة تيهرت الأثرية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 4، (2016م)، ص79. وقد اعتمدت الباحثة في هذا السياق على مداخلة يحي بوعزيز، في أعمال الملتقى الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية بولاية أدرار، والتي كانت بعنوان " معطيات جديدة حول تاهرت تاقدمت".

4 ابن الصغير، المصدر السابق، ص53.

5 المصدر نفسه، نفس الصفحة.

يظهر أن فترة بناء السور، وفقًا للتقسيم السابق، قد كانت خلال المرحلة الأولى، وذلك باعتباره واحداً من أهم الاستحكامات التي اعتمدت عليها الجماعات الإباضية[1]، ففي رواية ابن الصغير حول زيارة وفد من البصرة للإمام عبد الرحمان بن رستم في المرة الأولى، تطرق إلى دخولهم المدينة من الباب المعروف بـ "باب الصفا"[2]، مما يُؤكد هذا الأمر على وجود السور الذي يفرض استعمال الأبواب كوسيلة للدخول والخروج بين الفضاء الحضري والخارجي.

من المعلوم أيضاً أنَّ المباني التي أقامها مهندسو الإباضية، بما في ذلك السور، قد تم تنفيذها بأسلوب محلي بسيط[3]. حيث تتكون من مزيج من قطع الحجارة اللينة والصلبة، ولم يظهر عليها أي نوع من عناصر النحت أو المبالغة[4]. وبالتالي، يمكن أن تكون هذه الطريقة البسيطة قد سهلت عملية البناء وتمكنت من إكماله في وقت قصير. ورغم ذلك، لا توجد معلومات دقيقة تُمكننا من معرفة المدة الزمنية المحددة لإتمام عملية البناء.

---

[1] في المقابل، يقترح بعض الباحثين أن السور كان آخر عمل تم بناؤه في المدينة، أنظر مثلاً: محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حاضرتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987م، ص99.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص29.

[3] تُشير الباحثة أم كلثوم بن يحي، إلى أن عبد الرحمان بن رستم قد استعان بمعماريين أندلسيين في بناء المدينة تيهرت/تاقدمت، ولكن هذا من دون مُؤشر أو دليل قوي لإثبات هذه الفرضية. أنظر: أم كلثوم بن يحي، "العلاقات الخارجية بين المغرب الأوسط والأندلس في العهد الرستمي"، مجلة دراسات، 3_2، (2014م)، ص17.

[4] فاطمة جلجل، "الخصائص المعمارية والفنية لعمران مدينة تيهرت الرستمية (160-296هـ / 777-909م) -دراسة أثرية"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال أفريقيا، العدد (05)، 2022م، ص211-212.

الصورة لبقايا معالم السور الموجود في الجهة الجنوبية الغربية بمحاذات وادي تاتش[1] (محمود عباد 2018م).

لا تُشير المعطيات التاريخية بوضوح إذا ما تم تعزيز السور بسلسلة من أبراج المراقبة والدفاع. ومع ذلك، عندما نلقي نظرة على النتائج الأثرية التي توصل إليها الباحثون مثل جورج مارسي (Georges Marçais) ودسوس لامار (A. Dessus-lamare) حول الموقع، نجد أنها تُشير إلى وجود بروج مراقبة مدعمة على السور، وتمتاز هذه البروج بقواعدها ذات الأضلاع في الزوايا وبالدعائم المربعة التي يبلغ طول ضلع كل دعامة منها حوالي 05 متر، وتكون المسافة بين كل دعامتين متواليتين حوالي 20 مترًا[2].

من الطبيعي جداً أن يكون للسور مجموعة من الأبواب التي تسهِّل عملية الدخول والخروج إلى المدينة. إلاّ أننا في الحقيقة لم نطلع على تفاصيل كافية حول هذه المداخل التي استُندَت عليها المدينة، باعتبارها تركت انطباعا قليلاً في المصادر التاريخية. ففي جغرافية البكري مثلاً، يذكر بوضوح أنَّ هناك ثلاثة أبواب، ولكن عندما نستعرض تسمياتها نجد أن هناك أربعة أبواب عُرِضت على التوالي: باب الصفا وباب المنازل وباب

[1] يُعرف حالياً باسم "وادي تيارت".

[2] Georges Marçais et A. Dessus-lamare, *op.cit.*, p. 33.

ـ فيما يتعلق بوصف البرج الوحيد المتبقي في المنطقة الشمالية من الموقع، راجع: فاطمة جلجل، المرجع السابق، ص30.

الأندلس وباب المطاحن[1]، بينما نلاحظ أنَّ الدرجيني عندما أشار إلى نص جغرافية البكري قام بتصحيح العدد إلى أربعة أبواب وقدمها بالتسلسل الإسمي السابق[2].

ومن هُنا، نتساءل هل ارتكب البكري خطأ في العد أو ربما ارتكب الخطأ في نقل المعلومات من جغرافية محمد بن يوسف الوراق، مما دفع الدرجيني إلى تصحيح الحساب؟ ورغم أنَّ هذه النقطة وحدها غير كافية لتفسير التناقض، إلا أن العديد من الباحثين أكدوا هذا التصحيح دون تقديم أدلة قوية[3]. في الواقع، يثير خوفنا من الوقوع في خطأ اختيار النص أو تفسيره الخاطئ دافعًا لنا للبحث عن مقاربات إضافية تساعد في تحديد العدد الصحيح للأبواب وربما حتى تحديد مواقعها في المدينة، إن كان ذلك ممكنًا.

في هذا السياق، يمكننا استغلال مجموعة من الإشارات المدرجة في النصوص التاريخية، والتي تدعم فرضية وجود ثلاثة أبواب فقط في المدينة. بحيث، إلى جانب إشارة البكري التي نقل فيها هذا العدد المحدد من كتاب محمد بن يوسف الوراق، يظهر أن أول إشارة صريحة لتحديد عدد الأبواب وردت في النص اليمني لإسحاق بن الحسن، الذي عاش في القرن الرابع الهجري (10م)، حيث أكد وجود ثلاثة أبواب للمدينة[4].

بالإضافة إلى ذلك، يُمكن للمتتبع لرواية الخلاف الذي وقع بين الإمام أبي حاتم ومعارضيه أن يستنتج أن الهجوم الذي شُنَّ على المدينة تم توجيهه نحو ثلاث جهات فقط: الشرقية والجنوبية والغربية، مع غياب أي إشارة إلى الناحية الشمالية[5]. وهذا يُعزز فرضية عدم وجود مدخل في الجهة الشمالية، خاصةً مع وجود المرتفعات في هذه المنطقة التي لم تذكر المصادر أنها كانت مستخدمة إلا نادرا جداً.

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 34. ثم نقل عنه كل من: صاحب كتاب الاستبصار، ص178. والقلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص111-112.

[2] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42.

[3] بناءً على هذه المعلومة التي وردت في نص الدرجيني، فإن الاعتقاد الذي ساد بين الباحثين هو أن المدينة كانت تحتوي على أربع واجهات، ويفترض أن كل واجهة منها تحتوي على مدخل مخصص. أنظر على سبيل المثال: Georges Marçais et A. Dessus-lamare, *op.cit.*, p. 32. سعاد بوجلابة قوزية، المرجع السابق، ص77.

[4] اسحاق بن الحسين اليمني، المصدر السابق، ص 100.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 94.

وأخيرًا، بخصوص معلومة أن باب الصفا هو نفسه باب الأندلس، وفقاً لإشارات معينة من المصادر[1]، يمكن تفسيرها ضمن الدلائل التي تدعم هذا الرأي. وفي هذا السياق، يُمكن تفسير تصحيح الدرجيني لعدد الأبواب من ثلاثة إلى أربعة كمحاولة لتصحيح ما ذُكر في النص السابق للبكري، ورغم أن هذا التصحيح قد أظهر عدم دقته، فإن نفس الأسلوب قد يُطبق على نقل ابن عذاري للمعلومات عن ابن القطان[2].

فيما يتعلق بمواقع هذه الأبواب، فإن النصوص التاريخية والدراسات الأثرية النادرة جداً لم تقدم تحديدًا دقيقًا لمواقعها. وبناءً على هذا النقص في المعلومات، يمكننا أن نفترض تحديد الجهات الثلاثة التي كانت عليها، وهذا يأتي استنادًا إلى مجموعة من الروابط التاريخية التي تم تجميعها:

باب الصفا[3]/باب الأندلس: يبدو أن هاتين البوابتين كانتا تُستخدمان كمداخل للجهة الشرقية من المدينة، وذلك بناءً على الأدلة التالية:

- عندما وصل وفد إباضية البصرة إلى المدينة لتقديم الدعم المالي، أشار ابن الصغير إلى أنهم دخلوا من "باب الصفا"[4]. ويلاحظ هنا أن طريق دخولهم إلى المدينة لم يكن إلا من الجهة الشرقية.
- تمت الاحتفالية ببيعة الإمام أبي حاتم أمام هذه البوابة عندما عاد من حماية قافلة قادمة من الشرق[5].
- تم استخدام هذا الباب عندما خرج شيعة يعقوب بن أفلح لمهاجمة ابن أخيه أبي حاتم، والذي كان ينوي اقتحام المدينة من هذه الجهة الشرقية، بعد تصاعد الانقسامات داخل المجتمع الإباضي بسبب مسألة الزعامة[6].

---

[1] من بينها: القلقشندي المصدر السابق، ج5، ص111؛ الحميري، ص126.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

[3] ورد في كتاب ابن عذاري المراكشي بتسمية "باب الصف" (المصدر نفسه، ج1، ص 50.) وهذا ربما يكون ناتجًا عن خطأ في عملية النسخ.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص29. ويستوقفنا في هذا السياق وجود مدينة تُسمى "مشرع الصفا"، ولكن في الجهة الغربية من مدينة تاقدمت.

[5] المصدر نفسه، ص91.

[6] نفسه، ص97-98.

باب المطاحن: يُفتح هذا الباب في الواجهة الجنوبية بالقربية من الجدار الغربي، حيث يُمكن استعمال المسلك الوحيد والسهل للوصول إلى شلالات وادي مينا[1]، أين توجد هناك مجموعة من الأرحية (المطاحن) التي تم تنصيبها، والمشار إليها في لائحة إنجازات الإمام عبد الرحمان بن رستم[2]. ويبدو أن هذا الباب كان ثانوياً أو ذو أهمية أقل بالمقارنة مع الأبواب الأخرى، لأن استخدامه في الغالب لا يتجاوز سكان المدينة والحرفيين الذين يحتاجون الوصول إلى منطقة شلالات وادي مينا.

باب المنازل: يعد الباب الثالث والأخير، ويُفتح في الجهة المتجهة لقوافل التجار القادمة إلى سوق المدينة. وربما تسميته "المنازل" نسبةً إلى الفنادق الواقعة بجواره، والتي كانت تُستخدم لاستقبال التجار والزوار. على غرار ما كان يحدث في معظم المدن التجارية مثل القيروان وتلمسان وبجاية وغيرها.

ب- الحصون:

كانت المدينة محمية بمجموعة من الحصون التي شيّدها الرستميون في فترة مبكرة، ويظهر ذلك من خلال الملاحظات الثانية لوفد إباضية البصرة في زيارتهم للمدينة، حيث تبين وجود قصور تم بناؤها بفضل دعمهم المالي[3]. ثم بعد ذلك تزايد اهتمام السلطة المركزية بشؤون التحصين، وخاصة خلال فترة الإمام أفلح بن عبد الوهاب، الذي أسس العديد من القصور الإضافية[4]، وقد كان ذلك بالموازاة مع ظهور خطر قوتين جارتين، وهُما إمارة الأغالبة التي أعلنت الولاء للعباسيين، والإمارات السليمانية-الإدريسية التي أسست فروعها في العديد من المناطق المجاورة لتيهرت، مثل هاز وتنس وسوق إبراهيم وغيرها.

وردت الإشارات الأولى لوجود قصر أميري في المدينة خلال زيارة وفد البصرة الثانية، بينما كان المبنى يعتبر في السابق مجرد مسكن عادي. بحيث عند ذكر دخولهم المدينة في الزيارة الأولى ومناقشتهم لمكان إقامة الإمام

---

1 سيدي واضح حالياً.

2 ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص31-32، 74.

3 المصدر نفسه، ص 32.

4 نفسه، ص 53.

عبد الرحمان بن رستم، اشتملت رواية ابن الصغير على مصطلح "دار الإمام[1]"، وهذا يظهر بوضوح في الحوار الذي دار بينهم وبين الغلام أمام المبنى[2]. ومن الملاحظ أن هذا المبنى كان مكشوفاً أمام الجميع، بدليل أنَّ الوفد البصري توقف في زيارتهم الأولى عند الإمام وهو يعمل على إصلاح السقف دون أن يكون لديه سابق علم بوجودهم[3]. وبعد مرور ثلاث سنوات عن هذا الحدث، وجد الوفد المشرقي أن الأمر قد تطورت بشكل واضح مقارنة بالوضع السابق، حيث أشار ابن الصغير إلى أنهم "قصدوا قصر صاحبهم[4]"، مما يُظهر وجود تطور في هذا المبنى خلال الفترة المحددة [5]. ولا يُستبعد أن يكون القصر قد تم توريثه داخل العائلة الحاكمة للإشراف على المدينة خلال الفترة الزمنية اللاحقة.

يكتنف الغموض عملية تحديد موقع هذا القصر الذي يعتبر مركزاً بارزاً للسلطة الحاكمة، ولكن لا نستبعد أن يكون موقعه في منطقة مرتفعة داخل المدينة بهدف تعزيز قدرته على الدفاع عنها ورصد الحركة فيها، وبخاصة فيما يتعلق بالسوق[6]. وحتى لا نُفسر المسألة من دون عناصر تاريخية، يمكننا الرجوع إلى بعض الإشارات النادرة حول هذا القصر. ففي المرحلة المبكرة من العصر الرستمي، يظهر أنه كان موقعاً قريباً من المسجد الجامع، وهذا ما يؤكده ابن الصغير[7]. وبحسب المقديسي، لم يكن جامع المدينة بعيداً عن سوقها،

---

[1] إذا صح استخدام كلمة "دار الإمام" هنا، فإنه يبدو أن ابن الصغير لم يقم بضبط مصطلحاته بشكل كافٍ حول بعض المباني الأخرى. ففي كثير من الأحيان، يستخدم مصطلحات مثل "القصر" "الدار" و"الباب" للإشارة إلى نفس المبنى دون تطوره. وكأمثلة على ذلك، يمكن الرجوع إلى وصفه لقصر ابن عرفة في الصفحات 62 و65، ووصفه لقصر الإمام أبي بكر بن أفلح في الصفحات 64 و68.

[2] المصدر نفسه، ص29.

[3] انفسه، نفس الصفحة.

[4] نفسه، ص33.

[5] تجدر الإشارة إلى أن رواية الشماخي المتأخرة عن الفترة الرستمية، والتي ذكر فيها بأن البصريين عندما وصلوا إلى موقع الإمام "وجدوه على حاله الذي تركوه عليه"، كان يُقصد بها تواضع الإمام وزهده في الدنيا، وليس للإشارة إلى أن الدار بقيت على حالتها. وقد أكد ابن الصغير هذا الجانب بوضوح في حديثه حين قال: "إلى أن قصدوا قصر صاحبهم فلقوه على ما عرفوا من التواضع". أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص33. الشماخي، المصدر السابق، ص46.

[6] ومن جهته، أشار دوميك فاليريين في دراسة حول ميناء بجاية إلى أن هذه المسألة لا تختلف كثيرًا عند إعداد الحصون في المدن حتى تدافع عنها وتراقبها. دومينيك فاليرين، المرجع السابق، ج1، ص153-154.

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص31.

وذلك عندما حدَّد المسجد الجامع للمدينتين تيهرت/الأعلى وتيهرت/تاقدمت[1]. وبناءً على هذه المعلومات، يُمكن القول إن هذه التكوينات الثلاثة – القصر، المسجد الجامع، والسوق – اقتربت كثيرًا من بعضها البعض. وفي رأيي الشخصي، يُمكن أن يكون هذا القصر مرتبطًا بالقصبة التي وصفها البكري على أنها "مشرفة على السوق تسمى المعصومة وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبليها ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمى تاتش، ومن تاتش شرب أرضها وبساتينها وهو في شرقيها[2]"، وباعتبار أن هذه المعلومات تتوافق مع النصوص التاريخية الأخرى التي تصف القصبة بكونها مشرفة على السوق وموقعها على حافة واديين[3]، فيمكن أن نستنتج بأن هذا القصر ربما كان جزءًا من المنطقة الجنوبية المرتفعة".

من الواضح وفقًا للمعلومات المتوفرة في مختلف المصادر أنَّ جيش أبي عبد الله الداعي لم يجد أي صعوبة في الاستيلاء على المدينة. وقد سجل أبو زكريا في كتابه السير عند احتلالها "أنه وُجِد بها صومعة مملوءة كتباً"[4]، ما قد يطرح في تعبيره هذا تساؤلاً عما إذا كانت المكتبة متصلة بالمسجد الجامع، بمعنى المنارة؟ وهذا غير مرجح على الإطلاق. بل ربما يكون هذا الوصف يشير إلى الموقع أو المكان المرتفع الذي تم فيه اكتشاف المكتبة.

هناك احتمال ثالث لا يمكن استبعاده، وهو أن "الصومعة" قد تكون هي نفسها "المعصومة"، وأن هناك خطأً في النسخ أثناء توثيق الحدث. بدليل أن السياق في الرواية التي ذكرها الدرجيني حول استحواذ الجماعات الإسماعيلية على المدينة وتخريبهم للمكتبة كان يتعلق بالقصبة في حد ذاتها[5]. بالإضافة إلى ذلك، أشار الدرجيني إلى وجود ديوان تيهرت في المكتبة[6]، وهذا الديوان الذي كان يحتوي على خزانة هامة، لا يمكن

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص218.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734.

[3] أنظر كل من: الاستبصار المصدر السابق، ص178؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص111-112.

[4] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص170.

[5] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص93.

[6] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

أن يتم إدارته وحمايته إلا من قبل الإمام نفسه نظرًا لأهميته. وبالتالي، هذا النقل بين المفاهيم يُشير إلى أن القصبة خلال القرن الرابع الهجري (10م) كانت هي نفسها قصر الإمام وموقع إقامته السابق.

بالنظر إلى الفرضية التي طرحها الباحث موسى لقبال حول مسألة بناء "المعصومة" في فترة متأخرة مقارنة بالعصر الرستمي، والتي قام بدعمها بحجة عدم ذكرها في النصوص المعاصرة لتلك الفترة، ولا سيما نصوص ابن الصغير واليعقوبي[1]، فهي تثير تساؤلات حول مدى صحتها، وخاصة بالنظر إلى الوضع العمراني للمدينة وتطوره في المرحلة التاريخية الرابعة، حيث استمرت في تراجعها العمراني بشكل ملحوظ نتيجة الحروب وفقدانها لمكانتها كعاصمة لمقاطعة فاطمية، وقد قابله تحول اهتمام الفاطميين بشكل كبير إلى بناء وتطوير مدينة أشير التي تم تجديدها بواسطة زيري بن مناد الصنهاجي في سنة 324هـ (935م).

حسب المعطيات الحالية فإن "المعصومة" قد أُطلِقت كطوبونيم على القصر بعدما رُبِطت المدينة مباشرة بالسياق السياسي الإسماعيلي الذي جعل من المهدية مقرًا له. وهذا يدعمه عدم وجود أي طوبونيم محدد سُجل باسم "قصبة الرستميين" في السابق. ويُشير المقديسي بالاهتمام إلى أن "تيهرت" كانت تُستخدم للإشارة إلى القصبة نفسها[2]. بالإضافة إلى ذلك، ظهرت هذه التسمية الجديدة لأول مرة بشكل متأخر في نص البكري، الذي اعتمد بشكل كبير على الكتاب المفقود "مسالك إفريقيا وممالكها" لمحمد بن يوسف الوراق (ت363هـ / 974م). ومن الناحية اللغوية، يظهر أن مصطلح "العصمة" (أو "المعصومة") كان يُستخدم بكثرة لصالح الإمامة الفاطمية الشيعية.

[1] موسى لقبال، "من قضيا التاريخ الرستمي الكبرى مكتبة المعصومة بتيهرت هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني ورجلان"، الأصالة، 41، (1977م)، ص58-59.

[2] المقديسي، أحسن التقاسيم، ص180.

يبدو أنَّ نمط بناء هذا القصر كان بشكل جيد، باعتبار أن هياكله قد استمرت إلى فترة طويلة، وهذا عكس بقية التحصينات الأُخرى التي اندثرت بسرعة نسبياً. حيث تؤُكد شهادة القرن التاسع عشر ميلادي التي نشرها مالت برون (Malte-Brun) والتي تشير إلى أن بقايا هذه القلعة ما زالت ماثلة على الهضبة الجنوبية[1].

ومع ذلك، نفتقد إلى معلومات محددة حول المرافق والهياكل الموجودة داخل هذا القصر، وذلك بسبب نقص البيانات التاريخية الكافية. الاستثناء الوحيد هو الدراسة الأثرية التي قام بها الباحثان جورج مارسي ودوسوس لامار في أربعينيات القرن الماضي، حيث قاموا بتتبع بقايا أساسات هذا القصر التي استمرت قائمة لفترة طويلة[2].

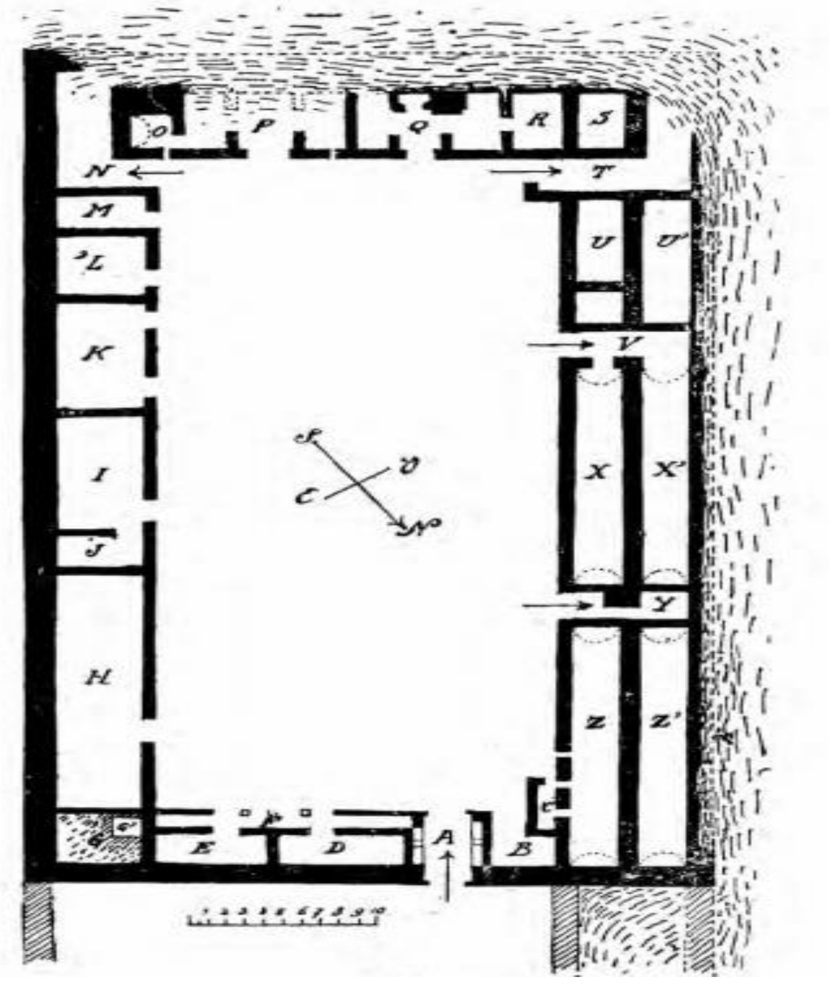

مخطط يوضح شكل القصبة (عن جورج مارسي ودسوس لامار)

[1] Conrad Malte-Brun, *Précis de la géographie universelle, ou Description de toutes les parties du monde*, Furne et Cie, Libraires-Éditeurs, Paris, 1841, P. 561.

[2] Georges Marçais et A. Dessus-Lamare, *op. cit.*, p. 44-46.

في بعض الأحيان، تتم الإشارة إلى وجود القصور في الظروف العادية[1]، ولكن غالباً ما تظهر هذه القصور في الفترات المتعلقة بالحروب والحصارات. وفي المدينة، قد تم بناء جزء كبير من هذه القلاع برغبة سكانها وبدعم من بعض القبائل لمقاومة خلافاتهم الشخصية، وخصوصاً خلال المرحلة الأخيرة من فترة الدولة الرستمية، حيث تصاعدت الحروب وانتشرت الحزبية الجهوية وظهر سوء التسيير بين الأئمة، مما ساهم هذا الوضع المتدهور في إقامة قلاع جديدة أو تحسين تلك القلاع التي كانت موجودة من قبل.

من بين هذه الحصون، تبرز قلعة نفوسة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجماعات نفوسة التي وفدت بقوة إلى المدينة. وقد أشار ابن الصغير إلى تأسيسهم لهذه القلعة خلال فترة حكم الإمام الرابع أبي بكر بن أفلح، وذلك نتيجة اندلاع العديد من الفتن والصراعات[2]، التي أدت إلى فقدان العجم ونفوسة والرستميين لمواقعهم داخل المدينة، وبعد أن سيطرت عليهم الجند والعرب، لجئوا إلى الناحية التي سُميت فيما بعد "عدوة نفوسة[3]" وهناك شيدوا حصنهم بكل ما يلزم من قوة للدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم[4].

وفي ظل هذه الأزمة القائمة بين الجماعات الجهوية، نلاحظ أن اتحاد العرب والجند قد أسسوا بسرعة حصناً جديداً يقع مباشرة مقابل حصن النفوسيين، وقد تم تنفيذ هذا البناء على حساب بعض التجار الأثرياء الذين كانوا من نفس سلالتهم [5]. في حين، يصعب علينا تحديد ما إذا كان هذا الإجراء هو جزء من خطة للقضاء على المواقع المتبقية لنفوسة وحلفائها في العدوة. مع أن العرض الرئيسي الذي قدمه التجار، حسب رواية ابن الصغير، كان الهدف منه هو التحصن وعدم البقاء على جهة مفتوحة يمكن الانتقام منها بمجرد توفر الفرصة، وهذا يأتي خاصة مع عدم وجود أي حصن آخر تمتلكه جماعاتهم في المنطقة القريبة.

[1] كمثال عن ذلك، أشار ابن الصغير إلى قصر ابن عرفة الذي لم نعلم عنه سوى القليل، باستثناء أنه كان يقابل قصر صهره الإمام أبو بكر بن أفلح، أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص65.

[2] كانت اقامتهم في البداية مقتصرة على بناء مجموعة من السكنات العادية، والتي لم تكن محصنة، انطلاقا من فترة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب في مطلع القرن الثالث الهجري (9م). (راجع: ابن الصغير، المصدر السابق، ص53). ويمكن تفسير هذا الأمر نتيجة للسلم والتوافق الذي ساد في تلك الفترة بين مختلف السكان.

[3] المصدر نفسه، ص71.

[4] نفسه، ص72.

[5] من ضمن هؤلاء، أبو محمد الصيرفي وابن الواسطي وغيرهما من وجوه التجار. أنظر: نفسه، ص72-73.

من حسن الحظ أنَّ ابن الصغير قدم لنا تفاصيل قيمة حول المسافة التي تفصل بين الحصنين، حيث يُشير إلى أنها تبعد بنحو مدى رمية السهم. وتوضيحاً لجهودهم المبذولة، فقد ذكر أنَّ "البنائين كانوا يبنون والنبل تصيبهم فيحفلون لهم ستارة حتى استدار حصنهم، وركبوا له أبوابه وعلت أبراجه والحرب لا تفتر ليلا ولا نهاراً، وحميت فيما بينهم حمية الجاهلية، وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء[1]".

تعكس هذه الرواية بوضوح العداء الشديد الذي كان موجوداً بين الجانبين. ولا تكتف بذلك بل تسلط الضوء أيضاً على الفترة الزمنية القصيرة التي قام فيها المعماريون بإتمام بناء هذا الحصن، وخصوصاً تحت تلك الظروف الصعبة للغاية. في المقابل، يبدو أن استخدام هذا الحصن كان محدوداً للغاية، بحيث لا تتوافر لدينا معلومات في المصادر التاريخية التي تبين استمراره واستخدامه في الفترات اللاحقة.

بالعودة إلى تحديد موقع حصن النفوسيين على ضوء المعطيات التي يمتاز بها نص ابن الصغير، نجد أن هناك إشارة في غاية الأهمية. حيث قدم المؤلف مصطلحين ذكرهما في سياق حديثه عن المنطقة التي استوطنت فيها جماعات نفوسة، وهما:

- **الدرب:** يُلاحظ أن هذا المصطلح تكرر ثلاث مرات متتالية في كتابه[2]، وهو ما يتناسب مع تواجد النفوسيين في حيهم داخل المدينة، بالقرب من درب العجم وربما حتى الرستميين [3].
- **العدوة:** هذا المصطلح يُشير إلى الجهة التي يقع فيها حصنهم خارج المدينة، وكانت العدوة في السابق تضم سكنات عادية للنفوسيين أنفسهم فقط[4]. وقد ورد هذا المصطلح أيضًا ثلاث مرات بنفس الصيغة. [5]

[1] نفسه، نفس الصفحة.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص71.

[3] كان لهم حضوراً بارزًا داخل المدينة، حيث شغلوا مناصب مهمة في الإدارة، من بينها مسؤولية الإشراف على "السوق" "القضاء" و"بيت المال". أنظر: المصدر نفسه، ص ص53. 101.

[4] نزلوا بها منذ ولاية الإمام أفلح بن عبد الوهاب، وهو ما ذكرناه سابقاً.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص54 .70 .71.

ثم، ما يُؤكد حقيقة وجود هذا الحصن خارج المدينة هو الإشارة الواضحة التي استخدمها ابن الصغير في وصف خروج أبي حاتم والرستميين إلى حصن لواتة[1]، إذ يقول أيضاً إن العجم قد خرجوا إلى حصنهم، والذي من الممكن أن يكون نفس حصن برقجانة الموجود في تيهرت القديمة[2]، كما أنَّ نفوسة هي الأُخرى اتخذت نفس الإجراء وخرجت أيضاً إلى حصنها[3]، وهذا لا يمكن أن يُشير إلى وجود الحصن داخل المدينة، خصوصًا عندما ندرك أن للنفوسيين حصنًا واحدًا فقط.

وفي نفس السياق الذي شهد خروج هذه الجماعات المفاجئ إلى حصونها، يظهر أيضًا أن هناك عملية تأسيس لحصن جديد يخص الفئة المحايدة التي اختارت البقاء داخل المدينة[4].

عندما تطرق ابن الصغير إلى وصف المنطقة التي شُيِّد عليها الحصنين المتقابلين، أشار "أنَّ بينهما نهرًا يعرف بالنهر الصغير[5]". وفي القراءة التي قدمها الباحث الفلسطيني إحسان عباس حول هذا الموضوع، رجح أنَّ موقع التحصين يقع عند نهر مينا[6]. ولكن هذه الفرضية ليس لديها أي دليل قاطع أو سند قوي يمكن أن يدعمها. وإن كانت في رأيي قد تبدو غير صحيحة نظراً لوجود سببين مهمين واحتمال ثالث يجب أيضًا النظر فيه:

---

[1] يُعرف بحصن "تماليت"، ويقع في طرف مجالات لواتة. أنظر: المصدر نفسه، ص93.

[2] يبدو أنّ العجم الذين ذكرهم ابن الصغير هُنا هم نفسهم جماعات برقجانة الذين استقروا في الحصن الروماني القديم، الموجود في مدينة تيهرت العُليا، والدليل في هذا الأمر أنَّ ابن الصغير عندما تطرق إلى أحد الأثرياء المعروف باسم ابن وردة، الذي كان يمتلك سوقاً داخل المدينة، أشار قائلاً: "وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة" (ابن الصغير، المصدر السابق، ص53). وبالتالي فإن اسم "مجانة"، هو تصحيف من النساخ للإيثنونيم "برقجانة"، وفي نفس الوقت للطوبونيم الخاص بحصنهم، الذي تم التطرق إليه في نص البكري. وهذا يختلف عن تصور بعض الباحثين، على غرار محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بأن المؤلف ربما كان يشير إلى مدينة مجانة في إقليم إفريقية. (المصدر نفسه، نفس الصفحة، الهمش 68)

[3] نفسه، ص94.

[4] تم بدء عمليات بناء الحصن من قبل بعض السكان العاديين وحتى بعض شيوخ القبائل غير المتحزبين، وذلك نتيجة للخوف من الصراعات والتحالفات التي قامت في المنطقة. وعلى الرغم من ذلك، لم يتم تحديد الموقع الذي تم بناء الحصن عليه بشكل واضح. أنظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[5] نفسه، ص72-73.

[6] إحسان عباس، "المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين،" الأصالة، 11-13، (2011م)، ص24.

– أولًا، نلاحظ أنَّ هيدرونيم "وادي مينا" لم يكن مجهولاً عند ابن الصغير، بل على العكس من ذلك، فقد استخدمه في عدة مناطق في كتابه[1]، وليس من الضروري لديه أن يتجاوز إعادة استخدام هذا الاسم هنا مرة أخرى.

– ثانيًا، يجب أن نأخذ في الاعتبار أن وادي مينا هو واحد من أكبر الأودية في هذه المنطقة على الإطلاق، بعد وادي الشلف طبعاً، وبالتالي ليس هناك أي سبب لاستصغاره أو التقليل من أهميته كما جاء في وصف ابن الصغير السابق.

– أخيرًا، يكون من المستحيل تقريباً تخيل بناء أي نوع من المباني على المنحدر الجنوبي المقابل لوادي تاتش، نظرًا لصعوبته وانحداره الشديد. وبالتالي، يمكن لهذين الحصنين أن يكونا موجودين على الجانب الغربي بين ضفتي الوادي الصغير، والذي لم نحصل له على طوبونيم معين. فهو يتغذى في فصل الشتاء من المرتفع الشمالي ويصب ماؤه في وادي مينا. وباستثناء ابن عذاري الذي أشار ببساطة إلى أنَّ المدينة تقع بين ثلاثة أنهار[2]، نجد أنَّ معظم المصادر الأخرى أهملت الإشارة إليه نظراً لهامشيته[3]. في المقابل، نجدهم ملحين بشكل خاص على العلاقة بين المدينة ونهر مينا، وكذلك علاقتها مع وادي تاتش في بعض الأحيان.

من بين الدلائل التي تشير إلى أن الحصن، وبالأخص حصن نفوسة، كان يقع في الجهة الغربية خارج أسوار المدينة، يمكننا الرجوع إلى خريطة الطريق التي اتخذها الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح عندما استعان بجماعات جبل نفوسة لاستعادة المدينة من سيطرة ابن مسالة[4]. وقد ذكر ابن الصغير أن نزولهم الأول كان في

---

[1] ابن الصغير، المصدر نفسه، ص ص 74، 82، 100.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص207. ويشير المؤلف في رواية سابقة قام بنقلها من كتاب ابن القطان إلى أن المدينة تقع على نهر واحد فقط، وهو وادي مينا. أنظر: المصدر نفسه، ج1، ص50.

[3] يبدو أن هذا "الوادي الصغير" كان يشتمل على ممرات تربط بين الضفتين المتقابلتين، وقد شهدت مناطقها أحداثاً ونزاعات بين الأطراف المعنيين، تم الإشارة إلى نوعين منها فقط، وهما "قنطرة سليس" و"قنطرة الدمتس". أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص71.

[4] استمرت هذه السيطرة لحوالي 07 سنوات.

المنطقة الغربية حيث يقع قصر تسلونت على حافة عيون وادي مينا[1]. وهذا النزول كان بهدف التفاوض وتجنب الحرب. وبعد التوصل إلى اتفاقات تخدم المصلحة العامة للبلد، تقدم أبو اليقظان وأنصاره من هذا المركز القيادي وصولًا حسب ابن الصغير إلى "الظاهر المشرف على المدينة المعروف بقلعة نفوسة"[2]، دون الإشارة أنه التف نحو أي جهة أخرى من المدينة.

وهناك رواية أخرى تعكس محاولة الإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح لاقتحام المدينة على معارضيه، الذين نصروا محمد بن رباح ومحمد بن حماد[3]، وقد دفعت هذه المحاولة إلى محاصرة المدينة من جهاتها الثلاثة. لذلك ليس من المستغرب أن نرى تولي نفوسة ومساعديها الحصار من الجهة الغربية [4].

في الإشارة الأخيرة التي أدلى بها ابن الصغير حول هذا الحصن، تُبين لنا أنَّه استمر حتى نهاية الرُبع الأخير من القرن الثالث الهجري (09م)، مع الاستمرار في استخدام نفس الطوبونيم، حيث قال: "وأمّا نفوسة فنزلت قلعة مانعة يقال لها اليوم قلعة نفوسة[5]". ومع ذلك، تظل التفاصيل حول التطورات التي حدثت للحصن بعد الانتقال من السلطة الرستمية إلى السيطرة الفاطمية، ومن ثم إلى الزيريين، غير معروفة بشكل كامل.

من بين مميزات حصون هذه الفترة هو التركيز على التصميم المعماري وارتفاع مستوى البناء، بحيث تم استعمالها إلى جانب الدفاع كمطلات للمراقبة، وهذا الأمر ليس بالجديد على مستوى بلاد المغرب الإسلامي في تلك الفترة[6]. فالإشارات الدالة على ذلك كثيرة ومتنوعة، ومنها ما ذكره ابن الصغير عن الإمام أبو بكر بن أفلح، الذي كان يفتح طاقاً في أعلى قصره لمراقبة تحركات صهره ابن عرفة داخل المدينة، وفي نهاية الرواية، يُذكر

[1] المكان الذي أُعلن فيه عن إمامة أبي اليقظان، وهي المبايعة الوحيدة التي تمت خارج المدينة، دون إجماع السكان. ونرجح أن المكان يمكن أن يكون موقع توسنينة الحالي أو المنطقة المحيطة بها، وهذا بناء على المعطيات التي يقدمها ابن الصغير "من تسلونت مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت". المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص75.

[3] بالنسبة لهذه المسألة راجع: المصدر نفسه، ص93.

[4] نفسه، ص94.

[5] نفسه، ص73.

[6] كما هو الحال في قصور إفريقية.

أيضًا أنه كان ينزل من هذا الطاق إلى الطابق الأرضي، حيث كان يتعين وجود مجلس الإمام لاستقباله[1]. وبالإضافة إلى ذلك، يكشف تقرير الباحثين جورج مارسي ودسوس لامار حول القصبة وجود سلالم تُستخدم للوصول إلى الأعلى[2].

هذا ولم يقتصر وجود الطوابق على الحصون حصرياً، بل وجدت بعض المرافق الإدارية التي تشترك في هذه الخاصية، كما هو الحال على سبيل المثال مع دار الزكاة. فقد كشف ابن الصغير عن هذا الأمر عندما ذكر قاضي المدينة[3] في زمن الإمام أبو اليقظان بن أفلح، حيث قام بتفتش طابقها العلوي في حادثة اختطاف الفتاة التي اتُهِم بها زكريا بن الإمام[4]. وأخيراً يُشير الطبيب ليسيان بودانس (Lucien Baudens) الذي نزل في موقع تاقدمت سنة 1841م[5]، أنَّه لاحظ وجود بنايات ذات طوابق عالية، وهي في نظره تعود إلى الفترة القديمة للمدينة، مشيراً إلى اختلافها عن بنايات العصر الحديث[6].

3-2 المرافق والمؤسسات الإدارية، المالية، والمدنية

أ- دار الإمارة:

فيما يخص موضوع دار الإمارة الرستمية في المدينة، هناك ملاحظة مهمة يجب أن نسلط الضوء عليها. وهي أنه لم يتم العثور على أي أدلة تفيد بوجود هذه المؤسسة الإدارية في المدينة خلال فترة الإمامة الرستمية[7]. وبناءً على ذلك، إذا كانت هذه القراءة صحيحة، فإن سياسة الإباضيين ربما لم تشمل التجارب

1 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص65.

2 Georges Marçais et A. Dessus-Lamare, *op. cit.*, p. 52.

3 وهو القاضي محمد بن عبد الله.

4 ابن الصغير، المصدر السابق، ص80.

5 وصل الطبيب ليسان بودنس إلى المدينة مع الفرقة الفرنسية المكلفة بتدمير وحرق المدينة التي قام بتجديدها الأمير عبد القادر في سنة 1836م.

6 Lucien Baudens, *Relation historique de l'expédition de Tagdempt*, Germer-Baillière, Paris, 1841, p. 19.

7 ذكر الباحث محمد بوركبة أن دار الإمارة تم بناؤها في المدينة مباشرة بعد الانتهاء من بناء المسجد الجامع على يد الإمام عبد الرحمان بن رستم، وأشار بركبة إلى أن مصدر هذه المعلومة هو كتاب الاستبصار، 1958م، ص144 145 (محمد بوركبة، "النمط العمراني لمدينة تيهرت في العهد الرستمي"،

الإدارية التي تم تنفيذها في مدن أخرى مثل القيروان[1] وغيرها من المدن الإسلامية خلال نفس الفترة[2]. وهذا يثير تساؤلات حول كيفية تنظيم إدارة المدينة والإشراف عليها من قبل الأئمة.

يظهر أن التسيير في المدينة كان مقتصراً على نظام بسيط يتمثل في الازدواجية بين دار الإمام، التي تُعرف عادة بالقصر، وبين المسجد الجامع، حيث كان الإمام ينزل إليه على الأقل خمس مرات في اليوم لأداء الصلوات. وفيما يتعلق بهذا الجانب، يمكن العثور على بعض المعلومات في المصادر التي تشير إلى الأدوار والوظائف التي تُقدمها هاتان المؤسستان.

فيما يتعلق بدار الإمام (القصر)، هناك دلائل واضحة على أنها كانت أكثر من مكان للإقامة العائلية. فمنذ اللحظة الأولى لوصول وفد الإباضية المشرقيين إلى المدينة، بدأوا بشكل لافت في البحث عن مكان إقامة الإمام عبد الرحمان بن رستم للاجتماع معه، ولم يبحثوا عن مكان آخر. مع العلم أن وصولهم كان بين وقتي صلاة[3]، وتكرر هذا السيناريو مرة أخرى عند عودتهم للمدينة، لكن الفرق في هذه المرة أنهم عرفوا مسبقًا موقع إقامة الإمام، وبالتالي لم يكن لديهم عناء البحث[4].

أيضاً، الروايات تشير إلى أن القصر كان مكانًا لعقد مجالس اجتماعية مهمة. وهذا يظهر من خلال الاجتماعات التي عُقدت بين الإمام أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي اليقظان وصهرهم ابن عرفة حول مسائل المدينة، والتي كانت تُعقد في مجلس داخل القصر[5]. وتشير رواية ابن الصغير إلى أن مشايخ القبائل القادمين من البلاد الخلفية قد دخلوا على الإمام عبد الوهاب في مجلسه بالقصر وناقشوه في المسألة التي ترتب عنها حدوث

منبر التراث الأثري، 1، (2013م)، ص144). لكن عند مراجعتنا لهذا المصدر، في نفس الطبعة المشار إليها، نجد أن المؤلف لم يقدم أي معلومات تشير إلى وجود هذه المؤسسة الإدارية خلال العصر الرستمي.

[1] فيما يتعلق بتأسيس دار الإمارة بمدينة القيروان، راجع على سبيل المثال: نهلة شهاب أحمد، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع دراسة تحليلية، الأردن، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م، ص80؛ كذلك محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، ص35.

[2] على غرار ما يُلاحَظ في مدن مثل البصرة، الكوفة، والفسطاط، وغيرها.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص29.

[4] المصدر نفسه، ص32.

[5] نفسه، ص64-65.

فتنة النكارية[1]. ويبدو أيضًا أن المجلس القصري هو نفسه دار الضيافة التي استقبل فيها الإمام أبو اليقظان وفودًا من جبل نفوسة في مناسبتين مختلفتين.

فيما يتعلق بالمسجد الجامع، يظهر أنه كان مركز حيوي للالتقاء ممثلي الجماعات المستوطنة في المدينة، منذ ولاية الإمام عبد الرحمان بن رستم وحتى انهيار النفوذ السياسي لمدينة/عاصمة الإباضية. وقد تم فيه التعامل مع مسائل تتطلب حضور ممثلي السكان، وكمثال واضح على ذلك هو زيارة وفد البصرة، في المرة الأولى والثانية، حيث طلب الإمام وهو في داره (القصر) أن يُسمح له باستشارة الأعيان في المسجد الجامع للتداول حول قبول الإعانة التي وصلتهم. وجرت هذه الاستشارة بالفعل[2]. وتشير روايات أخرى أيضًا إلى أن الإمام عبد الرحمان بن رستم والإمام أبا اليقظان كانوا يلتقون مع ممثلي الجماعات في المسجد الجامع لمناقشة المسائل المتعلقة بالسكان[3]، وأن المسجد الجامع كان مكانًا مهمًا لعقد مراسم التولية بالإمامة، حيث وقعت مبايعة أبي حاتم كخليفة لوالده أبي اليقظان في هذا المكان، وكانت رسل مباركة القبائل تصل مباشرة إلى قصر الإمام لتقديم هذه البيعة الجديدة دون اللجوء إلى أي مكان آخر[4].

بالنظر إلى العديد من الأمثلة المتنوعة حول هذا الموضوع، يصبح من الواضح أن الإباضية كانوا قادرين على التخلي نهائياً عن هذه المؤسسة الإدارية، التي قد تكون استثنائية في المدينة التي يقيم فيها الإمام. ومع ذلك، يبدو أنه قد تم تفعيلها خلال الفترة الفاطمية، بحيث توجد رواية في نص ابن عذاري المراكشي تُشير إلى هذه المؤسسة الإدارية أثناء الحملة التي قادتها جماعات مغراوة على القائد الفاطمي ميسور الفتى في سنة 333هـ (944م)، أين اجتاحوا المدينة وتمكنوا من النزول في دار الإمارة[5]، وعلى الرغم من عدم ورود تفاصيل دقيقة حول موقع هذه المؤسسة في الرواية، إلا أنه لا يمكن استبعاد أن تكون داخل القصبة التي تعرف بالمعصومة.

ب- بيت المال والأهراء:

---

[1] نفسه، ص42.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص ص29، 32.

[3] نفسه، ص ص 28، 81.

[4] نفسه، ص91.

[5] ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص209.

اشتملت المدينة على وجود مؤسستين مهمتين: بيت المال، وبيت الأهراء التي يتم فيها الاحتفاظ بجميع الأطعمة التي كانت تعود للدولة من ضريبة الخراج. ومع ذلك، يعتبر من الصعب تحديد مواقع هذين المؤسستين في المدينة بسبب ندرة المعلومات التاريخية حولهما. فالإشارة الوحيدة إلى بيت الأهراء كانت في زمن الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم حيث كانت مملوءة حتى أخرها[1]، وتمت الإشارة أيضاً إلى وجود بيت المال في نفس الفترة[2]. بالإضافة إلى عصر خلفائه الإمام عبد الوهاب[3]، والإمام أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح[4]. ومع ذلك، كانت هذه الإشارات جميعًا عرضية ولم تحتو على أي تفاصيل محددة.

ج- دار القضاء:

المعطيات المتاحة حول دار القضاء في المدينة محدودة جداً، فهي لم تظهر خلال السنوات الأولى من تأسيس المدينة، ولكن ظهرت في فترة حكم الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب، الذي استدعى القاضي محكم الهواري من الأوراس ليتولى مهمة القضاء في المدينة، وتُشير رواية ابن الصغير إلى أنَّه جاء إلى المدينة وبدأ نشاطه القضائي في بيت القضاء[5].

يبدو أن البيت الذي كان مخصصاً للقاضي كان متواجداً أيضاً داخل دار القضاء، وهذا ما يمكن استنتاجه من خلال تقدم إحدى نساء المدينة مع خادمها الصقلبي لرفع شكوى مستعجلة أمام القاضي محمد بن عبد الله في وقت متأخر من الليل[6]. أيضاً في رواية أُخرى، نقلها الشماخي ولم يحدد مصدرها بدقة، تُشير

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص36. في هذا السياق، يمكن أن تكون الجماعات المستوطنة حول المدينة، وبخاصة تلك الموجودة في السهول الزراعية مثل سرسو، لعبت دورًا كبيرًا في زيادة إيرادات الدولة. من الأمثلة المسجلة حول هذا الموضوع، يمكن الإشارة إلى وجود رواية تكشف عن خروج نجل الإمام عبد الوهاب لجمع الضرائب الموسمية في منطقة النكارية. أنظر: أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص99.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص35.

[3] المصدر نفسه، ص41.

[4] نفسه، ص101-102.

[5] نفسه، ص51.

[6] نفسه، ص80.

إلى نزاع حول مسألة عقارية تمت مناقشتها في سقيفة متواجدة داخل دار القضاء. وتُظهر هذه الرواية أيضًا وجود جارية تقوم بخدمة القاضي[1].

د- دار الزكاة:

لقد لاحظنا في السابق أنَّ هذه الدار تحتوي على طابق علوي يضم مجموعة من الغرف، ولكن لم نتمكن من تحديد عددها بالضبط. بالإضافة إلى ذلك، لم يتسن لنا معرفة مكان دار الزكاة في المدينة بدقة، فالمعلومات المتاحة تشير فقط إلى أنها كانت تحتوي أيضًا على منزل خاص بعاملها[2].

هـ- **الحمامات:**

في وصف ابن حوقل للمدينة، أشار إلى وجود مجموعة من الحمامات[3]. لكن البكري كان أكثر دقة في إحصاء عددها، وذلك بناءً على نقل أخبار محمد بن يوسف الوراق، حيث أشار إلى وجود 12 حماماً[4]، ومع ذلك، يُلاحظ أنَّه لا تتوفر أي معلومات تُشير إلى أسمائها (هذا إذا كان لديها أسماء)، أو حتى تحديد مواقعها بدقة. باستثناء حمام واحد فقط، تم تحديد موقعه بناءً على معطيات أثرية في أعلى الهضبة الشمالية[5].

على الرغم من غموض المصادر التاريخية حول المبنى الواقع في منحدر الهضبة الجنوبية، والذي يبدو أنه تحمل بشدة التخريبات التي تعرضت لها المنطقة، تجب الإشارة إلى أنه جاء في تقرير نتائج الباحثين جورج مارسي ودوسوس-لامار أن هذا المبنى كان عبارة عن خزان مائي. وقد اقترن هذا التحليل بفكرة وجود حزوز

---

[1] الشماخي، المصدر السابق، ص108.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص80.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، 78.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 735 734. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50. الحِميري، ص126

[5] أول من كشف لنا عن طبيعة هذا المبنى هي الباحثة فاطمة الزهراء معطاوي في سنة 1987م. وعلى الرغم من أنَّ تقاريرها لم تنشر في ذلك الوقت، إلا أن نتائج دراستها وصلتنا من خلال مراسلاتها إلى الوكالة الوطنية للآثار في سنة 1991م. والتي بدورها كشفت عن هذا الجانب المتوصل إليه. ومن جانبها، قامت فاطمة جلجل بجهد آخر في إجراء دراسة ميدانية للكشف عن تفاصيل إضافية حول المبنى. (أنظر: فاطمة جلجل، المرجع السابق، ص24-25).

تتحكم في تدفق الماء[1]. وفيما بعد، أصبح هذا التحليل مقبولًا على نطاق واسع في الدراسات التاريخية المعاصرة، وذلك دون أن يتم مراجعته بعناية[2]. باستثناء ما تمت ملاحظته في دراسة وصفية تحليلية أجراها الباحث عبد القادر دحدوح على المبنى في إطار إعداد عمل مذكرة تخرج لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية من جامعة الجزائر في عام 2003م. وفي هذه الدراسة، أشار دحدوح إلى أن المبنى لا يمكن أن يكون سوى حمام[3].

بقيا آثار الحمام (محمود عباد 2017م)

على الرغم من عدم توفر المؤهلات الكافية لإجراء مقارنة دقيقة بين نتائج الأعمال الأثرية التي تم تقديمها، إلّا أنَّ معطياتنا حول السياق الجغرافي والتاريخي للموقع الذي يحتوي على المبنى تشير بشكل قوي إلى

[1] Georges Marçais et A. Dessus-Lamare, *op. cit.,* P. 33.

[2] على سبيل المثال، نشير إلى: رشيد بورويبة، "الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة"، مجلة الأصالة، 45، (1975م)، ص 184؛ نفسه، مدن مندثرة، ص40؛ محمد بوركبة، المرجع السابق، ص142؛ فاطمة مطهري، المرجع السابق، ص210؛ فاطمة جلجل، المرجع نفسه، ص26-27.

[3] عبد القادر دحدوح، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية (1252-1258هـ/1836-1842م) دراسة تاريخية أثرية، الجزائر، موفم للنشر، 2008م، ص67.

التفسير الأخير[1]. ومن بين الجوانب التي تدعم هذا التحليل هو موقع المبنى نفسه، الذي يتميز بخاصية الاتصال مع ناحية استراتيجية تضم كلاً من المسجد الجامع ومعرض السوق معاً، وبالتالي، يكون مواتياً لاستخدامه كحمام، هذا إن لم يكن هو الأساسي بامتياز. وبغض النظر عن موقع المبنى المنخفض في وسط المدينة، حيث يصعب الاستفادة منه كخزان للمياه، تُوضح بعض المعلومات التاريخية أنَّ الرستميين شيدوا العديد من العيون والآبار[2]، وفي هذا السياق، أكد المهلبي وابن حوقل وجود شبكة مهمة من القنوات لتوصيل المياه إلى المنازل[3]، أو على الأقل إلى السكنات الرئيسية. ويجب أيضاً أن نأخذ في اعتبارنا نهر مينا كمصدر مهم لتوفير المياه لسكان المدينة، خاصة أن المدينة كانت مفتوحة على محيطها الخارجي. والمصادر بدورها لم تشر إلى وجود عمليات تخزين مكملة، حيث كان الاكتفاء بالمصادر المائية القائمة واضحاً في جميع الأوقات والفصول. ولم يكن هناك أي قلق في هذا الجانب بالنسبة لمستخدمي المدينة في حالة داهمهم حصار، عكس بعض المدن الأخرى التي اضطرت إلى بناء مواجل خاصة بهذا الغرض[4].

وفيما يتعلق بمسألة الجفاف، فإن معطياتنا التاريخية لم تُشر إلى وقوع حالات جفاف خلال هذه الفترة الزمنية التي تغطيها القرون الثلاثة الأولى، بل على العكس، شهادة اليعقوبي تأتي لتؤكد أنَّ "الزارعة في البلد لم تجذب إلا إذا اصابها ريح أو برد"[5].

و- الأسواق:

تُشير المصادر التاريخية بوضوح إلى وجود السوق داخل المدينة. ويُلاحظ أنَّ فكرة إنشاء السوق كمركز اقتصادي مغاربي كان مشروعاً تم التفاوض حوله منذ البداية بواسطة عبد الرحمان بن رستم مع جماعات مناداسة

[1] ومع ذلك، يُلاحظ أن هذا المبنى لا يقتصر على الفترة الحديثة، كما يُفترضه الباحث دحدوح، بل يُعتبر إعادة استغلال لبنية تاريخية سابقة تعود للفترة الوسيطة في تاريخ المدينة.

[2] اليعقوبي، البلدان، ص149؛ المقدسي، المصدر السابق، ص229. بعض هذه المعالم لا تزال واضحة للرؤية العامة، على سبيل المثال، البئر الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية، وتحديدا بجوار منزل أحد الفلاحين. وهناك أيضًا منبع مائي آخر في الزاوية الشمالية الغربية، تم التطرق إليه في دراسة: فاطمة جلجل، المرجع السابق، ص28.

[3] المهلبي، المصدر السابق، ص48؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[4] مثل مدينة القيروان. أنظر: محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، ص48.

[5] اليعقوبي، البلدان، ص149.

وصنهاجة، وهو ما تكشف لنا عنه الصفقة التي تنص على تنازل هذه الجماعات عن ملكيتهم العقارية على الموقع مقابل مشاركتهم في أرباح الأسواق التي يتم بناؤها[1]. ويرد في معظم الروايات أنّها أثمرت بسرعة نتيجة تعزيز العلاقات التجارية وتبادل البضائع بين سكان الساحل والشعوب التابعة إلى بلاد الصحراء[2].

وكما تم الإشارة سابقاً، فقد قام البكري بتحديد موقع السوق بالقرب من القصبة[3]، وربما كان الهدف من ذلك هو ضمان مراقبته وإشراف المسؤولين عليه بشكل مباشر، بما في ذلك الإمام. وكما كان الحال في معظم المدن الإسلامية خلال تلك الفترة، يبدو أنَّ السوق كان يتفرع إلى مجموعة من السويقات، التي تم تنظيمها بشكل يضمن وجود شبكة متنوعة من الأجنحة والأطاول وفقًا لنوع السلع أو الصناعات[4]. وعلى سبيل المثال، يُشير ابن الصغير إلى وجود سوق يُعرف باسم "الرهادنة"، والذي كان متخصصًا في تجارة الأقمشة[5]. وذكر أنه في هذا السوق كان هناك دكان يملكه للمتاجرة الذاتية، وذلك في زمن حكم الإمام أبي

---

1 البكري، المصدر السابق، ج2، ص 735.

2 مثلاً، يتحدث ابن الصغير في وصفه قائلاً: "واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضرب الأمتعة، فأقاموا على ذلك سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجارة من كل الأقطار تاجرون". ابن الصغير، المصدر السابق، ص33.

3 البكري، المصدر السابق، ج2، ص734؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص178؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص42.

4 تُشير المصادر إلى أنَّ السوق في المدينة كانت عامرة بمختلف السلع. أنظر: البكري، المصدر نفسه، ج2، ص 736. ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50. القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص111.

5 يُلاحظ أن هذا القسم المشار إليه في السوق "الرهادنة" قد أثار اختلافاً في التفسيرات بين الباحثين. فعلى سبيل المثال، قام محمد بوركبة بتفسيره على أساس أنه حي يخص الجماعات اليهودية المستوطنة في المدينة (محمد بوركبة، المرجع السابق، ص144). وقد أشار بوركبة إلى مصدر هذه المعلومة من كتاب البكري، وهذا غير وارد في نصه المحقق. بالمقابل، نجد هذا التفسير وارداً في بعض المراجع المتعلقة بتاريخ مدينة القيروان، والتي رجحت أن "سوق الرهادنة" الذي سيطرت عليه الجماعات اليهودية كان نسبة إليهم. وهذا قد يبدو غير صحيح نظراً لوجود مجموعة من الأدلة، من بينها إشارة المقديسي إلى أن هذا الاسم يختلف استعماله من إقليم إلى آخر، ويُطلق عليه أيضا اسم "البزازين" و"الكرابسيين" (أنظر: المقديسي، المصدر السابق، ص31). والملاحظ حول دلالة مصطلح "البزازين" في العراق و"الكرابسيين" في بلاد فارس أنها تعني جميعاً سوق الأقمشة. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنَّ مصطلح البزازين قد تم استعماله هو الآخر في تيهرت، وهذا ما تبينه أحد الألقاب الأنوماستيكية لعائلة "البزاز" التي هاجرت إلى الأندلس في حدود سنة 318هـ. (أنظر: محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2008، ص201، الترجمة رقم242). وفي الأخير، هناك رواية أخرى تحدث فيها القاضي عياض حول سوق مدينة القيروان، وأشار من خلالها إلى أن "الرهادنة" تعني سوق الأقمشة. (أنظر كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط وتصحيح محمد هاشم، بيروت، دار الكتب العلمية، ج1، ص485).

اليقظان محمد بن أفلح[1]. ويبدو أن هذا القسم من السوق كان يتمركز في منطقة مرتفعة مقارنة بباقي المفاصل الأخرى للسوق، ويتضح ذلك من خلال عبارة "ونحن في أعلى مسجد بالرهادنة"[2].

وهناك أيضًا إشارات إلى وجود سوق آخر، يملكه رجل من أغنياء العجم يُعرف باسم ابن وردة[3]. ونظرًا لأن هذا السوق للعجم، فقد يكون موقعه على الدرب الخاص بهم الذي يشترك مع نفوسة في ناحية واحدة من الجهة الغربية للمدينة.

ويبدو أن هناك ساحة مركزية أيضًا للسوق، وهو ما يتضح من خلال إشارة أحد شعراء تيهرت:

سَقَى الله تِيْهَرْتَ المُنَى وسُوَيْقَةٌ   بِسَاحَتِهَا غَيْثاً يَطْرِبُ بَهَا المِحِل[4]

في الأخير، يظهر أنَّ موقع السوق ككل كان يتجه بشكل خاص نحو الجهة الغربية، حيث يتعين وجود "باب المنازل" المفتوح أمام التجار القادمين من الصحراء، ويرتبط المدخل أساساً بوجود مجموعة من الفنادق الخاصة بإقامة التجار، والتي ذكرها ابن حوقل[5]، وأكد عليها أبو زكريا في نص السير[6]. ومع ذلك، لم يتم تحديد موقع دقيق لهذا السوق في هذه النصوص. وكما أشرت سابقاً، يبدو أن السبب وراء تسميته "باب المنازل" هو موقعه القريب من الفنادق التي كانت مرتبطة بالسوق.

ن– دار الدواب:

من بين المباني المذكورة في المدينة هو وجود "الإصطبل"، أو ما اصطُلح عليه في النصوص التاريخية بتسمية "دار الدواب". ويبدو على الأرجح أنَّها كانت تحتضن خيل السلطة وليست لجميع أنواع الملكيات

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص84.

[2] المصدر نفسه، ص102. حتى لا يُؤخذ أي تفسير خاطئ للمعنى، فإنَّ ابن الصغير يقصد هنا المسجد الأعلى بالمقارنة مع باقي المصليات المتواجدة داخل المدينة، وليس فقط في سوق الرهادنة.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص54. ومع ذلك، لم تقدم الروايات معلومات دقيقة حول نوع السلع التي تم تداولها في هذا السوق الذي كان يمتلكه ابن وردة.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص210.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص78.

[6] أبو زكريا الورجلاني، المصدر السابق، ص53.

الخاصة. وبما أنَّ الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم قد كان مربط فرسه بجوار البيت، وذلك وفقاً لمعاينة رسل الإباضية في السنوات الأولى من تأسيس المدينة[1]، فإنّنا نرجح أن تأسيس الإصطبل قد تم خلال الأشهر القليلة المتبقية من حياته[2]. أما الشيء المؤكد حسب رواية الدرجيني أنّه كان موجوداً خلال فترة حكم خليفته الإمام عبد الوهاب، الذي أمر بإحضار فرس من "دار الدواب" لأحد الأربعة القادمين من جبل نفوسة في المناظرة المشهورة مع فرقة الواصلية[3].

ليس من السهل تحديد موقع دار الدواب في المدينة، ومع ذلك، هناك إشارة تُلمح إلى أنها كانت تقع في الجهة الداخلية الشرقية المجاورة لـ "باب الصفا". ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال أن الجهة الشرقية، حيث مواطن استقرار العجم في حصن برقجانة[4]، هي نفسها التي اقتحموا من خلالها المدينة خلال التمرد الذي قاده محمود بن الوليد ضد الإمام أبي بكر بن أفلح، وقد أشار ابن الصغير إلى أنَّ محاولتهم الفاشلة للدخول إلى المدينة كانت من الناحية المعروفة بـ "موقف الدواب"[5].

ي- الدروب:

لقد توزعت المدينة إلى مجموعة من الخطط، التي يتوسط البعض منها رحبات متوسطة الحجم، بالإضافة إلى وجود مساجد خاصة بالأوقات. وقد اهتم ابن الصغير بالإشارة إلى ثلاث منها فقط، تقترن جميعا بأسماء الجماعات (الإيثونيم) التي استوطنتها، وهي "رحبة الكوفيين" و"رحبة البصريين" و"رحبة القرويين"[6]. أما بالنسبة لتحديد مواقعها داخل المدينة، فلم يتم ذكرها بدقة في الروايات التاريخية.

---

[1] ابن الصغير، المصدر نفسه، ص29.

[2] أشار ابن الصغير إلى أن السكان في تيهرت قد اشتروا العديد من الخيول والدواب بالأموال التي أرسلها إباضية البصرة. أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص33.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص60.

[4] في تيهرت القديمة، وقد قدمنا سابقاً الأدلة التي توضح ذلك.

[5] ابن الصغير، المصدر نفسه، ص69-70. ثم سيتأكد أنَّ محاولتهم في المرة الثانية تحت راية الإمام أبو حام ستكون من نفس هذه الجهة أيضاً. أكثر التفاصيل حول القضية نجدها في: المصدر نفسه، ص98.

[6] نفسه، ص33. وحري بنا أن نتساءل عما إذا قدمت التأثيرات الكافية في تقنيات البناء المشرقي. لكن ضعف المادة الإخبارية ونقص المعلومات الأثرية يصعبان تقديم إجابات حول هذا الموضوع.

وبما أنَّ هذه الخطط "الثلاث" كانت متصلة ببعضها البعض، فقد شكلت في وقت لا حق اتحاد مشترك بطابع جهوي، يُطلق عليها تسمية العرب. والملاحظ أنهم شنوا هجومات في فترات محددة، بمساعدة جماعات الجند، ضد باقي الدروب التي كانت مأهولة بالجماعات الأخرى في المدينة، وبشكل خاص ضد خطط العجم والنفوسيين والرستمية التي تقع في الجزء الغربي-الجنوبي للمدينة[1]، وربما يكون هذا هو ما يفسر تحديد موقع جماعات العرب في الجزء الشمالي-الشرقي من المدينة.

في الواقع، لا تُوضح مصادرنا طبيعة المحاور الرئيسية داخل المدينة، ولا نملك معلومات حول المقاسات المستخدمة في تحديد النُهج[2]. ومع ذلك، يبدو أنها لم تكن في زاوية متعامدة عند الوسط، لأنها كانت تتفرع إلى ثلاث اتجاهات رئيسية تتجه جميعها نحو الأبواب التي تم ذكرها سابقاً. وهذه النُهج الرئيسية كانت تتفرع بدورها إلى مجموعة من الأزقة التي تسمح بالوصول إلى مختلف الزوايا الموجودة في المدينة. واللافت هو أن بعض هذه الأزقة قد لم تكن ممهدة بالحصى أو الأرصفة على الرغم من أن تربة المدينة في معظمها كانت طينية. ونجد مثالًا على ذلك في نص السير للشماخي، حيث يُوضح أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب واجه يومًا أحد علماء تيهرت وهو "يحاذر ما يطير إليه من طين الأزقة وذلك في إثر مطر، فحرك الإمام فرسه متعمداً فأطار عليه من الطين الذي يحذر منه[3]".

1 ابن الصغير، المصدر السابق، ص71-72.

2 وفقاً للمعلومات الواردة في كتاب الطبري حول بناء مدينة الكوفة، فقد أمروا "بالمناهج أربعين ذراعا وما يليها ثلاثين ذراعا وما بين ذلك عشرين وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء وفي القطائع ستين ذراع إلا الذي لبني ضبة" الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار الكتب العلمية، 1971م، ج2، ص479. محمد حسن، القيروان في عيون الرحالة، ص35.

3 الشماخي، النص، ص246.

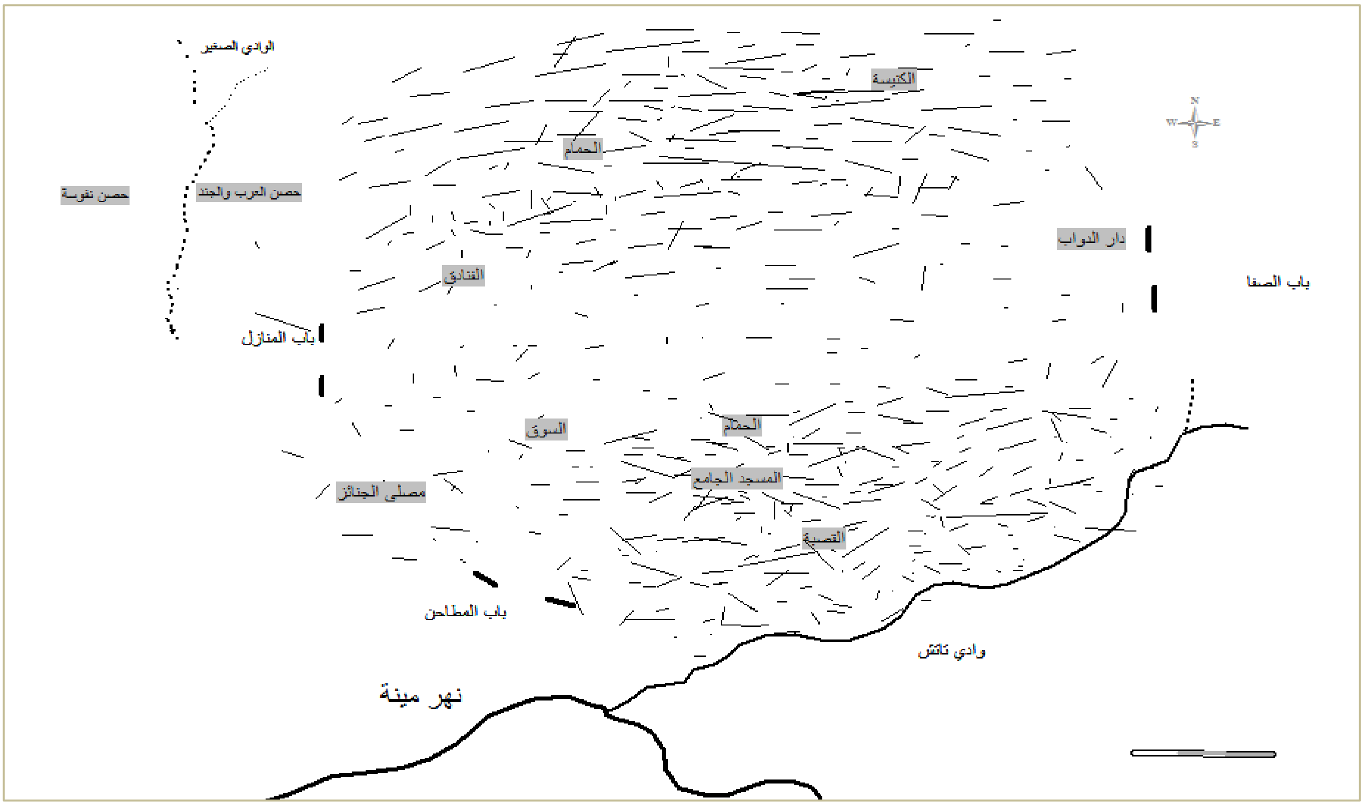

خريطة فضاء تيهرت/ تاقدمت الحضري (محمود عباد)

4- تطورات مدينة ما بعد القرن 3هـ (09م): الانتقال من الحاضرة إلى شبه مدينة حدودية متنافس عليها

تتفق معظم المصادر التاريخية على وقوع تحول كبير في المنطقة سنة 296هـ (908م)، وذلك بعد سقوط مدينة تيهرت، التي كانت العاصمة للدولة الرستمية، وتعويضها بالخلافة الفاطمية التي كانت مدعومة من طرف جماعات مكناسة المنتشرة في المنطقة بكثرة. ومن أبرز ملامح هذا التحول هو هجرة الإباضيين المناوئين للسلطة الفاطمية نحو المناطق الصحراوية، وحدوث تغير واضح في أوعية التوطين بالنسبة للعديد من الجماعات المحلية (البربر)، مع اختفاء أو اندماج شامل للجماعات العربية المشرقية.

وقد تميزت هذه المرحلة أيضاً بتراجع النشاط الاقتصادي، حيث أصبحت التجارة، التي كانت الحياة النابضة في المدينة، والتي كانت تجمع العالم الأسود مع شعوب منطقة الساحل، تغيب تماماً عن معارفنا التاريخية. ويرتبط هذا التراجع بالصراعات العسكرية بين الفاطميين والمعارضة المحلية، التي كان يقودها في كثير

من الأحيان بنو خزر المغراويين مع بعض تحالفاتهم من داخل المدينة[1]، وقد أثرت بشكل أو بآخر على تحول طريق القوافل التجارية نحو المسالك الأكثر أماناً، مما أدى إلى قيام مدن أخرى[2]. كما نلاحظ أيضاً أن معظم الإشارات الواردة في النصوص المتعلقة بتلك الفترة، لم تعد تشير إلى مصطلح المدينة، مما يثير تساؤلات حول أسباب هذا التحول، الذي قد يكون مرتبطًا بتراجع قيمة وصورة التمدن.

إنَّ كل ما هو مهم ومُلح في معظم الإشارات المتعلقة بهذه الفترة "المظلمة" هو التركيز على ذكر التعيينات التي شهدها الولاة الفاطميون على المدينة من قبل خلفائهم المقيمين في عواصم إفريقية الشرقية (التي مثلتها المهدية أولاً ثم المنصورية)، وأحياناً أخرى، نجد هناك حديثاً عرضياً عن اغتصاب السلطة دون الإشارة إلى الوضع الحضري للمدينة.

تُشير الروايات التي تطرقت إلى موضوع استيلاء الفاطميين على المدينة، إلى دخولهم دون مقاومة من سكانها، وفي نفس الوقت دون تدمير لعمرانها الذي استمر محافظ على هيكله حتى وقت لاحق. بالمقابل، تذكر هذه الروايات أن أبا عبد الله الداعي، في أول لقاء مع الإمام الأخير اليقظان بن أبي اليقظان وحاشيته، قام بقتلهم[3]وحرق الكتب الإباضية التي تنتمي إلى مذهبهم[4]، ومن الممكن أن تكون بعض النصوص المتأخرة

[1] من بين هذه الجماعات التي شاركت في تحرير المدينة من هيمنة الفاطميين هم عناصر بنو دبوس بشكل خاص، وأحياناً أخرى، شملت هذه الجهود أيضًا جماعات هوارة ولماية ومطماطة ومكناسة، راجع كلا من: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص187. 203. 205؛ النويري، المصدر السابق، ج28، ص70؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

[2] تأكيدًا لهذا الأمر، تأسست مدينة المسيلة في بداية القرن الرابع الهجري (10م)، وبسرعة أصبحت مركزاً هاماً يجتمع فيه ثلاثة محاور رئيسية تتجه نحو القيروان. غير أن هناك تغييرات طفيفة حدثت في القرن السادس الهجري (12م) عندما تم تأسيس مدينة القلعة. كذلك، أصبح الطريق الذي كان يصل بين تلمسان والمسيلة أكثر نشاطًا في شمال منطقة الونشريس بمحاذاة وادي الشلف، وقد استفادت منه أسواق مدينة أشير بشكل كبير. أنظر: Claudette Vanacker, « Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle», *Annales Économies, Sociétés, Civilisations, 28-3,* (1973), p. 664-665.

[3] تُشير الرواية التي كتبها أبو زكريا الورجلاني إلى أنَّ احتلال المدينة كان من طرف القائد الحجاني الكتامي، وذلك بطلب وإلحاح من دوسرة التي كانت ترغب في الانتقام لوالدها الإمام أبي حاتم بعدما تم قتله. أبو زكريا الورجلاني، المصدر، ص169.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص ص176. 208-209؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص160. (وفي سياق آخر من كتاب العبر، نجد أن ابن خلدون استخدم عبارة "اقتحمها"، وبالرغم من ذلك، لا يبدو أنَّها تشير إلى التخريب. ابن خلدون، العبر، ج4، ص48)؛ الحِميري، ص126.

والتي تتبع نفس التوجه المذهبي الإباضي قد بالغت في وصف الأحداث بتصريحها "وأهلك الملك والحرث والنسل[1]".

خلال أشهر قليلة فقط من السيطرة على المدينة، وتحديدا في سنة 297هـ (909م)، قام اتحاد زناتة بزعامة محمد بن خزر المغراوي بمهاجمة المدينة والسيطرة عليها بالتحالف مع جماعات بني دبوس التي استمرت فيها من خلال إظهار ولائها للفاطميين. ومع ذلك، لم يمر وقت طويل حتى تمكن الإمام المهدي من تحقيق انتصار سريع، استعاد من خلاله المدينة، مما أجبر مغراوة على التراجع إلى مناطقها الصحراوية[2]. وفي هذا السياق الصعب، حاولت السلطة الفاطمية تشكيل نفوذ سياسي قوي في المنطقة، وقامت باختيار أبي حميد دواس بن صولات اللهيصي كعامل لمصالحهم في المدينة ومناطقها ابتداءً من سنة 298هـ .(910م)[3]. بالمقابل، لا توجد معلومات مؤكدة حول ما إذا كان هناك حكام معينين لهم منذ بداية الفترة التي تم فيها الاستيلاء على المدينة.

في السنة التالية (299هـ/911م)، أشار القاضي النعمان في كتابه "افتتاح الدعوة" إلى ملحمة تيهرت التي تعتبر جزءًا من معارضة السكان المحليين للسلطة الفاطمية[4]. كما ذكر ابن عذاري المراكشي أن هذه المعارضة تمكنت لفترة قصيرة من السيطرة على المدينة وقطعت كل العلاقات مع عاصمتهم المهدية، في حين أرسل الإمام المهدي جيشه من إفريقية ونجح في استعادة المدينة بعد مرور ثلاث أيام من الصراع المستمر. وفي هذا السياق أشار أيضاً ابن عذاري إلى حرق المدينة[5]، لكن يوجد هناك غموضاً في الرواية يحيط بتقدير الأضرار التي لحقت بها.

---

1 الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص93.

2 ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص187. الداعي إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح محمد العيلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985م، ص ص166-167. 179.

3 البكري، المصدر السابق، ج2، ص738؛ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص176؛ ابن خلدون، العبر ج4، ص48، ج6، ص160.

4 القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص327.

5 ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص191.

بعد استعادة المدينة من قبل الفاطميين، تم تعيين مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي[1] لتمثيل السلطة الفاطمية في عمالة تيهرت[2]، وخلال فترة توليه التي استمرت حوالي 13 سنة، شهدت المدينة هدوءًا نسبياً، لم تنشأ فيه أي مناوئات بشأن النظام السياسي السائد في المنطقة. بل على العكس من ذلك، نلاحظ أن المدينة قد تطورت لتصبح مركزاً قيادياً، حيث شُنَّت عبرها العديد من الحملات العسكرية للسيطرة على بعض المناطق الأخرى، على غرار الحملة على مدينة نكور في شهر ذي الحجة 304هـ (أوت 916م)[3]، والحملة الثانية على مدينتي فاس وسجلماسة في سنة 305هـ (917م)[4]، وهذا ما يسمح برؤيتها كقاعدة استراتيجية مهمة في نظر الفاطميين.

مما يدل على هذه الفرضية التي تُشير إلى وجود هدوء نسبي في المدينة، هو ما حدث في سنة 310هـ (922م)، حيث قام مصالة بن حبوس بالإقامة في مدينة المهدية لبضعة أيام، سواء كان ذلك لغرض عطلة أو لأداء مهمة لقاء الإمام المهدي، ثم عاد إلى عمله في تيهرت دون تسجيل أي مشاكل أو قضايا تتعلق بالمقاطعة. وفي نفس الوقت، تُظهر هذه الإشارة وجود تبعية مباشر للمدينة إلى مقر المهدية في شؤون الإدارة، مما يعني أن تيهرت لم تكن تخضع لأي سيطرة أو وصاية من مدينة أخرى[5].

وعلى الرغم من أن آخر حملة عسكرية خرجت من المدينة نحو مناطق زناتة في شهر شعبان 312هـ (نوفمبر 924م) انتهت بمقتل مصالة بن حبوس[6]، إلا أن ذلك لم يؤثر على مكانة المدينة في الفلك الشيعي. بعد ذلك تم تعيين شقيقه الآخر يصل بن حبوس للقيام بالمسؤوليات، لكن خلال فترته القصيرة التي استمرت لمدة سبع سنوات فقط، شهدت المدينة تجددًا للمعارضة. وإحدى أبرز تلك المعارضات كانت حملة ابن خزر على المدينة في سنة 314هـ (926م)، غير أنه عاد مهزوم إلى مناطقه في واحات الأغواط.

---

[1] وفقاً لرواية ابن خلدون، فإن مصالة بن حبوس يعتبر من الرجال المخلصين للإمام المهدي. ابن خلدون، العبر، ج6، ص176؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص182.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص191.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 770؛ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص195؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص286.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص21. القلقشندي، المصدر نفسه، ج5، ص182.

[5] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص202.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص203.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الحملة قد أثرت على المدينة، حيث فقدت مناطقها الاستراتيجية، على غرار مواقع انتشار مطماطة وزناتة بشكل خاص[1]. وبالإضافة إلى ذلك، شهدت المنطقة أزمةً في سنة (316هـ/928م) تعسرت خلالها الأمور على كلتا المدينتين تيهرت القديمة والحديثة، حيث كادت تُقصي الشيعة نهائيًا من المنطقة الحدودية مع جماعات زناتة السنية، لولا تدخل ولي العهد أبي القاسم محمد الذي جاء من المهدية وأعاد المدينة إلى عمالة الفاطميين من جديد. وخلال إقامته في المدينة لمدة شهر، حاول أن يفرض سيطرته على المنطقة[2].

لم تخلُ الفترة خلال حكم خليفته العامل أبو مالك يغمراسن بن أبي سمحة اللهيصي من المعارضة الداخلية في المدينة. حيث حاولت الجماعات الإباضية المتبقية الانفصال عن الشيعة والانضمام إلى الحكم المرواني الذي كان يقوده موسى بن أبي العافية المكناسي على معظم البلاد الواقعة غرب عمالة تيهرت[3]، وقد نتج عن هذه الأحداث ترحيل أبي مالك يغمراسن من المدينة في سنة 323هـ (935م)، مما أدى إلى فقدان المدينة تبعيتها للسلطة الفاطمية في غضون حوالي سنة وربما بضعة أشهر[4]. كما تجدر الإشارة إلى أن هذه الحادثة تزامنت مع انشغال مركز الخلافة في المهدية بقضايا مهمة، على غرار وفاة الإمام المهدي ومسائل البيعة. بعد ذلك، قام الخليفة القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م) بإرسال حملة عسكرية يقودها ميسور

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص203-204. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص214.

[2] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص205. السبب المعروف وراء تجديد المعارضة في تيهرت والمناطق المجاورة خلال هذه الفترة بشكل خاص، يعود جزئياً إلى تدخل الناصر، ملك قرطبة، لمساعدة ملوك الأدارسة وزناتة للسيطرة على هذه المجالات، ويشير ابن خلدون إلى هذا الأمر بوضوح، فيقول: "بعث إليهم خاصته محمد بن عبيد الله بن أبي عيسى سنة ست عشرة فبادر محمد بن خزر إلى إجابته، وطرد أولياء الشيعة من الزاب. وملك شلب (الشلف) وتنس من أيديهم وملك وهران وولى عليها ابنه الخير، وبث دعوة الأموية في أعمال المغرب الأوسط ما عدا تاهرت. وبدأ في القيام بدعوة الأموية إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول". ابن خلدون، العبر، ج7، ص35.

[3] تشير الروايات إلى أن الخليفة عبد الرحمان الناصر هو من كان يمنح الدعم لهذه المعارضة بداية من سنة 319هـ (931م).

[4] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص209. في هذه الفترة، عينوا أبو القاسم الأحدب بن مصالة بن حبوس حاكماً عليهم، لكن الروايات لا تُشير إلى الجهة التي أصبحت المدينة تابعة لها، ومع ذلك يبدو إلى حد كبير أنها أصبحت تحت وصاية المروانيين في الأندلس.

الفتى إلى جميع المناطق التي شهدت المعارضة، بما في ذلك تيهرت، ونجح في إعادة استقرار الوضع واستعادة المدينة مرة أخرى[1].

تعتبر الفترة التي تولى فيها داود بن إبراهيم العجيسي ولاية المدينة فترة استثنائية بعدما استمرت لمدة تقارب العشر سنوات. وإن كانت المرحلة الأولى منها تتسم بالغموض والضبابية في بعض الجوانب، فإن مرحلتها الأخيرة تبدو أكثر وضوحاً، حيث تزامنت مع ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (332_336هـ/972_976م)، التي أثرت على مسالك الاتصال مع مناطق إفريقية، وبالتالي أصبح من الصعب السيطرة على المدينة بعد محاولات سكانها العديدة للانفصال عن مركز الخلافة.

والظاهر أنَّ المدينة قد استطاعت أنّ تمثل نفسها بعد طرد حميد بن يصل المكناسي لعاملها الفاطمي داود بن ابراهيم العجيسي في جمادى الآخرة من سنة 333هـ (جانفي 945م)، ومن المؤكد أنَّ محاولة تحريرها تلك لم تكن سوى للدعوة فيها إلى الخلفاء الأموين في الأندلس[2]، لكن سُرعان ما استعادها الفاطميون من جديد، وعينوا عليها العامل ميسور الفتى الذي لا نعرف عن مدة ولايته الشيء الكثير، باستثناء أنَّه لم يكن بارعاً بما فيه الكفاية لتهدئة الأوضاع المتأزمة في المدينة، حيث اشتد التوتر والصراعات إلى حد كبير، مما استدعت الأوضاع مجدداً الاستنجاد بتدخل زناتة التي انخرطت في المشروع الأموي المعادي للفاطمين[3].

الملاحظ أنَّ جماعات مغراوة قد زحفت إلى المدينة وتمكنت من السيطرة عليها وإخراج عاملها ميسور الفاطمي دون حرب، وفي غضون ذلك تم تعيين حميد بن يصل المكناسي كحاكم جديد عليها[4]. بعد ذلك يُشير ابن الأبار في كتابه "الحلة السيراء" أن الخليفة المنصور الفاطمي[5] (334_341هـ/945_952م) وصل إلى المدينة في الشهر الثاني من سنة 336هـ (أوت 947م) وأقام بها لفترة قصيرة، انسحب خلالها جميع معارضيه

---

1 ابن خلدون، العبر، ج6، ص191.

2 ما يُؤكد ذلك هو الرسالة التي بعثها محمد بن خزر وحليفه حميد بن يصل إلى الناصر الأموي في نهاية شهر شوال من نفس السنة، حيث أطلعوه على تحريرهم لمدينة تيهرت، وقيامهم بالدعوة له فيها. أنظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص193.

3 المصدر نفسه، ج1، ص209.

4 نفسه، ج1، ص209؛ في المقابل، يُشير ابن خلدون إلى أن اقتحام المدينة كان بالقوة. أنظر: ، العبر، ج6، ص160.

5 هو إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، ويلقب بالمنصور بنصر الله.

من المنطقة[1]. وهو التاريخ الذي يؤكده أيضاً ابن خلدون، مع إضافته لمعلومات تشير إلى الطريق الذي سلكه المنصور الفاطمي أثناء عملية تعبئته العسكرية التي استندت إلى مجالات صنهاجة[2]، وبالتالي، حسب هذه المعطيات فإنَّ سيطرت زناتة على المدينة استمرت لمدة ثلاث سنوات فقط.

لا تتوافر لدينا تفاصيل كافية حول الأسباب الدقيقة التي دفعت بيعلى بن محمد إلى الانفصال عن السلطة الفاطمية. بالإضافة إلى ذلك، ليس لدينا معرفة دقيقة بالفترة التي تم فيها قطع جميع الاتصالات مع مدينة المنصورية، التي أصبحت العاصمة الجديدة للفاطميين. والواقع الذي نعلمه هو ما حدث في نهاية هذه الفترة، حيث أشار ابن الأثير نقلاً عن ابن شداد الصنهاجي إلى أنَّ أبا الحسن جوهر الصقلي، الذي كان واحداً من القادة المخلصين للخليفة المعز لدين الله الفاطمي، خرج في سنة 348هـ (959م)[3] إلى تيهرت أين تم قتل يعلى بن محمد بعد سلسلة من الأحداث التي لا يمكن تناولها هنا بالتفصيل. أمّا النقطة الأساسية في هذا السياق، هي أنَّ مدينة تيهرت قد تحولت بداية من هذه السنة إلى وصاية تحت إشراف مدينة آشير، وذلك بعد إلحاقها بممتلكات زيري بن مناد كمكافأة على الخدمة العسكرية التي بموجبها تم إخضاع مجالات سجلماسة وفاس[4].

إذا تم التحقق من أنَّ المدينة أصبحت تخضع للصنهاجيين في آشير ابتداءً من سنة 349هـ (960م)، فإنَّها استمرت في نفس الحالة لأكثر من عقد من الزمن. وخلال هذه الفترة، توفي زيري بن مناد، وخلفه الأمير

---

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، 1985، ج2، ص388.

[2] ابن خلدون، العبر، ج4، ص57. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص163-167.

[3] تُشير المصادر حول هذه الحملة إلى ثلاث تواريخ متتالية، لكن لا يجب فهما على أنها مختلفة، بل فقط لربط أحداث المسار العسكري للقافلة الحربية. فسنة 347هـ يحددها كل من: (أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسنية، 1907م، ج2، ص101. والمقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح جمال الدين شيالي، مصر، مطابع الأهرام التجارية، 1996م، ج1، ص94)، وهي تتوافق مع خروج الحملة العسكرية من مدينة القيروان. أما سنة 348هـ التي يشير إليها: (ابن الأثير، النص، ج7، ص261)، فهي تقترن بسيطرة جوهر الصقلي على مدينة تيهرت بعد السيطرة على عدة مناطق واقعة على المسار المتصل بها. وأخيراً، سنة 349هـ التي ذكرها: (ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص209)، هي السنة التي قام فيها الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، بإلحاق المدينة بممتلكات الأمير زيري بن مناد بعد عودته مباشرة من الحملة العسكرية التي نفذها في بلاد المغرب الأقصى.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص262.

بلكين الذي استمر في الحافظ على المدن التي ورثها من والده. والأمر الذي يؤكد على هذه الحالة السابقة للمدينة هو أن الأمير بلكين بن زيري، عندما بلغته دعوة الخليفة المعز لدين الله إلى المهدية في سنة 361هـ (971م) من أجل التحضير لنقل مركز الإمامة الفاطمية إلى القاهرة، عين قبل خروجه من عمالة آشير مجموعة من الولاة لإدارة المدن التي كان يسيطر عليها، بما في ذلك مدينة تيهرت[1]، التي عين عليها وفقاً لمعلومات النويري رجل يُدعى خلوف بن محمد[2].

بعد نحو سنة من استقرار الفاطميين في القاهرة، أشار ابن الأثير إلى أنَّ خليفتهم المسؤول عن بلاد المغرب، بلكين بن زيري، قد تلقى أخباراً حول انفصال سكان تيهرت عن سلطة الزيريين، وقادوا حملة لطرد عامل المدينة، مما أجبر بلكين بن زيري على الخروج إلى مدينة تيهرت "فقاتلها، فظفر بأهلها، وخربها"[3]، وهو الأمر الذي يُوضح حدوث تخريب في هياكل المدينة، لكن دون ذكر لحجم الأضرار الدقيقة التي لحقتها.

بعد هذه الأحداث، نجد أن هناك الكثير من الغُموض الذي يكتنف تاريخ مدينة تيهرت، والتي بالكاد لا نجد لها أي تسجيل كتابي في جميع مصادرنا إلى غاية سنة 374هـ (984م)، وهو التاريخ الذي يُقدم فيه ابن خلدون معلومات عن تعيين الأمير المنصور بن بلكين لعمه أبي البهار كعامل على رأس ثغر تيهرت، وفي الوقت نفسه عيّن على آشير أخوه يطوفت[4]. وهذا التعيين يوضح أنَّ مدينة تيهرت ظلت تابعة للسلطة الزيرية بشكل مباشر. وفي رواية أخرى لابن عذاري حول هذه السنة، ذكر أنَّ المنصور أرسل يطوفت في حملة عسكرية إلى مجالات فاس وسجلماسة التي أعلنت الخروج عن ولائها للزيريين، لكن نتائجها كانت سلبية أمام قوة زناتة. والشيء الملاحظ هنا بالذات هو أن الناجين من جيش صنهاجة توجهوا نحو تيهرت وليس إلى أي مكان

---

[1] من بين المدن الأخرى التي أُعلن عنها نجد: أشير، المسيلة، بسكرة، طبنة، بغاية، مجانة. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص95-96.

[2] المصدر نفسه، ج24، ص94.

[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص332؛ ابن خلدون، العبر ج6، ص206. في حين يُشير النويري إلى أن القائد بلكين بن زيري قد أحرق المدينة، ومع ذلك، يبدو أنه لم يستمد هذا القول مباشرة من نص ابن الأثير، بل ربما استند إلى رواية ابن شداد الصنهاجي، باعتبار قدم معلومات إضافية تخص تاريخ الحادثة، حيث ذكر أن الواقعة جرت في شهر رمضان من السنة ذاتها. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص94.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص208.

آخر[1]، وهذا ما يبين مكانتها الباقية في هذه الجهة، بغض النظر عن كونها كانت الملجأ القريب، لكن ليس بمستوى مكانة آشير المتنامية.

في سنة 379هـ (989م)، نُلاحظ أنَّ أبا البهار كان لا يزال موجوداً على رأس كورة تيهرت الزيرية، ومع ذلك، حسب معطيات ابن الأثير المنقولة عن ابن شداد الصنهاجي، فقد قام في هذه السنة بتمرد ضد ابن أخوه الأمير المنصور، والسبب على حد الرواية يتعلق بعزة نفس جعلته يفكر في تغيير ولائه للخليفة الأموي في قرطبة، المنصور بن أبي عامر، لكن الأمير المنصور لم يتأخر في استعادة المدينة واستعراض سلطته مرة أخرى على الأقاليم الغربية للعمالة[2]. هذا ويظهر حسب نص ابن عذاري المراكشي أنَّ الخليفة قام بإلحاق المدينة بمصالح أخيه يطوفت في آشير[3]، مما أدى إلى تبعيتها بشكل غير مباشرة للعاصمة السياسية في القيروان. واستمر هذا الوضع لمدة ثلاث سنوات، قبل أن يعود أبا البهار مرة أخرى إلى ولاء أسرته الزيرية نتيجة للصراعات الحادة التي نشبت بينه وبين بعض أمراء القبائل الزناتية، وأعيد تعيينه على منصب عامل تيهرت مرة ثانية من قبل أبي الفتوح المنصور في سنة 382هـ (992م)، وتوفي هناك بعد عامين من هذا التاريخ[4].

من المحتمل أنَّه في نفس السنة أيضاً، بمعنى 385هـ (995م) تولى الأمير باديس حكم إمارة الزيريين بعد وفاة والده المنصور وعمره في ذلك الوقت لا يتجاوز 12 عاماً. ووفقاً لرواية ابن خلدون، عيّن باديس عمه يطوفت على عمالة تيهرت بعدما كان مسؤولاً على مدينة آشير، واستبدل عمه يطوفت على مدينة آشير بعمه الآخر حماد بن بلكين[5]. وهذا الإجراء قد يفسر بوضوح استمرار استقلالية مدينة تيهرت عن وصاية آشير عليها. وما يعزز هذا الفهم أكثر هو تقرير وصول حملة زناتية بقيادة زيري بن عطية، الملقب بالقرطاس، إلى مدينة تيهرت في سنة 389هـ (999م)، حيث أشار ابن الأثير إلى أن الوالي الزيري على المدينة كان يطوفت،

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص260؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص98.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص441. ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص264.

[3] ابن عذاري المصدر نفسه، ج1، ص264؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص208.

[4] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص265؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص208.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص238. يبدو أنَّ ابن خلدون قد أخطأ في هذا السياق، حيث اعتبر أن يطوفت هو شقيق الأمير باديس وليس عمه، في حين يتم تصحيح هذه المعلومة في مقاطع أخرى من كتابه، نذكر منها على سبيل المثال في: ج6، ص208-209.

بينما كان شقيقه حماد بن بلكين يدير ثغر آشير [1]. ومن منظور آخر، توضح هذه الخطوة أهمية المدينة تيهرت، حتى وإن كانت في مرتبة ثانوية. وفي النهاية، أرسل يطوفت رسالة استغاثة مستعجلة إلى الأمير باديس ليبلغه شخصياً بحصار زيري بن عطية للمدينة[2].

أمّا بخصوص موكة آمسار، التي وقعت على ضفاف وادي مينا في يوم السبت 04 جمادى الأولى (23 أفريل 999م)، فإنها قد شهدت فشلاً في محاولة الزيرين لمساعدة يطوفت ضد منافسيه على المدينة، ثم إن انسحاب الزيرين نحو منطقة آشير بعد تلقي الهزيمة، خلف المجال مفتوحاً أمام قيادة زناتة لاقتحام مدينة تيهرت والسيطرة عليها بهدوء[3]، وبشكل مؤقت، لأنه سرعان ما تحرك الأمير باديس بن المنصور شخصياً من العاصمة المنصورية وحررها[4]. ثم قام بالتعيين عليها وعلى مدينة آشير عمه يطوفت، قبل أن يعود إلى إفريقية[5]، وهذا يُشير إلى عودة الوصاية على مدينة تيهرت من قبل مدينة آشير مرة أخرى.

بعد هذه الحادثة التاريخية، تصبح المعلومات المتاحة عن مدينة تيهرت غير متوفرة في مصادرنا التاريخية. خصوصا وأن وهذا الوقت يتزامن مع بداية تأسيس مدينة القلعة (سنة 398هـ/1007م) التي ستلعب دوراً مشتركاً مع مدينة آشير في ظل حكم حماد بن بلكين، بدلا عن مدينة تيهرت، وما سيسفر عنه أيضاً من انقسام الفرع الزيري، والإعلان عن تأسيس الدولة الحمادية (سنة 408هـ/1017م). بحيث لا يمكن في تلك الفترة التي تسايرها زمنيا بتر المدينة ومحيطها الريفي من الفضاء السياسي الذي أضحت تسيطر عليه جماعات

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص9.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص270. يبدو من خلال هذه الرسالة التي تم توجيها إلى الأمير المنصور شخصياً، أن المدينة كانت تابعة بشكل مباشرة إلى مقر إفريقية الزيرية.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص208-209. ج7، ص45. ويؤكد النويري في اشارته إلى هذه الحادثة، أن زيري بن عطية وقف عند باب المدينة وخرج إليه أهلها فمنحهم الأمان. انظر: المصدر السابق، ج24، ص103-104.

[4] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج8، ص9.

[5] المصدر نفسه، نفس الصفحة؛ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص271؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص55؛ النويري، المصدر نفسه، ج24، ص103. 104.

زناتة[1]، خُصوصا وأنَّ السيطرة الفعلية للحماديين لم تتجاوز حدود منطقة مليانة وأشير غربا[2]، وهو ما يدعونا لنتساءل حول أوضاع المدينة من كل ذلك؟

قد يكون تحول منطقة الصراع بين الحماديين، وبني عمومتهم الزيرين، نحو القسم الشرقي من إفريقية بعد منتصف القرن الخامس الهجري (11م) بمثابة تفسير _ نسبياً ضعيف_ لعدم ذكر المدينة في لعب أي دور مهم، وهذا بالطبع إذا افترضنا أنَّ المدينة لا تزال موجودة أو لم تفقد مكانتها بالكامل. فبالنسبة للحملة العسكرية التي لاحق فيها الأمير باديس، عمه حماد بن بلكين، في سنة 405هـ (1014م)[3]، فهي تضيف فهماً آخر لدور المدينة ومكانتها في هذه الجهة. فبعد تشريده عن مدينة القلعة ومدينة آشير، احتمى حماد بن بلكين في منطقة قريبة من نهر واصل بدلا من تيهرت[4]، على الرغم من قدرته على التحصن في المدينة إذا كانت قادرة على تحمل ذلك، باعتبارها المكان القريب من المنطقة التي اختارها (إلا إذا كان الزناتيون سيمنعونه من ذلك). والجدير بالملاحظة في هذا السياق، أنَّ الإشارة التي وظفها ابن خلدون في روايته حول المطاردة أنَّه: "نزل باديس نهر واصل والسرسو وكزول وانثنى حماد راجعاً إلى القلعة واتبعه باديس[5]"، فهي تبين بشكل خاص أرض كزول (جزول) والسرسو، بدلاً من التركيز على المدينة التي كانت تخطف الأنظار في المنطقة، وهذا ربما يفسر أنها فقدت مكانتها السابقة في جميع النواحي، بما في ذلك التوطين.

إن المعطيات والقرائن التي توحي بالغياب أو التراجع الشبه الكامل لمكانة المدينة هي متعددة ومتنوعة، ويمكننا استعراض المزيد منها للتأكيد على هذا الأمر. فعلى سبيل المثال، عندما ذكر ابن أبي زرع الفاسي

---

[1] من بين هؤلاء بشكل خاص، جماعات بني ومانو ويلومي التي لم تتأثرا بالهجرة التي فرضها الأمير بلكين بن زيري على بقية زناتة. ابن خلدون، العبر، ج6، ص227-228. ج7، ص74-75.

[2] مما يعزز هذا الطرح أنَّ العاهل الحمادي الناصر بن علناس (354_481هـ/1062_1088م)، عندما استهل في بداية حكمه تعيين سلسلة من العمال، كانت هاتان المدينتان هُما آخر النقاط الغربية التي تسمح برؤية السيطرة الفعلية للحمادين. راجع دراسة: دومنيك فاليريان، المرجع السابق، ج1، ص169.

[3] ترتبط هذه الحادثة بعدم تنفيذ حماد بن بلكين لمطلب الأمير باديس بالتنازل عن بعض الأعمال، والتي كانت تتضمن مدينة تيجست (عين البرج) ومدينة قسنطينة. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص86؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص209.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص209.

[5] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

إخضاع القائد يوسف بن تاشفين لمجموعة من الثغور في المناطق المجاورة سنة 475هـ (1082م)، لاحظنا أنه لم يُشر على الإطلاق إلى مدينة تيهرت، رغم أن الأمر كان يتعلق أيضاً بافتتاح مناطق كانت هامشية للغاية[1]. وفي سياق مماثل، عندما تم دخول جماعات بني توجين من منطقة السهوب نحو بلاد التلول بدايةً من سنة 486هـ (1093م)، سيطروا على كامل الفضاءات المحيطة بموقعها، ومع ذلك لم تسجل أي أخبار عن مدينة تيهرت. ولم تتغير الأمور في سنة 584هـ (1188م)، عندما جهز المنصور الموحدي جيشه لملاحقة بني غانية في تونس، حيث استعان بالعباس بن عطية أمير بني توجين كدليل للمسلك الشرقي-الغربي الذي يمر بجوار المدينة، ولكن هذا المرور لم بقدم أي معلومات جديد عن المدينة تيهرت[2].

في بدايات القرن السابع الهجري (13م)، ظهرت مرة أخرى أخبار تيهرت في سياق بعض الحوادث العسكرية المهمة، حيث سجل عبد الواحد المراكشي في إحدى رواياته أن العرب الذين كانوا حلفاءً ليحي بن غانية قتلوا أحد أبناء الخلفاء الموحدين في الظاهر لمدينة تيهرت سنة 605هـ (1208م)[3]. وهذا ربما كان في طريق بني غانية لغزو مدينة تلمسان[4].

وبخصوص علاقة المدينة مع الهجمات المتعددة من المايورقيين في المنطقة، ذكر ابن خلدون روايتين فقط، لا نجد إليهم إشارات إلا في كتابه. في الرواية الأولى، أشار إلى أنَّ المعركة التي وقعت في تيهرت في سنة 605هـ (1208م) بين جيوش يحي بن غانية والوالي على مدينة تلمسان، أبو عمران موسى بن يوسف، هي التي أسفرت عن تدمير المدينة ونهاية عهدها[5]. أما في الرواية الثانية، فأشار إلى أنَّ جماعات بني غانية بقيادة الأمير

[1] من بين المناطق التي تم افتتاحها يذكر: وهران، تنس، جبال الونشريس، والأعمال التي تمتد من الشلف غرباً حتى مدينة الجزائر شرقاً، أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، صور للطباعة والوراقة، 1972م، ص ص143، 168؛ ونفس هذه المدن والأعمال ورد ذكرها في كتاب: ابن خلدون، العبر، ج7، ص75.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص328.

[3] عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه، ص411.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص335.

[5] المصدر نفسه، ج6، ص375.

يحي هم من دمروا المدينة في العقد الثالث من القرن السابع الهجري (13م)، دون تقديم تفاصيل كبيرة حول الحادث[1].

أمّا بالنسبة لابن عذاري المراكشي، فإنه لم يتناول هذه القضية فيما يتعلق ببني غانية وتدمير المدينة، بل اكتفى بنقل أبيات من قصيدة شاعر مجهول وصف فيها حال تيهرت بعد تخريبها، ونص هذه الأبيات هو:

خَلِيْل عَوَجَا بالرُسومِ وَسَلَماً عَلَى طُلَلٍ أَقْوَى وَأَصْبَح أَغْبْرا

أَلَماً عَلَى رَسْم بِتِيْهَرْت دَاثِر عَفَتْهُ الغَوَادِيْ الرَائِحَاتِ فَأَقْفَرا

كَأَنَ لَمْ تَكُنْ تِيْهَرْتُ دَارًا لمعْشَرٍ فَدَمَرَهَا المِقْدَارُ فِيْمَنْ تَدَمَرا"[2]

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص210. أما بخصوص ما ذكره الرحالة البريطاني توماس شو في رحلته قبل منتصف القرن 18م، بأن تيهرت "كانت سابقاً مدينة عظيمة لم يهجرها العرب إلا منذ بضع سنوات"، يبدو أنه يعكس إعادة تعميرها بشكل بسيط خلال الفترة العثمانية، بدليل أن زيارة الحسن الوزان للموقع في القرن 16م لم تكشف سوى عن وجود هياكل أثرية فقط. Thomas Shaw, *Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cet état,* Paris, Marlin, 1830, p. 254.

الفَصْلُ الرَابِع:

المَديْنَتَان آشِير والمدِيَة، كَيَانَات اسْتراتِيجيَة مُنَصبَة بَيْنَ ضِفَتَي التيطْرِي

1- مدينة آشير: قاعدة صغيرة لتلكاتة الصنهاجيين

1-1 الموقع والطوبونيم

لقد أصبحت آشير مدينة ذات أهمية بارزة في وسط بلاد المغرب منذ تأسيسها على يد الأمير الصنهاجي زيري بن مناد (324-360هـ/936-971م)، فموقعها الداخلي الحدودي مع زناتة من جهة، وتحكمها في واحدة من المناطق الجغرافية الأكثر تعقيداً في المنطقة، لا شك أنَّه قد منح للمدينة ميزة خاصة من الحصانة، التي ركز عليها العديد من المؤلفين.

أ/ وضعية المدينة فوق هضبة.

يظهر أن المدينة قد جذبت لنفسها وجهات نظر لافتة في النصوص الوصفية، وذلك نظراً لموقعها الاستراتيجي على السفوح الجبلية لسلسلة الأطلس الداخلية، بحيث تسمح المعلومات الموجودة في المصادر المكتوبة بمعرفة أنها كانت محطة حصينة، وهو الأمر الذي تعكسه أيضاً الصور الطبيعية للتحصينات المحيطة بها، مما جعلها تلعب دوراً عسكرياً وسياسياً أكثر من أن تكون مجرد مركزاً تجارياً.

خلال زيارته للمدينة، ركز ابن حوقل بشكل خاص على تقديم المعلومات المتعلقة بأوضاعها الداخلية، وخاصة حول النشاطات الموجودة في الوقت ذاته، مثل السوق، بالمقابل، لم يولِ المؤلف أي اهتمام بالمشهد الطبوغرافي الذي يحيط بالمدينة[1]. وفي نفس الفترة تقريبًا، أشار المقديسي إلى ثغر آشير على أساس أنه منطقة تخضع للمجال الذي كانت تسيطر عليه القيروان، لكن دون إعطاء المزيد من التوضيحات[2]. وهي على ما يبدو، تقديرات متعلقة بالمجال الإداري الذي كانت تتحكم فيه الأسرة الزيرية، والدليل أنَّ ذلك يتوافق مع توقيت كتابته للوصف الجغرافي في بداية الرُبع الأخير من القرن الرابع الهجري (10م).

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[2] المقديسي، المصدر السابق، ص68-69.

وبعد مرور قرن تقريباً، قدم البكري وصفًا دقيقًا للمدينة، حيث أشار إلى موقعها كنقطة ارتكاز محاطة بجبال عديدة، مما يجعلها محمية بشكل جيد[1]. وهذا التوصيف يتناسب تماماً مع الوصف الجغرافي الموجود في كتاب الاستبصار، الذي يصف المدينة بأنها "بين جبال شامخة محيطة بها[2]". كما نجد إشارة أخرى عند الحموي، بين فيها أنَّ "آشير مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر[3]"، وهو ما ينطبق على العلاقة التي كانت تجمع الحاضرة بجاية وثغر آشير في المنطقة الخلفية. وأخيراً تطرق ابن خلدون إلى تحديد موقع المدينة بعد فترة من الغياب، موضحاً أنَّه تم إختيار موقعها في"سفح الجبل المسمى تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حصين"[4]. وهي القبيلة العربية "حسين" المتصلة بزغبة، والتي هيمنت على المنطقة بعد منتصف القرن السابع الهجري (13م).

وبما أنَّ المدينة تقع في محيط كله أو أغلبه جبلي، فقد بيّنت المصادر أنَّها هي الأُخرى تقع على ظهر ربوة، مما يجعلها تبدو مرتفعة قليلاً مقارنة مع باقي محيطها الخارجي، وفي ذلك يُشير البكري بإعجاب إلى أنَّ المدينة "لا يوصل إلى شيء منها بقتال إلاّ من موضع واحد يحميه عشرة رجال، وهو في شرقيها الذي ينفذ إلى عين مسعود وسائر نواحيها تنزل عنها العيون فكيف الأقدام[5]". كما يؤكد النويري، المصدر المزود بأكثر الأخبار عن المدينة وأدقها تفصيلاً، باعتباره نقل عن الكتاب المفقود لابن شداد الصنهاجي الموسوم ب "الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان"، أنَّها "لو لم يكن عليها سور، لاستغنت بعلوها عنه[6]".

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص725.

[2] الاستبصار، المصدر السابق، ص170. ثم إن الحميري يعد من بين النصوص المتأخرة التي اقتبست هذه الرواية كما هي حرفيًا .الحميري، ص60.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص202.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص203.

[5] البكري، المصدر نفسه، ج2، ص725.

[6] النويري، المصدر السابق، ج 24، ص161.

حسب المعطيات الواردة هُنا، يمكن ملاحظة أن المدينة تتطابق إلى حد كبير مع الموقع الأثري الذي تم اكتشافه في خمسينيات القرن التاسع عشر ميلادي[1]، والذي أصبح يعرف اليوم بطوبونيم "بنية"، وفقاً للسمات المعروفة لدى سكان القرية المجاورة[2]. وهذه المقاربة ليست جديدة في هذا السياق التوفيقي بين المشهد التاريخي والأثري، بل تتوافق مع معظم الدراسات الحديثة[3]، وهي بطبيعة الأمر قراءة تستند إلى قرائن وإثباتات متعددة.

فبالنظر إلى الحواف الثلاثة للمدينة التي تتسلق مرتفعاً، يبدو أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، استخدامه للدخول أو الخروج من المدينة، باستثناء الجهة الشرقية والأبعاد القريبة منها التي تسمح بالإتصال السهل والسريع مع المحيط الخارجي _مثلما سيأتي النظر إليه في الصورة، وقد كشف عنه كل من البكري والنويري كما هو مبين في السابق.

بالإضافة إلى ذلك، تُظهر المعطيات المتعلقة بالتواصل الهيدرونيمي وجود توافق قوي بين المدينة والموقع الأثري. ويُفسر ذلك من خلال وجود عين مسعود كعنصر لا يزال حاضرًا إلى يومنا الحالي في الجهة الشرقية، وهو ما بينته المصادر التاريخية. ويُذكر أيضاً، كمصادر للتموين المائي في المدينة وفقاً للبكري، وجود عين

---

[1] تم تحديد منطقتها اعتباراً من شهر أوت سنة 1852م، وذلك عندما كشف عالم الآثار والفيلولوجيا أدريان بيربروجر عن مجموعة الخرائب الموجودة في هذا المكان، وقد تم نشر ملاحظته لأول مرة في كتاب البارون دوسلان بعد مرور سنتين من ذلك، وذلك في سياق ترجمته لنص العبر لعبد الرحمان بن خلدون (Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*, traduite par le Baron de Slane, Alger, imprimerie du gouvernement, 1854, p. 490-491) وتم إعادة نشرها مجدداً كملحق في مقال الباحث شاباسير في المجلة الإفريقية سنة 1869م. Chabassière, « Le Kef el-Akhdar et ses ruines », *Revue Africaine*, 13, (1869), p.116-121.

[2] تُشير بعض الدراسات إلى أنَّ الطوبونيم قد استُلهم من أثار الموقع، ويعد اسمًا مشتركًا بين العديد من الخرائب الموجودة في الجزائر. أنظر مثلا: Georges Marçais, « Recherches d'archéologie musulmane (Achir) », *Revue africaine*, Alger, Jules Carbonel, 1922, p. 29; Lucien Golvin, « Le Palais de Zīrī à Achîr (Dixième Siècle J. C.) », *Ars Orientalis*, V6, (1966), p. 48.

[3] أنظر على سبيل المثال: Georges Marçais, Achir, *op. cit.*, p. 27.

سليمان، وكذلك عين تلانتيبغ[1]، التي قد تكون تعني العين الصفراء[2]. وتظل هاتان العينان حاضرتين حتى اليوم، إذ تُعرف الأولى بعين بنية وتقع قرب الشمال الشرقي للسور، فيما تقع الثانية، عين بحيرة، في الجنوب الشرقي[3].

ب/ الطوبونيم

فيما يتعلق بالطوبونيم في الفترة السابقة لمرحلة التعمير الصنهاجي للموقع، فإنَّ نسبته الإسمية غير معروفة لدينا في الوقت الحالي، أمّا فيما يتعلق ببداية تأسيس أو إعادة تأسيس الموقع، فيعتبر ذلك أمرًا معروفًا، حيث تتفق معظم المصادر على أن كتابته تكون "آشير"[4]. بإستثناء بعض المؤلفات التي قدمت إضافة في الطوبونيم الرئيسي للمدينة، حيث قامت بربطه بالزعيم الصنهاجي الذي أسسها في عقد العشرينيات من القرن الرابع الهجري (10م)، فتقول: "مدينة آشير زيري"[5]. وهذه الإضافة بطبيعة الحال، لا يمكنها أن تعكس وجود تطور في استخدام الاسم الجغرافي للموقع.

يظهر أنَّ "آشير" كطوبونيم ليس مقتصراً على المدينة بمفردها، بل يتوافق مع الفضاء الجبلي المحيط بها، والذي ليس له أي اسم من ناحية أخرى (باستثناء بلاد صنهاجة)، قبل أن يتطور ليصبح معروفاً بجبال

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص725. الحميري، ص60.

[2] Salem Chaker, « Données sur la langue berbère à travers les textes anciens », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 31, (1981), p. 41- 42. Lucien Golvin, « Buluggîn fils de Zîri, prince berbère », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 35, (1983), p. 99.

[3] لقد ساهم الضابط رودي بشكل كبير في عملية تحديد وتوثيق هذه الينابيع بأسمائها الحديثة. وقد أشار إلى وجود عيون أُخرى خارج المدينة، لكن المعلومات حولها غائبة تماماً في المصادر التاريخية، مثل ما هو الحال مع عين عتروس وعين الكرمة، بالإضافة إلى عين اليود التي وصف بأنها تعتبر أقل تغذية مقارنة بالينابيع الأخرى. Capitaine Rodit, «Les ruines d'Achir », *Revue africaine*, 52, (1908), p. 93-94. أما جورج مارسي، فخلال زيارته للموقع في سنة 1912م، اكتفى بالإشارة إلى المنبعين في الداخل دون التطرق إلى المزيد من التفاصيل حول العيون الأخرى Georges Marçais, Achir, *op. cit.*, p. 30.

[4] في حين أنَّه ينطق اليوم عند بعض المحليين هناك بـ "ياشير" بدلا من "آشير".

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص170؛ الحميري، ص60.

التيطري بداية من القرن الثامن الهجري (14م)، وهذا الأمر موضح كما يجب في عصر ابن خلدون[1]. في حين أن بعض المؤلفين الوسيطيين تأثروا بتقديم "آشير" حصريًا في سياق المدينة، كما حدث مع تيهرت المطروقة سابقاً.

ومن جهة أُخرى، لا يخفى أنَّ الدراسات الأثرية في المنطقة كشفت عن وجود ثلاثة مراكز عمرانية متباعدة فيما بينها، وإن كان بعضها غير واضح في المصادر، فعلى الأرجح أنَّها كانت نشطة خلال نفس الفترة التاريخية للعصر الوسيط، لكن ما بقي منها اليوم هو موقع واحد فقط، يعتبر بمثابة القصر (كما سيُوضح لاحقًا)، وهو أيضاً من استطاع أن يبقى بنفس الطبونيم "آشير"[2]. ومع ذلك، فإن هذا الموقع[3] لا يتناسب تمامًا مع شكل المدينة المعبر عنها في المصادر، وقد أشرت منذ قليل، أن المدينة الحقيقية هي ما يُعرف اليوم بموقع "بنية".

وعلى أية حال، لكون المدينة مرتبطة بهذا الطبونيم "آشير" المحلي بإمتياز، نجد هناك رغبة لدى العديد من الباحثين في فهم المعنى الذي يرتبط به، حيث قدم أدريان بيربروغر (Adrian Berbrugger) تحليلاً يُشير إلى أنَّ تفسيره قد يكون "المخلب"، بما يتناسب مع المواقع العسكرية القوية أو التي يكون من

---

[1] تفيد المعلومات الواردة من ابن خلدون في "العبر" بأن المدينة شُيدت في سفح المرتفع الذي أصبح في عصره يُعرف بجبل التيطري (ابن خلدون، العبر، ج6، ص203). ومع ذلك، لا يوجد دليل يُظهر أن استخدام أورونيم "التيطري" تم تسجيله قبل كتابة ابن خلدون التي بدأت حوالي سنة 773هـ/1371م.

[2] تعود بعض التفسيرات لأصل الطوبونيم إلى مصدر مائي كان موجودًا بجوار القصر، أنظر: Georges Marçais, Achir, *op. cit.*, p. 27.

[3] يوجد في الجهة الشمالية من الفضاء العمراني.

الصعب اقتحامها[1]. وهو تقريباً نفس الرأي الذي يتبناه عدد من الباحثين[2]، خُصوصا وأنَّ هناك ما يعززه من معلومات مستمدة من اللغة الشاوية[3].

2-1 أسباب اختيار الموقع

تأسست مدينة آشير على يد الأمير زيري بن مناد في سنة 324هـ (935م)، وهذا الحدث موثق بوضوح في معظم المصادر التي تناولت هذا الموضوع[4]، باستثناء النص الوحيد لابن الأثير الذي ذكر تاريخ 364هـ (974م)[5]، وربما قد يكون هذا التاريخ مجرد تصحيف أثناء عملية نقله للمعلومة من كتاب ابن شداد الصنهاجي.

أمّا بالنسبة للأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموقع بالتحديد، أي موقع مدينة آشير، فإن المصادر تفسره بعدة عوامل، والمميز في ذلك أنها تتجاوز ذكر الأساطير التأسيسية. فزيادة عن العامل الرئيسي وهو الحصانة الطبيعية التي تتمتع بها المنطقة، فهي لا تعاني من نقص في المياه، بل على العكس من

---

[1] لقد أشار إلى ذلك: Chabassière, *op. cit.*, p. 121.

[2] على سبيل المثال: رشيد بورويبة، "آشير عاصمة بني زيري" الأصالة، 12، (2011م)، ص117.

[3] يوسف بردودي، المذهب الإسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط (280هـ-893م/362هـ-973م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر، 2010-2011م، ص143. في المقابل، هناك اجتهاد آخر من باحثين مهتمين، خاصة بطوبونيما الجزائر والمغرب العربي عموماً، قدموا لهذا الطوبونيم تفسيراً يتطابق مع اصطلاح "هنشير" الذي يستخدم بكثرة وعلى نطاق واسع في منطقة تونس والشرق الجزائري، ويرتبط أساساً بوجود أثار الاستيطان القديم (على سبيل المثال: Philippe Leveau, « Ašir toponyme», *Encyclopédie berbère, 7 / Asarakae–Aurès, Aix-en-Provence, Edisud,* 7, (1989), p. 971; Mohand-Akli Haddadou, *dictionnaire topinymique et historique de l'Algérie,* Edition Achab, 2012, p. 120.

لكن هذه الفرضية تبدو ضعيفة بالنظر إلى وجود سببين، أولاً، أن اصطلاح "هنشير" لا يظهر بكثرة في المنطقة الأكثر امتداد نحو الغرب، وهذا بالطبع إن لم يكن منعدما تماما. وثانياً، نسجل استخدامات كثيرة للطبونيم "آشير" أو "ياشير" في المجال المغاربي، بما في ذلك مناطق قريبة من موقع المدينة وحتى في بعض المواقع التي لا تحمل آثار الاستيطان القديم. وبناءً على ذلك، يظهر أنه لا يوجد صلة واضحة أو تصحيف لفظ "هنشير" مرتبط بطوبونيم المدينة آشير.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص724؛ الاستبصار، المصدر السابق، ص170؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص203؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص227؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص88، الصفدي، المصدر السابق، ج15، ص38.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص333.

ذلك فهي مزودة بمياه العيون، وإن كانت هذه العيون لا تظهر بالحجم الذي يغطي سقي المحاصيل، لأن الحياة في هذا القسم المجالي تبدو مرتبطة بالاستقرار أكثر من حركات التنقل[1]. بالإضافة إلى ذلك، وجود المساحة الواسعة وفي نفس الوقت القابلة للبناء. وأخيراً، تلك الصورة البانورامية التي تعكس جمالية الموقع. تقريباً هذه هي الأسباب الرئيسية التي تشترك في تقديمها كتب الأخبار، أو بالأحرى النصوص التي اعتمدت على نقل المعلومات من كتاب ابن شداد الصنهاجي[2].

من ناحية أخرى، يلاحظ أنَّ عبد الرحمان بن خلدون يقدم وجهة نظر مغايرة حول سبب اختيار الموقع. حيث يركز على النزاعات التي كانت قائمة بين الأمير زيري بن مناد وأصحاب أبي يزيد وخلفائه، أو مع زناتة بشكل عام، وبالتالي، يرى أن هذه الصراعات كانت الدافع الرئيسي وراء بناء مدينة آشير واستخدامها كملاذ آمن للتحصن[3].

إلى جانب العوامل المذكورة، يجب إدراج عناصر أُخرى لا بد أنَّها خضعت لحسابات اختيار موقع بناء المدينة، لكن المصادر لم تذكرها، ويتعلق ذلك بقرار اختيار موقع المدينة ضمن مجالات التلكاتيين، لتجنب الانخراط في النزاعات العقارية[4]، خاصة مع جماعات زناتة. والعامل الثاني المهم يكمن في وجود الموقع على الطريق الرئيسي شرق-غرب، وتحديداً على المحور القديم بين كاسترا كاتركتا (Castra-Cataracta) وبوغار.

[1] فيما يتعلق بدواعي التأسيس، يُشير ليسيان قولفين إلى أنَّه من الخطأ الاعتقاد أن المدينة تأسست لاستغلال أراضيها الزراعية، نظراً لندرة تساقط الأمطار في المنطقة، وعدم كفاية الينابيع المتاحة لسقي المحاصيل. في المقابل، يُشير إلى أن الهدف الرئيسي من بناء المدينة كان التحصين، وأن المنطقة تعتبر أكثر مناسبة لتربية الغنم بدلاً من الاعتماد الزراعة. Lucien Golvin, « Le Palais de Zîri à Achîr », *op. cit.*, p. 48.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص333؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص202؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص88.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص203. إضافةً إلى ذلك، بدأت ثورة أبي يزيد الزناتي بعد مرور حوالي 9 سنوات من تأسيس المدينة.

[4] بخصوص مجالات تلكاتة في تلك الفترة، نجدها تمتد من المسيلة إلى حمزة (سوق حمزة) إلى الجزائر والمدية ومليانة، وذلك قبل الهجرة الهلالية التي أحدث تغييرات جديدة في التوطين، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص202- 203؛ وفي دراسة حديثة راجع كتاب: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص93؛ Allaoua Amara, « Les Fatimides », *op. cit.*, p. 120-121.

أمَّا عن الدوافع الأخرى لتأسيس المدينة، يظهر أنها نابعة عن الحاجة ولم تكن بأمر من الخلفاء الفاطميين. فالمصادر تُشير بوضوح إلى أن مساعدات الخليفة القائم بأمر الله للزيرين كانت موجهة نحو استكمال المدينة وتحصينها بشكل جيد من هجمات زناتة، وليس لتأسيسها، وهذا طبعاً بعد مرور حوالي عشر سنوات من بداية عملية بنائها[1].

_ ماذا عن أقدمية الموقع؟

تُثار العديد من التساؤلات حول أقدمية الموقع هو الآخر، ولكن التفصيل في هذا السياق يُعتبر صعبًا نظرًا لقلة المعلومات التاريخية المتاحة. كما تُشير هذه المعلومات إلى وجود تضارب في الروايات المتعلقة بتاريخ وأصل الموقع. بالإضافة إلى ذلك، فإن الشواهد المادية تكاد تكون منعدمة تقريباً نتيجة نقص الحفريات الأثرية في الموقع[2].

تُشير بعض الروايات المنقولة عن ابن شداد الصنهاجي إلى أنَّ الأمير زيري بن مناد، عندما خرج للبحث عن مكان لبناء مدينته "رأى آشير وهو موضع خال وليس به أحد"، وتضيف هذه الروايات أنَّه رأى بها الكثير من العيون التي كانت جاهزة للاستخدام[3]، وهو ما يعطينا فهماً ضمنياً أنَّ الموقع كان يحتوي على بنية عمرانية إلى حد ما، وتم الاحتفاظ بجزء من هذا العمران الذي لم يُستغل في التوطين[4]، مثلما استفادت القبيلة نفسها من مواقع مشابهة في وقت لاحق، على رأسها المدية ومليانة وجزائر بني مزغنة، ولكن هذا يبقى دون معرفة يقينية بفترتها الكلاسيكية.

---

[1] وهو ما يظهر بعد القضاء على الحركات المناوئة لأبي يزيد الزناتي. النويري، المصدر السابق، ج24، ص88.

[2] يعود هذا النقص إلى عدم إجراء أي تنقيب منظم، على الرغم من وجود رغبة كانت من قبل الباحث ليسيان قولفين في منتصف القرن الماضي Lucien Golvin, « Le Palais de Zīrī à Achîr », *op. cit.*, p. 58. وبالتالي، يُعتبر كل ما تم ذكره في الدراسات الحديثة نتيجة لاستطلاعات سطحية وسريعة للموقع، ولذاكرة السكان المستقرين في المنطقة.

[3] ياقوت الحموي، المصدر السابق ج1، ص202؛ النويري، المصدر السابق ج24، ص88.

[4] يبدو أن المقصود هُنا هو فراغ في عملية التوطين، وليس التعمير كما يُشير إليه: محمد عياش، المرجع السابق، ص37.

أما بما ينص عليه مؤلف كتاب الاستبصار، الذي يقول بالحرف الواحد: أنَّها "كانت مدينة قديمة فيها آثار عجيبة وإنما بنى زيري سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الأقطار أحصن منها، وهي بين جبال شامخة محيطة بها، وداخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر من بناء الأول، وبالقرب من المدينة بنيان عظيم عجيب يُعرف بمحراب سليمان، ولم يُر بنيان أعظم منه ولا أحكم، فيه من الرخام والأعمدة والنقوش ما يقصر عنه الوصف، وهي جليلة حصينة[1]".فهذا النص، الذي يُعد متأخراً زمنياً ولا يوضح المؤلف مصدره حول آشير، نجده يُقدم معلومات مهمة وذات أفضلية واضحة في التأكيد على أقدمية موقع المدينة، كما يُعتبر المصدر الوحيد الذي يُجيب صراحة على هذا السؤال.

والجدير بالملاحظة أنَّ العينين أو المنبعين المشار إليهما في النص السابق هُما نفسهما التي أشار إليهم البكري من قبل، الأولى عين تلانتريغ والثانية عين سليمان، لكن البكري لم يُشر إلى أقدميتهم. وفي ذات السياق، أصبح يُوجد توافق في تسمية الهيدرونيم عين سليمان عند البكري من جهة، وما ذكره صاحب كتاب الاستبصار بوجود بنيان عظيم عجيب يُعرف بمحراب سليمان[2]، مما يجعلنا نتساءل حول شخصية هذا الرجل العظيم سليمان؟ في نظري، لا يوجد أي واحد من النبلاء الصنهاجيين الذين حملوا هذا الانوماستيك، كما أنَّه ليس من الضروري أن يكون اسم لشخصية مسلمة في بداية العصر المغاربي الوسيط[3].

---

[1] الاستبصار، المصدر السابق، ص170؛ نفس الوصف نقله: الحميري، ص60.

[2] قد يكون البناء هو منزه بنت السلطان. ومن المحتمل أيضاً أن يكون المركز القديم لتوطين جماعات تلكاتة قبل بناء مدينة آشير، وهذا بالنظر إلى وجود بعض المقاربات، مثل قربه من مدينة آشير، كما ذكر المصدر. بالإضافة إلى الإشارة من قبل ستيفان قزال في الأطلس الأثري للجزائر إلى وجود مصلى للمسيحيين في زاوية من المنزه، ووجود شظايا من الأعمدة (Stéphane Gsell, *op. cit.*, feuille 24 n° 80.) في المقابل، يعتبر تفسير بورويبة الذي يرى أن البناء القديم هو موقع قصر آشير أمراً مستبعداً، بناءً على المعطيات التاريخية والأثرية المتعلقة بالقصر. أنظر: رشيد بورويبة، آشير عاصمة بني زيري، ص119.

[3] في موقع قريب من مدينة آشير، وتحديداً في أضرحة لجدار القريبة من فرندة اليوم، أشار الرقيق القيرواني (وفقاً لما نقله ابن خلدون) إلى أنَّ الخليفة المنصور الفاطمي وقف عند نقش تذكاري في أحد الأضرحة في سنة 336هـ (746م)، وكانت النقيشة تُشير إلى أنَّ البناء تم تشيّده من طرف سليمان السردغوس (ابن خلدون، العبر، ج4، ص57.) في حين، نلاحظ أن ابن خلدون ذكر في سياق آخر أنَّ سليمان قد قام بتفسير نص اللوحة للخليفة المنصور. أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص154.

3-1 مشاهد قليلة حول عُمران المدينة

من الملاحظ أن هناك قلة في المعلومات المتاحة حول المباني والمؤسسات التي تم إنشاؤها في مدينة آشير، حيث لم يقدم المؤلفون وصفاً مفصلاً لعمران المدينة. وحتى المعلومات المتعلقة بالبنى الأساسية، التي يُفترض أن تكون جزءًا أساسيًا من التوثيق الحضاري، نجدها تظهر بشكل محدود، ويتم نقل شذرات قليلة منها بين المصادر المتاحة.

أ/ التحصينات

السور: بالإضافة إلى الحماية الفريدة التي يوفرها الموقع بسبب تضاريسه الاستثنائية، كان من واجب الصنهاجيين القيام ببناء جدران دفاعية تُعزز من قوة المدينة دون الاعتماد على الحصانة الطبيعية. وتعكس هذه الخطوة حرصهم على تحقيق أقصى درجات الحماية والأمان للمدينة.

فيما يتعلق بتاريخ بناء سور المدينة، فإنه لا يوجد دليل يشير إلى تشييده في وقت مبكر، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ ظروفها كانت هادئة للغاية. فمبدئيا يُشير البكري إلى أنَّ الأمير بلكين يوسف بن زيري هو الذي قام ببنائه في سنة 367هـ (977م)[1]، أي بعد حوالي 43 سنة من تاريخ بداية تأسيس المدينة، وهي فترة طويلة جداً تجعلنا نشك في صحة هذه الفرضية التي يذكرها البكري بمفرده. وهذا بالطبع نظراً إلى وجود قرائن أخرى تشير إلى بناء السور قبل هذا التاريخ، منها زيارة ابن حوقل للمدينة أثناء عودته من بلاد المغرب إلى المشرق، وكأقصى حد لهذه الزيارة في المرة الثانية حوالي سنة 360هـ (970م)، حيث أكد وجود سور قوي للمدينة[2]. وهي في جميع الأحوال تدخل في فترة زعامة الأمير الأول زيري بن مناد، وليس في فترة خليفته بلكين كما يدعيه البكري. هذا وقد رأينا سابقاً كيف أكد صاحب نص الاستبصار بإلحاح شديد

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص724.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

أنَّ الأمير زيري بن مناد وحده هو من أسس سور المدينة وحصنها[1]. علاوة على ذلك، فإنَّ المدينة قد تعرضت لهجمات زناتية في سنة 361هـ (971م) وانتهت جمعياً بالفشل[2]، مما يدل على وجود التحصينات في هذا الوقت السابق أيضاً. وبالتالي، قد يكون ما قدمه البكري تجديداً للسور، وعلى الأرجح أن تاريخ بنائه لا يخرج عن السنوات الأولى من بداية التأسيس الصنهاجي للمدينة.

يتمتع السور ــ وربما جميع ملحقاته الدفاعيةــ بمكانة مهمة في التصدي لمختلف التهديدات التي واجهت المدينة في شكل حصارات، وهذا على الأرجح يتطلب تقدير استحكامات بنائه الجيد، فمعلوماتنا لا تشير إلى وقوع أي اقتحام للمدينة نتيجة هجوم عسكري أو حصار طوال فترة تقارب قرن وعشر سنوات من تاريخ تأسيسها، كان من بينها محاولات مسجلة لصالح الزناتين، منها ما ذكره ابن الأثير في أحداث سنة 361 (971م)[3]، وحصار آخر يبدو أنه الأطول من نوعه، والذي نقله صاحب كتاب "مفاخر البربر" استناداً إلى الكتاب المفقود لأبي مروان عبد الملك بن موسى الوراق، المعنون بـ "كتاب المقتبس في أخبار المغرب وفاس"، كان هذا الحصار بمشاركة بعض الزناتيين بقيادة زيري بن عطية، حيث استغلوا فرصة تشتت صنهاجة بعد وفاة الأمير المنصور، بدأ في سنة 389هـ (998م) واستمر لمدة عامين تقريباً، حيث انتهى بوفاة زعيم المحاصرين زيري، دون أن يتمكنوا من اقتحام للمدينة[4]. ويظهر أحياناً حتى حصار من قبل أفراد

---

[1] الاستبصار، المصدر السابق، ص 170. في حين تكشف رواية ابن خلكان أنَّ الأمير زيري هو من قان بإنشاء التحصين تزامننا وثورة أبي يزيد الزناتي، ما يعني ذلك بين السنوات (333هـ-336هـ/743-746م). ومع ذلك، لا يوضح النص إذ كان المقصود هو إنشاء السور أم القصور، أو هوما معًا. ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص287. ثم بعد حوالي قرن من الزمن، تم نقل هذه الرواية بواسطة: الصدفي، المصدر السابق، ج12، ص26.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص333.

[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4] مجهول مؤلف كتاب مفاخر البربر، تح عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005م، ص127. ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص107.

من نفس العائلة، كما حدث في حصار حماد للمدينة بعد وفاة الأمير الزيري باديس بن المنصور في سنة 406هـ (1015م)[1].

ليس الهدف هُنا إعداد جدول كرونولوجي لجميع الهجمات التي تعرضت لها المدينة، ولكن ما يهمنا هو فهم مدى حصانة السور واستمراريته لفترة طويلة، إلى غاية تخريب المدينة في أربعينيات القرن الخامس الهجري (11م)[2]. وما يلفت النظر بشكل خاص هو أنَّ هذا التخريب لم يكن نتيجة لحملة خارجية تجاوزت أسوار المدينة، وإنما، على العكس من ذلك، كان السبب فيه المسؤول عليها من قبل مركز مدينة القلعة، وذلك كتصفية حسابات داخل إطار الصراع العائلي على السلطة، كما سيتم شرحه لاحقاً. والجدير بالملاحظة أنَّ المدينة فقدت أهميتها بعد هذا الحادث، بما في ذلك السور، وأصبح من السهل السيطرة عليها، خاصةً بعد انحسار نفوذ زناتة وظهور بني غانية، بالإضافة إلى التخلي التدريجي عن إدارتها من قبل بجاية حتى وصل الأمر إلى فقدانها نهائياً.

إنّ مصادرنا القليلة جداً، لم تكشف عن شكل السور أو عن أي شيء من قياساته الطولية، ومع ذلك، نكون محظوظين لأنَّ أغلب آثار السور لا تزال واضحة اليوم في شكل خطوط متعرجة، باستثناء الجهة الشرقية التي اختفت بسبب التوطين الحديث في تلك المنطقة[3].

---

1 ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص89.

2 البكري، المصدر السابق، ج2، ص724.

3 تظهر المدينة بشكل "بيضوي" غير منتظم، حيث يُقدر إجمالي طول سورها بحوالي 2.40 كيلومتر، وفقًا لقياسات نظام تحديد المواقع الفضائي GPS، أي ما يعادل مساحة تقدر بنحو 39 هكتاراً. ويلاحظ أن هذه القيم تتناسب تقريبًا مع ما ذكره جورج مارسي الذي أشار إلى مساحة تقدر بحوالي 35 هكتارًا من سطح المدينة (Marçais Georges, « Achir », *op. cit.*, p. 27) وتتشابه هذه الأبعاد تقريبًا مع المسافة التي ذكرها ليسيان قولفن في سنة 1966م، حيث أشار إلى أن الطول يبلغ حوالي 800 متر، والعرض يتراوح بين 400 و450 متر، مشيرًا إلى تعزيز السور بدعامات متساوية المسافة، تُشكل على الأرجح، مجموعة من الأبراج الخاصة بعمليات الحراسة Lucien Golvin, « Le Palais de Ziri à Achîr », *op. cit.*, p. 55-56.

صورة لموقع بنية بواسطة القمر الصناعي، 2018م

انطلاقا من نص البكري الذي وصف فيه المدينة، يذكر أنَّه: "لا يوصل إلى شيء منها بقتال إلاَّ من موضع واحد يحميه عشرة رجال، وهو في شرقيها الذي ينفذ إلى عين مسعود، وسائر نواحيها تنزل عنها العيون فكيف الأقدام[1]"، ففي هذه المعلومة التاريخية رمز إلى معنى واضح بوجود بوابة واحدة ووحيدة تستند عليها المدينة، وهي ترتكز في الجهة الشرقية[2].

أمّا في رواية نقلها النويري، تسرد جوانب من الحملة العسكرية التي قادها شيخ زناتة الملقب بكمات بن مديني على مدينة آشير، وقد صادف ذلك الأمير المؤسس زيري بن مناد بمّا لا يُعرف تاريخه.

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص725.

[2] على خلاف ما ورد في وصف البكري، افترض الضابط رودي تنظيماً مختلفاً للموقع، حيث أشار إلى وجود عدد إضافي من الفتحات على سور المدينة في شكل أبواب، وهي على أربع جهات حددها على النحو التالي: باب في الجهة الغربية، وآخر في الجهة الشمالية الشرقية، وثالث في الجهة الجنوبية الشرقية، بينما يطلق على الباب الرابع "باب المذبح" ويقع في الجهة الجنوبية الغربية. في حين، يبقى السور في الجهة الشرقية، المتناغم مع عين مسعود، خالياً من وجود أي أبواب في هذا التصوُّر. أنظر المخطط عند: Capitaine Rodit, *op,.cit,* p. 105. أما بالنسبة للمعطيات التي قدمها الباحثان جورج مارسي ولسيان قولفين في وقت لاحق، يظهر أنّها تتوافق بشكل كبير مع المعلومات التي قدمها الضابط رودي، خاصة وأنَّ زياراتهم الميدانية إلى الموقع كانت واضحة ولا نقاش فيها. Marçais Georges, « Achir », *op. cit.,* p. 27; Lucien Golvin, « Le Palais de Ziri à Achîr », *op. cit.,* p. 55-56; id., « Buluggîn fils de Zîri », *op. cit.,* p. 100.

فالمهم، وبغض النظر عما تعنيه الرواية، فإنّها تُشير إلى وجود باب يستعمل للدخول والخروج من المدينة، لكن دون إعطاء تفاصيل إضافية من شأنها أن تحدد الجهة التي يقع فيها، كما لا تُشير ما إن كانت هناك أبواب أخرى غير هذه القطعة المفتوحة. وفي الأخير، يُستشف من الرواية أنّه يطلق عليه "باب كباب"، نسبة إلى الولد كباب بن الأمير زيري الذي شارك في المعركة[1].

في بداية القرن الخامس الهجري (11م)، لم تُقدم الروايتان اللتان نقلهما ابن الأثير والنويري أي إضافة جديدة في هذا السياق، وذلك في الحادثة المتعلقة بإغلاق خلف الجيزي لمداخل المدينة أمام حماد بن بلكين خلال مطاردته من قبل الأمير باديس في سنة 405هـ (1014م)[2].

المدينة بحصن: تتجلى أهمية المدينة في وجود تحصينات القصور القوية، فعددها غير واضح طول المدة التي عاشتها مدينة آشير، وهي حسب المعلومات التاريخية والأثرية تبدو قليلة بالمقارنة مع تيهرت. يكشف نص ابن حوقل عن معلومة تفيد بأنَّ "أشير مدينة بحصن[3]"، ولكنه لم يدعم معلوماته بتحديد مكان تواجده، وإن كان على الأرجح هو قصر آشير الواقع في الكاف الأخضر[4]، خاصةً وأنَّ المدينة لا يوجد بداخلها أي نوع من هذه التحصينات[5].

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص90. بالإضافة إلى ما سبق، يُعتبر خبر وجود باب المدينة في عهد الأمير زيري تأكيدًا إضافيًا على دوره في بناء السور.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص87؛ النويري، المصدر نفسه، ج،24 ص108.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[4] كما ذكرت سابقًا، أن هذا القصر هو الوحيد الذي استمر في الحفاظ على نفس الطوبونيم الخاص بالعصر الوسيط، وهو يقع على مسافة تزيد عن الكيلومترين شمال المدينة.

[5] بناءً على رواية ابن شداد الصنهاجي التي تشير إلى أن الأمير زيري بن مناد، عندما أبقى ابنه كمات داخل المدينة وخرج لمواجهة زناتة الذين حاصروا المدينة، نجدها لا توضح أن بقاءه كان داخل القصر، وإنما أشار إلى إبقائه داخل المدية بشكل عام. أنظر: النويري، المصدر نفسه، ج24، ص90.

يظهر في النص الذي كتبه ياقوت الحموي زيادة معنى في هذا الموضوع، حيث يُشير إلى أنَّ زيري بن مناد "شرع في بناء مدينة آشير وذلك في سنة 324هـ (935م) فتمت إلى أحسن حال وعمل على جبلها حصن مانع ليس إلى المتحصن به طريق إلاَّ من جهة واحدة تحميه عشرة رجال[1]". وعند مقارنة رواية الحموي حول الحصن المذكور، يتبين وجود تطابق مع قصر آشير الواقع في الجبل. كما يُلاحظ وجود تشابه للمؤلف في ذكره لحماية الحصن بعشرة رجال، مع ما أوردته الرواية السابقة للبكري؛ وهو أنَّ المدينة يمكن حمايتها بعشرة مقاتلين، لكن الفرق، هو أنَّ البكري يُشير إلى الجهة الشرقية من المدينة، وليس إلى الحصن. وهذا لا يعني أن ياقوت الحموي استند على كتاب البكري، فالطوبوغرافيا توضح أن كلاً من الحصن الجبلي، والجهة الشرقية من المدينة، يمكن حمايتهما بعدد قليل من الجنود نظرا لحصانة كل واحد منهما.

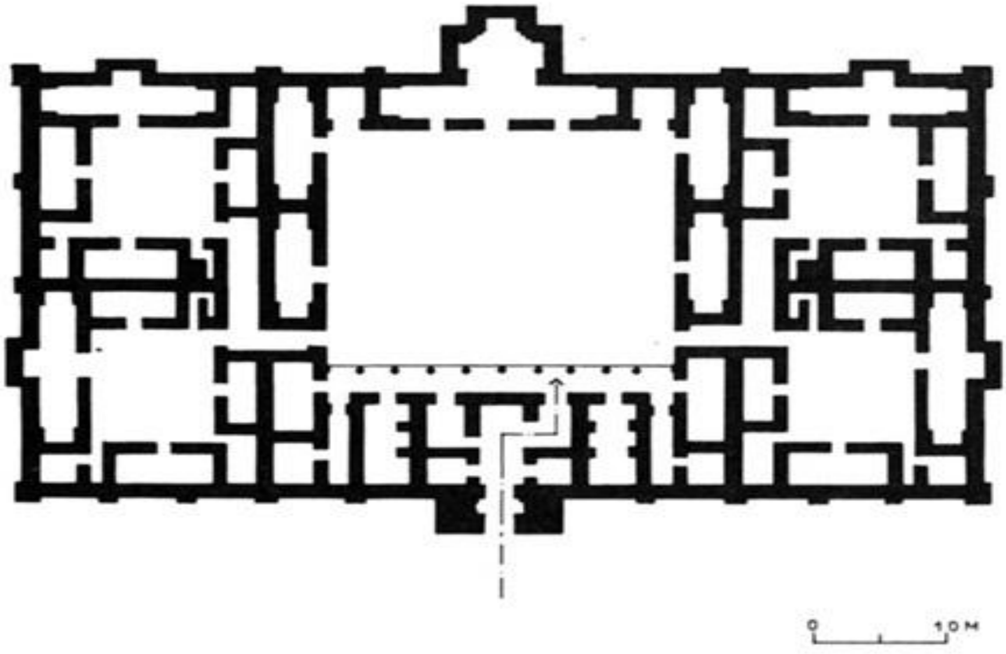

مخطط قصر آشير (نقلا عن ليسيان قولفين Lucien Golvin)[2]

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص203.

[2] يعود الفضل في ظهور القصر بالشكل الحالي إلى جهود الباحث لوسيان قولفين وفريقه المؤلف من 25 فرداً، حيث قاموا بإجراء حفريات في الموقع خلال الفترة من 1954 إلى 1956م مما أسفر عن العديد من الاكتشافات والنتائج. أنظر: Lucien Golvin, « Le Palais de Ziri à Achîr », *op.*

بالعودة قليلاً إلى الفترة التي تسبق زيارة ابن حوقل للمدينة، نُلاحظ أنَّ ابن خلدون ذكر دون الإشارة إلى مصادره أنَّ الأمير زيري بن مناد، بعد دعمه العسكري للخليفة المنصور الفاطمي في القضاء على الحركة المناوئة لأبي يزيد الزناتي، سمح له الخليفة ببناء القصور والمرافق الأُخرى في مدينة آشير[1]. وبالتالي، إذا كانت رؤية ابن حوقل تتعلق بوجود حصن واحد، فإنَّ ذلك يعكس ما تم بناؤه على الأقل حتى ذلك الوقت[2]، كما أنَّ رؤية الفترة التي بدء فيها العمل قد أصبحت واضحة الآن، مما يدل على أنه يدخل في منجزات الأمير زيري بن مناد قبل أن يتولاها خُلفاؤه[3]. ومن ناحية أخرى، يظهر هذا الحصن بمثابة المكان الذي يُشكِّل القصر الحكومي المخصص لإقامة الأمير وحاشيته[4]، وربما كان أيضاً مركزاً إدارياً لتسيير المدينة والمجال الذي يدخل في نطاقها.

---

la Méditerrané

cit., p. 970

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص204. وإن كان لا يجب أن يُفهم طلب الإذن بقدر ما هو معنى لمساعدات مادية تهدف إلى إنجاز هذه البنيات، بما في ذلك القصور (أو القصر). والشيء الموضح وفقاً لرواية النويري التي تُشير إلى أنَّ الخليفة القائم أرسل "أمهر المهندسين" له، ربما لتحقيق نفس الغرض. أنظر: النويري، المصدر السابق، ج24، ص88.

[2] أمّا بالنسبة للفرضية التي تبناها كل من مارسي وقولفين بأن "قصر أشير" كان عاصمة أولى قبل تحويلها إلى مدينة آشير "بنية"، قد تكون فرضية مستبعدة، خاصة وأنه لا توجد أي مقاربة تاريخية تعززها. Marçais Georges, « Achir », *op. cit.,* p. 28 ; Lucien Golvin, « Le Palais de Ziri à Achîr », *op. cit.,* p. 57.

[3] ومن بين الأدلة التي تُشير إلى أنَّ بناء القصر تم من قبل الأمير زيري هو وجود تشابه كبير بينه وبين قصر رقادة، الذي يقع أمام مدينة القيروان، وبشكل أكبر مع مدينة المهدية، نتيجة اعتماد المهندسين الذين ارسلهم الخليفة القائم. وهو السياق التوفيقي الذي كشف عنه الباحث قولفين باستناده إلى تجاربه المقابلتية بين بعض المواقع الفاطمية من حيث الشكل وكذلك الفن الزخرفي الذي يعتبر تخصصه الأساسي. مما يجعلنا نقول أنَّ هنالك نَسخ قصري. Lucien Golvin, « Le Palais de Ziri à Achîr », *op. cit.,* p. 58-64; Lucien Golvin, « Mahdya à la période Fatimide », *op. cit.,* p. 88.

[4] الملاحظ أنه لا يوجد في المدينة أي قصر. ومن غير المرجح أن تكون إقامة الأمراء وحتى الولاة في وسط من النسيج الاجتماعي بدون تحصين. بالإضافة إلى ذلك، كان من الطبيعي أن يحظى القصر بتلك العناية الخاصة وبمساحة وفيرة لتعزيز مكانة الأسرة الأميرية، والتي يبدو أنها كانت كبيرة، وفقاً للرواية التي وردت في نص الذهبي (ت.748هـ)، حيث يقول إن الأمير بلكين وحده "كانت له أربع مائة سرية، يقال أنه ولد له في فرد يوم بضع عشر ولد ذكر". أنظر: الذهبي ، العبر في خبر من غبر، تح أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، ص141.

ب/ بنايات أُخرى تعززت بها المدينة

المسجد الجامع: يظهر أن المصادر المتاحة لدينا لم تتناول المسجد الجامع بشكل محدد، سواء داخل المدينة أو في خارجها. ولا سيما ابن حوقل، الذي زار المدينة خلال رحلته إلى بلاد المغرب، لم يقدم أي معلومات حول هذا المسجد[1]، رغم أنَّه عودنا على وصف المساجد الخاصة بمعظم المدن التي زارها. والأمر نفسه ينطبق على وصف الإدريسي[2]. وبالتالي، فإن الوسيلة الوحيدة المتبقية لمعرفة المسجد الجامع تعتمد على نتائج الدراسات الأثرية.

في البداية، قام الضابط رودي بتسجيل ملاحظته حول الموقع، حيث أشار إلى وجود بناء مستطيل الشكل بمساحة 21 متراً في الطول و19 متراً في العرض. وفي النهاية، اعتبر أنَّه يشبه الحمام، وأنَّه مزود ببئر ذات سمك 1.5متر[3]. ومن جهته، قام الباحث جورج مارسي، الذي زار الموقع في سنة 1912م، بمراجعة التصميم ورفض الفرضية الكلاسيكة لرودي. وأكد أن هذا المبنى هو المسجد الجامع للمدينة، وأن البئر هو المحراب الخاص به[4]. وكان قد وافقه في هذا التصحيح ليسيان قولفين[5].

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[2] الإدريسي، المصدر السابق ج1، ص254.

[3] Capitaine Rodit, *op. cit.,* p. 86.

[4] Marçais Georges, « Achir », *op. cit.,* p. 30-31.

إلا أن هذا لا يستبعد وجود حمامات أخرى في المدينة الآشيرية، إذ يُلاحظ أن الخليفة الفاطمي القائم قد دعا زيري بن مناد لإقامة حمامات، وذلك في نفس الوقت الذي أوعز إليه ببناء القصور والمساكن. ويجدر بالذكر أن هذه الدعوة جاءت بعد قمع ثورة أبي يزيد الزناني، أي بعد مرور حوالي 12 سنة من بداية بناء المدينة. ابن خلدون، العبر، ج6، ص204.

[5] Lucien Golvin, « Le Palais de Ziri à Achîr », *op. cit.,* p. 57.

مشهد جوي لموقع بنية (نقلاً عن ليسيان قولفين) يحدد في الدائرة موقع المسجد

السوق: على غرار العديد من المدن الكبيرة والمتوسطة في تلك الفترة، كانت التجارة حاضرة في المدينة، حيث نلاحظ ابن حوقل يشير إلى أنَّ "للمدينة أسواق[1]"، وبهذه الصيغة من الجمع يظهر وجود تنوع وتعدد في الأنشطة التجارية. ومع ذلك، لا يزال من غير الواضح مدى تنظيم حرية الأنشطة التجارية وكيفية تنظيم نقل السلع، مع أنَّه يظهر وجود إقبال كبير من التجار خلال الفترة التي كانت فيها المدينة في مرحلة الازدهار، وهو ما يتبين من المعلومات التي يقدمها النويري حين يقول: "وامتلأت البلد بالعلماء والفقهاء والتجار[2]". وفي السياق نفسه، لم يتطرق البكري في كتابه إلى سوق المدينة. أمَّا الإشارة الأخيرة للإدريسي في القرن الهجري السادس (12م)، فتشير إلى وجود السوق واستخدامه بشكل دوري، أي خلال يوم واحد

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[2] النويري، المصدر السابق، ج24، ص89. وهو نفس الخبر الذي نقله ابن خلدون دون الكشف عن مصادره. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص203.

في الأسبوع[1]، مما يساهم في تلبية احتياجات السكان. وعلى الرغم من ذلك، يظل تحديد موقع السوق في المدينة صعباً نظراً لمحدودية المعلومات المتاحة[2].

أمّا من الناحية العملية، كانت طريقة التعامل في البداية تعتمد على المقايضة، ثم أعطيت لنا إشارة إلى ضرب السكة "العملة" خلال فترة حكم الأمير زيري بن مناد، بهدف تعزيز نشاط التجارة أكثر[3]، لكن هذا لا يوضح أبداً استقلالية المدينة عن النظام الفاطمي.

1-4 الانتقال التدريجي من المدينة إلى الحصن، ثم نحو الاختفاء النهائي

في البحث عن مدينة ما بعد القرن الخامس هجري (11م)، نجد أن هناك حديثا عن تراجع دور ومكانة المدينة إقليمياً، وخاصة بعد تحول مركز ثقل الحماديين نحو القلعة[4].

يُشير البكري إلى أنَّ المدينة: "خربها يوسف بن حماد بن زيري، واستباح أموالها، وفضح حرمها، وذلك بعد أربعين وأربع مائة[5]". لكن المشكل أنَّ هذه الرواية أو هذه الحادثة غير قابلة للفهم من حيث أسباب وقوعها في السياق التاريخي للمدينة. وبالتالي، يجب العودة قليلاً إلى الوراء، إذ يظهر في سنة 419هـ (1028م) أن الأمير الحمادي القائد بن حماد، اختار أخاه يوسف ليكون عاملاً له على كورة المغرب، وهو ما يبدو على مدينة آشير، لأنه عين في ذات الوقت عامل آخر[6] على مدينة حمزة[7]. كما يظهر أن المدينة استمرت تابعة في صمت وبهدوء إلى السلطة الجديدة حتى وفاة الأمير الحمادي في سنة 446هـ (1054م)،

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 254. في المقابل، لا نجد اسم هذا اليوم، سواءً عند الإدريسي أو غيره من المصادر.

[2] الاحتمال الوارد أنَّه كان في الجهة الشرقية للمدينة، بجوار الباب، مما يسمح بسهولة الاتصال مع الخارج، وفي الوقت نفسه، يمكن أن يكون ذلك ذا أهمية للحفاظ على حرمة السكان المقيمين في عمق المدينة.

[3] النويري، المصدر السابق، ج24، ص89. بناءً على المعلومات المتاحة، لم يتم العثور على أي قطعة من هذه الدنانير.

[4] يُشير التقرير الذي قدمه الباحث جورج مارسي إلى أن أثار المباني التي تم العثور عليها في الموقع، يعود بناؤها إلى عهد الأمير زيري أو خليفته بلكين كأقصى حد ممكن. أنظر Marçais Georges, « Achir », *op. cit.*, p. 27.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص724.

[6] وفقاً لرواية ابن خلدون، فإنه يُعرف بلقب "بويغلان".

[7] ابن خلدون، العبر، ج6، ص229.

وخلفه ابنه محسن بن القائد، الذي حكم لفترة قصيرة لا تتجاوز 08 أشهر و23 يوماً، حيث حاول في بداية حكمه تنفيذ خطة للتخلص من أعمامه وأقاربه للحد من المنافسة على السلطة[1]. لكن احتجاجاً على ذلك، قام عمه وعامل والده من قبل، يوسف بن حماد، بفرض حدٍ للعلاقات مع الأمير محسن بن القائد، وعمل على تخريب مدينة آشير بشكل عنيف[2]، مما يدل أنَّ تاريخ تخريب المدينة وقع في الفترة بين سنة 446-447هـ (1054-1055م)، وهو ما لم يحدده البكري بالدقة اللازمة.

كتب البكري في سياق تابع أنّه "تراجع الناس إليها بعد خمس وخمسين[3]"، الأمر الذي يُفسر بأنَّ العودة من جديد إلى إحياء المدينة كانت بعد مرور حوالي 08 سنوات من تاريخ تخريبها. ومن دون شك أن هذا الترميم جاء بطلب من الأمير الناصر بن علناس (454-461هـ/1062-1088م) الذي فكر في تولية ابنه يوسف عليها في سنة 454هـ (1062م)، على غرار ما فعل في مُعظم المدن الأخرى التي كانت تتبع له[4]، والجديد هو أنَّ قاعدة آشير أصبحت تابعة لبجاية الحمادية ابتداءً من سنة 460هـ (1067م).

في عهد الأمير الناصر دائماً، وقبل بداية العُشر السادس من نفس القرن الخامس الهجري (11م)، حدث تمرد المنتصر بن خزرون الزناتي بمساعدة قبيلة عُدي العربية الهلالية واستولى على مدينة المسيلة وآشير لضرب الحماديين في ثغورهم الجنوبية. ولكن لم يتأخر الرد السريع من الناصر، حيث فر المنتصر بن خزرون أمامه ولجأ نحو الصحراء[5]. وبالتالي، إذا صحت هذه السيطرة السريعة، فإنها تعد أول اجتياح للمدينة المحصنة تقودها جماعات مناوئة.

[1] حسب رواية ابن الأثير، فإن هذه الاستراتيجية كانت سبباً مباشراً في مقتله على يد ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد. أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص317.

[2] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص724.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص229-230. أنظر المزيد من التحليل عند: دومينك فاليرين، المرجع السابق، ج1، ص169.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص59.

في عهد الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بن علناس (481-498هـ/1088-1105م)، نجح المرابطون في توسيع أراضيهم وتحقيق السيطرة على مُعظم الحدود الشمالية الغربية للدولة الحمادية، حيث تم الاستلاء على مدينة الجزائر في سنة 490هـ (1096م)[1]، وبعد ذلك مدينة آشير بمساعدة بعض الزناتيين الذين لم يتم تهجيرهم خلال حملة بلكين بن زيري المشهورة، وكان من بيين هؤلاء بني يلومي وخاصةً بني ومانو الذين كانوا قد أقاموا علاقات قوية مع الأمراء الحماديين[2]، ومع ذلك، على الرغم من مكانتهم السابقة، قدموا الدعم للجيش المرابطي في اقتحام مدينة آشير وتخريب قطبها العمراني[3]. ومن هنا بدأ تراجع دور ومكانة المدينة المحورية تدريجياً.

أمّا بخصوص تحديد تاريخ هذه الحادثة بدقة، فذلك يبدو بأسابيع أو ربما بضعة أشهر قليلة قبل مقتل الأمير الحمادي المنصور في سنة 498هـ (1105م)، على إعتبار أنها كانت جزءاً من هذه التطورات السريعة [4].

مع حلول الرُبع الثاني من القرن السادس الهجري (12م)، ظهرت حركة الهجرة الخارجية التي شملت العديد من الشخصيات والأسر ذات المستوى العالي وحتى الفئة المتوسطة، وذلك للبحث عن تموقع جديد في فضاءات أخرى تكون آمنة ومتحضرة، لكن ما هو مُشار إليه في المصادر، وخاصة في كتب التراجم، هو الحديث عن رحيل العلماء بشكل جماعي[5]، والسبب في ذلك ليس غامضا نظرا لتردي الأوضاع في منطقة آشير.

---

[1] أنظر دراسة: علاوة عمارة وزينب مساوي، مدينة الجزائر في العصر الوسيط، ص35.

[2] نتجت هذه العلاقة بفعل المصاهرة التي حدثت بين زعيمهم في ذلك الوقت مخوخ، مع الأمير الناصر. أما بالنسبة لعدم تهجيرهم في حملة بلكين بن زيري العسكرية، أنظر على سبيل المثال: الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص93.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص75.

[4] لا يُشير ابن خلدون، أو غيره من المصادر الأخرى، إلى وجود عامل يدير المدينة خلال ذلك الوقت من التخريب.

[5] لقد ساهمت التراجم الأندلسية في تسليط الضوء على العديد من الشخصيات المهاجرة، من بينهم على سبيل المثال، موسى بن حجاج بن أبي بكر الآشيري، الذي رحل إلى تدلس في سنة 535هـ (1140م) ثم هاجر إلى الأندلس حيث قضى فيها خمس سنوات، ثم عاد إلى مدينة الجزائر، ولكنه لم يعد إلى آشير مرة أخرى (ابن الأبار الأندلسي، التكملة لكتاب الصلة، مراجعة وتعليق جلاك الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية،

في الحقيقة، لا يُمكن تجاوز مرحلة القرن السادس الهجري (12م) دون مُراجعة نص الإدريسي، فالمعلومات التي لديه حول آشير تقول إنها مجرد حصن حسن البقعة[1]. وهذا يعني أنّها لم تعد توصف بالمدينة، ويمكن أن يعود السبب في ذلك إلى غياب المظاهر الحضرية التي تميز المدن عن الحصون العسكرية. ونفس الشيء أشار إليه أبو الفداء في كتابه "تقويم البلدان" مطلع القرن الثامن الهجري (14م)، حيث كتب أنّها حصن من عمل بجاية[2]. في المقابل، وفي وقت متأخر كثيراً، نُلاحظ أنَّ إشارة الحميري جاءت مرتبكة إلى حد ما في هذا السياق، إذ يقول أنَّ "آشير بلدة أو حصن[3]"، وهذا ربما يعود إلى اختلاف في نوع المصادر التي نقل عنها معلوماته دون مُراعاة السياق التاريخي المخصص لها.

عند الفتح الموحدي لبجاية والقلعة في الفترة بين سنتي 546-547هـ (1151-1152م)، ذكرت المصادر أن الخليفة عبد المؤمن بن علي قد استحوذ على كل من الجزائر والمدية في طريقه نحو الشرق، في المقابل لم تتناول النصوص مكانة ودور الحصن آشير في هذه الحملة العسكرية[4]. والحال نفسه لم يختلف عند

ج2، ص158). وكذلك، يتعلق الأمر بالشيخ محمد بن قاسم بن منداس بن عبد الله الآشيري، المعروف بالنحوي 557هـ-643هـ (1245-1162م)، رحلت عائلته إلى مدينة الجزائر، حيث درس هناك في سنة 580هـ (1148م)، ثم انتقل إلى الأندلس حوالي سنة 597هـ (1201م)، (المصدر نفسه، ج2، ص145). وبالتالي، يتضح أن هجرة العديد من الآشريين كانت تتجه أولاً نحو مدينة الجزائر وضواحيها مثل تدلس، ومن ثم تتجه نحو الأندلس. وكان هناك أيضاً هجرات أخرى نحو بلاد المشرق الإسلامي، مثل هجرة عبد الله بن محمد بن عبد الله ابو الصنهاجي، المعروف بابن الآشيري، الذي توفي في الشام في سنة 561هـ (1166م). (ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تح مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ج18، الترجمة 3513، ص166). كما تلقت منطقة حلب وبلاد الشام بشكل عام وصول الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد الآشيري، بناءً على طلب من الوزير عون الدين أو المظفر يحي بن محمد بن هبيرة، وتاريخ وفاته كان مسجلاً في بعلبك في سنة 561 هـ (1166م). (الحموي، المصدر السابق، ج1، ص203). وفيما يتعلق بالعودة إلى المغرب الإسلامي، يظهر اسم حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب الملقب بابن الآشيري، ويُفترض أن والده هاجر إلى تلمسان، حيث كان حيًا حوالي سنة 569هـ (1173م). (ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص184). وبشكل عام، يظهر أن هذه الهجرات المعلنة جاءت تقريبًا في نفس الفترة. أما بالنسبة للأفراد العاديين، فإن معظمهم ربما لم يتخطى المدن الزيرية الثلاثة: المدية، ومليانة، والجزائر.

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254.

[2] أبو الفداء، المصدر السابق، ص123.

[3] الحميري، ص60.

[4] نذكر على سبيل المثال: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، 1971م، ص73-75؛ عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 272-273؛ ابن ابي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 192-193.

محاولة بني غانية الموالين للمرابطين السيطرة على حواضر المنطقة، انطلاقا من بجاية سنة 581هـ (1185م)، إلى مدينة الجزائر وضواحيها، وصولاً إلى مازونة ثم القلعة جنوبا، ووصولاً إلى حصار قسنطينة شرقا[1]. وبالتالي، أمام هذه الوضعية الصامتة حول حصن آشير، يتبن فقدان مكانته السابقة.

جاءت سنة 581هـ (1185م) مليئة بالأحداث التاريخية المهمة. فبعدما بعث الخليفة الموحدي، يعقوب المنصور، بحملة عسكرية لقمع ثورة بني غانية في المناطق التي سيطروا عليها، نزحوا نحو جهات طرابلس حيث شكلوا هُناك اتحادات مع بعض القبائل المتنقلة. ويُذكر أنّهم شنوا حملة عسكرية معاكسة قادها غزي الصنهاجي بدعم من جماعات هلال وسليم. واللافت في الأمر أنَّها كانت موجهة خصيصاً نحو آشير التي سيطروا عليها دون صعوبات تذكر. وهو ما يدل على المكانة التي يتمتع بها الموقع حتى ذلك الحين، الأمر الذي جعل ابن عذاري المراكشي يعود من جديد إلى وصفها بالمدينة، لكن هذا لا يتناسب مع نهضة جديدة للموقع. وبالتالي، فإنَّ استخدامه لمصطلح "المدينة" هنا يبدو غير دقيق ولا ينطبق مع التحضر[2]. وبخلاف ذلك، عندما تحدث ابن خلدون عن هذه السيطرة، أشار إلى مجرد تغلبهم على آشير، ولم يقل إنها مدينة حضرية[3].

عندما وردت أخبار فقدان السيطرة على آشير إلى عامل بجاية، السيد أبي زيد الموحدي، قام بارسال إبنه، أبا حفص عُمر، لاستعادتها بالتعاون مع أبو الظفر غانم بن مردنيش، وانتهت العملية بنجاح[4]. وبعد هذا الحدث، لم تتوفر الكثير من التفاصيل حول الموقع، باستثناء أنَّ آشير استمرت تحت وصاية بجاية الموحدية، لتكون تابعة لها وليس من أجل إعادة النهوض بها.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص154. أيضاً ص 326-327.

[2] يُشير ابن عذاري إلى وجود عامل عليها من قبل الموحدين، تم اغتياله في تلك الغزوة، ولكن هذا لا يعني أنها كانت مدينة حضرية. أنظر: ابن عذاري ، المصدر السابق، ج3، ص283.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج،6 ص327.

[4] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج3، ص 283؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص327.

في سنة 604هـ (1207م)، تم تسجيل آخر إشارة لمعركة وقعت في منطقة الفضاء الآشيري، حيث كانت المواجهة بين جيش يحي بن غانية، وقوات أبي محمد بن الشيخ أبي حفص، عامل الأمير الموحدي الناصر على إفريقية، وانتهت في الأخير بسحق الميورقين[1]. ومع ذلك، لا يوجد دليل على أنَّ هذا النزاع حدث في الموقع الذي كانت فيه المدينة، أو أنَّ الصراع كان من أجل السيطرة عليها. ومن هُنا انتهت جميع الأخبار المتاحة حول آشير، وحتى في الوقت الذي سيطر فيه الأمير محمد بن عبد القوي التوجيني (647-684هـ/1249-1285م) على جبال آشير، لم يتم الإشارة إلى الموقع في أي خبر، باستثناء الإشارة إلى سيطرة جماعات الثعالبية على الجهة قبل دفعهم نحو سهول متيجة[2]، وهو الأمر الذي سنقف عنده في عناصر التوطين.

2- مدينة المدية: مفصل على محور الطريق الرابط بين الساحل والصحراء

2-1 الطوبونيم من الاسم اللاتيني إلى المُعرب.

لا توجد أي إشارات عن هذا الموقع خلال حقبة المملكة النوميدية، بمعنى قبل التواجد الروماني في المنطقة في أواخر القرن الأول للميلاد. ومع ذلك، يمكن أن يعود ذكر هذا الطوبونيم إلى القرن الخامس الميلادي[3]، وتحديداً في القائمة الطويلة للكنائس المسيحية التي شاركت في مجاميع قرطاجة، فالمتأمل للممثلين

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص374.

[2] المصدر نفسه، ج6، ص84.

[3] تُشير العديد من الدراسات القديمة إلى أن طوبونيم "المدية" تم ذكره في القرن الرابع الميلادي، تحديداً في سنة 374م، وذلك في سياق ثورة القائد فيرموس ضد ثيودوس. وهذا طبعاً حسب رواية المؤرخ اللاتيني أميان مارسلين Ammien Marcellin، حيث جاء التعبير عنها بـ "كاستيلوم ميديانوم" Castellum Medianum التي كانت مسرحاً لجانب من تلك الأحداث، ولكن دون تحديد لمكان تواجدها بشكل دقيق. ومن بين هذه الدراسات نذكر على سبيل المثال: Pierre Mauroy, *Question d'Alger en 1844 précédée d'un Précis de la domination romaine dans le nord de l'Afrique et suivie d'un Appendice sur le commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale*, Paris, J-B Gros, 1844, p. 16; Auguste-Alexandre, *La Vérité sur l'Algérie*, Paris, E. Dentu, 1871, p. 58; Moliner-Violle, *Précis de géographie historique de l'Algérie*, Alger, Adolphe Jourdan, 1877, p. 16 ; Camille Ricque, *Milianah*, Paris, Benjamin Duprat, 1865, p. 20-21. في المقابل، هناك بعض الدراسات التي تُشير إلى أنه طوبونيم قديم يتعلق بموقع "برج مجانة" الواقع في منطقة برج بوعريريج. وهو أيضاً يبقى مجرد اقتراح قائم على

الحاضرين عن مختلف الكنائس سيجد إشارة إلى أسقفية لامبينسيس (Lambiensis)، حيث كان أول إعلان عنها مرتبطاً بمشاركة مطران دوناتي في سنة 411م. وفي الثانية، تم الإشارة مرة أخرى إلى نفس الطوبونيم خلال حضور نفس المجمع المنعقد في سنة 484م، لكن اللافت في هذه المرة هو حضور أسقف ممثل للكاثوليكيين[1].

أمَّا بخصوص الكتابات الابيغرافية التي تم اكتشافها في تسعينيات القرن 19م، فإنَّ تولوت (Mgr Toulotte) اكتشف نقشاً بالقرب من منطقة موزاية يُشير إلى تحديد اتجاه هضبة لمدية (Lambdia)[2]، والتي يفترض أن تكون نفس المدية الحديثة[3]. في حين، لا توفر النقوش الأخرى، خاصة تلك التي وُجدت داخل الموقع نفسه، توضيحاً دقيقاً لطبيعة الطوبونيم اللاتيني، لاسيما أنَّ دوكوساد (De Caussade) قام بتقديم وشرح لعدد كبير من النقوش التي تم اكتشافها في المدية[4].

ليس هناك ما يُشير إلى اسم "المدية" في نهاية الفترة القديمة وبداية مرحلة الفتح الأموي، وهذا رُبما يكون بسبب غياب التواجد البيزنطي في المنطقة. كما يجدر بالذكر أنه في المصادر المتاحة، لا تُشير أي منها

مقاربات مجالية، مثل القرب من منطقة القبائل الكبرى حيث تركزت هناك المقاومة، وتحديداً بين البحر وسطيف، نظراً لأن سطيف كانت قاعدة العمليات للكونت ثيودوس. أنظر: Adrien Berbrugger, *La Grande Kabilie sous les Romains,* Paris, au bureau de la "Revue orientale", 1853, p. 19 ; Toulotte, Anatole, *Géographie de l'Afrique chrétienne,* Montreuil-sur-Mer, Notre-Dame des Prés, 1894, p. 60.

[1] Mgr Alfred Baudrillart, *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastiques,* Paris, publiés par Letouzey et Ané, 1914, p. 1038; Mandouze André, Prosopographie chrétienne du Bas-Empire, 1. Prososopographie de l'Afrique chrétienne (303-533), Paris, *Centre National de la Recherche Scientifique,* 1982, p. 434.

[2] يبدو أن هناك تطابقاً في الفيلولوجيا لذات الاسم اللاتيني "Lambdia" و"Lambdienses"، وهو ما يتسق أيضاً مع "Auzia" و "Auzienses"، وهناك العديد من الأمثلة في هذا السياق: أنظر البعض من هذا التحليل عند: Émile Masqueray, «Inscriptions inédites d'Auzia et détermination de rapidi et de Labdia», *Bulletin de correspondance africaine: antiquités libyques, puniques, grecques et romaines*, Alger, 1882, p. 20.

[3] Mgr Toulotte, *op. cit.,* p. 178.

[4] De Caussade, *op. cit.,* p. 311.

إلى الفتح المباشر للموقع، سواء كان ذلك ضمن الحملة التي قادها عقبة بن نافع أو من خلال جهود فتح أخرى.

يظهر أنَّ الكتابة التاريخية حول المدية لم ترد في المصادر الوسيطة إلاَّ نادراً، خاصة تلك المتعلقة أساساً بالوصف الجغرافي. حيث كان أول ظهور لمدينة المدية في القرن الخامس الهجري (11م) بنفس الصيغة اللاتينية، التي لم يطبعها سوى لفظ التعريب المتجانس "المدية"، وهو أمر طبيعي في مسألة تعريب الطوبونيمات، وكان البكري أول من ذكرها _نقلا عن محمد بن يوسف الوراق_ أثناء عرضه للمسلك الرابط بين مدينة آشير ومنطقة ساحل البحر، التي تتمحور عند مدينة جزائر بني مزغنة، مشيراً إلى أنَّ أول مرحلة في النزول ستكون في مدينة المدية[1].

في القرن الثامن للهجرة (14م)، قدم ابن خلدون معلومات حول المدية، حيث أشار إلى الطوبونيم باستخدام نفس الصيغة[2]، باستثناء بعض التحريفات التي قد تكون ناتجة عن نسخ المصدر[3]. وفي منتصف القرن العاشر للهجرة (16م)، تم العثور على هذا الطوبونيم في معلومات قدمها كل من الحسن الوزان[4] والمؤلف الإسباني لويس دل مارمول كربخال (Luis del Mármol Carvajal) [5]، الذي من المحتمل أنه نقل هذه المعلومات عن الحسن الوزان.

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص732.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص ص210. 211. 212 213. 382. 383. 558.

[3] اللافت في هذا السياق هو أنَّ الطوبونيم جاء رسمه في كثير من المرات " المرية "، حيث يتم استبدال حرف الدال بالراء (أنظر مثلا: ابن خلدون، ج6، ص533. ج7، ص124. 139. 143. 158. 174. 178.) وهذا التغيير رُبما يعود إلى عدم تقدير الناسخ أو المحقق في التشابه بين هذين الحرفين في الكتابة الخطية. وفي بعض الحالات الأخرى نجدها تكتب "المدينة"، بزيادة حرف النون (أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص58). أمّا بالنسبة لصاحب المصدر، ابن خلدون، فنعلم يقيناً أنَّه كان على اطلاع واسع بتاريخ الموقع الذي اقترب من زيارته في بعض الحوادث الهامة، خاصة فيما يتعلق بفهمه واطلاعه على حقيقة الطوبونيم.

[4] الحسن الوزان، ج2، ص41-42.

[5] مرمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حاجي وآخرون، الرباط، دار النشر المغربية، 1989م، ج2، ص373.

بالنسبة لمدلول هذا الاسم المعرب، فإنَّه مبدئيا يوجد تفسير واحد يقدمه ابن خلدون، يتضمن شرحه أنَّ المدية تُنسب إلى بطن من صنهاجة المحلية، والتي تُعرف بجماعات لمدونة[1]. وفي سياق آخر ذو صلة بالموضع، يذكر أيضاً "وهو المسمى بأهله لَمَدِيَّة بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب في آخرها وهم بطن من بطون صنهاجة"[2]. وبالتالي، يظهر أنَّ هذا الإثنونيم هو موروث عن العصور السابقة للوجود الروماني في المنطقة. وباستثناء هذا التفسير الخلدوني للطوبونيم، فإنَّه لا يوجد أي شرح آخر متاح في المصادر القليلة جداً، سوى ما يتعلق ببعض المقاربات الحديثة التي قدمها بعض الدارسين[3].

2-2 الموقع وتاريخية التمصير

بالنسبة للموقع، فإنَّ الحصول على تحديد دقيق وشامل لمدينة المدية في مختلف معارفنا التاريخية يبدو أمر شبه غامض وغير كاف لولا التواصل الطبونومي. فقد اكتفى البكري بالإشارة إلى أنَّها تعد المحطة الثانية في الطريق الرابط بين مدينتي آشير وجزائر بني مزغنة، أين يتجه المسافر من آشير إلى المدية، وبعدها يمر بمدينة قزرونة (متيجة)، حيث يمكن على الأقل حصر فضائها المجالي. وأشار إلى أن من قزرونة يتم الوصول إلى أغزر[4]، وصولاً في النهاية إلى مدينة الجزائر[5].

من جانبه، يُشير الحسن الوزان في فترة متأخرة نسبياً عن العصر الوسيط إلى أنَّ المسافة بين المدية وساحل البحر تُقدر بنحو 80 ميلاً، وهو رُبما قياس على الساحل المقابل لمدينة الجزائر، مع أنَّه لم يذكر

---

1 ابن خلدون، العبر، ج 6، ص204.

2 المصدر نفسه، ج7، ص210.

3 يُشير الباحث الفرنسي ليونس جولو في عرضه حول الطبونيم إلى فرضية تفيد بأن "المدية" عبارة عن تحريف للإيثونيم الخاص بالقبيلة البربرية "لمطة".
أنظر: Léonce Joleaud, «Études de géographie zoologique sur la Berbérie », *Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran,* Oran, Imprimerie Typographique et Lithographique L. Fouque, 37, (1917), p. 69. وفي قراءة مختلفة، يُشير جورج بوشيه إلى أنَّ الطوبونيم في الأصل يستمد من كلمة "Ad Medias" ويُشير تفسيرها إلى المعنى اللاتيني للطريق. أنظر:
http://alger-roi.fr/Alger/titteri/textes/7_titteri_place_dans_algerie.htm

4 بوفاريك حالياً.

5 البكري، المصدر السابق، ج2، ص732.

ذلك بشكل صريح. كما أشار إلى ميزة طبوغرافية مهمة لموقع المدية، وهي وقوعها "في سهل خصيب جداً، تُحيط بها جداول ماء كثيرة وبساتين[1]".

وأخيراً، أشار مارمول كربخال إلى أنَّ المدية تقع على بُعد خمسين فرسخاً شمالاً من مدينة الجزائر، وستين فرسخاً شرقاً من مدينة تلمسان[2].

على العموم، يظهر أنَّ موقع المدية لا يتمحور عند مفترق طرق رئيسي، كما هو الحال في بعض المدن الأخرى مثل تيهرت، جزائر بني مزغنة، ومليانة. ويجب الاعتراف أيضاً بأنَّها تقع في موقع مميز على أقصر الطريق التي تربط الساحل بالبلاد الخلفية جنوباً.

الفترة التي شهدت ظهور مركز المدية لأول مرة تظل غير معروفة حالياً وصعبة التحديد تاريخياً. ومع ذلك، يمكننا اعتبار فرضية وجود قرية في هذا الموقع قبل العصر الروماني، حيث استفاد الرومان منها لتأسيس مركزهم. ومن بين العوامل التي تدعم هذا التصور هو وجود الطوبونيم المحلي بامتياز (المدية = بني لمدية الصنهاجيين) كما أشار إليه ابن خلدون[3]. ويبدو أن الآلية التي قادت إلى تطوير هذا المركز، وفقاً لتقدير إيميل ماسكري (Émile Masqueray)، هي وجودها على محور الطريق الاستراتيجي الرابط بين العاصمة القيصرية شرشال والمستعمرة القديمة أوزيا (Auzia)[4].

---

[1] الحسن الوزان، ج2، ص41-42. في هذا الوقت الذي لا تُوفر فيه المصادر التاريخية رؤية واضحة لحصانتها الطبيعية، فإن محيط الموقع يبدو بدرجة أكبر من التعقيد نسبياً فيما يتعلق بالتضاريس مقارنةً مع الوصف الذي قدمه الحسن الوزان. ويمكن الرجوع هُنا إلى ما كتبه الباحث محمد مرسلي حول تضاريس هضبة المدية في مقاله المعنون: "التوسع العمراني للمدية"، *حوليات التاريخ والجغرافيا*، 5-6، (2012)، ص231-232.

[2] مرمول كربخال، ج2، ص373.

[3] أيضاً، من بين الأخبار المتأخرة التي تدعم هذه الرؤية التاريخية، ما ذكره الحسن الوزان في عرضه "أنَّها من تأسيس الأفارقة في تخوم نوميديا" (الحسن الوزان، ج2، ص41-42). وتقريباً نفس الرواية يُشير إليها مرمول كربخال حيث يقول: "إنها مدينة كبير عتيقة جداً، وأن من بنيها هُم سكان البلد الأصليون في سهل خصيب على حدود جيتوليا". مرمول كربخال، ج2، ص373.

[4] Emile Masqueray, *op. cit.,* p. 20.

على إثر الاختفاء الملحوظ لمستوطنة المدية بعد انسحاب الرومان من المنطقة، فإن العودة من جديد إلى إعادة تأهيل الموقع القديم وبناء المدينة الإسلامية[1] لم يكن سريعاً، وإنَّما ظهر في فترة متأخرة بنحو ثلاثة قرون من تاريخ الفتح الأموي. حيث لم يتم إعادة ترميمها إلاَّ بعد تأسيس مدينة آشير على يد الأسرة الزيرية في سنة 324هـ (936م). ولا بأس أن نستعرض هنا بعض الدلائل التي تدعم هذا التأخر، منها رواية ابن خلدون التي أورد فيها: "ثم اختط ابنه بلكين (ولد زيري بن مناد) بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر، ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف، ومدينة لمدونة[2] ... وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط[3]".

ومن بين الأدلة التي تُعزز هذه الفكرة هو عدم تطرق ابن حوقل إلى مدينة المدية، وذلك عند استخدامه الطريق الرابط في تلك الفترة بين قرية ريغة ومدينة آشير، حيث اكتفى بالتعبير عن مروره بقرية رطل مازوغة، مما يُظهر أن موقع المدية لم يكن مستخدماً بعد، خاصةً إذا كان هذا يتعلق برحلته الأولى إلى بلاد المغرب[4].

لم يتطرق ابن خلدون إلى تواريخ محددة لهذه التجديدات الثلاثة، وتحديداً ما يهمنا هو مدينة المدية التي نفتقر لمعلومات دقيقة حول سنة تأسيسها. ومع ذلك، نتساءل ما إذا شهدت أعمال ترميم خلال

[1] يؤكد البكري في حديثه عن المدية "أنَّها بلد جليل قديم". (البكري، المصدر السابق، ج2، ص732). وقد أثبت الحسن الوزان أيضاً أنَّ البناء يستند على نفس الوحدة العمرانية القديمة، (الحسن الوزان، اج2، ص41-42). إضافة إلى ذلك، نُشير إلى بعض الكتابات الحديثة التي تدعم هذه القراءة، على غرار الكتاب الذي نشره فيكتور دومونتي للطبيب لويس بودان الذي كان شاهداً على الحملة العسكرية الفرنسية على المدية Lucien Baudens, *La relation de l'expédition de Médéa*, publiée par Victor Demontès, Paris, Édouard Champion, 1921, p. 233. وأيضاً التحقيق الاستطلاعي للباحث محمد مرسلي حول مكان تواجد الموقع القديم في المدينة المعاصرة، حيث عاين ما يُشير إلى وجده عند الحي العسكري، المعرف باسم بابا علي، والذي كان يُعرف سابقاً باسم كامو: أنظر محمد مرسلي، المرجع السابق، ص229.

[2] الكتابة الصحيحة في النسخة التونسية هي "لمدية"، كما هو مشير إليه في هامش التحقيق.

[3] ابن خلدون، العبر، ج 6، ص204. وبالتالي، فإن المدية في بدايتها كانت جزءاً من أعمال الزيريين، وتتبع في الوقت ذاته إلى مدينة آشير في الجانب الإداري.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

الوقت الذي طلب فيه الخليفة المنصور الفاطمي، من الأمير زيري بن مناد إقامة حصون دفاعية؟ وذلك بعد تحالفهم معه في القضاء على الجماعات الزناتية الموالية للأموين، وأن هذا الأخير، بناءً على تلك الالتزامات كلف المهمة لولده بلكين[1]. وإن كان ليس لدينا معلومات إضافية تؤكد رواية ابن خلدون، إلاّ أنه يمكن تحديدها بالفترة التي سبقت وفاة الأمير زيري بن مناد في سنة (361هـ/972م).

2-3 ضبابية العُمران

هناك الكثير من الغموض حول العمارة التي قام ببنائها بلكين بن زيري، حيث لا يظهر بوضوح ما إذا كان هذا البناء يُشير إلى تأسيس جديد للمدينة بأكملها، أم أنه مجرد بناءات أميرية فقط. ليس لدينا معلومات كافية للإجابة على هذا التساؤل. كما لا يخفى أنَّ المدينة في صيغتها الحضرية تبدو غير واضحة قبل الفترة الحديثة[2]، باستثناء بعض الإشارات النادرة، مما يُشير إلى أنها لم تكن متطورة بما فيه الكفاية لتجذب الانتباه إليها، خاصة من وجهة نظر المؤلفين[3]، باستثناء الإشارة الوحيدة المقدمة من قبل البكري، الذي وصف المدينة بأنها "بلد جليل قديم[4]".

فيما يتعلق بأحداث سنة 681هـ (1282م)، يذكر ابن خلدون أنَّ القائد محمد بن عبد القوي التوجيني قد استولى على حصن المدية[5]، ولكنه لم يستخدم لفظ "المدينة"، مما يجعل الأمر غير واضح إذا كان المركز في مقام الحصن فعلاً، أم أنَّه لم يتم تحديد المصطلح الصحيح الذي ربما يكون "المدينة".

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص204.

[2] فيما يتعلق بالعمران الذي تم بناؤه خلال الفترة الحديثة، يمكن الرجوع إلى دراسة: نصيرة تيثبرت، "المعالم الأثرية بمدينة المدية العثمانية"، *المجلة المغاربية للمخطوطات*، 2، 2010م، ص 243.

[3] مما يُعزز هذا الطرح، هو عدم وجود أي دليل على حدوث التجارة عبر السوق أو وجود التجار قبل القرن العاشر الهجري (16م)، بالإضافة إلى غياب النخب العلمية، سواء في المدينة أو من الذين ينسبون إليها، وغياب أيضا التطور العمران، مع العلم أنَّ هذه العناصر الثلاثة تعد الشريان الحيوي للتحضر بمختلف جوانبه. ومن الجدير بالذكر أن تأكيدات الحسن الوزان حول ثراء سُكان المدينة بسبب التجارة مع نوميديا التي يقصد بها جماعات زناتة، فهي تأتي في مرحلة متأخرة مقارنة بفترة دراستنا التي تركز على العصر الوسيط. أنظر: الحسن الوزان، ج2، ص41-42.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص732.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص210.

يُشير ابن خلدون أيضاً إلى أنَّ الأمير أبي يحي[1]، خلال حصاره لمدينة تلمسان في سنة 701هـ (1302م)، قاد حملة عسكرية نحو الشرق، وخلال هذه الحملة تمكن من دخول المدية والسيطرة عليها بصورة سلمية[2]. ويُذكر أيضاً أنَّه قام بوضع خطة لبناء قصبتها، ثم عاد إلى أخيه يوسف بن يعقوب في مكانه من حصار تلمسان[3].

وفي سياق آخر، يُشير ابن خلدون إلى أنَّ السلطان المريني أمر ببناء قصبة المدية في سنة 704هـ (1305م)، واكتمل بناها بعد عام من ذلك[4]. وهذا يطرح تساؤلات حول القصبة التي تم بناؤها في ذلك الوقت بشكل خاص؟ ومع ذلك، يمكننا أن نُرجح، في ظل صمت المصادر، أن تكون المدية قبل هذه الحادثة دون مركز أميري، وهذا ليس أمراً مستبعداً، أو من المحتمل أنَّه تم تجديد قصبة ثانية بخلاف تلك التي أسسها الزيريون في البداية.

عملياً، نُدرك أنَّه لا غنى عن تحصين المدينة بسور دفاعي، لكن النصوص الإخبارية لم تذكره بشكل مباشر، وإنَّما يُمكن فهم وجوده من خلال بعض الحصارات التي شهدتها المدينة. على سبيل المثال نلاحظ أنه في سنة 772هـ (1303م)، بعد تجديد بني حصين المستحوذين على بلاد التيطري لولائهم للأمير أبي زيان[5] ازدادت طموحاتهم التوسعية، حيث يُشير ابن خلدون إلى أنَّهم "اجلبوا به على المدية فملكوا نواحيها وامتنع عليهم مصرها[6]"، وبغض النظر عن التباس ابن خلدون في تحديد هويتها، سواءً كانت مدينة حقيقية بالمعنى الكامل أو مجرد حصن، نجد هذه الشهادة تُقنع بأنَّ التمنع عن الاستيلاء عليها في تلك الظروف يُعتبر دليلاً قوياً على حصانتها، خاصةً الجدار الخارجي.

---

1 شقيق السلطان يوسف بن يعقوب المريني.

2 كانت المدينة في تلك الفترة تُعتبر ثغراً تابعاً لمشيخة بني توجين.

3 ابن خلدون، العبر، ج7، ص212.

4 المصدر نفسه، ج7، ص295.

5 تُشير الروايات إلى أنَّ هذا الأخير، ابن عم السلطان الزياني أبو حمو الأول، وقد ظهر بشكل بارز في العديد من المعارك، خاصةً في منطقة التيطري.

6 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص178.

لسنا مُتأكدين أنَّ وجود السور يعود كله أو بعضه إلى الفترة الإسلامية الوسيطة، أو أنَّ هذا الأخير هو امتداد للهياكل الرومانية، على اعتبار أنَّ شارل بروسارد (Charles Brossard) قد أشار في بدايات القرن العشرين إلى وجود بعض الآثار الخاصة بالأسوار الرومانية في المدية[1].

أخيراً، يبدو أن مدينة المدية لم تكن مزدهرة خلال فترة العصر الوسيط، عكس ربما الفترة الحديثة التي شهدت تطوراً ملحوظاً. ففي القرن العاشر للهجرة (16م)، أشار الحسن الوزان إلى أنَّ سكان المدينة "يسكنون دورا جميلة[2]". ويجدر بالذكر أن هذه الشهادة تعتمد على اقامته القصيرة في المدينة[3]. كما أشار مارمول كربخال إلى أنّها مدينة كبيرة وعتيقة، بمعنى أنَّ جذورها تعود على الأقل إلى الفترة الرومانية. وأشار أيضاً إلى وجود منازل أنيقة لسكانها، بالإضافة إلى وجود مسجد دون توضيح اسمه[4].

---

[1] Charles Brossard, *Géographie pittoresque et monumentale de la France et de ses colonies*, Paris, E. Flammarion, 1906, p. 47.

[2] الحسن الوزان، ج2، ص41-42.

[3] تتزامن هذه الفترة مع ضم المدية إلى سلطة الشقيقين بربروس.

[4] مرمول كربخال، ج2، ص373.

الفَصْل الخَامس:

جُغْرافية الحصون والقُرى والمسَالِك في مَجالات بَني تُوجين

1- جدول القُرى المحصنة

لقد شهد مجال الدراسة تأسيس عدد كبير من الحصون والقلاع التي تلعب دوراً هاماً في تأمين الحماية لمستخدميها. وهذا النوع من عمليات البناء، سواءً كانت إنشاء جديداً أو ترميماً للمواقع القديمة، قد شمل مرحل متعددة خلال الفترة الوسيطة. كما يُلاحظ أيضاً وجود توزع متنوعا لهذه المنشآت في مناطق مختلفة، وبشكل خاص في منطقة سهل سرسو وغرب التيطري؛ حيث يُمكن تفسير ذلك بالاقتران مع مسار الطريق الرئيسي للهضاب الذي يمتد من الشرق إلى الغرب، بالإضافة وجود أغلب المحور في مساحات مفتوحة، عكس الشمال حيث ترتكز الجبال، التي يمكنها أن تُشكل حمايات طبيعية لعدد قليل من السكان والقرى المتواجدة في هذه المناطق.

_ حصن ابن مَاما –ايزمامة.

في نهاية العصر الفاطمي في بلاد المغرب، ذكر ابن حوقل مدينة ابن مامة على الطريق المؤدي من تيهرت إلى المسيلة. وفي شهادته وصف" أنَّها مدينة صغيرة ذات منبر عليها سور طوب ولها خندق وماء في واد عذب كثير الماء يزرع عليه وعلى المطر[1]".

أمَّا فيما يتعلق بالموقع الجغرافي، أوضح ابن حوقل أن المدينة تقع على مسافة مرحلة واحدة شرق تيهرت، على الطريق المؤدي إلى مدينة هاز، ثم إلى المسيلة[2].

في نفس القرن، أشار ابن حيان القرطبي في كتابه "المقتبس" إلى أنَّ عبد الله بن خزر المغراوي، بعد غارته على مدينة المسيلة، تراجع قليلاً نحو الغرب واستعان بالموقع المسلكي سوق ابن ماما في سنة 317هـ (929م)، أين أقام هناك سد منيع بجيشه بهدف عرقلة جميع الإمدادات التي كانت تصل إلى تيهرت من

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[2] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

مركز الخلافة الفاطمية[1]. والمقارب لمحتوى ابن حيان يجده يُشير إلى أنَّ الموضع عبارة سوق، لكنه لم يُوضح ما إذا كان داخل المدينة أو حصن حتى نفهم تنظيمه أكثر.

في إشارة المقديسي إلى المدن التي تدخل ضمن كورة المجال التيهرتي، ذكر وجود مدينة "تمما"، لكنه لم يحدد موقعها الجغرافي. ومع ذلك، لا أستبعد أن تكون مجرد تصحيف لمدينة "ابن ماما"[2].

في القرن الخامس الهجري (11م)، ذكر البكري هذا الموقع بتعبير حصن ايزمامة (ايز/ايت في اللغة المحلية البربرية تعني ابن[3])، ما قد يُترجم للوهلة الأولى تسجيل تطور في مكانته بعدما كان مزدهراً كمدينة صغيرة، لكن هذا التغيُر لا يبدو أنَّه حصل بتأثير قوي، أو رُبما لم يحصل أصلاً، فالمصدر كشف أنَّ" له سوق وفيه فنادق يسكنه لواتة"، وهو توضيح يعكس مدى أهمية وتواصل النشاط التجاري في هذا الموضع الذي يتحكم في محور استراتيجي لتجارة القوافل شرق-غرب، هذا أولاً، وفي موقعه دائماً على منحنى طريق العواصم القديمة، كشف البكري أنَّه يُوجد على مسافة ثلاث مراحل من تيهرت، آخرها هو حصن تامغيلت، وفي الجانب المقابل يقع على مرحلة واحدة فقط غرب هاز، التي أصبحت في عصره غير مأهولة[4].

بعد مرور قرن من الزمن، نجد الإدريسي يُشير إلى الموقع في الطريق الذي يربط بين تيهرت والمسيلة، حيث أوضح أنَّ المسافة من تيهرت إلى الموقع الذي يُعرف "مدينة ماما" تقدر بنحو أربعة مراحل، ويليها في الشرق قرية ابن مجبر بمرحلة، ثم إلى آشير بمرحلة ثانية. وفي وصفه للموقع بشكل عام، لم يتغير كثيراً عما ذكره ابن حوقل، حيث قال: "هي مدينة صغيرة لها سور من تراب وأكثره طوب ولها بما استدار بسورها خندق محفور ولها واد عذب عليه مزارع وغلات واصابتها في الحنطة كثيرة[5]".

---

[1] ابن حيان القرطبي، المقتبس، نشر شالميتا وآخرون، المعهد الإسباني للغة العربية كلية الأدب بالرباط، ومدريد، 1979م، ج5، ص259.

[2] المقديسي، المصدر السابق، ص180.

[3] Salem. Chaker, « Aït (enfant de) », *Encyclopédie berbère*, 3, (1986), p. 383-384.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص830.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص256.

وأخيرا، بالنسبة لما ذكره الحميري في نهايات القرن التاسع الهجري (15م) فهو تطابق حرفي مع ما ذكره الإدريسي من قبل، باستثناء أنَّه وصف الموقع على أساس أنه قرية وليس مدينة[1]. وبالتالي، فإنَّ معلوماته المنقولة لا تُمثل الموقع في هذه المرحة الأخيرة من العصر الوسيط.

والحصيلة على ضوء المعطيات المتوفرة، فإنَّ هذا الموقع في السهول رُبما يُطابق مكان قصر البخاري الحالي بنفس الأبعاد التي حددتها النصوص السابقة، ناهيك عن أنَّها منطقة يخترقها وادي الشلف، وهو ما تمت الإشارة إليه بالعذب. أمَّا فيما يتعلق بالعمق التاريخي القديم للموقع، فلا شيء يمكن أن يوضح ذلك، ولا حتى الطوبونيميا يمكنها أن تقربنا من هذا الاستنتاج، باستثناء الإشارة المستوحاة من الشكل ومواد البناء تجعلنا نعتقد أنَّها قد تكون من تأسيسات العصر الوسيط، أو أنَّها مجرد تطوير لمركز توطين قبلي.

_ حصن تنابغيلت _ تامغلت:

أشار ابن الصغير في نهاية العصر الرستمي إلى رواية من بعض المشايخ المقيمين في تيهرت، حيث ذكر أنَّ العَجم ونفوسة والرستميين، عندما حدث تفرقهم في زمن الإمام أبي بكر، انتقل معظمهم إلى أقاصي البلاد، وكانت جماعات العجم اختارت التراجع إلى موقع يُقال له "تنابغيلت"[2]. واللافت في الرواية هو أنها جاءت دون تحديد نوع الموقع، سواءً كان عبارة عن قصر أو مدينة. لكن بما أنَّها تفيد بنزول العجم في هذه المرة وفي هذا الموضع بالذات، نجد أن المؤلف أشار في رواية أخرى حول نزاع وقع في حاضرة تيهرت إلى أنَّ الرستميين لما خرجوا إلى حصنهم الواقع قرب المجال الذي تحظى به لواتة كدعم لأبي حاتم في الفتنة التي حدثت في أيامه، اعتمد العجم أيضاً التقليد ونزلوا بحصنهم انتصاراً له[3]. وهُنا نجد الإشارة إليه كحصن وليس كمدينة، على الرغم من عدم ذكر الطوبونيم كما فعل في البداية.

أمَّا فيما يتعلق بموقع، فقد أوضح ابن الصغير أنَّه يقع على مرحلتين من مدينة تيهرت[4]، ولكنه لم يحدد أي اتجاه من اتجاهاتها الأربعة.

[1] الحِميري، ص517.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 73.

[3] المصدر نفسه، ص94.

[4] نفسه، ص73.

من الملاحظ أنَّ أخبار القرن الرابع الهجري (10م) لم تترك أي انطباع حول هذا الموقع/الحصن، وأكثر واحد كان بإمكانه زيارته أو سماع عنه هو ابن حوقل خلال رحلته إلى بلاد المغرب، لكنه لم يُشر إلى ذلك في وصفه لطريق الهضاب، وخاصةً في المناطق المجاورة لمدينة تيهرت[1].

في المقابل، ذكر ابن عذاري المراكشي في نسخة من كتاب "البيان" التي حققها المستشرقان جورج كولان (Georges Séraphin Colin) وإيفاريست ليفي بروفنسال (Évariste Lévi-Provençal) طوبونيم هذا الموقع باسم "تامغلت". وقد كتب عنه في الرواية التي زحف فيها القائم بأمر الله الفاطمي للمواجهة الجماعات المناوئة في وسط بلاد المغرب في سنة 316هـ (928م)، حيث نزل في الموقع لمدة شهرين، راقب فيها حركات ابن خزر المغراوي، قبل أن يعود إلى مدينة طبنة، ثم إلى العاصمة المهدية[2].

في القرن الخامس للهجرة (11م)، تَطرق البكري إلى الموقع وسجيل عدد من التطورات الملموسة، حيث كتب أنَّه "من أشير إلى تامغلت ثلاثون ميلاً، وهي مدينة مبنية في سفح جبل على رأس الصحراء[3]"، وفي هذا النص، استخدم المؤلف مصطلح المدينة بدلاً من الحصن، وأظهر وجود تطور نسبي في الاعتماد على الطوبونيم "تامغلت".

وفي سياق آخر، تطرق البكري إلى الموقع عند عرضه الجهة الشرقية للطريق الذي يمر بمدينة تيهرت، وأوضح أنَّه من مدينة تيهرت إلى حصن "تامغيلت" يوجد مرحلتين، وهو ما يتوافق مع رواية ابن الصغير السابقة بشأن تحديد المسافة بين الموقعين. كما بين في الأخير أنَّه حصن "مبني بالطوب على نهر له ربض وسوق يسكنه بنو دمر من زناتة"[4]. وعلى العموم، فإنَّ المتأمل بدقة في المحتوى يمكنه ملاحظة أن المؤلف قديم المعلومات بشكل غير متناسق؛ ففي البداية عبر عن الموقع كمدينة، ثم عاد في وقت لاحق ووصف بأنَّه

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، 1983م، ج1، ص193؛ في المقابل، لم ترد اخبار هذا الحصن في التحقيق الذي تم نشره مؤخراً من قبل بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد. (المصدر نفسه، 2013م، ج1، ص205.)

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص732.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص830.

حصن، مع أنَّه لا يوجد أي تغيير ملموس يُذكر، سواء في الجانب السياسي أو العسكري. والزيادة الثانية هي تدبيج اختلاف محسوس في الرسم الطوبونيمي، حيث وردت الكتابة في المرة الثانية "تامغيلت" (مع زيادة ياء). وكاحتمال وارد، فإنَّ الاضطراب هُنا يعود إلى الناسخين، خاصةً وأنَّ التوضيح الذي قدمه المحققان أدريان فان ليوفي (Adrian van Leeuwen) وأندري فيري (André Ferré) يُشير إلى وجود نسخة مساعدة من المخطوط كتبت "تمصلت" (بدون ياء)[1]. وبالتالي، فإنَّ الكتابة التي وردت عند البكري تُعتبر هي الأقرب[2].

وأخيراً، خلال القرن السابع الهجري (12م)، ذكر نص البيان لابن عذاري المراكشي أنَّ المسافة المقطوعة من تيهرت إلى حصن تامغلت هي مرحلتان، وأن سكانه بني دمر من زناتة[3]. لكن في هذه المرة حتى وإن لم يُشر ابن عذاري للمصدر الذي اعتمده لهذه المعلومات، إلا أنه يبدو واضحاً أنه استند إلى نص البكري السابق للحصول على هذه البيانات.

ـ حصن مصادف بن جرتيل:

المعلومات حول هذا الحصن قليلة جداً، وأول من ذكره هو اليعقوبي خلال القرن الثاني للهجرة (08م)، حيث حدد موقعه بمسافة مرحلة واحدة من مدينة هاز الواقعة في شرقه، ومنه يتم الوصول إلى حصن ابن كرام الواقع في طريق حوض الشلف. ووفقاً للوصف، فإنَّ البُعد المسجل بين سهل متيجة وموقع حصن مصادف بن جرتيل لا يتجاوز مقدار ثلاثة أيام من جهة البحر[4].

كما ذكر اليعقوبي أنَّ سكان الموقع "يُقال لهم بنو دمر من زناتة في بلد واسع، وهم شراة كلهم، عليهم رئيس منهم يَقال له مصادف بن جرتيل في بلد زرع، ومواشٍ[5]". وبالتالي، فإن هذه الشهادة النصية تُحيلنا إلى تصور محتمل، وهو تواجد الحصن في منطقة بعيدة عن الجبال. كما يُفهم من خلالها أن المصدر

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص830، الهامش 04.

[2] هناك تواصل لطبونيم "تمغيلت" في تمكرت بالمملكة المغربية، وأيضاً "دوار مغيلت" في إقليم شيشاوة.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج1، ص211.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

[5] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

الطوبونيمي للحصن يُستلهم من (الهيجيونيم) زعيمهم مصادف بن جرتيل، الذي يُصنف كمنافس قوي للرستمين في تيهرت.

بعد ذلك يُشير ابن حوقل في القرن الرابع الهجري (10م)، إلى قرية جرتيل بوصفها قائلا: "ومنها (يعني هاز) إلى جرتيل قرية كبيرة كثيرة الزرع والمياه وشربهم من عيون بها مرحلة وسكانها زناتة"، ثم حددها من زاوية غربية تبعد بمرحلة واحدة عن موقع ابن ماما[1]، وهو الأمر الذي يكشف أنَّ موضع جرتيل الذي تحول إلى قرية موجود على طريق الهضاب أيضاً، والراجح أنَّه يقع على محور استراتيجي في تقاطُع الطريق نحو البحر مع الطريق الداخلي الرئيسي شرق-غرب (كما يأتي توضيحه لاحقاً في عنصر المسالك). ويمكن أن يتوافق موقعه الحالي مع منطقة سغوان في جنوب شرق ولاية المدية.

بناءً على المقاربة المجالية لهذا الموقع الذي يتفرع إلى ثلاثة منافذ شرقاً وغرباً وشمالًا، وما ورد في معطيات القرن الخامس الهجري (11م)، يبدو أنَّه قد حصل تطور طوبونيمي قبَلي لهذا الموقع، حيث أشار إليه البكري باسم "قرية سوق هوارة"[2].

_ قصر تسلونت:

يُعتبر نص ابن الصغير المصدر الوحيد الذي يُشير إلى وجود هذا القصر وذلك في سياقين مختلفين. الأول يرتبط بفترة الفتنة التي شهدتها المدينة أثناء عصر الإمام أبي بكر، وتحديداً في قضية مقتل صهره ابن عرفة، حيث روى أنَّ شقيقه أبا اليقظان انسحب من النزاع الداخلي في المدينة ونزل في "موضع يُقال له تسلونت ومن تسلونت مخرج عيون نهر مينة الجاري من قبلة تاهرت الذي نصبوا عليه أرحائهم[3]". وعليه فإنَّ هذا القصر الذي بُويع فيه أبو اليقظان بالإمامة للمرة الأول يتماشى مكانياً مع موقع توسنينة الحالي، حيث

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص724-725.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

تُعتبر هذه المنطقة مصدراً لوادي مينا، كما أنَّ تواجد الآثار في هذه الجهة، تجعلنا نفترض أنَّ القصر قد يكون هو بقايا آثار "خربة بنت سارة" التي وردت في كتاب الأطلس الأثري لستفان قزال[1].

في الرواية الثانية، قدم ابن الصغير تفصيلاً حول سيرة الإمام أبي اليقظان وخادمه أبي سابق، خلال زيارتهما لحصن تسلونت في إحدى المرات. وفي هذا الوصف، يُشير إلى التنوع البني للحصن، حيث يشمل ذلك دور الحرف وبيت المال، بالإضافة إلى منزل الإمام الذي يُشير إلى أنه مُكوَّن من طوابق مختلفة[2].

_ حصن لواتة:

بناءً على معلومات ابن الصغير فإنَّ حصن لواتة يقع على مسافة أميال من قصر تاسلونت، لكنه مع الأسف لم يحدد العدد الدقيق لتلك الأميال، ومع ذلك، يُفهم من الوصف أنَّه قريب من القصر السابق، الذي يقع عند بداية وادي مينا. كما تطرق المؤلف في إشارته للحصن على التأكيد أنَّه يُعرف بالإثنونيم "حصن لواتة"، وليس بأي طبونيم آخر، وذلك في سياق عرضه للتحول في التوطين داخل المدينة تيهرت/تقادمت خلال ولاية الإمام الرستمي أبو بكر بن أفلح[3].

وفي رواية أُخرى حول العصر الرستمي، أشار ابن عذاري المراكشي إلى أنَّ الإمام أبا حاتم يوسف بن أبي اليقظان خرج إلى حصن لواتة عندما خالفه الناس وتدهورت أحواله السياسية. وخلال فترة وجودة في الحصن، نشبت حروب بينه وبين السكان المتبقين في تيهرت، خاصةً بعد مبايعتهم ليعقوب بن أفلح بالإمامة[4].

وأخيراً، من الصعب التكهن بموقع هذا الحصن بناءً على النصوص المتاحة. ومع ذلك، نُرجح أنَّه كان على الضفة الغربية لوادي مينا، حيث كانت تتوطن جماعات لواتة في تلك الفترة.

---

[1] Stéphane Gsell, *op. cit.,* feuille 33, n° 80.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 88-89.

[3] المصدر نفسه، ص 74.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج1، ص208.

_ حصن نماليت:

فيما يتعلق بأخبار الحصن، يُشير ابن الصغير إلى أنَّ الإمام أبا حاتم عندما خالفه السُكان وأدخلوا الرجلين محمد بن رباح ومحمد بن حماد إلى المدينة بعد عزلهما، قرر الخروج منها إلى "حصن نماليت"، ويقول إنَّ هذا الحصن يوجد في طرف لواتة[1].

وفي سياق آخر، يُشير ابن الصغير إلى أنَّ القصر الذي نزل فيه أبو حاتم يقع بالقرب من نهر مينا[2]. وعلى الرغم من عدم كفاية المعطيات التاريخية لتحديد موقعه بدقة، يُرجح أن يكون في ضواح فرندة، حيث تُشير الخرائط الطبوغرافية إلى وجود "عين تامليت" في هذه المنطقة[3]. وتُشير الروايات المنسوبة للرقيق القيرواني إلى أنَّ هذا المجال كان تحت سيطرة جماعات لواتة قبل انسحابهم إلى الرمال في الحملة التي طاردهم فيها الخليفة المنصور الفاطمي سنة 336هـ (948م)[4].

_ قلعة ابن حمة:

في الفترة الأخيرة من العصر الرستمي، روى ابن عذاري المراكشي نصاً يُفيد بأنَّ الشاعر الزناتي أبا عبد الرحمن بكر بن حماد الهارب من مدينة القيروان[5] قد توفي في قلعة ابن حمة في شهر شوال سنة 296هـ (جوان 909م). وكما أنَّه لم يُشر إلى مصدر معلوماته حول هذه الحادثة، لم يُشر أيضاً إلى تفاصيل إضافية

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص 100.

[3] *L'Algérie politique et routière*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE D-27851, (1850); V.-A. Maltebrun, *Carte générale de l'Algérie, d'après celle du dépôt de la guerre*, Bibliothèque nationale de France, *GEC-429,* (1884).

[4] مصدر الرواية هو الرقيق القيرواني وقد نقلها ابن خلدون بإشارة واضحة إلى ذلك. ابن خلدون، العبر، ج4، ص57؛ ج6 ص154.

[5] فيما يتعلق بهذه القضية، نجد المالكي في كتابه "رياض النفوس" يلخصها في فقرة؛ مفادها أنَّ الشاعر في آخر حياته في القيروان تعرض لوشاية عند الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي، مما دفعه للخروج منها خوفاً على حياته وحياة عائلته إلى حيث أصوله في بلاد تيهرت. وأثناء رحلته إلى الغرب، يُشير المالكي إلى أنَّه تعرض في منطقة سباطة إلى هجوم عصابة قطاع طرق، حيث قتلوا ابنه عبد الرحمان وألحقوا به جروحًا أودت بحياته فيما بعد. في المقابل، لم يُشر المالكي إلى هذه القلعة، أو أي مكان آخر توفي فيه الشاعر بكر بن حماد. أنظر: أبو بكر المالكي القيرواني، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م، ج2، ص21.

حول القلعة، باستثناء أنه حدّد موقعها في جوف مدينة تيهرت، بمعنى في الجهة الشمالية منها[1]، وهو نفس مجال منداس الذي استحوذت عليه جماعات زناتة بني وجديجن خلال الفترة الرستمية والفاطمية.

بعد نحو سنتين من الحادثة، وتحديداً في سنة 298هـ (911م)، شهدت تيهرت أحداث حركة محمد بن خزر المغراوي الذي استولى على المدينة. وفي هذا السياق، يُشير ابن عذاري إلى أنَّ العامل عليها لصالح الخلفاء الفاطميين في ذلك الوقت، دواس بن صولات، انتقل من المدينة إلى "ابن حمة صاحب القلعة"[2]. وبالتالي، يظهر من خلال الرواية أنَّ الهيجيونيم الخاص بالقلعة يرجع نسبة إلى اسم المؤسس أو الزعيم الذي ارتبط اسمه بها كما ورد النص.

_ مدينة رُها:

وفقاً لنص المقديسي الذي تفرد بذكر المدينة، يُشير إلى أنها كانت قائمة بالقرب من تيهرت، ولكن في عصره أصبحت مجرد خرائب[3]. هذا هو تقريباً كُل ما نعرفه عنها من المصادر الوسيطة. في المقابل، أوضح الرحالة البريطاني توماس شو (Thomas Shaw) في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أنَّ آثار مدينة رها تتوجد على مرحلتين من موقع حصن مرات، داخل المجال الزراعي الذي تسكنه جماعات سويد الهلالية[4]، وبخاصة عند عرش أولاد لقرد في السفح الجنوبي لكتلة الونشريس.

أما فيما يتعلق بطوبونيم الموقع، فقد استمر تواصله موجوداً في المنطقة، حيث تُشير عدد من الخرائط الفرنسية إلى كتابته "لوها"[5]، وأحياناً "سوق لوها"[1].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، 1983م، ج1، ص72. في المقابل، لم يتم التعرض لطوبونيم هذه القلعة في التحقيق الذي تم نشره حديثاً من قبل بشار عواد معروف وابنه محمود بشار عواد. أنظر: المصدر نفسه، 2013م، ج1، ص191.

[2] المصدر نفسه، 1983م، ج1، ص73.

[3] المقدسي، المصدر السابق، ص285. وكمثال عن هذا التماثل الطوبونيمي، نجد المقدسي يُشير إلى وجود مدينة يطلق عليها اسم "وادي الرها" في إفريقية. أنظر: المصدر نفسه، ص31.

[4] Thomas Shaw, *Voyage dans la régence d'Alger,* cher Marlin Éditeur, Paris, 1830, p. 255.

[5] Dufour Auguste-Henri, *Carte de l'Algérie et d'une partie de la Méditerranée indiquant le rapport qui existe entre l'Afrique et l'Europe,* Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, Ge DL 1838-2.

_ حصن مُرات:

لم تتم الإشارة إلى هذا الحصن إلا مع بداية التوغل التوجيني نحو التُلول في النصف الأول من القرن السابع الهجري (13م)، وهي الفترة التي تولى فيها الأمير عبد القوي التوجيني (ت647هـ/ 1249م) مشيخة القبيلة. حيث يُشير ابن خلدون إلى أنَّ الأمير عبد القوي، بعد إزاحته لجماعات مغراوة عن جبال الونشريس، اختط في مكانها حصن مرات وقام ببناء قصبته الخاصة، بعد أن كان منديل المغراوي قد بدأ في تخطيطه أولاً، بينما قام الأمير محمد بن عبد القوي بإكماله نهائياً[2]. وهذا يُشير إلى أنَّ فترة تشييد الحصن كانت في منتصف القرن السابع للهجرة (13م).

في رواية أخرى، ذكر ابن خلدون أنَّ الأمير موسى بن محمد بن عبد القوي التوجيني قاد حملة عسكرية على سكان مُرات في ثمانينيات القرن السابع الهجري (13م)، وفي الأخير "ألجأوه إلى مهاوي الحصن فتردى منها وهلك"[3]، مما يُشير رُبما إلى الحصانة الطبيعة لموقع الحصن.

أما فيما يتعلق بالكتابة الطوبونيمية للموقع، لم يتم تسجيل أي اختلاف، وذلك لأنَّ مصدر المعلومات هو عبد الرحمان بن خلدون فقط.

بالنسبة لتحديد موقع الحصن، فإنَّه لم تُسجل أي معلومات خلال الخمسين سنة الأخيرة تُشير إلى محاولات للعثور عليه، وخاصةً في البحوث التي ركزت على تاريخ جماعات بني توجين. وقبل ذلك، أشار الرحالة توماس شو (Thomas Shaw) في بداية القرن التاسع عشر إلى معاينته لآثار موقع مرات على مسافة ستة مراحل شرقاً من تقادمت، وعشر مراحل شمالاً من قوجيلة، وأكد وجود خرائب مدينة رها على مرحلتين[4].

[1] W. Auguste et C. Ernest, *Carte de l'Algérie divisée par tribus*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE B-2285 (RES).

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص207.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص211.

[4] Thomas Shaw, *op. cit.*, p. 255.

في بداية القرن العشرين، أشار الباحث الفرنسي روني باسي (René Basset) إلى أنَّ إقامته القصيرة في مدينة تيارت سمحت له بالعثور على موقع مُرات. كما أوضح باسي استمرار استخدام طوبونيم "مرات" على الموقع، حيث مجال قبيلة أولاد لكرد من بني سويد[1]. وقدم وصفاً للخرائب المتبقية من الحصن، مشيراً إلى الطبوغرافيا المرتفعة للموقع في الجبل بارتفاع يزيد عن أربعين أو خمسين متراً عن المنطقة المحيطة به. ثُم في وقت لاحق، تم بناء ضريح للولي الصالح سيدي رابح بن محمد داخل الموقع، مما أدى إلى استخدام هيجيونيم "سيدي رابح" بشكل أكبر محلياً مقارنة بالطوبونيم "مرات"[2].

صورة لموقع حصن مرات، (محمود عباد 2019م)

_حصن تافركينت:

تكشف لنا الروايات المتعلقة بهذا الحصن الأكثر نشاطاً في المجال أنَّه واجه عدة هجمات من طرف السلاطين المرينيين والزيانيين، من بينها حملة يغمراسن الزياني في سنة 650هـ (1253م)، لكنها لم تنجح في اقتحامه[3]. ثم حملة عثمان بن يغمراسن في سنة 686هـ (1287م)، حيث نجح في التغلب على الحصن بعد

[1] René Basset, «Une ancienne capitale berbère. Notes sur les ruines de Morat», *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres , 45-4* ,(1901), p. 515.

_ تمثلها حالياً منطقة سيد الحسني.

[2] Ibid., p. 516.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص117.

فترة من الحصار، وتُشير رواية ابن خلدون إلى أن اقتحام الحصن وقع بتواطؤ من عامله في ذلك الوقت، غالب الخصي، وليس بسبب فشل التحصين كما قد يُفهم[1].

وفي سنة 698هـ (1299م)، احتلت القوات التي أرسلها السلطان أبو يعقوب يوسف المريني الحصن تافركينت[2]. وبعد استعادة السلطان أبي حمو موسى الأول للسلطة في المغرب الأوسط (من المرينيين) في أواخر سنة 707هـ (1308م)، سارع للهيمنة من جديد على الحصن قبل أن يستولي على مدينتي مليانة والمدية[3]. وفي آخر رواية حول الموقع، ورد أنَّ السلطان أبا حمو الزياني قام بتجديد هجومه على الحصن بعد ثلاث سنوات من ذلك، ما يعني في سنة 710هـ (1311م)[4].

بالنظر إلى هذا التوظيف الطوبونيمي المتكرر في النص الواحد لابن خلدون، نخلص إلى أن جميع الروايات تتفق على كتابة "تافركينت"، باستثناء حالة واحدة حيث جاء اللفظ "تافريكت"، وهذا بطبيعة الحال ليس اختلافاً أو تطوراً في الطوبونيم، لأنَّ المراجعين لنص ابن خلدون، خليل شحادة وسهيل زكار، أشارا في هامش الصفحة إلى وجود نسخة ثانية من المخطوط ورد فيها الطوبونيم بصيغة "تافركينت"[5].

أما فيما يتعلق بالشقيق الأكبر يحي بن خلدون، فنُلاحظ أن تعابيره للطوبونيم تُكتب "تفرجنيت"[6]، و"تفركينت"[7]، وهذا لا يُحتج به، لأنَّ النطق بالطوبونيم محليا يكون بين حرف الكاف والجيم في اللغة الشلحية، بمعنى "تفر ڨينت".

الحقيقة أنَّه لا يُوجد في مصادرنا معلومات دقيقة تُشير إلى الفترة المحددة لبناء الحصن المشار إليه. ومع ذلك، حسب رواية عبد الرحمان بن خلدون، يتضح أنَّ جماعات بني توجين استولت على الحصن

1 ابن خلدون، العبر، ج7، ص 124. وفي سياق آخر، ص211.

2 المصدر نفسه، ج7، ص192.

3 نفسه، ج7، ص92.

4 نفسه، ج7، ص132.

5 نفسه، ج7، ص 92، الهامش 01.

6 يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210.

7 المصدر نفسه، ج1، ص 213.

خلال صعودها نحو الونشريس، في وقت لم يحصل لهم ذلك إلا بعد إزاحة جماعات مغراوة المنزوين فيه[1]. مما يُفسر بكُل تأكيد أنَّه كان موجوداً قبل منتصف القرن السابع الهجري (13م).

أما فيما يتعلق بموقع الحصن، فإنَّنا نمتلك معلومة واحدة لعبد الرحمان بن خلدون، يُشير من خلالها إلى أنَّ الحصن يتوسط مجال بني توجين[2]. وهذا بطبيعة الحال يغنينا عن أي جهود بحث لمحاولة تحديده في الجهات المحسوبة على الأطراف[3].

تُشير أبحاث روني باسي، التي لها أزيد من قرن، إلى معلومات قيمة حول إمكانية تحديد موقع الحصن في مجال جماعات طريش، التي كانت إلى وقت الاستعمار الفرنسي تُعرف بخربة كونسو[4] (Konsou). ولقد ساعده على تحديد موقع الحصن وجود واد صغير بجواره احتفظ بتسمية "تافركينت[5]". إضافة إلى أن الذاكرة الجماعية تتحدث عن تدمير هذه الآثار قبل التواجد العثماني[6].

ومن جانبه، أشار ستيفان قزال في كتابه "الأطلس الأثري للجزائر" إلى أنّ موقع آثار برج كونسو (bordj Konsou)، موجود في النقطة 104 على خريطة عمي موسى. كما يوفر قزال معلومات حول وجود "واد تفر ڤينت" بالقُرب من الموقع [7].

---

1 ابن خلدون، العبر، ج7، ص 207.

2 المصدر نفسه، ج7، ص 132.

3 تُشير الباحثة عربية بورملة إلى أن الحصن يقع في الساحل الغربي لتلمسان، وذلك اعتماداً على الوصف الوارد في جغرافية الإدريسي. ومع ذلك، فإن هذه الفرضية تبدو غير دقيقة، على اعتبار أن المجال السياسي لجماعات بني توجين لم يتجاوز منطقة حوض الشلف. وبالتالي، يظهر أن هناك تقارب طوبونيمي بين الحصن الواقع في مجالات بني توجين، والحصن الثاني، الذي وصفه الادريسي بالقرب من تلمسان. أنظر: عربية بورملة، المرجع السابق، ص40، الإحالة 05.

4 يُشير إليها روني باسي بالاسم كوسو/ Kousou، دون إضافة حرف النون.

5 يُمكن إدراج "تافركينت" ضمن صنف الهيدرونيم لارتباطها بأحد فروع الماء، وهو الوادي.

6 René Basset, *art. cité,* p. 516.

7 Stéphane Gsell, *op. cit.,* feuille 22, n° 104. ويُشير قزال إلى أنَّ مساحة الحصن هي 50 متراً وطولاً، ومن 25 إلى 30 متراً عرضاً.

_ قلعة بني سلامة:

على عكس التحصينات السابقة التي نفتقد لمعلومات مفصلة حولها، فإنَّ قلعة بني سلامة تُعد من المعالم البارزة التي حافظت على تواصلها الطوبونيمي، وذلك بفضل المعلومات التي قدمها ابن خلدون، خاصةً وأنّه قضى فيها فترة تُقارب أربع سنوات بدأ فيها تحرير كتابه "العبر".

يبدو أنَّ تَأسيس القلعة حدث في عصر إمارة بني توجين، وتحديداً في النصف الثاني من القرن الهجري السابع (12م)، الذي يُمثل مرحلة استحواذ بني توجين على منطقة تاوغزوت[1]. ويُنظر إلى الأمير الخامس لمشيخة جماعات بني يدللتن[2]، سلامة بن علي، كأول من أسس القلعة التي اتخذت اسمه. أما قبل هذه الفترة، فإن المعلومات التي قدمها ابن خلدون تُشير إلى أنّها كانت مجرد رباط لبعض المنقطعين من عرب سويد[3]. وهُنا، يجب أن نُميز بين "تاوغزوت" كطوبونيم يشمل ليس فقط القلعة[4]، وإنما يُطلق على المنطقة بأكملها، بدليل أنه كان مستخدماً قبل التشييد[5]، وتواصله حتى الوقت الحالي، وبين طوبونيم "بني سلامة" أو "أولاد سلامة"[6] الذي ظهر وتلاشى مع انهيار القلعة.

كما هو معروف، فإنَّ الموقع الذي تتواجد فيه آثار قلعة بني سلامة يقع على بُعد 8 كيلمترات جنوب مدينة فرندة. وقد وصف ابن خلدون في كتابه "الرحلة" اتجاه هذه القلعة الجنوبي من البطحاء عبر

1 كان ذلك في عصر الأمير المنكوشي (من بني توجين) عبد القوي بن العباس بن عطية: (ت647هـ/ 1249م). ومنذ ذلك الحين أوطنها جماعات بني يدللتن من بني عمومته. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص207.

2 بطن من بني توجين.

3 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص216.

4 من بين الروايات التي استُخدم فيها الطوبونيم "تاوغزوت" للإشارة إلى القلعة وليس للمنطقة. أنظر على سبيل المثال: ابن خلدون، المصدر نفسه ج7، ص148.

5 نفسه، ج7، ص207. ص216.

6 نفسه ج7، ص638.

محور منداس الذي اختاره في رحلته إليها سنة 776هـ (1375م)[1]؛ كما يُشير ابن خلدون في كل مرة إلى أنّها تقع في الجهة الغربية لمجالات بني توجين[2].

ليس لدينا معلومات مفصلة حول التخطيط والهندسة المعمارية لقلعة بني سلامة، سواءً في المصادر التاريخية أو حتى في البقايا الأثرية. باستثناء أنَّ هناك شهادة واحدة فقط لابن خلدون، حيث عبر عن إعجابه بالقلعة، مُشيراً إلى أنّها تحتوي على قصر كان "من أحفل المساكن وأوثقها[3]". وهو نفس القصر الذي كان مأوى له خلال فترة إقامته[4]. كما أوضح أنَّه من تأسيس الشيخ أبي بكر بن عريف[5]، بعدما أصبحت القلعة ومنطقتها تابعة لجماعات عريف بإقطاع من السلطان الزياني. واللافت للنظر هو أنَّ أبا بكر بن عريف كان على قيد الحياة في سنة 768هـ (1367م)[6]، مما يُشير رُبما إلى الفترة التقريبية لبنائها.

_ حصن تُوكال:

يُعتبر هذا الحصن جزءًا من إمارة بني توجين ويَظهر أنَّه من تأسيسهم، بَّل الأكثر من ذلك يبدو أنَّه كان مركزاً للسلطة السياسية لبني توجين انطلاقا من وسط الونشريس، وهذا بحكم أنه شهد إقامة أمراء بني منكوش وبنو تغيرين الذين تولوا قيادة بني توجين. على عكس المراكز "الحدودية" الأخرى التي كانت تُقدم لهم الولاء بين الحين والآخر.

---

1 ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، تح ابن تاويت الطنجي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003م، ص 265؛ نفسه، العبر، ج7، ص638.

2 نفسه، العبر، ج7، ص207. 216.

3 نفسه، الرحلة، ص266.

4 في الواقع، لا توجد دلائل تشير إلى أنَّ ابن خلدون ألف كتاب "العبر" في المغارة "المزعومة" كما يُشاع بين بعض الباحثين. وحتى الباحث ناصر الدين سعيدوني، الذي كتب مقالاً بعنوان: "أين كتب ابن خلدون مقدمته؟"، اعترف بأنَّه لم يجد دليلاً قوياً في هذا السياق، واعتمد على بعض الروايات الشفوية التي يظهر أنها تكونت في وقت مُتأخر على شكل أسطورة، (ناصر الدين سعيدوني، "أين كتب ابن خلدون مقدمته؟" *المواقف*، 02، (2008)، ص8). وحتى ابن خلدون نفسه لم يُشر على الإطلاق إلى كتابته للعبر في أي مغارة. أما بالنسبة لمصطلح "الخلوة" الذي استخدمه ابن خلدون، فهو يُشير في السياق إلى وجوده في هذه المنطقة (قلعة بني سلامة) البعيدة عن الحواضر التي عاش وتجول فيما بينها. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص638-639؛ نفسه، الرحلة، ص266.

5 نفسه، الرحلة، ص266.

6 نفسه، العبر، ج7، ص174.

تم الإشارة إلى هذا الحصن في ثلاث روايات مختلفة، حيث تناولت جميعها حدثاً واحداً، وهو الحصار الذي فرضه السلطان أبي تاشفين الزياني على الحصن لمدة ثمانية أيام في سنة 719هـ (1319م)، بهدف القضاء على الثورة التي قادها محمد بن يوسف في هذه المنطقة. ويظهر أنَّ هذه الإشارات لا تتعارض في المضمون سوى في بعض التفاصيل الوصفية. في البداية، ذكر يحي بن خلدون أنَّ الحصار شمل "ربوة توُكال من جبل وانشريس[1]"، واليوم يمكن لمتابعي الموقع أن يجدوا الحصن في منطقة تحتفظ بتواصلها الطوبونيمي، ويقع فعلاً في مكان صعب الوصول إليه[2]. أمَّا بالنسبة لشقيقه الأصغر عبد الرحمان، فقد أشار مرتين إلى حصن (وليس ربوة) تُوكال[3]. على عكس التنسي في القرن التاسع للهجرة (15م)، الذي ركز في وصفه على ذكر طُبوغرافيا الربوة بدلاً من الحصن[4]، وإن كان من المحتمل أنَّه نقل أخبار يحي بن خلدون دون الإشارة إلى ذلك.

موقع حصن توكال، (محمود عباد 2019م)

[1] يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص216.

[2] رغم أنَّه في الوقت الحالي، لم تعد تلك الأطلال موجودة بشكل كبير.

[3] ابن خلدون، العبر، ج7، ص142. ص213.

[4] التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، تح محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم للنشر، 2011م، ص143.

_ حصن الجعبة / الجعبات:

في القرن الرابع للهجرة (06م)، أشار المقديسي إلى أنّ "الجعبة" تعتبر من الأعمال التي تندرج في كروة تيهرت، ولكنه لم يُقدم تفاصيل إضافية حول الموقع[1]. كما أننا نفتقد إلى معلومات حول هذا الحصن في مصادر العصر الرستمي.

ولا شك أنَّ الموقع تطور وأصبح يُعرف بشكل جمعي "الجُعبات"، كما أصبح في سبعينيات القرن الخامس الهجري (11م) ملجأً وحصناً لجماعات بني ومانو الزناتيين؛ حيث تعرضوا فيه لعدة هجمات من قِبَل الأمير عبد الله بن المنصور الحمادي[2].

ثم، وفقًا لما يُعرف عن ابن خلدون، نجحت البطون التوجينية، وبشكل خاص بنو يدللتن، في السيطرة على هذا الحصن. وتشير المقاربات الحالية للمؤلف إلى أن موقعه يقع غرب وادي مينا، تقريبًا في الفضاء المحصور بين البطحاء شمالًا وقلعة بني سلامة جنوبًا–غربًا[3]. ومع ذلك، يظل من الصعب دائمًا الحصول على تحديد دقيق ومباشر للموقع.

_ مدينة العباسية:

تتفق معظم المصادر على أنّ هذا المركز، الذي يقع بالقرب من مدينة تيهرت، هو من تأسيس القائد أبي العباس محمد بن الأغلب. في المقابل، هُناك تباين في الروايات حول تاريخ تأسيسه بالضبط، والراجح هو ما ذكره البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" بأن تشييده قد حدث في سنة (239هـ/854م)[4]. والسبب في اختيار هذا التاريخ، يعود إلى أن هناك أسبقية واضحة في معاصرته لنفس الفترة، وعلى الرغم من عدم زيارته لبلاد المغرب، إلا أن تاريخه المكتوب يُصنف بين مصادر المعلومات التي نقلت الأخبار التي كانت تصل إلى

[1] المقديسي، المصدر السابق، ص69. ص180.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص233.

[3] المصدر نفسه، ج، 7، ص74. ص210.

[4] البلاذري، فتوح البلدان، تقديم وتعليق عبد القادر محمد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م، ص143.

البلاط العباسي بفضل مكانته البارزة، خاصة في فترة حكم المتوكل على الله، ناهيك عن تلقيه أخباراً عن أحد الموالي الأغالبة، وهو أحمد بن نافذ[1].

وبينما ينقل ابن الأثير في بداية القرن الخامس الهجري (11م) معطيات البلاذري كما جاءت[2]، يُشير ابن خلدون إلى تاريخ غير مبرر، وهو سنة 227هـ (842م)[3]، في حين يقول القلقشندي أنَّ ذلك حدث في سنة 237هـ (852م)[4].

بعد التضارب في تواريخ بناء المدينة، نجد إجماعاً في معظم النصوص التاريخية على أنَّ مدة وجودها كانت قصيرة وتم تدميرها على يد الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي[5]، ولا شك أنَّ هذا يُعزى إلى الخلافات السياسية والمذهبية بين الطرفين. كما يظل هناك غموض يحيط طبيعتها، هل كانت فعلا مدينة تم بناءها بسرعة وفقاً لما أشارت إليه بعض الروايات؟ أم أن الموقع كان عبارة عن حصن عسكري؟

إنّ المعطيات التي وصلتنا متواضعة جداً، ولا تسمح بتحديد دقيق لموقع هذه المدينة، التي تعتبر ثالث قاعدة عباسية تحمل نفس الطوبونيم في بلاد المغرب الإسلامي[6]. ومع ذلك، يُمكن توقع أنَّ تكون منطقتها في اتجاه واحد، وهو الشرق من تيهرت. كما يبدو أيضاً أنَّ هذه المدينة "المفقودة" قد بُنيت على أنقاض موقع آخر، رُبما كان يُعرف باسم قديم قبل التشييد، أو رُمِمَ في وقت لاحق، وإلا كانت على الأقل، خرائبها الباقية حافظت على اسم العباسية.

---

[1] عبد الحميد فنينة، "حول تأسيس مدينة العباسية بإفريقية"، *المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية*، 134، (2007)، ص 36.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص66.

[3] ابن خلدون، العبر، ج4، ص256.

[4] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص121.

[5] البلاذري، المصدر السابق، ص143؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص66؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص256؛ القلقشندي، المصدر نفسه، ج5، ص121.

[6] الأُولى هي التي أسس نواتها الأغلب بن سالم التميمي على أنقاض قصر الماء بجوار حاضرة الولاية القيروان، وذلك قبل أن تتطور أكثر في عصر الأمير إبراهيم بن الأغلب ما بين عامي 184 و185هـ. والثانية شيدها عُمر بن حفص بفحص الزاب في سنة 151هـ. أمّا الثالثة والأخيرة، فهي التي تقع في ناحية تيهرت. يمكن العودة إلى دراسة الباحث التونسي المختص في دراسات نقائش العملات النقدية: عبد الحميد فنينة، المرجع السابق، ص18-44.

_ مدينة تلمسان (أو بلنسان):

بعد استقرار المعز لدين الله الفاطمي في القاهرة المعزية، كانت أول تجربة للحكم الصنهاجي حازها الأمير بلكين بن زيري على تركة الفاطميين ابتداءً من نفس تاريخ التحول 362هـ (973م)، وكانت أولى التحديات التي واجهها في هذا السياق السياسي هي مقاطعة عدد كبير من الجماعات الزناتية للنظام الجديد في المنصورية، ومن بينهم حسب الروايات يوجد التلمسانيون، حيث قام الأمير بلكين بحصارهم شخصياً، ونقل بعضهم إلى آشير حيث أسسوا مدينة يطلق عليها حسب كتابة ابن الأثير اسم "تلمسان"[1]. أما النويري، فيقول أنَّ تسميتها كانت "بلنسان"[2]. ومع ذلك، لفهم تسمية الموقع بشكل دقيق، فإننا لا نجد أي توضيح خارج هاتين الروايتين المشرقيتين. بما في ذلك عدم الإشارة إليه من قبل المؤرخين المغاربة، حتى وإن تعلق الأمر بتوريده في ظروف تاريخية تختلف عن سياق التأسيس.

فضلا عن هذه المعطيات السابقة، فإنَّ الدراسة التي نشرها الباحث علاوة عمارة حول شخصية ابن شداد الصنهاجي "الباديسي"، تُبين أنَّ معظم المعلومات التي وردت في كُتب المؤرخين المشرقيين (مثل ابن الأثير والنويري) حول بلاد المغرب الوسيط تعود بشكل أساسي إلى مصدره الضائع، الذي يُعرف بكتاب "الجمع والبيان في أخبار القيروان ومن فيها وفي سائر بلاد المغرب من الملوك والأعيان"، ويعود هذا الكتاب إلى نهايات القرن السادس الهجري (12م)[3]. وبالتالي، فإنَّ احتمال الخطأ موجود عند واحد فقط من المصنّفين أثناء نقلهم عن روايات ابن شداد الصنهاجي، ولا يعني هذا وجود أي تضارب رواياتي أو أي تطور فتراتي في الطوبونيم.

من جهة أخرى، يبدو أنَّ التأسيس الزناتي للمدينة في عمق جبال صنهاجة من عدمه يبقى قضية مطروحة، وفي نفس الوقت "مشبوهة" ما لم يتم تحديدها بشكل دقيق في ظل غياب الإشارات التاريخية

1 ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص332.

2 النويري، المصدر السابق، ج24، ص93-94.

3 علاوة عمارة، "ابن شداد الصنهاجي جامع تاريخ المغرب الوسيط"، *التاريخ العربي*، 21، (2002)، ص67-96. نفسه، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008، ص162. ص165-166.

المقاربة لها، خاصةً وأنَّ ابن خلدون قد اكتفى بالإشارة إلى أنَّه تم نقل التلمسانيين إلى مدينة آشير، ولم يتحدث أنَّهم أسسوا هناك أي موقع آخر[1].

2- القُرى غير المحصنة

في البداية، يجب التنويه إلى تفاصيل مهمة يجب فهمها، وهي أنَّ العديد من التعابير الموقعية لم تقتصر فقط على استخدام اسم القرية بمفرده، مع أنَّه الأكثر حضوراً، وإنَّما شكلت مصادرنا ذات الصلة بأخبار المجال التوجيني تعابير متنوعة للدلالة على الهياكل التي يعكس شكلها وجود ضعف أو غياب تام في التحصين. ومن بين هذه الأسماء البديلة للأماكن المحجوزة والفقيرة في كثير من الأحيان، نجد ابن الصغير يستخدم مصلح الدشرات (جمع دشرة) بالقرب من مدينة تيهرت، وتحديداً في المكان الذي اغتيل فيه ولد البغال عند مجرى وادي مينا[2]. واستخدم أيضاً تعبير "عمارة الضياع" خارج أسوار المدينة نفسها -تيهرت- لتوضيح نشاطات الإمام أفلح بن عبد الوهاب[3]. أمَّا البكري، فعند الإشارة إلى مواطن جماعة المعتزلة المعادية للرستميين، استخدم تعبير "المجْمَع"[4]. وفي سياق مماثل، استخدم الدرجيني مصطلح "الحي"، و"الأحياء" عند شرحه لبعض تجمعات السكان المحليين (البربر)[5]، كما استخدم أيضاً تعبير "المنازل" عند الإشارة إلى مواقع قريبة من تيهرت، حيث قام بتمييز النكارية عن الوهبية (مبايعو عبد الوهاب بن رستم)[6]. ولكن هذا التعبير الأخير قد لا يُستثنى من القصور، كما قد لا يستثنيه تعبير المحلة الذي استخدمه المازوني في الإشارة إلى مواطن جماعات بني توجين في الونشريس[7].

---

1 ابن خلدون، العبر، ج6، ص206.

2 ابن الصغير، المصدر السابق، ص46.

3 المصدر نفسه، ص53. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص112.

4 البكري، النص، ج2، ص734- 735.

5 الدرجيني، النص، ج1، ص60.

6 نفسه، ج1، ص51.

7 المازوني، تح عبد القادر بوباية، المصدر السابق، ص170.

_ مجمع فرقة الواصلية:

يُدمج موقع هذه الفرقة مع مجالات بني التوجيني، ويعد ابن الصغير أول من أشار إليهم في سياق المناظرة التي وقعت بين المعتزلة والإباضية، لكن دون إعطاء تفاصيل إضافية حول طبيعة مساكنهم أو كيف كانت، في حين اكتفى بالتأكيد على أنَّ حضورهم كان بجوار وادي مينا[1]. وهي تقريبا الدلالة الوحيدة التي تكشف عن جهة استقرارهم.

بعد ذلك، قدم البكري معلومات قيمة حول هذه الفرقة، حيث قال: "وكان مجمع الواصلية قريباً من تيهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفاً في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها[2]". وليس الأمر يتعلق هُنا بوجود بساط خيام فقط، إذ يروي الدرجيني قصة مثيرة وقعت بعد المناظرة، وهي أنَّ بقايا المعتزلة قد استدعوا رجلاً يُعرف بأيوب النفوسي انتقاماً منه لهزيمتهم باعتباره المتسبب في ذلك. وعند وصوله، يُشير إلى استقباله بأحد الخصوص[3]، مما يُظهر لنا وجود هذا النوع من العمارة الخفيفة أيضاً.

_ قرية رطل مازوغة /ماورغة:

في القرن الرابع للهجرة (10م)، أشار ابن حوقل إلى هذه القرية التي تتوسط المسلك الرابط بين محطتي ريغة شمالاً وآشير جنوباً، وذكر أنَّها "قرية لطيفة حسنة فيها ماء عذب[4]". وبالتالي، نُرجح أن تكون هذه القرية متطابقة مع الموقع الروماني المعروف بطوبونيم تاناراموزا كاسترا (Thanaramusa Castra)، والذي يُعتبر اليوم البرواقية.

في القرن السادس الهجري (12م)، تناول الإدريسي هذه القرية عندما وصف شبكة المسالك في تلك الجهة التي يسلكها أغلب المسافرين. ومع ذلك، كان رسمه للطوبونيم المتعلق بها مختلفاً قليلاً، حيث كتب أنَّها

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 82.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 735. وقام بنقل هذا الوصف في وقت لاحق كل من: الحموي، المصدر السابق ج2، ص8؛ وابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

[3] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص60-61. وهو بيت غالبا ما يكون مبنياً إما بالشجر أو القصب.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

"ماورغة". ووصفها بأنها "قرية حسنة لكنها لطيفة القدر وبها زراعات وخصب ومياه جارية ومنها إلى آشير زيري مرحلتان[1]".

ـ قرية ابن مجبر:

في القرن السادس الهجري (12م)، أشار الإدريسي إلى هذه القرية، أمَّا قبل ذلك فهي غير معروفة في مصادرنا القليلة جداً. حيث حدّد موقعها على بعد مرحلة واحدة من مدينة ابن ماما غرباً، ومرحلة واحدة أخرى من آشير شرقاً، ثم وصف بأنّها: "قرية كبيرة كثيرة الزروع عذبة المياه وشربهم من العيون وسُكانها من زناتة[2]". وهي على ما يبدو تنطبق مع طوبونيم مدينة مجبر التابعة حالياً إلى دائرة سغوان جنوب ولاية المدية؛ كما لا يُستبعد أن تكون نفس الموقع الأثري "مجبر" الذي سلط عليه ستيفان قزال (Stéphane Gsell) الضوء في خارطة بُوغار[3].

ـ قرية أعبر:

يذكر الإدريسي أن موقع هذه القرية يبعد عن مدينة تيهرت بمرحلة واحدة شرقاً، ويصفها بأنَّها قرية صغيرة على نهر صغير[4]. في المقابل، لم يتطرق ابن حوقل إلى هذه القرية عندما وصف طريق تيهرت[5]. ومع ذلك أعتقد أنَّها موقع مُتأخر لمدينة تيهرت القديمة، وفي نفس الوقت البعيدة عن مدينة تيهرت/تاقدمت بمرحلة واحدة، وقد يكون "أعبر" هو نفسه حصنها الروماني "أغزر" الذي تم بناؤه على ضفة الوادي الصغير.

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص256.

[3] Stéphane Gsell, op. cit., feuille 24, n° 02.

[4] الإدريسي، المصدر نفسه، ج1، ص256.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

_ قرية دارست:

في سياق طريق الهضاب للمسافرين، ذكر الإدريسي أنَّ قرية دارست تقع على مسافة مرحلة واحدة من القرية السابقة، أعبر، ووصف بأنَّها "قرية صغيرة جدا وزراعتها كثيرة ومواشيها عامة ومنها إلى مدينة ماما مرحلتين[1]". ونفس الملاحظة بالنسبة لابن حوقل، حيث لم يُشر إلى أي معلومات حول هذه القرية[2].

_ قرية سطيت:

يُشير الإدريسي إلى أن موقع قرية سطيت يقع على الطريق الذي يصل بين آشير وقرية هاز[3]، كما يُشير أيضاً إلى وجود عين ماء جارية فيها[4]. ومع ذلك، يظل موقع هذه القرية غير معروف حتى الآن.

3- تطورات شبكة المسالك في مجالات بني توجين.

يُلاحظ أن شبكة الطرق في المجال تنقسم إلى خطوط رئيسية، حيث تنشأ منها مسالك فرعية. ومثل ما حدث في معظم المناطق المغاربية[5] وغيرها، لم تظل حالة الطُرق ثابتة على نفس النسق الذي ظهرت به في البداية بالقدر الكافي، بل تُشير النصوص الجغرافية والرحلاتية إلى وجود عدة تطورات ظهرت بأشكال مختلفة على مجال الدراسة خلال الفترة الوسيطة.

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص256.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[3] ورد في المصدر كتابة الاسم "هان"، وهذا من دون شك تصحيف من قبل الناسخين للطوبونيم "هاز".

[4] الإدريسي، المصدر نفسه، ج1، ص256. كما يظهر أنَّ المؤلف "المقريزي" قد نقل في كتابه الوصف الذي قدمه الإدريسي دون الإشارة إلى ذلك. أنظر: المقريزي، جنى الأزهار من الروض المعطار، تح محمد زينهم، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2006، ص66.

[5] من بين هذه الدراسات المتعلقة بالشبكات الرحلاتية، نشير على سبيل المثال: Claudette Vanacker, «Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle», *Annales,* 28-3, (1973) , pp. 659-680; Bakhta Moukraenta, «Essai sur le réseau routier de l'Ouest du Maghreb Central *op.cit.,* pp. 300-380.

3-1 شبكة الطرق الرئيسية

- طريق الهضاب: (من غرب المسيلة إلى غرب تيهرت)

من الواضح أن هذا الطريق الطويل كان موجوداً منذ العصر القديم، على الأقل خلال فترة حكم الإمبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس (Septimius Severus 193-211) الذي قام بتقديم خط الليمس من شمال الأطلس إلى جنوبه. وبفضل أهميته الاستراتيجية، تأسست سلسلة لمعظم المدن الداخلية كمنافذ تجارية وعسكرية، مما ساهم في توفير الكثير من التفاصيل حوله[1]. أمّا في العصر الوسيط، لا يبدو أنَّ تطوره كان كبيراً في تغيير بعض الاتجاهات والمراحل المسلكية القصيرة، وهو الأمر الذي توضحه لنا بعض المصادر الرحلاتية التي اجتازت هذه البلاد الخلفية. على عكس درجة استخدام الطريق التي تأثرت بظروف مختلفة.

أثناء أُولى عمليات الفتح الأموي نحو أكثر المناطق غرباً، تُشير المصادر إلى استمرارية استخدام هذا الطريق الداخلي، حيث قاد عقبة بن نافع حملات عسكرية تتبع هذا الطريق من وراء باغاية إلى بلاد الزاب، ثم إلى تيهرت، وصولاً إلى طنجة[2]. ولا يُستبعد أن يكون قد عاد في جزء منه حتى وصوله إلى تهوذة حيث قتل بالقرب منها.

بالنسبة إلى ما وصفه اليعقوبي في الفترة الأخيرة من العصر الرستمي، لا يمكن أن يشكل معرفة كاملة لهذه القطعة من الطريق، فهو مع الأسف غير المسلك نحو الشمال عندما أصبح على مسافة قصيرة من تيهرت. فبقدومه من الشرق إلى أضنة تقدم إلى بني برزال حيث تأسست فيما بعد المسيلة، ومن ثم إلى مدينة هاز، ومنها إلى بلد مصادف بن جرتيل الذي يشكل نقطة تقاطع بين طريق الهضاب الغربي والتوغل نحو الساحل، وهو المفترق الذي سلكه اليعقوبي في إتباع طريق وادي الشلف، وسنتناول ذلك بالتفصيل

---

[1] فيما يتعلق بموضوع هذا الطريق الروماني، يمكن الرجوع إلى دراسة: Jean-Pierre Laporte, «Notes sur le réseau routier de la Maurétanie Césarienne», *op.cit.*, pp. 227-267.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج3، ص451.

لاحقًا[1]. أمَّا في الاتجاه الغربي من تيهرت، يُشير اليعقوبي إلى وجود طريق يخرج من مدينة تيهرت التي انحرف إليها من الشمال عبر سوق إبراهيم إلى جبل هوارة، ثم منه إلى مدينة يلل القريبة من البحر. وفي نفس الوقت يُعد جبل هوارة محطة اندماج بين المسارين الشمالي والجنوبي لسلسلة الونشريس، وذلك للمسافر الذي يستخدم الخط الداخلي للوصول إلى تلمسان[2].

إنَّ هذا الطريق، الذي يُصنف كمحور هام على مر الفترة، تم استخدامه أيضاً من قبل ابن حوقل في القرن الرابع الهجري (10م) من الشرق إلى الغرب، حيث يظهر خط سيره من شرق طُبنة إلى مقرة، ثم إلى مدينة المسيلة، ومنها إلى معبر جوزا، ومنها إلى قرية هاز، ومن ثم إلى القرية الكبيرة جرتيل، ومنها إلى مدينة ابن ماما، وصولاً إلى تيهرت[3]. وفي اتجاه آخر، يُشير إلى وجود إمكانية للمار أن يسلك الطريق من المسيلة إلى آشير على مرحلتين من خلال اجتياز وادي المالح[4]، ثم يكمل الطريق إلى تيهرت كما هو معروف.

أمَّا بالنسبة لمحور غرب تيهرت، فيشير وصف آخر من قبل ابن حوقل إلى وجود نشاط للمسلك الخارج من تيهرت إلى مدينة إفكان[5]، حيث يخترق سهل تغنيف اليوم ويصل إلى فاس وما ورائها. ومع ذلك، اعتمد ابن حوقل هذا الوصف بشكل عكسي أثناء عودته من المغرب إلى إفريقية، حيث أشار إلى أنَّه من "مدينة إفكان إلى تيهرت بالعرض إلى الشرق توجد ثلاثة مراحل[6]". وللأسف، لم يُوضح تفاصيل

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191-192. يظهر أنَّ المسار الشمالي الذي سلكه اليعقوبي عبر مدن وادي الشلف له ظروفه وتفضيلاته الشخصية. في حين أن عدم اختياره للممر الجنوبي، عبر سهل السرسو، لا يعني بالضرورة وجود ضعف في هذا الطريق. وإنما على العكس من ذلك، حيث كان في تلك الفترة يحمل القيمة المتعلقة بالعاصمة الرستمية تيهرت، بالإضافة إلى أنه كان محوراً هاماً لعبور القوافل التجارية، ولا سيما تلك القادمة من بلاد السودان الغربي.

[2] المصدر نفسه، ص196.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[4] المصدر نفسه، ص87.

[5] لا يزال يتواصل استخدام هذا الطوبونيم حتى الوقت الحالي.

[6] أشار أيضاً ابن خلدون إلى نفس عدد المراحل الثلاثة أثناء شرحه لحملة جوهر الصقلي في سنة 348هـ (960م)، ولكن هذا لا يوضح مرحلة عصره، وإنما يعكس النقل المتأخر عن مصادر القرن الرابع الهجري (10م)، ومن غير المستبعد أن يكون هذا النقل عن ابن حوقل مع أنه لم يُشر إلى ذلك. ابن خلدون، العبر، ج4، ص59.

أكثر حول خطوطه العريضة، وذلك لأنه لم يستكمل السير على هذا الطريق الداخلي خلال تلك الرحلة، حيث اتجه شمالاً من مدينة إفكان نحو طريق المدن الواقعة على وادي الشلف[1].

ومن جهة أُخرى، فإنَّ هذا الشطر تيهرت–إفكان لم يتم وصفه من قبل اليعقوبي سابقاً، مما قد يشير إلى أنَّ تحسن هذا الطريق جاء تزامناً مع تأسيس، أو بالأحرى ترميم، مدينة إفكان من قبل يعلى بن محمد بن صالح اليفرني في عصر الخلافة الفاطمية سنة 338هـ (950م).

المقديسي ركز بدوره على إظهار طريق المسيلة أشير تيهرت وصولاً إلى إفكان، بما يساوي مجموع 13 يوماً من المشي، ثم يستمر هذا المسار ليصل إلى تلمسان[2]. وفي نفس السياق، يذكر المهلبي استخدام الطريق الربط بين تيهرت وآشير على نفس هذا الاتجاه الرئيسي[3]، بما يفسر فعلاً تغلب نشاط استعمال الرواق المختصر آشير–المسيلة على المسار القديم العابر لمدينة هاز المتلاشية تدريجياً. وهذا التغيير لا شك يدعمه بشكل أو بآخر تأسيس العاصمة الصغيرة "آشير" في سنة 324هـ (936م). ومن القرائن التي يمكننا تعزيز ذلك هو ذكر أخبار تعود إلى العقد التاسع من القرن الرابع الهجري (10م) تُفيد بأنَّ الأمير الزيري باديس بن المنصور كان يتبع طريق طُبنة المسيلة آشير أثناء ملاحقته لزيري بن عطية المتمرد في مناطق تيهرت[4]. وبالإضافة إلى ذلك، تُشير الروايات حول مطاردة باديس بن المنصور لعمه حماد في بداية القرن الخامس الهجري (11م) إلى أنه سلك الطريق من القيروان إلى دكمة، ثم إلى المسيلة، ومن ثم إلى آشير، وصولاً إلى وادي الشلف وجبل بني واطيل[5].

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص88. يتضح أن الحموي نقل هذه المسافة بين تيهرت وإفكان بنفس الطريقة. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص272.

[2] المقديسي، المصدر السابق، ص198.

[3] العزيزي، المصدر السابق، ص48.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج1، ص271- 272. النويري، المصدر السابق، ج24، ص103-104. ابن خلدون، العبر، ج7، ص55.

[5] النويري، المصدر نفسه، ج24، ص 108-109. ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص 289-290.

في القرن الخامس الهجري (11م)، وخلال تفصيلاته، يُقدم البكري وصفاً مشتتاً لهذا الطريق. فمن الجانب الشرقي يُشير إلى المسار من المسيلة إلى نهر جوزة (يبدو نفسه الوادي المالح)، ثم إلى مدينة آشير، ومنها إلى قرية سوق هوارة، حيث يمكن الصعود شمالاً إلى سواحل تنس[1]. وفي سياق آخر، يصف الطريق ذا الأربعين مرحلة من مدينة فاس إلى القيروان، ويشمل فيما يهمنا نحن وصوله إلى يلل ومنها إلى الغزة، ثم يتجه جنوباً إلى تيهرت، حيث يتطلب اجتياز رواق منداس، ثم يتواصل الطريق على محطات كل من: تامغيلت، ابن ماما، هاز، بورة[2]، موزية (أو مورية) وصولاً إلى المسيلة والمناطق الخلفية لها[3]. وفي نفس الوقت يُؤكد البكري على أهمية وحيوية الطريق المختصر بين تامغيلت-آشير[4].

في القرن الموالي، كشف لنا الإدريسي على طريق تلمسان-المسيلة، حيث يتنقل التسلسل بدءًا من تلمسان وصولاً إلى تادرة، ثم نداي، تيهرت، أعبر، دارست، ماما، ابن مجبر، آشير، سطيت، هاز، وأخيراً يصل إلى المسيلة[5]. وفي الجهة الشمالية-الشرقية، يمتد الطريق من تنس إلى المسيلة عبر شلف، مليانة، كزناية، ريغة، ماورغة، آشير، تامزكيدة، وصولاً إلى المسيلة[6].

وعلى العموم، بقي هذا الطريق ثابتاً في العديد من جوانبه الرئيسية، باستثناء تراجع الإقبال عليه لصالح طريق الساحل. كما شهد تطور وحتى اختفاء لبعض المراكز التي نشأت على طول مساره.

- طريق الرمال

تدل الإشارات القليلة على وجود طريق رملي يتجه صعوداً إلى الأعلى كلما تقدم من الجنوب الشرقي نحو الغرب. فإشارات المقديسي توفر معلومات حول وجود مسلك يربط تيهرت بقسطيلية (توزر)،

---

1 البكري، المصدر السابق ج2، ص724-725.

2 من المرجح اليوم أنَّها ديرة.

3 البكري، المصدر السابق، ج2، ص830-831، وقد أشار البكري أيضاً إلى الطريق الذي يربط بين ارشقول والقيروان والذي يمر هو الآخر عبر تيهرت، لكن شرحه لهذا الطريق جاء غامضا بعض الشيء. المصدر نفسه، ج2، ص749.

4 نفسه، ج2، ص732.

5 الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص255- 256.

6 المصدر نفسه، ج1، ص252-254.

حيث يمتد كله أو معظمه عبر الرمال والقرى، ويستغرق حوالي نصف شهر للسير على طوله[1]. ومن دون شك، أنَّ الرحلة في هذا الاتجاه الصحراوي والشبه صحراوي كانت تمر عبر منطقة جنوب المسيلة (عين وسارة بوسعادة بسكرة). ويبدو أنَّ ازدهار هذا الطريق تزايد أكثر خلال العصر الرستمي، خاصة في الرحلات نحو جبال نفوسة، حيث كانت الروابط قوية بين المنطقتين[2].

من الطبيعي جداً أنَّ يتناقص الإقبال على هذا الطريق خلال الفترة الفاطمية وحتى الزيرية في ظل الواقع السياسي الجديد، والذي قابله التوجه نحو السير عن طريق الثغور الموالية للخليفة الإمام المهدي وخلفائه اللاحقين، أو تلك التي يسودها الأمن، عكس الجنوب الذي تزعمه الخوف طويلا نتيجة استقرار معظم الجماعات المعرضة هناك، وخاصة جماعات زناتة.

يظهر هذا الطريق، الذي ظل مجهولاً لفترة طويلة، بوضوح خلال الفترة الموحدية، حيث كشفت المصادر عن عودته إلى الواجهة، وقد ساهم في تعزيز هذا الانتعاش سببان أساسيان: الأول هو اعتباره كطريق مختصر، والثاني هو تحول منطقة الخوف إلى المنطقة الريفية في الجبال. وعلى سبيل المثال، تُشير الروايات إلى أنَّ الخليفة المنصور الموحدي، خلال حملة عسكرية من مراكش إلى بني غانية في المغرب الشرقي، لجأ إلى استخدم هذا الطريق الداخلي المباشر خلال عودته الاضطرارية في سنة 584هـ (1188م) من المهدية إلى تيهرت، ثم إلى تلمسان[3]. واللافت للنظر أنَّ ابن خلدون وظف لفظاً يُظهر أنَّه "أسحر" عبر طريق تيهرت[4].

ونفس الأمر أيضاً فيما يتعلق بالسلطان أبي زكريا، عندما خرج في حملة لمهاجمة يغمراسن الزياني في تلمسان في سنة 639هـ (1242م)، كان الأمير عبد القوي التوجيني دليلهم في هذا الطريق، حيث يُلاحظ

---

[1] المقديسي، المصدر السابق، ص197.

[2] هناك مثال مهم ذكره الشماخي فيما يتعلق برواية الرجلين اللذين قاموا بعدة رحلات بين جبل نفوسة ومدينة تيهرت، حيث أشارت القصة إلى أنَّ معظم مرورهم كان يتم عبر طريق ورجلان. أنظر: الشماخي، النص، ص119.

[3] ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص300. ابن خلدون، العبر، ج6، ص328.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، نفس الصفحة.

وصولهم من تونس إلى صحراء زاغر جنوب التيطري،[1] ومن ثم دون شك تواصل سيرهم عبر تيهرت حتى وصولهم إلى تلمسان.

وفي إشارة أخرى من ابن خلدون، يُبيِّن أنَّ السلطان أبا حمو العبد الوادي، بعد هزيمته في معركة التيطري أمام ابن عمه المتمرد أبي زيان في سنة 769هـ (1368م) انسحب إلى تلمسان عن طريق الصحراء[2].

وأخيراً، يوثق ابن خلدون في كتابه السيرة الذاتية قصة رحيله عن قلعة بني سلامة متجهً إلى تونس في شهر رجب سنة 780هـ (نوفمبر 1378م)، حيث صعد إلى منداس أولاً، ثم ركب مع المسافرين في طريق القفر إلى أن وصلوا الدوسن، ومنها صعد إلى ضيعة فرفار قرب بسكرة، ثم إلى قسنطينة، ومن هناك واصل طريقه إلى تونس[3].

- طريق حوض الشلف

يمتد هذا الطريق الاستراتيجي على طول الحافة الشمالية لجبال الونشريس، وبمعنى آخر، يتواجد عند نهاية معظم حدود مجالات بني توجين التي كانت على صلة وثيقة معه.

يُشير اليعقوبي إلى أنَّ الطريق يخرج من بلد مصادف بن جرتيل _كما تم توضيحه سابقاً_ إلى ابن كرام، ثم يتواصل تباعاً إلى متيجة، مدكرة، الخضراء، سوق إبراهيم. ومن هُناك، اتجه اليعقوبي نحو تيهرت[4]. وهذا الاتجاه نحو الجنوب يُعتبر خياراً شخصياً بالنسبة للمسافر، ولا يمنع ذلك أنَّ الطريق بالأساس يتواصل من سوق إبراهيم إلى مدينة يلل بشكل مباشر.

أمَّا ابن حوقل الذي انطلق من فاس متوجهاً إلى المسيلة عبر تلمسان قدم خريطة طريق مهمة في تفاصيلها، ولكن ينبغي التعامل معها بحذر شديد نظراً لجود خلل في ترتيب بعض محطات العبور. والظاهر

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص391.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص175.

[3] ابن خلدون، الرحلة، ص266.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191-192.

أنَّه عندما وصل إلى إفكان، قام بالتنازل عن طريق الهضاب وصعد إلى قرية معسكر، ثم عبر جبل توجان وقرية عين الصفاصف ويلل، ثم مر على حد وصفه عبر "الشلف، الغزة، وسوق إبراهيم[1]". بعد ذلك، استمر في السير، ولكن انحرف هذه المرة إلى الشمال نحو تاجنة[2] ومن ثم إلى تنس، ثم عاد إلى بني واريفن. ومع ذلك، يظهر أن الطريق العادي والرئيسي لا يتطلب كل هذا الدوران، بل يمتد مباشرة من الشلف إلى بني واريفين (Tigava Castra[3])، ومن ثم إلى الخضراء، مليانة، سوق كران (أو ابن كرام)، ريغة (Aquae Calidae)، رطل مازوغة، آشير، الوادي المالح، انتهاءً إلى المسيلة[4].

تسمح المعلومات التي يوفرها البكري بالحصول على فكرة نشاط هذا الطريق الذي كان عامراً، لكن في اتجاهه نحو ميناء تنس، حيث يسير من المسيلة إلى نهر جوزة (أو حوزة)، ثم إلى آشير، ومنها إلى سوق هوارة، ومن ثم إلى سوق كرام، ومليانة، والخضراء، وبني واريفن، وقارية (تاجنة)، وصولاً إلى تنس[5]. يُعيد البكري توضيح نفس الطريق تقريبًا من تنس إلى آشير، باستثناء جانب ثانٍ غير مؤثر على الطريق الرئيسي، وهو اختصار للجهة الغربية. فمن تنس إلى بني جليداسن، إلى الشلف، إلى بني واريفن، إلى مليانة، ومتابعة إلى آشير كما هو مذكور سابقاً[6].

تطرق أيضاً الإدريسي لطريق تنس-المسيلة، وبعدما أكد (على غرار سابقيه) على وجود فرع يربط تنس بالشلف من خلال قطع مرحلتين، أشار إلى محور طريق الجهة الشرقية خروج من تنس إلى بني وازلفن (واريفن)، ومنها إلى الخضراء، ثم إلى مليانة التي أشار في جنوبها إلى وجود مدخل ثانوي يصعد إلى الونشريس. ثم بعد ذلك، يمتد الطريق من مليانة، مروراً بكزناية، ريغة، ماورغة، آشير، وصولاً إلى المسيلة[7]".

---

[1] لكن عند النظر إلى ترتيب هذه المواقع من الغرب إلى الشرق، نجد: الغزة، ثم سوق إبراهيم، ثم الشلف.

[2] ورد في المصدر كتابتها باسم "ناحية".

[3] بالقرب من العطاف حالياً.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

[5] البكري، المصدر السابق، ج2، ص724-725.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص736-737.

[7] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص252-254.

في القرون الموالية، لم يعد الدخول من الشلف إلى طريق المسيلة في اتجاه الشرق يشهد إقبالاً واسعاً، خاصةً بعدما اختنق الهلاليون المدن الداخلية، وبرز بشكل لافت نشاط الملاحة والتجارة البحرية التي قابلها تجديد ميناءي الجزائر وبجاية ــإلى جانب موانٍ عديدة على طول الساحل المتوسطيــ مما جعل المسافر، حتى وإن لم يستغل النقل عبر البحر، أكثر اقتنعاً بأهمية الممرات الساحلية.

وتظهر الشهادات التي تدل على هذا التطور الملموس بشكل متعدد. على سبيل المثال، ذكر العبدري في رحلته من الغرب إلى الشرق سنة 688هـ (1289م) أنه مر من تلمسان إلى الجزائر عبر طريق مليانة التي أشار فيها إلى تخليه عن طريق المدية الواقعة جنوباً[1]. وفي القرن الموالي، ذكر ابن بطوطة مروره عبر هذا الطريق الرابط بين تلمسان مليانة ثم الجزائر خلال رحلته نحو الشرق، التي بدأها من طنجة سنة 725هـ (1325م)[2]. وفي الوقت نفسه، أورد البلوي تفاصيل عدوته من الحج، حيث مر بطريق قسنطينة بجاية والجزائر ثم تلمسان، ووصل إلى مرسى هنين حيث ركب البحر متجهاً إلى المرية[3]. ويروي عبد الباسط بن خليل خروجه أيضاً من تونس سنة 868هـ (1464م) في موكب متوجه إلى الغرب، حيث مر ببجاية ثم الجزائر واجتاز مدينة مازونة وقلعة هوارة والبطحاء إلى أن وصل باب تلمسان[4].

3-2 المسالك الفرعية

طريق: سطيف – سوق حمزة – آشير

في العادة، يمتد الطريق من قسنطينة إلى ميلة إلى سطيف إلى المسيلة، ومن ثم يستمر اتجاه الغرب على ما هو معروف. لكن ابن حوقل في قرنه يُشير إلى وجود طريق آخر يُعد أكثر اختصاراً من الطريق السابق، بحيث من دون التوجه جنوباً إلى المسيلة عبر سطيف، يمكن مواصلة الطريق إلى حائط حمزة

---

[1] العبدري، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، عنابة، منشورات بونة للبحث والدراسات، 2007م، ص46.

[2] ابن بطوطة، تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح عبد الهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1997م، ج1، ص158.

[3] البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تح الحسن السائح، المغرب، مطبعة فضالة، ج2، ص150.

[4] زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفي (ت. 920هـ/1515م)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، 2014م، ج2، ص331-332.

(البويرة)، ثم إلى آشير[1]. ويرجح أن يكون هذا الطريق قد اجتاز منطقة هاز، على الرغم من عدم إشارة ابن حوقل إلى ذلك.

لكن على الأرض، يبدو أنَّ استخدام هذا المحور كان ضعيفاً بسبب التضاريس الصعبة في بعض الجبال والأودية، والمعلومات حوله في المصادر ضعيفة جداً، باستثناء رواية واحدة فقط لابن خلدون تُشير إلى استخدامه في شهر صفر من سنة 336هـ (أوت 947م) من قبل المنصور الفاطمي، الذي تقدم مع جيشه من الشرق إلى سوق حمزة، ثم إلى آشير وصولاً إلى تيهرت التي أخرج منها حميد بن يصل الداعي إلى أموية الأندلس[2]. ومع ذلك، نجد هناك شكوكاً حول هذه الرواية، أو بالأحرى حول اعتماد هذا الطريق بشكل خاص من قبل الخليفة المنصور، لأنَّ ابن الآبار البلنسي قد ذكر قبل ابن خلدون بأكثر من قرن من الزمن أنَّ المنصور قد استخدم الطريق السهل والمعتاد إلى المسيلة، ومن ثم اتجه إلى تيهرت[3].

طريق: آشير – سوق حمزة – مرسى الدجاج

إنَّ أكثر نشاطا ملحوظا في هذا الاتجاه كان خلال القرن الخامس الهجري (11م). حيث كان السفر من آشير إلى مرسى الدجاج، عبر سوق حمزة الذي ظهر كمفترق طرق مهم. فقد أورد البكري أنَّ الخروج من آشير يتجه نحو منطقة يقال لها "شعبة"، ومن ثم يتجه إلى مضيق بين جبلين[4]، ويصل إلى فحص لم يذكر اسمه بالتحديد، ولكنه أشار إلى أنه واسع وله أهمية في إنتاج نبات العاقر قرحا[5] (المتطابق مع فحص الدشمية). ومن هناك يتجه إلى مدينة حمزة، ومن ثم إلى بلياس[6]، وأخيراً مرسى الدجاج[7].

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[2] ابن خلدون، العبر، ج4، ص 57.

[3] ابن الأبار الأندلسي، الحلة السيراء، ج2، ص 388.

[4] يبدو الجبلان في الوقت الحالي هما سيدي نوفل في الجنوب وبوقعودن في الشمال.

[5] يُعرف هذا النوع من النبات بعدة تسميات أخرى من بينها القنيطسة، عود القرح، عود العطاس ... وهو يستعمل أساساً كعقار علاجي.

[6] يُشير الباحث رضا بن النية إلى أنها "ثنية البقاس" حالياً: رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر، مذكرة ماجيستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006، ص 50.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 730.

طريق: تيهرت – أوزكا – سجلماسة

الطريق الرابط بين تيهرت وسجلماسة الواحية هو بالأساس طريق للتجارة ومحور للعلاقات مع بلاد السودان الغربي. فقد أشار اليعقوبي، بناءً على المعلومات التي سمعها من أبي معبد عبد الرحمن، حفيد عبد الرحمن بن رستم، إلى أنَّه كان طريقاً شديد الصعوبة، ويتطلب الخروج إليه المرور عبر تيهرت بين الجنوب والاتجاه الغربي نحو موقع أوزكا، ثم إلى أرض زناتة، ومن ثم إلى سجلماسة[1]. ومع ذلك، يظهر أنّ استخدام هذا الطريق قد تراجع بعد سيطرة الفاطميين على مدينة تيهرت، حيث أصبح غير مذكور في المصادر الجغرافية والرحلاتية.

طريق: البطحاء – منداس – قلعة بني سلامة

في رحلته من تلمسان إلى البطحاء ومن ثم إلى منداس، اختار ابن خلدون السير عبر هذا الطريق غير المباشر، حيث وصل إلى قلعة بني سلامة بعد رفضه التوسط للسلطان أبي حمو الزياني في قضية الصراع مع جماعات الذواودة في بسكرة[2]. والجدير بالذكر، أنَّ هذا الطريق الالتفافي ليس جديداً، حيث كان القسم الأول من البطحاء إلى منداس ثم إلى تيهرت جزءاً من الطريق الرئيسي، الذي تمت الإشارة إليه، كأضعف تقدير، من قبل البكري خلال القرن الخامس للهجرة (11م)[3].

أمَّا بالنسبة للمفصل الذي يمتد من تيهرت إلى قلعة بني سلامة، فهو يُعتبر مقدمة لمشروع التوجه نحو الصحراء، بما في ذلك تحقيق الوصول إلى سجلماسة. كما أنَّ استخدام هذا المسلك بهذه الطريقة لا يكون سوى لأمر استثنائي، والمعلوم أنَّ ظروف ابن خلدون في تلك الفترة كانت صعبة ومعقدة مع السلطة

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص198.

[2] ابن خلدون، الرحلة، ص265.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص830. واستخدم أيضاً السلطان الزياني، أبو ثابت، هذا الطريق في ربيع سنة 751هـ (1351م) للوصول إلى جنوب الونشريس بعد انتهائه من حصار مغراوة (ابن خلدون، العبر، ج7، ص158). كما يُشير يحي بن خلدون إلى أنَّ الفترة الأولى من سنة 772هـ (1371م)، شهدت مغادرة السلطان أبو حمو الزياني من تلمسان، عندما احتلها السلطان عبد العزيز المريني، حيث سار نحو الشرق ثم اتجه جنوباً عبر منداس، وصولاً إلى سهل سرسو. أنظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص35.

الزيانية، وأن قراره برفض التوجه إلى بسكرة واتخاذ الاتجاه الجنوبي كان على الطريق نفسه، مما اضطره إلى اتخاذ هذا المسلك للوصول إلى قلعة بني سلامة.

طريق: تيهرت – الساحل

الطريق في هذا الاتجاه يكون نحو واجهتين رئيسيتين للبحر. الأول من تيهرت يمتد إلى مرسى فروخ الواقعة شرق مدينة مستغانم[1]، وقد كان مستخدماً بشكل واسع في العصر الرستمي، على اعتباره وفقاً للروايات، جزءًا من أعمال حاضرة تيهرت وبوابتها الوحيدة نحو الفضاء المتوسطي[2]. في المقابل، نجد أن هناك غموضاً حول المجالات التي يمر بها هذا الطريق، وحجم استخدامه في تلك الفترة.

أما الساحل الثاني فهو تنس، وعلى الرغم من أنه أبعد من الساحل الأول من حيث المسافة، إلا أن طريقه يُعتبر أكثر وضوحًا وتفصيلاً في النصوص التاريخية.

توفر معلومات اليعقوبي، التي استمدها من مخبره حفيد الإمام عبد الرحمان بن رستم، لمحة إلى مشهد من سجلات الطبوغرافيا التاريخية التي كان يلاحظها المسافرون على هذا المحور، وذلك في إشارته إلى أنَّ معظم مسار الطريق يتمتع بتضاريس متسقة، تخلله بعض السباخ، ويتقاطع معها وادي الشلف، كما يُعتبر الوصول إلى البحر أمراً صعباً إلا من خلال المرور عبر ثلاث محطات رئيسية، وهي من الجنوب إلى الشمال: تيهرت، ثم جبل أنقبق، ثم بلد نفزة، وأخيراً البحر[3]. لكنه لم يُحدّد بوضوح الجهة التي يُشير إليها من ساحل البحر، كما نُلاحظ عدم وجود تكرار لهذه الممرات في النصوص اللاحقة. ومع ذلك، نرجح أنَّه كان يقصد الإشارة إلى مرسى فروخ.

ثم في سياق آخر، يُشير اليعقوبي إلى محور القيروان تيهرت تنس تدمير ثم قرطبة، وهو الطريق بالنسبة للمسافر الذي يود تجنب رحلات البحر الطويلة نحو جزيرة الأندلس، غير أنَّه لم يُوضح مراحل المرور عبر

---

[1] الإدريسي، المصدر السابق، ص272.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص193. العزيزي، المصدر السابق، ص48. ثم بعد ذلك، نقل أبو الفداء وصف العزيزي كما جاء من دون تحريف. أنظر: أبو الفداء، المصدر السابق، ص124.

[3] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص197.

القطعة التي نبحث حولها، وهي تيهرت تنس، باستثناء إشارته إلى أن المسافة تحتاج إلى أربعة أيام[1]. وعلى العموم، يُشير ذلك إلى أنَّ هذا المحور كان مستخدما في فترة اليعقوبي، ورُبما بشكل مكثف.

خلال القرن الخامس الهجري (11م)، شهد الطريق البري من القيراون إلى تنس تطوراً أمام المسافرين الراغبين في الوصول إلى الأندلس، خاصة بعدما أصبحت تيهرت مدينة هامشية، حيث تحول التركيز إلى الوصول إلى مدينة الغزة ثم إلى تاجنة وبعد ذلك إلى تنس[2].

أمَّا محلياً، فإنَّ طريق تيهرت تنس لم يختف تماماً بعد هذه الفترة كما قد يُفهم، وإنَّما أصبح على أكثر تقدير يخص هذه الجهة الجنوبية في التنقل نحو الشمال، وقد قدم البكري في كتابه إشارات متعددة حول المحطات التي يمكن اجتيازها في هذا الطريق. وبشكل عام، نجده يذكر من تيهرت، إلى تاغريبت، إلى عين الصبحي أسفل جبل مطماطة، ومن ثم إلى تاجموت عند مضيق مكناسة، ثم إلى الغزة، ومنها إلى تاجنة، وصولاً إلى تنس[3].

إنَّ هذا الطريق الذي تراجع نشاطه التجاري والرحلاتي، أشار أيضاً الإدريسي إلى استمراره في القرن السادس الهجري (12م)، لكنه لم يعلق على أي تطور حاصل معه، في حين اكتفى بتقديم رقم يحدد المسافة التي يُمكن قطعها في أربع مراحل حتى الوصول إلى البحر[4].

طريق: آشير –المدية – جزائر بني مزغنة

يظهر وجود هذا الطرق الذي يربط الداخل بالساحل الموازي خلال الفترة القديمة، ولا سيما في اتجاه مدينة قيصرية[5]. أمَّا في العصر الوسيط المبكر، أصبح جزءاً منه غير ملحوظ، خاصةً قبل تجديد المدن الزيرية

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص192-193.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 733.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص 728. ص 733. ص 737. ص 744.

[4] الإدريسي المصدر السابق، ج1، ص 256.

[5] يمكن الرجوع إلى هذه المقاربة عند كل من: Stéphane Gsell, «Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne », *Mélanges de l'école française de Rome*, 14, (1894), p. 304; le Lieutenant-Colonel Toussaint, «Reconnaissances archéologiques exécutées par les officiers des brigades topographiques d'Algérie et de Tunisie pendant

الثلاثة (آشير، المدية، جزائر بني مزغنة) بعد العقد الثاني من القرن الرابع الهجري (10م). إذ انحصرت إشارة اليعقوبي على وجود استخدام محدد لقطعة الطريق بين مصادف بن جرتييل ومتيجة[1].

ثم مع تطور المدن الزيرية في القرن الخامس الهجري (11م)، شهد الطريق تطوراً وازدحاماً، وأصبحت المدن الثلاثة على ارتباط مع بعضها البعض، حيث ينطلق الطريق من آشير إلى المدية، ثم إلى قزرونة (متيجة)، ثم إلى أغزر (بوفاريك)، وصولًا إلى المدينة الساحلية جزائر بني مزغنة[2].

3-3 المعطيات الرقمية لمختلف مسافات الرحلة بين المواقع

المحطات		المسافة	النص
تيهرت/ الجبل	تيهرت/ تاقدمت	مرحلة	ـ العزيزي، ص48.
		خمسة أميال	ـ الوطواط[3]. ـ ابن عذاري المراكشي، ج1، ص50.
		مرحلة	ـ القلقشندي، ج5، ص111.
تيهرت	الغزة	3 مراحل يومين	ـ البكري، ج2، ص830. ـ البكري ج2، ص737.
تيهرت	تامغيلت	مرحلتان	ـ ابن الصغير، ص73. ـ البكري، ج2، ص830. ـ ابن عذاري المراكشي، ج1، ص211.
تيهرت	نداي	مرحلتان	ـ الإدريسي، ج1، ص254.
آشير	تامغيلت	ثلاثون ميل	ـ البكري، ج2، ص732.

---

la campagne de 1905-1906», *Bulletin archéologique du Comité des travaux historiques et scientifiques*, Paris, Imprimerie Nationale, 1907, p. 304; Pierre Salama, *op. cit.*, p. 125; Jean-Pierre Laporte, *op. cit.,* p. 232.

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191- 192.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص732.

[3] Bakhta Moukraenta Abed, *L'image de l'Algérie antique au travers des sources arabes du moyen âge*, op.cit., vol 1, P. 464.

تيهرت	آشير	4 مراحل	_ العزيزي، ص48.
آشير	المسيلة	مرحلة	_ الحميري، ص60.
رطل مازوغة _ماورغة	آشير	مرحلتان	_ الإدريسي ج1، ص254.
ريغة	رطل مازوغة _ماورغة	مرحلة	_ الإدريسي ج1، ص254.
مصادف بن جرتيل	متيجة	3 أيام	_ اليعقوبي، ص192.
مصادف بن جرتيل	هاز	مرحلة	_ اليعقوبي، ص192.
تيهرت	تنس	4 أيام	_ اليعقوبي، ص192.
		5 مراحل	_ البكري، ج2، ص728. _ الحموي، ج2، ص48.
		4 مراحل	_ الإدريسي ج1 ص 256.
تيهرت	مليانة	3 مراحل	_ الإدريسي ج1 ص 257.
تيهرت	إفريقية	مسيرة شهر على الإبل	_ ابن خرداذبه، ص51. _ ابن طاهر المقديسي[1]، ج4، ص73. _ ابن الفقيه[2]، ص 132.
تيهرت	سطيف	20 مرحلة	_ الإصطخري ص 37. _ المقديسي، أحسن التقاسيم، ص197.
تيهرت	تلمسان	25 يوم	_ ابن خرداذبه، ص51 _ ابن الفقيه، ص133.
		9 مراحل	_ ابن حوقل، ص88. _ البكري، ج2، ص732.
		5 مراحل	_ الإدريسي، ج1، ص255-256.
تيهرت	طنجة	24 ليلة	_ ابن خرداذبه، ص51.
تيهرت	فاس	50 مرحلة	_ الإصطخري، ص37.

1 المطهر بن الطاهر المقدسي، البدء والتاريخ، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 3013م، ج4، ص73.

2 ابن الفقيه، كتاب البلدان، تح يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م، ص132.

			ـ المقديسي، أحسن التقاسيم، ص197.
تيهرت	نكور	20 مرحلة	ـ الإصطخري، ص37.
		30 مرحلة	ـ المقديسي أحسن التقاسيم، 1906م، ص247.[1]
تيهرت	سجلماسة	45 مرحلة	ـ المقديسي، أحسن التقاسيم، ص198.
		50 مرحلة	ـ الإصطخري، ص37
تيهرت	قسطيلية	15 يوم	ـ المقديسي، أحسن التقاسيم، ص197.
المدية	تلمسان	200 ميل	ـ الوزان، ج2، ص41.
المدية	الساحل	80 ميل	ـ الوزان، ج2، ص41.

[1] نجد أن تحديد اليعقوبي لعدد المراحل بين تيهرت ونكور تم الإشارة إليه في النص القديم الذي تم إصداره من قبل مطبعة بريل في سنة 1906م، ص247. في المقابل، لم يُذكر هذا العدد في التحقيق الذي قام به المحقق محمد أمين الضناوي. أنظر: اليعقوبي، المصدر السابق، 2002م، ص198.

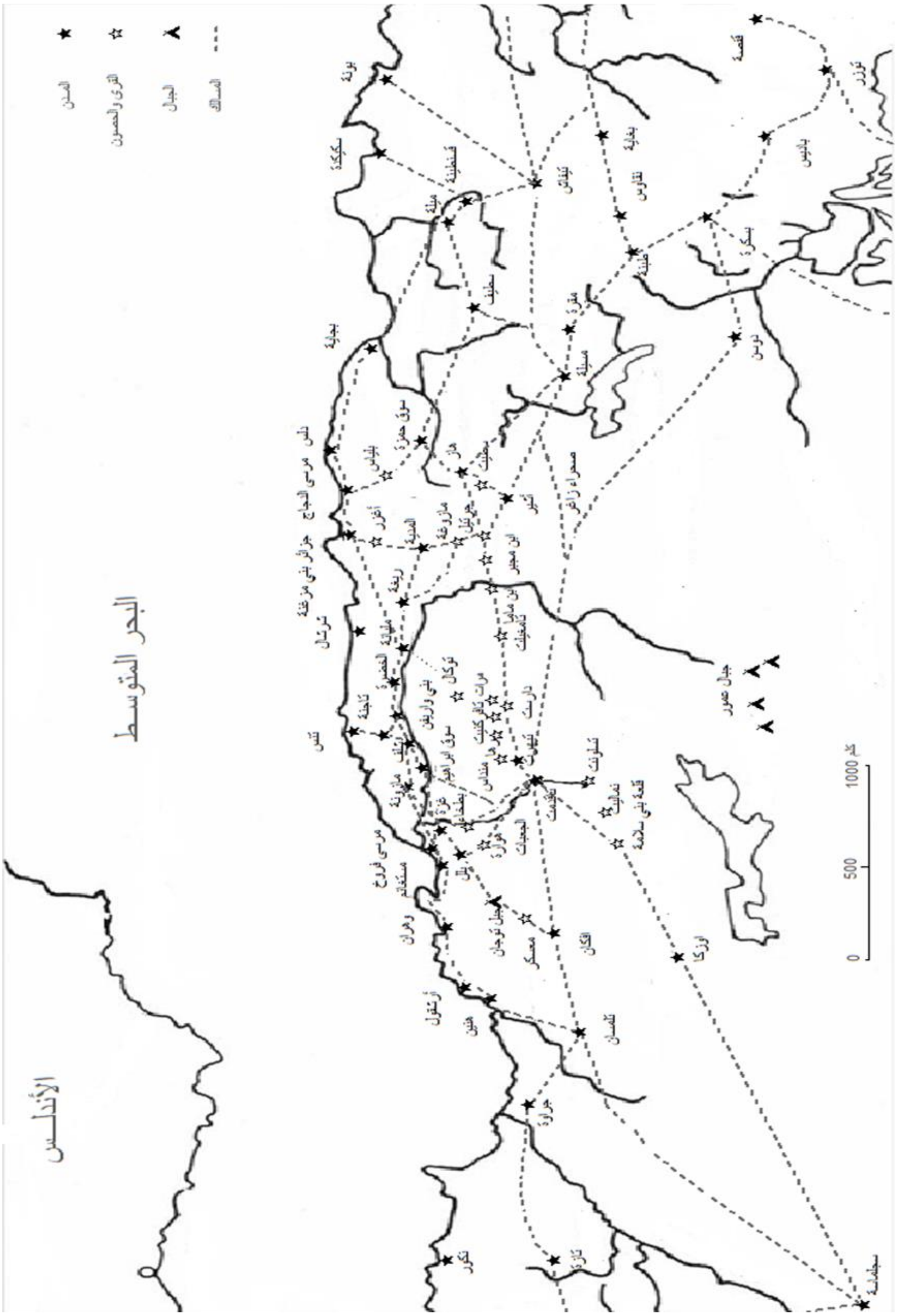

خريطة توزيع الحصون والقرى وشبكة مسالك الرحلات في مجالات بني توجين.

الفَصْل السَادس:

هُدوء وتَطوّر حَركة القَبائِل دَاخل المَجَال

يظهر بوضوح أنَّ مجال الدراسة يشمل نوعين من أبرز وأهم الجماعات المحلية (البربرية[1]) في المغرب الأوسط، وهُما جماعات زناتة المتوزعة في الجهة الغربية، وتلكاتة صنهاجة التي تستحوذ على الجهة الشرقية. ويُعتبر وادي الشلف _عندما يصل جبال الأطلس التلي_ بمثابة الحد الفاصل بين هاتين الجماعتين، وهذا على الأقل منذ نهاية الفترة القديمة، وحتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري (13م) حيث شهد المجال عدة تغييرات أحدثتها الهجرة الهلالية. وبالتالي، على هذا الأساس من التقسيم الذي يغلب عليه نوع الهيمنة أو الانتماء لجماعات معينة، وليس للحدود السياسية، سنحاول الحفر في التحولات والهجرات السكانية في المجال خلال الفترة الزمنية الطويلة للعصر الإسلامي الوسيط.

1- التوطين في القسم الغربي للمجال: (الونشريس، منداس، سرسو، وتاوغزوت)

1-1 تحولات ما قبل منتصف القرن 7هـ/13م

_ مغراوة: (Magarenses/Macrenses)[2]

تُشير المصادر إلى أنَّ مجالات زناتة في العصر الرستمي كانت تقع في الجوار الغربي لمدينة تيهرت، حيث كان لها دور بارز في دعم الدعوة الإدريسية على حساب المذهب الإباضي، خاصةً عندما توسع الأدارسة في ممتلكاتهم إلى غاية حدود تلمسان[3]. كما استمروا في نفس المجال خلال فترة حكم الخلفاء الفاطميين، وأيضاً في زمن السيطرة الزيرية على المنطقة. وغالبا ما تَرجمت خصوماتهم اللامحدودة مع الفاطميين

---

[1] فيما يتعلق بالجماعات المحلية بين العصر القديم المتأخر وبداية العصر الوسيط، يُنظر إلى دراسة الباحث التونسي المميز: Ahmed M'Charek, «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité au Moyen Âge. Le cas des Gétules Misiciri Dansle Livre des Exemples d'Ibn Khaldûn» Les sociétés tribales en Afrique du Nord IX e Journée d'études nord-africaines, *Académie des inscriptions et belles-lettres SEMP*, 2020, p. 131-155; id., «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité à nos jours :le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta), *op.cit.,* p. 445-477.
أنظر أيضاً: Soléna Cheny, «Qu'est-ce qu'être berbère lors de la conquête arabe?», in Être berbère au Moyen-âge, *Centre de Recherche berbère/LACNAD*, 24.05.2012.

[2] بخصوص التطور الإثني والمجالي لهذه الجماعات قبل وبعد الإسلام أنظر: Ahmed M'Charek, Continuité de l'ethnonymie… : le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta)*, op., cit,* p. 467-468.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص159-160.

وولاتهم في منطقة تيهرت إثباتاً لحدود مواطنهم القريبة جداً[1]، بما في ذلك وجودهم شرقاً في بلاد الزاب في طبنة والمسيلة[2]، ورُبما حتى في مدينة مقرة (Macri)، وفقاً لما كشف عنه الباحث التونسي أحمد مشارق[3].

وفي الجنوب أيضاً من سهل سرسو، هناك إشارات لتواجد مغراوة على كامل الأراضي الممتدة من جبل كريكرة[4] إلى جبل يعود في الشمال الشرقي، وقد تَبينت ملكيتهم لهذه الجهة في الوقت الذي لجأت إليهم جماعات لواتة، بعد تخليها عن موطنها الرئيسي في غرب وادي مينا نتيجة لمشاركتها في صراع طويل فشلت فيه أمام جزء من سكان الإقليم، وخاصةً أمام حلفاء بني وجديجن. في المقابل، أمام ذلك الزحف الذي من المفترض أن يكون قد حدث قبل سنوات قليلة من منتصف القرن الرابع الهجري (10م)، عمل المغراويون بقيادة شيخهم المُنتخب حديثاً[5]، على تشريدهم وتنحيتهم إلى آخر حد يمتلكونه في جبل يعود شرقاً[6].

ثم في العصر الموحدي، وتحديداً خلال أوائل القرن السابع الهجري (13م)، حيث كانت جماعات مغراوة تُسيطر على منطقة الشلف، نلاحظ أنَّ زعيمهم، منديل بن عبد الرحمان، قام بتوسيع نفوذهم وتقدم إلى امتلاك الونشريس والمدية، ووصولاً في الخلف إلى غاية بسيط مرات كأقصى تقدير[7]. ومع ذلك، لم تدم هذه التوسعة طويلاً، حيث قامت عساكر بني توجين بطردهم بسرعة، وبالتالي عادوا من جديد إلى منخفضاتهم في الشلف دون أن يحدث رجوع[8].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج2، ص490.

[2] Allaoua Amara, «Les Fatimides et le Maghreb central» *op., cit,* p. 116.

[3] Ahmed M'Charek, «Continuité de l'ethnonymie … le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta) », *op., cit,* p. 467-468.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص154. وقد ورد في هذا النص بالتحديد كتابة الأورونيم على شكل "جبل كركيرة"، ويُعتبر هذا بلا شك خطأً في تهجئة الاسم الصحيح "كريكرة". كما أشار ابن خلدون نفسه في مواضيع أخرى إلى الجبل باستخدام هذا الشكل الثاني من الاسم أنظر: المصدر نفسه، ج7، ص68.

[5] يلقب باسم "علاهم".

[6] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص68. ص154.

[7] المصدر نفسه، ج7، ص87.

[8] ابن خلدون، العبر، ج7، ص207.

ـــ بنو وجديجن:

يشير ابن خلدون إلى أنَّ وطن بني وجديجن كان في الأراضي الرعوية لبلاد منداس، وأن الحد الفاصل بينهم وبين جيرانهم الجنوبيين من جماعات لواتة كان وادي مينا ومدينة تيهرت الواقعة على ضفته[1]، مما يعني ذلك أنَّهم اختاروا الاستناد إلى الواجهة الغربية لسلسلة الونشريس.

مبدئيا، يبقى من الصعب معرفة بداية توطنهم في هذا الجانب الغربي، ومع ذلك بالنظر إلى مجالهم القريب من حاضرة تيهرت، قد يتأكد ولو مبدئيا أنَّ هذا البطن هو الممثل الرئيسي لحوادث جماعات زناتة التي استقرت في ضواحي المدينة، وحتى في داخلها[2]، وليس من المدهش إذا اكتشفنا أنَّها كانت رفقة بني يفرن من أكبر البطون التي حملت تنظيم أفكار الواصلية هُنا قرب تيهرت. وما يعزز ذلك من المصادر، هو إشارة ابن الصغير إلى أن زناتة كانت بجوار المدينة في فترة حكم الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب، وتحديداً في المجال الملامس لجماعات لواتة[3]، وهي نفس الوضعية الحدودية التي ظهر بها بني وجديجن في الأوقات اللاحقة، ثم إنَّ التوزيع المجالي الذي تداولته النصوص حول الجماعات المنتشرة بالقرب من مدينة تيهرت الرستمية، نجدها تُشير إلى أنَّ جهة زناتة توجد في الناحية الشمالية للمدينة[4]، مما يعني مرة أخرى تطابقهم مع مجال بني وجديجن في بلاد منداس. وأخيراً، تجدُر الإشارة في هذا السياق إلى المشُكل الموجود في أغلب المصادر نتيجة عدم تحديد نسب زناتة تيهرت بكيفيات محددة ودقيقة، على الأقل حتى قبل الفترة الزيرية بمدة قصيرة. وهو الأمر الذي يطرح وحده أكثر من علامة استفهام؟ مع أنَّه لا يوجد أي دليل يُشير إلى وجود اختلاط أو اندماج للبطون مع بعضها البعض حتى نقول إنه وجب عليهم العودة إلى أصلهم "العميق" زناتة، أو على الأقل مرة أُخرى هذا لم يحدث في ضاحية تيهرت حسب عِلمي. ومن الأمثلة البسيطة التي يمكن تقديمها، هي أنَّ

1 المصدر نفسه، ج6، ص154.

2 يظهر على سبيل المثال، أنَّ عناصر من جماعات زناتة خرجوا من المدينة مع أبي حاتم لتأمين قافلة تجارية قادمة من الشرق. أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص91.

3 المصدر نفسه، ص54.

4 البكري، المصدر السابق، ج2، ص734؛ الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8؛ ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج1، ص50؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، 158-159. تجُدر الإشارة هُنا إلى أن نص الحموي، أو ربما الناسخ له، وقع في إشكالية في التمييز بين جوفيها وجنوبيها من المدينة، فأثبت هذه الكتابة الأخيرة وهو أمر يتطلب تصحيحه.

النصوص التي أرخت لحملة ابن خزر على مدينة تيهرت في سنة 314هـ (926م)، أشارت إلى أنّه تلقى الدعم من جنود زناتة المقيمين على حواف المدينة، وبالتالي يُفهم أنهم كانوا بني وجديجن وليسوا غيرهم[1].

أول مرة يتم فيها الحديث عن بني وجديجن مستقلين بهذا الشكل عن باقي بطون زناتة كان في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (10م)، وتحديداً في فترة العقد الرابع، عندما وقع النزاع الشهير بين جماعتي بني وجديجن ولواتة. والحصيلة أنَّ هذا الصراع الذي استمر لفترة طويلة بمساعدة حلفائهم من القبائل المجاورة[2]، قاد إلى نجاحهم في توسيع نطاق سيطرتهم على حساب سهل سرسو. وهذا طبعاً، بعد أن نجحوا في استبعاد لواتة منه[3].

وفقاً لرواية ابن خلدون، فإنَّ الفترة التي أقامها بني وجديجن في هذا الفضاء المشتمل على تلول منداس وسهل سرسو لم تكن طويلة، حيث أشار إلى أنَّ ملكية هذا المجال انتقلت سريعاً إلى صالح جماعات بني يلومي وبني ومانو الزناتيتين[4]. والأمر المؤسف هو عدم ذكر المصادر التاريخية للسبب وراء هذا التحول العقاري. ومع ذلك، يُمكن فهم هذا التغيير مرتبطاً بقضية إقليمية أخذت لوحدها صدى تاريخي كبير، وهي تتعلق بتصفية الأمير الصنهاجي، بلكين بن زيري، لقبائل زناتة المتسببة في مقتل والده الأمير زيري بن مناد في سنة 360هـ (971م)[5]. وأشار نفس المؤلف (ابن خلدون)، إلى أنَّ قبيلتي يلومي وومانو وجدتا المجال تقريبًا شاغراً عند نزولهم فيه[6]، وأيضا ما يمكنه أن يعزز أفضلية هذا الرأي، هو أنَّ بقية المعلومات المتاحة لا تُشير إلى وجود أي مقاومة من قبل بني وجديجن أثناء هذا التحول.

---

1 الداعي إدريس، المصدر السابق، ص214؛ ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج1، ص203-204.

2 بشكل خاص، هما جماعات مطماطة التي كانت توجد على اليمين، وجماعات بني يفرن، الذين كانوا مقيمين في ذلك الوقت بقيادة شيخهم يعلى بن محمد في مدينة إيفكان غرباً. أما بالنسبة للنزاع، فقد ورد في رواية ابن خلدون أنه نشأ بسبب امرأة من وجديجن قد تزوجت في لواتة، وتمت إهانتها وأهلها، مما أثار غضب زعماء عشيرتها ودفعهم للانتقام: أنظر العبر، ج6، ص154.

3 نفسه، نفس الصفحة.

4 نفسه، ج6، ص 68. ج7، ص205-206.

5 ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص228؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص95-96؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص74.

6 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص68. ج7، ص205-206.

_ مندِاسة:

وفقاً لما تكشف لنا عنه طوبونيميا الفترة الوسيطة، والتي ما زالت مستمرة حتى الوقت الحالي، فإن منطقة منداس تُعتبر الموطن المبكر لجماعات "منداسة"، أو بالأحرى، كانوا هم شاغلوها الأوائل. أما فيما يتعلق بالفترة التي تُبرهن عن وجودهم الفعلي في المنطقة، فإن بعض الروايات المتأخرة تُشير إلى أنّ موقع إقامة المدينة تيهرت/تاقدمت في الفترة قبل تعميرها كان يخضع لملكية هذه الجماعات، بمشاركة صنهاجة[1] (رغم أنه يوجد ما يُشير إلى أنَّ منداسة تنتمي أصلاً لجماعات صنهاجة[2])، وقد فاوضهم عبد الرحمان بن رستم للتخلي عن هذه القطعة بمقابل مادي يتم دفعه إليهم عن طريق السوق[3]. وبالتالي، يُمكن القول بأنَّ منطقة بناء مدينة تيهرت كانت تخضع لسيطرة جماعات منداسة، وامتد نطاق مجالهم من هناك إلى التلال المعروفة باسمهم حتى الوقت الحالي.

أمّا فيما يتعلق بما حدث لجماعات منداسة في وقت لاحق، فابن خلدون يذكر أنَّه تلقى معلومات مهمة حول مطماطة تشير إلى أنّ شيخهم ارهاص بن عصفراصن قام بطرد جماعات منداس من وطنهم واستبدلهم بسكان من عشيرته[4]. وعلى الأرجح أنَّ هذه الحادثة وقعت في فترة متقدمة من العصر الرستمي، نظراً لأنّ أخبارهم انقطعت بسرعة في المنطقة.

_ مطماطة:

إنَّ تحول هذه القبيلة في حركة نقلية كان بشكل خاص نحو بلاد منداس بعد أن استولت على مواطن المنداسيين وأزاحتهم عنه[5]، هذه الرواية لابن خلدون، وغم تأخرها، تُعتبر ذات أهمية كبيرة؛ حيث استدل بها

---

[1] الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص44.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 120. راجع أنظر أيضاً: Ahmed M'Charek, « SANHAJA (Sanhadja, Senhaja et autres graphies) », *encyclopédie berbère,* 42 (2018), p. 7213.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص736. في حين، نجد تصحيف لدى نص البكري في كتابتها باسم "مراسة"، عكس الدرجيني الذي نقل الاسم بشكل صحيح: الدرجيني، المصدر نفسه، ج1، ص44.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص162.

[5] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

من مصدر متقدم يعود إلى نسابتهم سابق بن سليمان بن حراث المطماطي، ويُعتبر كتابه هذا قطعة تاريخية ضائعة بالنسبة لنا اليوم[1].

وفيما يتعلق بهذه الجماعات دائماً واستراتيجية الإمام أفلح في الحفاظ على منصبه كإمام للرستميين، يُشير ابن الصغير إلى أنَّه فرق بين القبائل التي يمكنها تشكيل اتحادات معارضة، خاصة تلك المتواجدة بالقرب من بعضها البعض، ومن بين هذه الجماعات، قام بالتفريق بين لواتة ومطماطة[2]. وبالتالي، إذا كانت الرواية تُشير إلى أن حدودهم كانت مشتركة مع لواتة، فإنها تُظهر أيضاً مرحلة مبكرة لتواجدهم في تلك الجهة.

قبل نحو سنتين من نهاية القرن الثالث الهجري (910م)، نلاحظ أن مطماطة بقيت مستقرة بالقرب من تيهرت، وقد خضعت كسائر القبائل المنتشرة في هذا المجال إلى عملية إخضاع عسكري فاطمي في الوقت الذي تم فيه تعيين أبي حميد دواس بن صولات اللهيصي عاملاً فاطمياً على تيهرت، وانتهى مصيرهم بقبول السيطرة السياسية التي أُجبروا عليها[3].

بالنسبة للاستمرارية في تواجد جماعات مطماطة في المنطقة، فإنَّ خسارة محمد بن خزر في السيطرة على مدينة تيهرت في سنة 314هـ (926م) وانسحابه إلى واحات الصحراء، جعله يخلف، وفقاً لرواية ابن عذاري، مجموعة من العساكر تحت وصاية شقيقه عبد الله في منطقة الوادي المعروف باسم "مطماطة". وليس الهيدرونيم وحده يشير إلى تواجدهم في المنطقة، بل يُشير ابن عذاري أيضاً إلى مشاركة جماعات مطماطة مع الأمويين في معارضتهم للفاطميين، وتخليهم عنهم لصالح الالتفاف حول بني خزر المغراويين[4].

---

[1] يَعترف ابن خلدون بأنَّ النسابة سابق بن سليمان بن حراث المطماطي، كان مصدراً له من الدرجة الأولى في فهم سُلالات البربر، وفي تصنيف السكان المحليين إلى برانس وبتر. ومع ذلك، نلاحظ عدم إشارته إلى عنوان هذا الكتاب الذي كان خاصا به. أنظر: العبر، ج6، ص 124. 158. 162. 163. ج7، ص7.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص54.

[3] ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

[4] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص203-204.

وفي السنة الموالية، أي في عام 315هـ (927م)، خرج أبو القاسم بن الخليفة المهدي الفاطمي بجيوشه إلى عمالة تيهرت لاستعادة السيطرة الفاطمية على المنطقة وإعادة دمجها مع ممتلكاتهم، وقد ورد أنَّ من بين الجماعات التي تعرضت لهذه الحملة كانت مطماطة، ولكن لم يُذكر ما إذا تمت إزاحتهم أم لا[1].

من جهته، أشار المقديسي في قائمة الثغور التابعة لكورة تيهرت إلى وجود سهم مطماطة[2]، وهي من الألقاب الموقعية (الإثنونيم) التي تُبين توطينهم في هذه الجهة. ومع ذلك، لم يقدم تحديداً دقيقاً لموقعهم بالضبط.

وإلى جانب المعلومات السابقة، يُشير البكري إلى أنَّ جماعات مطماطة استقرت في الجهة الشمالية من مدينة تيهرت بالاشتراك مع فرع من زناتة[3]، وهم بالتأكيد بني وجديجن. كما يقدم المؤلف أيضاً تفاصيل مهمة توضح انتشارهم، أو على الأَقل فئة من سكانهم، على الطريق الرابط بين مدينتي تيهرت والغزة، وتحديداً في الجبل الذي يحمل اسمهم، بمعنى (الأورونيم) جبل مطماطة[4]، وهو تقريبا نفس مجالهم الذي لم يتغير منذ قدومهم حتى عصر البكري.

في العقد الخامس من القرن الرابع الهجري (10م)، يَّظهر تحالف جماعات مطماطة بقيادة شيخهم، غزانة المطماطي، مع بني وجديجن لمحاربة لواتة الذين كانوا مستقرين في سهل سرسو[5]. ويُشير ابن خلدون إلى أنَّ بني وجديجن ومطماطة قد غلبوا على لواتة في مواطنهم[6]، مما يعني أنهم قاموا بالتوسع على حساب سهل سرسو. ولكن لا يبدو بنفس الحجم الذي حققه بنو وجديجن، على اعتبار أنهم كانوا المعنيين الرئيسين بالحرب.

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص70؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص225.

[2] المقديسي، المصدر السابق، ص180.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734. يظهر أنَّ المؤلف الحموي قد نقل نفس المعلومات التي ذكرها البكري في تحديد جهات استقرار قبائل تيهرت، لكنه أخطأ في تحديد مواقع جماعات مطماطة وزناتة ومكناسة في جنوب مدينة تيهرت/تاقدمت، بدلاً من جوفها، وذلك ربما بسبب التشابه في النطق بين الكلمتين "جوفيها" و"جنوبيها". (أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8) وعلى الجانب الآخر، لم يواجه كل من ابن عذاري وابن خلدون أي ارتباك في النقل الحرفي عن كتاب البكري. أنظر: ابن عذاري، المصدر، ج1، ص50؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

[4] البكري، المصدر نفسه، ج2، ص733.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص154.

[6] المصدر نفسه، ج7، ص205-206.

في المقابل، أنَّ خسارتهم جميعاً لسهل سرسو لصالح الوافدين الجدد من بني يلومي وبني ومانو كانت في نفس الفترة، تقريبا مع نهاية القرن الرابع الهجري (10م).

وعلى العكس تماما في منطقة منداس، حيث يُعتبر الموطن الأول لمجيئهم، بقيت مطماطة موجودة مع احتمال سيطرة زناتة بني ومانو عليها. وبالتالي، دخلت تحت سيادة صنهاجة الممثلة بالحماديين، مما أكسبهم وفقاً للمعلومات التي نقلها ابن خلدون، مكانة وعزما بمواطنهم. كما يشير ابن خلدون إلى مشاركة مطماطة انطلاقا من موقعها في منداس، في النزاع الذي نشب في بداية القرن الخامس الهجري (11م) بين حماد بن بلكين وابن أخيه باديس المنصور، حيث لعبوا دوراً بارزاً في تلك الأحداث[1].

عموماً، استمر توطين هذه الجماعات حتى سنوات قليلة قبل منتصف القرن السابع الهجري (13م). وحدثت حركتها التي تغيرت في المجال في الوقت الذي وصل فيه بنو توجين بزعامة شيخهم عبد القوي المنكوشي إلى منداس، أين أجبروهم على الانتقال شرقاً إلى جبل الونشريس كقبيلة مغلوبة على أمرها. واستمرت إقامتهم في تلك المنطقة إلى غاية عصر ابن خلدون[2]، وحتى اليوم ما زالت عناصرهم تقيم في هذه الجهة[3].

_ **مكناسة**: (Makanitae)[4]

تظل أخبار مكناسة غامضة وغير معروفة في المرحلة السابقة والمرحلة المبكرة للعصر الرُستمي، مما يُثير التساؤل حول وجودها الفعلي خلال هذه الفترة التاريخية. وفي المقابل، تظهر هذه الجماعات في نهاية العصر الرستمي وبداية العصر الفاطمي في المجال، حيث كان وجودها بالقرب من مدينة تيهرت في سنة 298هـ

---

1 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص162.

2 المصدر نفسه، نفس الصفحة.

3 في منطقة الملعب حاليًا.

4 يُشير الباحث فريد بن رمضان في مقالة له إلى أنَّ "مكناسة" هو امتداد للإثنونيم الليبو-بربري، وقد ورد باسم Makanitae/Macennites في نصوص لاتينية قديمة أنظر: Farid Benramdane, «Toponymie, contact des langues et établissements humains dans la région de Tiaret: une approche diachronique», *Trames de langues: Usages et métissages linguistiques dans l'histoire du Maghreb*, Tunis-Paris, IRMC, Maisonneuve & Larose, 2004, p. 375.

(911م)، أين تعرضوا، جنباً إلى جنب مع باقي الجماعات المجاورة، لهجمات عروبة بن يوسف الكتامي، وانتهت تلك الهجمات، وفقاً لابن خلدون، بتطويعهم سياسيا وحتى مذهبياً[1].

من جهة أخرى، يمكن للأنساب القبلية أنّ تُبرهن عن وجود المكناسيين بالقرب من حاضرة تيهرت. وعلى سبيل المثال، في سنة 299هـ (912م)، استفاد الخليفة المهدي من بعض عناصرهم لتسيير المنطقة، حيث عيّن مصالة بن حبوس المكناسي عاملاً على القيام بأشغال مدينة تيهرت وناحيتها[2]. كما تُشير الروايات أيضاً إلى نشاط دعوي إسماعيلي قاده منيب بن سليمان المكناسي في حوض الشلف، وتحديداً في أعالي منطقة الونشريس في سنة 309هـ (926م)[3].

عموما يُشير البكري حول مجالات مكناسة إلى تواجدهم في الجهة الشمالية لمدينة تيهرت بجوار كل من جماعات زناتة ومطماطة[4]، مما يُظهر ذلك وجودهم في فترة تبدأ على الأقل من مطلع القرن الرابع الهجري (10م)[5]. كما أوضح البكري بأنَّ سكان مدينة الغُزة هم من جماعات مكناسة[6]، وغير بعيد عنها نحو الغرب في الطريق إلى تيهرت وقبل الوصول إلى موضع تاجموت يصطدم المسافر بمضيق تضاريسي يحمل أورونيم "مكناسة"، وهو ما يُقدم علامة إضافية ومهمة حول نقطة توطين هذه الجماعات[7].

---

[1] ابن خلدون، العبر ج6، ص160. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى وجود دراسة حديثة للباحثين أحمد بوشامة وطاهر بن علي، تم من خلالها التطرق إلى الريف المحاذي لمدينة تيهرت أنظر: "تطورات الحركة المذهبية للمجالات الريفية فيما بين جبال الونشريس ووادي مينة (7-2هـ/8-13م)"، المعيار، 52، (2020م)، ص132-150.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص191.

[3] Allaoua Amara, Les Fatimides et le Maghreb central, *art. cité*, p. 117. خالد حسين محمود، "جريمة اغتصاب النساء في بلاد المغرب (443-122هـ/740-1052م)"، *مجلة حوليات إسلامية*، 49، (2015)، ص173.

[4] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734؛ ومن بين النُقول الأخرى نجد: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8. ابن عذاري، المصدر نفسه، ج1، ص50؛ (لكن ابن عذاري لم يتطرق إلى ذكر مكناسة بين الجماعات التي تم الإشارة إليها). ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص158؛ الحِميري، ص126.

[5] بالنظر إلى أن البكري قام بنقل معطيات محمد بن يوسف الوراق التي تعود إلى فترة نشاطه العلمي بين السنتين 318و359 للهجرة.

[6] البكري، المصدر نفسه، ج2، ص830.

[7] المصدر نفسه، ج2، ص733.

في منتصف القرن السابع الهجري (13م)، تكشف الأخبار المتعلقة بالولي الصالح أبا البيان واضح المكناسي عن استمرار نشاط هذه الجماعات في المنطقة، وتحديداً في المنطقة المحيطة بجبل وافرشان/آفرشان[1]، وأيضاً في منطقة آزرو التي تحمل للإثنونيم (مكناسة)[2]. لكن ما يميزها في هذه الفترة هو تعزيز سيطرتها على هذا المكان، حيث يُشير ابن خلدون إلى أنَّ الأمير الزياني يغمراسن، عندما تولى الحكم في تلمسان، سعى جاهداً لتوحيد والسيطرة على جميع مناطق المغرب الأوسط، وألَّح في هذا الخصوص على مُزاحمة بني توجين وبني منديل المغراويين، بمكناسة الذين كانوا جيراناً لهم، مع أنَّ جماعات زناتة بنو بادين كانت في ذلك الوقت من بين أقوى الجماعات في الجهة الشرقية للمغرب الأوسط. وبالتالي، هذا يُشير إلى أنَّ مكناسة كان لديهم حضوراً ديمغرافياً قوياً يسمح لهم بتحمل هذه المسؤولية. كما تجدر الإشارة إلى أن بقايا من مكناسة لا تزال حاضرة حتى يومنا هذا في الونشريس، خاصة في الجزء الغربي منه[3].

ـ زواغة:

لقد كانت جماعات زواغة حاضرة بقوة في منطقة تيهرت، خاصةً خلال الفترة الرستمية. ومن المعلومات التي تشير إلى ذلك، نجد في أُولى المصادر الزيدية أنّ الرازي صاحب كتاب "أخبار فخ" الذي كان حياً في بداية القرن الرابع الهجري (10م)، ذكر في كتابه أنَّ إدريس (صاحب دولة الأدارسة)، عندما اضطر للإقامة في جبل نفوسة في بداية العقد الثامن من القرن الثاني للهجرة (08م)، قام بإرسال رسالة إلى جماعات البربر المتواجدين في تيهرت والشلف، يدعوهم من خلالها إلى الخروج عن طاعة الإمام عبد الواهب الرستمي، وكانت تلك الرسالة، وفقاً للرازي الذي قام بنقلها حرفياً، موجهة أيضًا إلى جماعات زواغة في المنطقة[4].

---

[1] في منطقة "الواضحة" حالياً.

[2] المازوني، مناقب صلحاء شلف، ص107. ص112. يُلاحظ أيضاً في النص بعض الوقائع التي تتعلق بالجماعات المذكورة في السياق، ومنها ما هو ممزوج بالأساطير المفبركة. أنظر: ص 157. ص402-403.

[3] نُشير إلى وجود دراسة حديثة حول تاريخ جماعات مكناسة في هذا المجال Noureddine Benamara, *Les Meknassas de l'Ouarsenis*, Alger, Casbah Editions, 2013. ولكن يجب التعامل معها بحذر نظراً لأن الكاتب نور الدين بن عمارة، هو دكتور وباحث في العلوم القانونية، وليس مختص في الدراسات الأكاديمية التاريخية.

[4] أحمد بن سهل الرازي، أخبار فخ وخبر يحي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، تح عبد الرقيب مطهر حجر، اليمن، منشورات أهل البيت للدراسات الإسلامية، 2000م، ص56.

ونفس الأمر بالنسبة للمعلومات التي يوردها ابن الصغير في سياق سرده للأحداث السياسية التي وقعت في فترة حكم الإمام أبي حاتم، حيث أشار إلى أنَّ عمه يعقوب بن أفلح انسحب من المدينة وانتقل إلى الريف حيث جماعات زواغة[1]. وفي السياق نفسه، أشار إلى استمرار علاقته الطيبة مع هذه الجماعات بعد أن أصبح إماماً للمدينة، وأيضاً عندما تمت تنحيته من هذا المنصب[2]، مما يُشير في جميع الأحوال إلى أنَّ جماعات زواغة كانت متواجدة في ضواحي المدينة.

أمّا عن تحديد مجالات انتشار هذه الجماعات، فيظهر وجودها في المنطقة الواقعة في الجهة الغربية للمدينة[3]. ولكن على الأرجح أن ذلك كان مرتبطاً بالفترة الرستمية فقط، حيث سنجد اختفاء وجودهم بين الجماعات، أو مجرد انقطاع الأخبار عنهم في هذه الجهة خلال الفترة الموالية للعصر الفاطمي.

_ لماية:

في البداية، استقرت جماعات لماية، التي تنتمي لجماعات ضريسة وفقاً لابن خلدون، في جنوب السرسو، وتحديداً في جبل سوفأجج[4]، حيث يظهر أنّ عبد الرحمان بن رستم قرر النزول والاستقرار معهم بعد انسحابه من القيروان في صفر سنة 144هـ (جوان 761م)[5]. وبتوافق الإباضيين الذين اجتمعوا في الجبل على قرار نهائي بتحولهم إلى تعمير مدينة تيهرت في سنة 160هـ (777م)، يبدو أنَّ مجموعة منهم انتقلت في هذه الرحلة إلى جبل كزول، نظراً لانتمائهم إلى أتباع عبد الرحمان بن رستم. ورغم عدم توفر معلومات تثبت مشاركتهم في نفس الرحلة مع ابن رستم، إلا أن هناك اشارات في نصوص متفرقة تُشير إلى وجودهم في تيهرت خلال السنوات اللاحقة.

---

1 ابن الصغير، المصدر السابق، ص96.

2 المصدر نفسه، ص100.

3 البكري، المصدر السابق، ج2، ص734؛ وهو ما نقله أيضاً الحموي، المصدر السابق ج2، ص8؛ وابن عذاري، المصدر السابق ج1، ص50؛ وأكده ابن خلدون، العبر، ج6، ص158.

4 بين مدينة الشلالة شرقاً والسوقر غرباً.

5 ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص147. ص158.

نُلاحظ في رواية قدمها ابن خلدون أنَّ لماية كانت منشرة بجوار مدينة تيهرت في سنة 298هـ (911م)، وقد تأثرت كباقي القبائل الإباضية بالحملة التي قادها ضدهم عروبة بن يوسف الكُتامي[1]. ثم بعد ذلك، تُشير عدد من النصوص المتأخرة إلى حملة أبي القاسم الفاطمي التي شنها على ضواحي تيهرت في الفترة ما بين 315-316هـ (927-928م)، وقد بينت أنَّه نازل على الأقل أكبر عدد من القبائل الموجودة هناك، بما ذلك لماية التي كانت مقيمة بالقرب من مدينة تيهرت الجبلية[2].

في هذا السياق الجغرافي، بقيت لماية تُعمر في نفس الموقع بفضل خضوعها للفاطميين، حيث كانوا على طاعة كاملة للعامل على المدينة، ميسور الخصي. كما لعبت الجماعات دوراً بارزاً ذكرته المصادر في واقعة سنة 338هـ (949م)، التي زحف فيها الأمير يعلى اليفرني مع الخير بن محمد المغراوي إلى مدينة تيهرت، لكنهم هُزموا فيها مع ميسور، وسيطر الزناتيون على المدينة، وفقاً لما أشار إليه ابن خلدون[3].

وأبعد من مجرد قبيلة لم تقبل الاندماج، نرى في القرن الرابع الهجري (10م) أنَّ المقديسي لما أشار للمدن التي تدخل في عمالة تيهرت ذكر لماية[4]، وهي من الألقاب الطبونيمية التي تعكس التوطين في هذه الجهة. ومن شأنه أيضاً أنّ يبرهن عن التأثير القوي الذي جعلهم مميزين عن غيرهم باستعمال هذا الأثنونيم الخاص بهم.

في إشارة هي الوحيدة من نوعها لابن خلدون، يقول إنَّ جماعات لماية هاجرت من جهة تيهرت بمجرد سقوط المدينة على يد بني غانية في العقد الثالث من القرن السابع الهجري (13م)[5]. رُبما قد تكون المعلومة

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

[2] النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص70؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص205. في حين، نجد في التحقيق الذي أجراه جورج كولان وليفي بروفنسال لنص "البيان" في سنة 1983م، أنه تمت الإشارة فقط إلى زحف أبي القاسم الشيعي إلى قبائل البربر في المغرب خلال تلك الفترة. ونفس الأمر بالنسبة لابن خلدون، أثناء تعديده للقبائل التي استهدفتها الحملة، لم يتطرق إلى وجود جماعات لماية بينهم. أنظر: ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص50-51.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص24.

[4] المقديسي، المصدر السابق، ص180.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص158.

صحيحة لأنَّها ليست متأخرة كثيراً، لكن ما يُثير التساؤل من جميع ذلك هو كيف ظَلَ مصيرهم غامضاً خلال الفترة الزيرية والمرابطية وحتى وصولاً إلى بداية الفترة الموحدية في المغرب الأوسط؟

_ **هوارة**: (Avares)[1]

قبل المرحلة الرستمية، ورد في كتاب ابن خلدون أنَّ الهواريين كانت مواطنهم في أرض السرسو مع جماعات لواتة، مجاورين بذلك لماية من الجهة الشمالية[2]، ونُلاحظ أنَّ الأمر هُنا يتعلق بفترة انتقال عبد الرحمان بن رستم من القيروان إلى سوف-أجج في وسط بلاد المغرب، بمعنى حوالي سنة 144هـ (761م).

وعندما أسس عبد الرحمان بن رستم لمدينته تيهرت، أشار ابن الصغير إلى معلومات تلقاها عن بعض المقيمين في الحاضرة، تفيد بأنّ مجالات هوارة في الفترة الأول من العصر الرستمي كانت موجودة بالقرب من مدينة تيهرت. وأشار في هذا السياق أيضاً: "أنَّ لهؤلاء رؤساء مقدمين يُقال لهم الأوس، ويعرفون فيما بعد ببني مسالة[3]". بالإضافة إلى ذلك، لاحظ اليعقوبي في رحلته إلى بلاد المغرب مع أواخر الفترة الرستمية وجود "مملكة رجل من هوارة يقال له ابن مسالة الإباضي، ومدينته التي يسكنها يقال لها الجبل[4]". وبالتالي، فإن هذه المنطقة التي كانت تسكنها جماعات هوارة تتوافق مع منطقة الجبل، أو ما سيعرف في وقت لاحق بالأثنونيم الخاص بها "قلعة هوارة"، حيث اشتهروا فيها لمدة طويلة [5].

قبل ذلك، إذ كانت هذه الإشارات تُفسر وجود تطور في حركة توطين هذه الجماعات في المنطقة، فإنَّ انتقالها، أو البعض من عناصرها فقط، من قرب مدينة تيهرت، وتحديداً من موقع إشارة البكري إليها في

[1] فيما يتعلق بالتقارب الطُبونيمي والمجالي لجماعات هوارة بين العصر القديم والوسيط، وخاصة في المجال الأوراسي، يُمكن الرجوع إلى المقاربة الجغرافية التاريخية للباحث أحمد مشارك: Ahmed M'Charek, «Continuité de l'ethnonymie ... le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta)», *art. cité*, p. 447-463.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص158-159.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص45

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص196.

[5] بخصوص تاريخ هذا الموقع، يراجع على سبيل المثال: محمد بن معمر، المرجع السابق، ص177-197.

جنوب المدينة بجوار لواتة[1]، إلى هذه الجهة الغربية_الشمالية كان بكل تأكيد في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي. والسبب كما ذكره ابن الصغير في رواية "دراماتيكية"، هو خطب زعيم هوارة الملقب بالأوس، لامرأة من جيرانهم لواتة، إلا أن الإمام وبتحريض من حاشيته سارع إلى خطبتها حتى لا يقع أي تحالف بين الجماعتين ضد الحكم الرستمي، وهذا الفعل هو الذي أثار غضب جماعات هوارة بشكل عام وزعيمهم الأوس بشكل خاص، حيث نقل ابن الصغير تعبيره بالحرف الواحد: "عمل علي في جارية خطبتها ورضي إلي بتزويجها فانتزعها مني بسلطانه لا سألت بأرض هو بها وغضبت عشيرته لغضبه، فارتحل نحو المغرب حتى نزل واد هوارة، وبينه وبين المدينة نحو من عشرة أميال أو أكثر، فعمروا من أعلاه إلى موضع إذ ذاك قبائل نفسهم اسم هوارة، وأحسب أنه كان تقدم لهم عشائر من عشائرهم بهذا الموضع وتألف إليهم من نحا نحوهم وهوا هواهم"[2]. بالتالي، يظهر من خلال الرواية أنّ فئة محددة من سكان هوارة كانت موجودة أصلاً في منطقة "وادي هوارة"، قبل الانتقال بأعداد كبيرة. ومن الملاحظ أيضاً عدم انتقالهم بعد للاستقرار في الجبل المشار إليه سابقاً.

ثم بعد ذلك، شهد "وادي هوارة" سلسلة من الحروب بين جماعات هوارة والإمام عبد الوهاب بن رستم، ودون التفصيل فيها، يظهر أنَّهم في النهاية لم ينجحوا في الحفاظ على مواقعهم في هذا الوادي، حيث تم ازاحتهم إلى منطقة "جبل توجان"، الذي بعد ذلك أصبح يُعرف بطوبونيم "جبل هوارة" على مدار الفترة اللاحقة. وفي نفس الوقت، كان هذا الانتقال إلى الجبل هو الخطوة الأولى لهم نحو الصعود إليه[3]. وعلى العموم، فقد ضلوا مستقرين فيه طوال فترة حكم الإمام أفلح، ولم يُسمح لهم بالعودة إلى مواقعهم السابقة بالقرب من الوادي إلا في فترة حكم الإمام الثالث أبي بكر. ومع ذلك، لم يتخلوا عن موقع قاعدتهم في الجبل[4].

عندما وقعت أزمة الإمام أبي بكر في المدينة نتيجة مقتل صهره ابن عرفة، وتبع ذلك هجرة أغلب القبائل نحو حصونها الخارجية، أشار ابن الصغير إلى أنّ الإمام نفسه غادر المدينة للتحضير للحرب المحتملة.

---

[1] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734؛ وهو ما نقله أيضاً: ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص45-46.

[3] المصدر نفسه، ص47.

[4] نفسه، ص63.

وفي هذه الفترة، استغلت هوارة[1] الفراغ الموجود في المدينة ودخلتها وسيطرت عليها بقيادة شيخهم محمد بن مسالة، واستمرت فترتهم فيها لسبع سنوات، حيث انشغل خلالها كل من أبي اليقظان وأبا بكر في حروبهم خارج المدينة[2].

وحتى عندما استعاد الرستميون المدينة، نُلاحظ أنَّ البعض منهم لم يغادرها، وهو أمر تكشف لنا عنه بعض الروايات التاريخية، منها على سبيل المثال مشاركتهم إلى جانب الإمام أبي اليقظان في المناظرة الشهيرة مع المعتزلة بالقرب من وادي مينا[3]. بالإضافة إلى حضور الأنوماستيك المتعلق بهم، ولا سيما الشخصيات المعروفة، فقد ذكر منهم ابن الصغير، الإمام "ابن الصغير الهواري"، الذي عُرف عنه مجالسته للإمام أبي اليقظان[4]، والفقيه "أبي عبيدة الأعرج الهواري"، الذي كان يفضله الإمام أبا اليقضان [5]. كما أشار ابن الصغير أيضاً إلى مناقشته لرجل من وجوه هوارة يُدعى سليمان في أعلى مسجد للرهادنة حول بعض المسائل المتعلقة بالزواج[6].

أما فيما يتعلق بعدد الجماعات أو الاثنيات التي يُشير ابن خلدون إلى تعرضها لهجمات عروبة بن يوسف الكتامي في سنة (298هـ/911م)، بسبب موالاتها للإباضية، فإننا نُلاحظ أنَّه لم يذكر هوارة في ذلك، على الرغم من أنَّه عدد تقريبا كل القبائل التي يظهر تواجدها في تلك الفترة[7]. لكن هذا لا يعني بالضرورة أنّها لم تكن موجودة، بل ربما تحالفت مع الفاطميين، أو على الأقل تظاهرت بذلك في تلك الظروف.

في المقابل، نُلاحظ أنَّ عدة نصوص تُؤرخ للهجمات الفاطمية على محور الزاب ومنطقة تيهرت غير المستقرة، والتي قام بها شخصيا أبو القاسم الفاطمي بين سنتي 315-316هـ (928-927م)، تُوضح أنَّه نازل

---

1 من "سلالة" بني الأوس.

2 ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

3 المصدر نفسه، ص82.

4 نفسه، ص81.

5 نفسه، ص83.

6 نفسه، ص102.

7 ابن خلدون، العبر، ج6، ص160.

على الأَقل بعضاً من الجماعات التي كانت موجودة هناك، بما في ذلك هوارة[1] ـوإن كان الأكثر تعرضاً لتلك الحملات هي جماعات هوارة الموجودة في الأوراس[2]ـ مما يوحي بشكل عام إلى أنهم استمروا في الانتشار بالمنطقة.

بالنسبة للمجال، فقد امتدت بلاد هوارة في عصر البكري إلى مدينة يلل، حيث شكلوا النواة الرئيسية لسكانها[3]. وفي الوقت نفسه، استمروا في السيطرة على الجبل (جبل هوارة)، وبشكل خاص بطن مسراتة. كما يلاحظ أنَّ مكانتهم تطورت أكثر خلال العصر الزياني المبكر، حيث تم الاعتراف بحكمهم، ولو بشكل رمزي، على بلاد توجين في فترة حكم السلطان أبي تاشفين الزياني. ثم بعد ذلك، اعتزوا بمجالهم في الجبل عندما استولى أبو الحسن المريني على المغرب الأوسط في العقد الرابع من القرن الثامن الهجري (14م)، لكن تراجعت مكانتهم سريعاً خلال الصراع مع دولة بني عبد الواد في النصف الثاني من نفس القرن الثامن للهجرة[4].

ـ **لواتة**: (Lavatae)

لقد تواجدت لواتة في سهول تيهرت منذ الفترة المبكرة للعصر الوسيط، حيث تُشير الروايات إلى وقوفهم إلى جانب عبد الرحمان بن رستم بمجرد وصوله إلى هذه الجهة في العقد الخامس من القرن الثاني للهجرة (08م)[5]. وتحديداً كانت مواطنهم في ذلك الوقت في سهل سرسو جنوب منداس[6].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، 2013م، ج1، ص205؛ النويري، المصدر السابق، ج28-29، ص70؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص50-51. في حين، بعض المؤلفات المشرقية اكتفت بالإشارة إلى هذه الحملة، دون التطرق إلى ذكر القبائل التي كانت معنية بها. مثل: ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص36؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص65؛ المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص72.

[2] الداعي إدريس، المصدر السابق، ص217.

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص830.

[4] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص190.

[5] المصدر نفسه، ج6، ص147.

[6] نفسه، ج6، ص158-159.

بعد تأسيس العاصمة الرستمية تيهرت، استمر اللواتيون في الحفاظ على نفس مكانتهم السابقة بجوار المدينة، حيث يظهر ذلك بوضوح في الرواية التي تحدث فيها ابن الصغير عن خطبة الإمام عبد الوهاب لامرأة من جماعات لواتة كما أشرنا إليه سلفاً[1]. بالإضافة إلى تلقيهم رسالة من إدريس الأكبر في نفس الفترة والمنطقة[2].

بعد ذلك، تم ذكر بعض السكان من القبيلة نفسها داخل المدينة، ويبدو من دون شك أنَّ دخولهم أو تضاعف عددهم في الداخل كان في نفس فترة حكم عبد الوهاب نتيجة للمصاهرة بينهم وبين الإمام عبد الوهاب. لكن بمجرد استحواذ هوارة على المدينة في سنوات الفتنة بين الإمام أبي بكر بن أفلح وأبو اليقظان، وجدت الفرصة للانتقام من جماعات لواتة، وبإيعاز من بقية سكان المدينة تم اخراجهم من الحاضرة إلى مواقعهم الريفية، وتحديداً إلى الحصن المعروف بهم (حصن لواتة) في الطرف الغربي_الجنوبي لوادي مينا[3].

بالمقابل، تظهر محاولات من عناصر لواتة لدخول المدينة خلال عهد الإمام أبي حاتم، وذلك في سياق مساعدتهم للإمام في الفتنة التي وقعت له مع بعض سكان المدينة، ولكن حصارهم لباب الجنوب لم تكن له نتيجة[4]. ثم في فترة قصيرة بعد ذلك، ورد أنَّ جماعات من لواتة دخلت المدينة بموافقة الإمام يعقوب[5]، مما يدل على عودتهم بعد سنوات الإقصاء إلى العيش في الحاضرة.

في الضاحية، حيث كانت لواتة متمسكة بمقاطعتها الريفية، يُشير ابن الصغير إلى وجود فرعين رئيسيين من هذه الجماعات التي كان لها تأثير ملموس في المنطقة، وهما مزاتة وسدراتة[6]، وقد كانت مجالاتهم بصفة

---

1 ابن الصغير، المصدر السابق، ص45-46.

2 أحمد بن سهل الرازي، المصدر السابق، ص56.

3 ابن الصغير، المصدر السابق، ص74.

4 المصدر نفسه، ص94.

5 نفسه، ص97.

6 يُشير ابن خلدون إلى أنهما فرع من قبيلة لواتة. أنظر: العبر، ج6، ص153.

عامة تقع في غرب مدينة تيهرت، وربما يميلون أكثر نحو الجنوب. وبفضل تميزهم بالترحال والتنقل، كانوا يتقدمون بشكل أكبر نحو المدينة في بعض المواسم، وخاصةً في فصل الربيع[1].

ومن الملاحظ أيضاً أنَّ عدداً معتبراً من هذه الجماعات كان مستقراً داخل المدينة في عهد الإمام الثاني عبد الوهاب، كما يظهر أنَّ هذه الفصيل بالذات خرجت منها ما يُعرف بفرقة النكارية لاحقاً[2].

بعد ذلك، أشار ابن الصغير إلى أنّ جماعات مزاتة توجهت بكثافة نحو مدينة تيهرت، وهذا في الفترة التي ازداد فيها الصراع بين أبي حاتم ويعقوب، وقد تولى شيخهم في تلك الفترة، أبو يعقوب المزاتي، مسؤولية التوسط وعقد الهدنة بين الطرفين[3].

في بداية العصر الفاطمي، يظهر أنَّ جماعات لواتة استمرت حاضرة في المجال، حيث تعرضت، مثل غيرها من الجماعات الموجودة بالقرب من تيهرت إلى السياسة الضريبية الفاطمية، وذلك في سنة 298هـ (911م)[4]. ومن المحتمل أن تكون قد تعرضت أيضًا لحملة أبي القاسم الفاطمي بين سنتي 315-316هـ (927-928م)[5]، مع أنَّ الإشارة إلى هذا البطن جاءت تأكيداً على ما تلقته مزاتة من مطاردات في جهة سطيف والمسيلة[6]، إلا أن وضعيتهم لم تتغير، حيث اقتصرت هذه الهجمات على التنافس وإخضاع القسم الغربي من جهة تيهرت.

في سنة 336هـ (947م)، وتحديداً في سياق تحالف جماعات لواتة مع حميد بن يصل المكناسي لحصار مدينة تيهرت وتحريرها من الفاطميين، قابل ذلك تعرضهم للطرد من قبل الخليفة المنصور الفاطمي من مناطقهم

---

1 ابن الصغير، المصدر نفسه، ص41.

2 ابن الصغير، المصدر السابق، ص44.

3 المصدر نفسه، ص99.

4 ابن خلدون، العبر ج6، ص160.

5 ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص36؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص65؛ ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص50-51؛ المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص72؛ الداعي إدريس، المصدر السابق، ص 216-226.

6 الداعي إدريس، المصدر نفسه، ص216.

الجنوبية-الغربية لمدينة تيهرت ووادي مينا، وخاصةً في المناطق حيث توجد المباني الجنائزية[1] المعروفة حالياً باسم "لجدار"، إلى منطقة الواحات الجنوبية[2].

في المقابل، يبدو أنَّ تأثيرات هذه الحملة لم تكن قوية بما يكفي لإزاحتهم نهائيًا من المنطقة، أو ربما كانت عودتهم لمجالهم السابق في غرب وجنوب سهل السرسو سريعة، حيث تشير عدة مصادر، أهمها وفي نفس الوقت أقدمها نص البكري في حديثه عن الجماعات المنتشرة بالقرب من مدينة تيهرت/تقادمت، إلى وجود لواتة في ناحينها الجنوبية. ومن الواضح أن هذه المعطيات، التي تم نقلها عن محمد بن يوسف الوراق، لا يمكن أن تتجاوز فترة النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10م)[3].

لم تكن حُدود لواتة مع جيرانها الشماليين دائماً ايجابية، وخاصة مع فرع زناتة الذين هم في الأصل بني وجديجن المستحوذين على سهل منداس، والحال نفسه لا يختلف أيضاً مع الجارة مطماطة[4]. حيث يظهر أنَّ التوتر بين الجارين بدأ في الفترة التي كان فيها يعلى بن محمد قائداً لجماعات بني يفرن، بمعنى حوالي العقد الخامس من القرن الرابع الهجري (10م). لكن الصراع لم يكن في الأساس حول ترسيم الحدود، وإنَّما كما هو مذكور في الروايات التاريخية يتعلق بإهانة من جانب عناصر تابعة للواتة لبني وجديجن، وقد تلقاها بشكل خاص بيت الزعامة في بني وجديجن، ليتم استغلالها بسرعة لتشكيل اتحاد يضم بني وجديجن إلى جانب بني يفرن ومطماطة وحتى مغيلة، وتم بهذا محاربة لواتة واخراجهم جميعاً من سهل سرسو[5]. حيث لجئوا أولاً إلى المنطقة المعروفة بكدية العابد، ثم تم إجلائهم إلى جبل كريكرة جنوباً، ولكن لم تنته مأساتهم عند هذا الحد،

---

[1] بخصوص هذه المباني القديمة، أُنظر على سبيل المثال: Fatima Kadaria Kadra, *les Djedares Monuments funéraires berbères de la région de Frenda*, Alger, office des publications universitaires, 1983.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص388؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص57. ج6، ص154. ج7، ص24. الداعي إدريس، المصدر السابق، ص263-267

[3] البكري، المصدر السابق، ج2، ص734؛ الحموي، المصدر السابق، ج2، ص7-8؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص50.

[4] يعود تاريخ الحدود المشتركة بين جماعات لواتة وجارتيها الشماليتين، بنو وجديجن وبنو مطماطة، إلى فترة مبكرة من العصر الوسيط، أو على الأقل منذ فترة الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب. أنظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص54

[5] بالإضافة إلى منطقة ملاكو، حيث شهدت إحدى المعارك القوية، وتم فيها أيضاً هلاك شيخ بني وجديجن المعروف باسم عنان. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص68.

فأخرجتهم مغراوة مرة ثالثة من بلادها، ليُجبروا على الهجرة إلى ما وراء جبل يعود في الجهة الشرقية، وبالتحديد إلى جبل دراك/دراق [1]. ومنذ ذلك الوقت، اختفت جماعات لواتة تماماً من المنطقة، إلاَّ في حالات اندماج بعض عناصرهم تحت اتحاديات أخرى. باستثناء بعض العناصر التي لا تزال تظهر منهم اليوم في أعلى الونشريس.

_ مغيلة:

بناءً على المنطقة الرئيسية لجماعات مغيلة، التي تقع في الساحل عند مصب وادي الشلف وضواحي مازونة[2]، يبدو أنَّه كان لها تواجد معترف به في المنطقة الخلفية، خاصة في جهة الونشريس. حيث يُشير مؤلف كتاب "مفاخر البربر" إلى أنَّ أبا قرة المغيلي، صاحب الدعوة الصفرية[3]، تمكن بعد العقد الثالث من القرن الثاني للهجرة (08م) من نشر دعوته في مغيلة بجبل الونشريس[4]. ومن المؤكد أنَّ وجود جماعات مغيلة في الساحل، التي تنتمي للقيادات الصفرية، جعلها تتبنى هذه الأفكار وتتخلى عن الدعوة الأموية السنية.

في فترة الصراع الذي نشب بين صنهاجة وزناتة، وبالتحديد في السنوات القليلة قبل تأسيس مدينة آشير في سنة 324هـ (936م)، تُوضح بعض الروايات التي نقلها ابن الأثير عن ابن شداد الصنهاجي[5] أنَّ عناصر من زناتة كانت تستعد في سرية لمهاجمة بلاد صنهاجة، لكن الأمور سارت بشكل مغاير؛ حيث اكتشف الصنهاجيون "الخديعة" وشنوا هجوماً على تلك القوات الزناتية ليلاً، وبالتحديد يقول في منطقة

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص68. ص154؛ ج7، ص206.

[2] المصدر نفسه، ج6، ص164-165.

[3] فيما يتعلق بحركة الصفرية في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، يُراجع على سبيل المثال: Virginie Prevost, «Ibāḍisme et ṣufrisme dans le Maghreb central», (dir) Houari Touati, *Histoire générale de l'Algérie. L'Algérie médiévale*, Zaytūn, 2014, p. 315-334.: عبيد بوداود، "ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132هـ) وتداعياتها"، *المواقف*، 2، (2008)، ص301-312.

[4] مفاخر البربر، المصدر السابق، ص141.

[5] يُشير الباحث علاوة عمارة إلى أنَّ ابن الأثير (ت630هـ/1233م)، اعتمد في نقل أخبار بلاد المغرب منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية ثورة الميورقيين، على ابن شداد الصنهاجي، وتحديداً على كتابه المفقود المعنون بـ "الجمع والبيان": علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ص165.

مغيلة حيث كانت تتم تحضيراتهم للحملة العسكرية[1]. هذه الإشارة، على الرغم من أنها تُعبر عن مجرد إثنونيم مجالي، إلا أنها تلقي الضوء أيضاً على ارتباطه بجماعات مغيلة، سواءً كانت موجودة فيها، أو اندمجت، أو حتى هاجرت بالكامل. لكن الصعوبة التي نواجهها هي نقص السياق التاريخي الذي يمكن أن يوضح لنا تطور هذه المنطقة مع الوقت الحاضر، والتقدير الذي يمكن أن نُرجحه هو أن تكون المنطقة المشار إليها، هي نفس منطقة مغيلة الفلاحية في ثنية الحد.

وفي سياق آخر، ذكر ابن خلدون أنَّ مغيلة بقيادة شيخهم كلمام بن حياتي كانت من بين المتحالفين مع بني وجديجن في معركتهم ضد جماعات لواتة في سهل سرسو، وذلك في العقد الخامس من القرن الرابع الهجري (10م)[2]. لكن لم يوضح ابن خلدون بالضبط مكان تواجدهم، إلا أنه من المرجح أن تكون مشاركتهم في الحملة العسكرية مرتبطة بتواجدهم أو قربهم من سهل سرسو الزراعي، كما هو الحال بالنسبة لجميع القبائل المشاركة في المعركة. وبالتالي، يبدو أنّ مجالهم في تلك الفترة يتماشى مع منطقة مغيلة في شمال ولاية تيارت اليوم.

باستثناء هذه المعطيات التاريخية السابقة، فإنَّ الأخبار المتعلقة بهم في المجال ضعيفة جداً، خاصة في مرحلة ما بعد عصر الفاطميين، وهو ما يُشير إلى أمرين محتملين: إما أنهم غادرو المنطقة، وهو احتمال ضعيف مادام هناك بعض العناصر منهم موجودة حتى الآن في المنطقة، أو أنَّ تأثيرهم لم يكن بالكثافة والقوة الكافية ليثير ذكرهم في المصادر التاريخية.

ـ بنو ومانو وبنو يلومي:

تتفق أغلب الروايات التي وصلتنا حول هذين الحيين على تقديمهم معًا، وربما يكون السبب في ذلك هو التقارب الواضح بينهما في الموطن والأصل السلالاتي، بالإضافة إلى مشاركتهم في لعب نفس الأدوار السياسية والعسكرية البارزة.

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص333.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص68.

بالنسبة لتوزيع مجالاتهم الواقعة في أقصى شرق بلاد زناتة، يظهر أنه تم الاتفاق عليه بتراضٍ بين الطرفين، حيث استفادت جماعات بني ومانو من القسم الشرقي الذي يتضمن جزءاً هاماً من التحصينات الطبيعية وبعض السهول القصيرة، ويشمل ذلك مناطق منداس ومرات وصولاً إلى القرب من وادي الشلف، بينما اعتُمِد وادي مينا كحد فاصل مع جماعات بني يلومي، الذين احتكروا لصالحهم الممتلكات في القسم الغربي الممتد على طول الجعبات والبطحاء وجبل هوارة حتى سهل سيرات[1]. ونظرًا لهذا التوزيع، يبدو أن جماعات بني يلومي قد احتلت مساحة أقل من المجال المخصص لدراستنا.

إنَّ فترة دخول هذه الجماعات إلى المجال غير محددة بدقة في المصادر المتاحة لدينا، ومع ذلك، يبدو أنَّها تتزامن بشكل عام مع أواخر القرن الرابع (10م) وبدايات القرن الخامس الهجري (11م) على أَقصى تقدير، وهي الفترة التي تم فيها ازاحت صنهاجة الزيرية لأغلب جماعات زناتة عن المجال الشرقي لبلادهم. ثم إنّ مجرد السماح لهم بالانتقال والاستقرار في المنطقة لتعويض باقي زناتة التي تم إخراجها، وخاصة جماعات بني وجديجن كان ناتجاً عن تقديم ولاءات أو على الأقل تقديم بعض الخدمات عسكرية.

أمَّا بالنسبة لاستمرار وجود هذه الجماعات، فمن الواضح أن انحسار تأثير صنهاجة في هذه الجهة ساهم في الحفاظ عليهم كقوة حدودية مدعومة من طرف صنهاجة نفسها، وهذا ما أتاح لهم الاحتفاظ بممتلكاتهم الجديدة دون تغيير يُذكر خلال فترة حكم السلالة الحمادية في القلعة[2]، وحتى في المرحلة المبكرة من الحكم في بجاية الناصرية، هذه الأخيرة التي سهلت لهم الأعمال، وبشكل خاص لجماعات بني ومانو بفضل قربهم من الناصر بن علناس (حكم بين: 454-461هـ/1062-1088م)، الذي منحهم الأولوية في إدارة المقاطعة، مما أدى إلى زيادة نفوذهم وتحكمها الجيد في المنطقة[3].

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص74.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص83.

[3] كما تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه العلاقة لم تقتصر فقط على وقوفهم كحلفاء سياسيين وعسكريين مع ملوك بجاية، بل امتدت إلى مستويات أعمق، من خلال إصهار الحاكم السادس للحماديين، المنصور بن الناصر، في بيت مشيختهم التي كانت تحكمها عائلة ماخوخ لفترة طويلة. المصدر نفسه، ج7، ص74. ج6، ص233.

خلال العقد الثامن من القرن الخامس الهجري (11م)، يظهر أن الأمير المنصور الحمادي شن هجوماً على جماعات بني ومانو، بسبب خروجهم عنه وتأييدهم للمرابطين ومساعدتهم في احتلال مدينتي الجزائر وآشير. ورغم أن هذه الحملة كانت تأديبية، إلا أنها لم تُؤثر على مكانتهم في المنطقة، وظلوا متواجدين فيها[1].

وفي ولاية الأمير عبد العزيز بن المنصور، استمرت جماعات بني ومانو في الجهة بسبب المصاهرة التي عُقِدت مرة أخرى بين الأمير العزيز وشيخهم ماخوخ[2]. وما يلفت الانتباه في هذه الفترة هو توسيع مجالهم على حساب بعض الأجزاء الشرقية لمجالات بني يلومي، وخصوصاً الجعبات التي شهدت عدة حصارات ونزلات عسكرية من قبل الأمير عبد الله بن المنصور ضد بني ومانو[3].

لقد استغل الموحدون مع ظهور حركتهم في المغرب الأوسط خلال العقد الرابع من القرن السادس الهجري (12م) الصراع الذي كان قائماً بين جماعات بني يلومي وبني ومانو، وتمكنوا في النهاية من فرض سيطرتهم على كامل المجال. ويكشف ابن خلدون أنَّ هذا الانتصار جاء بعد عدة مواجهات قوية دارت معظمها في تلول منداس[4]. ومع ذاك، فإنه لا يوجد ما يُشير إلى حدوث هجرة أو تحول في التوطين، بل تُظهر المعلومات التي وردت إلى الإدريسي خلال العصر الموحدي استمرارية وجود القبيلتين في المنطقة المحصورة بين تيهرت وتلمسان[5].

تُشير الروايات إلى أنّ بني يلومي بقيادة شيخهم سيد الناس وبردرح ابنا أمير الناس، قد تمردوا بسرعة على السلطة الموحدية، وتحصنوا في حصن الجعبات مُعلنين عن فكرة الانفصال التي لم تُدرس مخرجاتها. ونتيجة ضعفهم، نجح الموحدون في هزيمتهم ونقل جزء كبير منهم إلى المغرب الأقصى، خاصة إلى مراكش في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي. ولم يقتصر المشكل على بني يلومي فقط، بل واجهت جماعات بني ومانو ضعفاً

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص233.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص74-76. وفي سياق آخر من كتاب "العبر"، يؤكد ابن خلدون أنَّ المصاهرة الأولى كانت مع الأمير الناصر الحمادي، في حين يُشير إلى أن الزوجة الثانية كانت عند المنصور وليس الأمير العزيز، أنظر: نفسه، ج6، ص233.

[3] نفسه، ج6، ص234.

[4] نفسه، ج6، ص 307-308. ج6، ص371. ج7، ص74-76.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص257.

بعد زوال سلالة الزعامة لديهم (بني ماخوخ)، وفشلت في محاولاتها لاستعادة التوازن السياسي[1]. ونتيجة لهذه الانكسارات المتتالية، نجحت جيوش بني توجين في استغلال الفرصة والزحف على حساب مناطقهم والسيطرة عليها، بفضل ولائهم الذي لم يكن مشروطاً للموحدين. وعلى الرغم من حدوث تهجير لبعضهم إلى مناطق أُخرى، إلا أنَّ أعداداً كبيرة منهم اندمجت بسرعة مع الجيل الزناتي الصاعد من الجنوب[2].

2-1 تحولات فترة ما بعد حركة بني توجين

ـ بنو منكوش وبنو تيغرين:

حيث الحدود الشمالية للمجال، وقبل مُنتصف القرن السابع الهجري (13م) تمكنت جماعات بني تيغريني وبني منكوش من السيطرة على منطقة جبال الونشريس التي كان لها تأثير سياسي في تاريخ إمارة بني توجين، وهذا طبعاً بعد صعودهم بقيادة شيخهم في ذلك الوقت، عبد القوي بن العباس المنكوشي، في وقت كانوا سابقاً متمركزين في مناطقهم الخلفية على ضفة نهر واصل. وقبل ذلك بقليل، يظهر أنَّ مغراوة المجال الشلفي قد زحفوا نحو هذه المرتفعات، لكن مع تقدم بني توجين إلى الونشريس بمساعدة السلطة الموحدية، تراجعت مغراوة إلى مواقعها السابقة على محور وادي الشلف[3].

بالنسبة لجماعات بني منكوش، بعد الاستيلاء على الونشريس، يظهر أنَّ سيادتها كانت مؤكدة من خلال الأسرة التي توارثت الحكم على جميع اتحاد بني توجين، وهم المنسوبون، وفقاً لرواية ابن خلدون، إلى جدهم عبد القوي. ومن دون شك أنَّ أعدادهم كانت كبيرة ومؤهلة لتولي هذه المسؤوليات، مما سمح لهم بالحفاظ على السلطة لفترة تزيد عن نصف قرن.

إنَّ معارضة بني توجين المتكررة للسلطة الزيانية بقيادة فرع بني منكوش وبحثها عن الانفصال، لم تسفر دائماً عن نتائج إيجابية، بل على العكس تماماً، حيث تسبب لها الكفاح في عدة هزائم فادحة. وفي هذا السياق، يُشير ابن خلدون إلى أنَّ السلطان أبي حمو الزياني قاد حملة عسكرية على هذا المجال في سنة 710م

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص74-76.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص84. ص74-76. وهم بشكل خاص بنو توجين وبنو عبد الواد.

[3] نفسه، ج7، ص207.

(1310م)، وتمكن خلالها من تشريد جميع بني منكوش، أو على الأقل معظمهم من الونشريس[1]، وخاصة حيث يوجد حصنهم تافرڤينت، ليتوزعوا بعدها في مواقع وفضاءات أُخرى خارج المجال شرقاً[2].

وعلى العكس، بالنسبة لجماعات بني تيغريين الذين تولوا مناصب استشارية في مشيخة بني توجين، فإنَّ تذللهم للعبد الواديين في هذه الحملة بالذات ساهم في الإبقاء على وضعهم في المواقع الجبلية. والأهم من ذلك، أنَّ حملة أبي حمو هذه ساهمت في إعطائهم ديناميكية وقيادة جديدة، خاصة في منطقة شمال الونشريس بعدما تم سابقاً تفكيك وحدة بني توجين[3]. كما توضح المصادر أنهم كانوا قريبين جداً في تمركزهم من الحصن المعروف بتوكال، حيث تعرضوا فيه لحصار قوي من السلطان أبي تاشفين الزياني في سنة 719هـ (1319م)، بعد تخليهم عن سلطة تلمسان لصالح مبايعة المنشق عنها محمد بن يوسف[4]. والملاحظ حول القبيلة أيضاً، هو أنّ تواصلهم في الونشريس قد امتد إلى غاية فترة حكم أبي حمو الزياني الثاني[5]، وهي نفسها فترة ابن خلدون التي شهدت ظهور عصر جديد من حركة المنح والإقطاعات للقبائل العربية، لكن دون معاقبتهم بأي تقليص في مجالهم الجغرافي.

ـ بنو يرناتن:

الأخبار عن هذه الجماعات القوية من بطون بني توجين لم ترد إلا في فترة متأخر. وبالاعتماد على ما ذكره ابن خلدون حول دخول بني توجين إلى التلول في منتصف القرن السابع الهجري (13م)، يظهر أنَّ بني يرناتن لم ينزاحوا عن موطنهم الأصلي في جنوب الونشريس[6]، الذي يبدأ من جبل ماحنون[7] في جهة الغرب

[1] يمكن اليوم مشاهدة الطوبونيم "دوار المنكوشي"، وهو يُعتبر تابعاً إقليمياً لبلدية تملاحت في ولاية تيسمسيلت.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص132.

[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4] يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص216. ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص142. ص213. التنسي، المصدر السابق، ص143.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص217-218.

[6] المصدر نفسه، ج7، ص207.

[7] يقع "جبل ماحنون" بالقرب من سيدي الحسني، وتحديداً في الجهة الجنوبية لزاوية أولاد سيدي عدة. ولا يزال استخدام هذا الأورونيم مستمراً حتى اليوم في المنطقة، وقد ورد ذكره في الخريطة الطبوغرافية لستيفان قزال حول اقليم عمي موسى Stéphane Gsell, *op. cit.*, feuille 22, n°

ويمتد على طول نهر واصل إلى جبل وزينة[1] في الشرق[2]. وفي هذا السياق يتبين أنّ تواجدهم في هذه البلاد الخلفية يعود إلى فترات متقدمة، على الأقَّل منذ بداية القرن الخامس الهجري (11م)، عندما تحالف بني توجين في نهر واصل مع الأمير باديس ضد عمه حماد.

في الطرف الحدودي غرباً حيث تنتهي مجالات القبيلة، يوجد حصن مُرات، ويمكن التسليم بصفة عامة أنّه كان مقراً خاصاً بجماعات بني يرناتن، والإشارة في ذلك أنَّ السلطان أبا الحسن المريني (731هـ-751هـ/1331-1350م) عندما سمع بمحاولة اغتياله من قِبَل رجل يُدعى عمر وهو من بارزي بني يرناتن أرسل من يتبعه وقُتل في موقع حصن مرات[3].

يبدو أنَّ بني يرناتن استمروا في هذه المجالات إلى غاية منتصف القرن الثامن الهجري (14م)، حيث نُلاحظ مشاركتهم في الحملة العسكرية مع عدي بن يوسف[4]، وأولاد عزيز أصحاب المدية على منطقة الونشريس لاستعادة الحكم لسلالة بني منكوش[5]. لكن بعد فترة قصيرة، لا تتعدى فترة تأليف ابن خلدون كتاب "العبر" في العقد التاسع من القرن الثامن الهجري، أشار إلى تغلب الجماعات العربية على بطن بني يرناتن واستيلائها على مناطق جبل يعود وجبل ماحنون، بينما انحصرت بقية أفرادهم في جبل وزينة جنوب الونشريس، كما تم اضطرارهم إلى الخضوع للمشيخة العربية[6]، وخاصة للوافدين الجدد إلى منطقة جنوب مليانة، من جماعات العطاف التي تنتمي إلى بطن الحرث بن مالك[7].

.103 كما تجدر الإشارة إلى أن أول أمير لاتحادية بني توجين الموسعة، الأمير عبد القوي بن العباس المنكوشي (ت647هـ/1249م)، قد توفي في هذا الموضع "ماحنون". أنظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص208.

[1] يقع في الجهة الشمالية لمخرج مدينة تيسمسيلت نحو الونشريس.

[2] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص219.

[3] المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[4] حفيد الأمير عبد القوي المنكوشي.

[5] . ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص213. ص372.

[6] المصدر نفسه، ج7، ص220.

[7] نفسه، ج6، ص65.

ـ بنو يدللتن:

في منتصف القرن السابع الهجري (13م)، عندما نشأت الحركة الأكبر من نوعها في إعادة هيكلة وتوزيع القبائل داخل المجال، ويتعلق الأمر بالحركة التوسعية لجماعات بني توجين. انتقل بنو يدللتن من جهة نهر واصل، واستولوا على جزء من البلاد المتواجدة في أقصى الجهة الجنوبية-الغربية، وهذا طبعاً بالنسبة لحدود مساحة اتحاد بني توجين المعترف بها في عهد الأمير محمد بن عبد القوي (647_684هـ/ 1249_1285م). وبكل تأكيد أنَّ زحف بني يدللتن بقيادة شيخهم نصر بن سلطان بن عيسى، إلى هذه المنطقة كان بعد ازاحة جماعات بني يلومي منها، وتمكن هذا البطن بالتحديد من السيطرة على حصن الجعبات وصولاً إلى غاية بلاد توغزوت، حيث سيتم تأسيس، أو بالأحرى تجديد، موقع قلعة بني سلامة في وقت لاحق[1].

يُشير ابن خلدون إلى أنَّه في حوالي سنة 687هـ (1288م)، خرج السلطان عثمان بن يغمراسن الزياني إلى بلاد بني توجين ونازل بني يدللتن المعروفين أيضاً بأولاد سلامة في القلعة التي تُنسب إليهم، وبعد ما كانوا في البداية مطيعين لبني توجين، تحولوا إلى داعمين لملوك تلمسان[2]. وبسبب وجودهم دائماً في المنطقة الغربية القريبة من تلمسان، قرر الأمير أبو حمو الزياني الخروج إلى مجالاتهم في سنة 710م (1310م)، حيث منح سعد بن علي من بني سلامة السلطة على جميع سكان المنطقة، بما في ذلك بني يدللتن[3]، مما يدل استمرار وجودهم البارز في الجهة.

من الناحية العربية، وفي فترة زمنية قصيرة، ساهمت سرعة الهجرات الهلالية نحو الغرب في توسع جماعاتهم على طول شريط المجال الجنوبي، وهذا التغلغل مثله بشكل خاص جماعات بني سويد التي وصلت إلى المغرب الأوسط بعد مغامرة بني غانية الميورقيين[4]، لكن تبعاً لسياسة العرب المتأثرة بالتوسعة المجالية في المناطق السهلية، ورغم الجهود المتكررة من قِبَل ونزمار بن عريف للتوغل بشكل أعمق نحو الشمال وضم أراضي بني يدللتن لصالح ممتلكاته الجديدة، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق ذلك نهائيا إلاّ بعد منحها له من قبل السلطان أبي حمو

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص207. ص212.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص124. ص211.

[3] نفسه، ج7، ص132.

[4] دومنيك فاليرين، المرجع السابق، ص194.

موسى الثاني في العقد السابع من القرن الثامن الهجري (14م)[1]، وهذا من أجل مواءمتهم في مشروع التحالفات. ومع ذلك، يظل واضحاً أنَّ السُكان الموجودين من بني يدللتن لم يختفوا تماماً، على الرغم من أن أعداداً كبيرة منهم تم نقلها إلى منطقة القصبات بالقرب من تلمسان[2].

ـ بنو مادون وبنو قاضي:

لقد اختارت جماعات بني مادون وبني قاضي، أثناء انتقالها من نهر واصل، الاستحواذ المشترك على منطقة منداس، وهذا طبعاً في منتصف القرن السابع الهجري (13م) بعد أن أجبروا بني ومانو وبني يلومي على التنازل عنها[3]. وبهذا، كانت حدودهم تنتهي إلى حصن الجُعبات، حيث تتلاقى الحدود الموازية مع جيرانهم الغربيين من بني يدللتن. أمّا بالنسبة للجهة الشمالية، فقد كانوا على الأرجح قريبين من منطقة البطحاء مقارنة ببقية جماعات بني توجين، ويظهر ذلك من خلال السياسة التي اتبعها عثمان بن يغمراسن في مسلك التضريب بين قبائل بني توجين، حيث دفعت بشيخ بني مادون، زكرار بن أعجمي، إلى قتل أمير بني توجين إبراهيم بن زيان[4] هُنّا بالقرب من البطحاء في سنة 692هـ (1293م)[5].

ومن الواضح أنَّ جماعات بني مادون لم تكن لها تأثير قوي في فترة إمارة بني توجين، وهذا نظراً لقلة الأخبار التي تتعلق بهم. وربما كان تأثير بني قاضي أضعف بكثير من ذلك، إذ أشار ابن خلدون، عندما تطرق إلى استيلاء عرب أولاد عريف على منطقة منداس[6]، إلى أنَّ بني مادون كانوا الوحيدين الذين أظهروا انزعاجهم من ذلك، دون أن يذكر بني قاضي على الإطلاق[7]. وبالتالي، يمكننا أن نقف أمام احتمالين: إما أنهم هاجروا في نوع من الهدوء، أو ربما اندمجوا مع إخوانهم بني مادون، مع العلم أنَّ المصادر لم تُشر إلى أي حالة من

[1] مع الإشارة إلى أنَّ اقطاعات السلطان أبو عنان المريني عندما قام باحتلال تلمسان في سنة 753هـ (1352م)، لم تكن ذات تأثير واضح وطويل.

[2] ابن خلدون، العبر، ج7، ص217-218.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص212.

[4] وذلك بعد فترة ولاية لم تتجاوز سبعة أشهر فقط من تنصيبه حاكماً.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص211.

[6] كان ذلك بإقطاع من السلطان أبو حمو الثاني.

[7] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص217-218.

الحالتين. ونفس الأمر بالنسبة لبطن بني مادون فيما بعد، حيث لا يظهر ما إذا تم اندماجهم في ظل الهيمنة الجديدة للعرب، أو أنّهم تخلوا تماماً عن المجال.

_ أولا عريف:

يبدو أنَّ الإقطاعات الممنوحة لأولاد عريف ابتداءً من العقد السابع للقرن الثامن الهجري (14م) قد شملت كامل الجناح الغربي للمجال، وهو القسم الذي يحدده ابن خلدون من غرب قلعة بني سلامة إلى منداس وما في ذلك من جميع سهل سرسو الزراعي، باستثناء جبال الونشريس بسبب صعوبة تضاريسها[1]. وقد أسست هذه السيطرة لحركة جديدة في عناصر التوطين، حيث نجد من بين الدلائل التي تفسير ذلك، هو اختفاء أو اندماج أغلب العناصر المحلية "البربرية" التي عمرت المجال لفترة طويلة، فيما يقابل ذلك، الدور الذي لعبه هؤلاء الوافدون الجدد "العرب" في شكل ديمغرافي ملحوظ، يمكن أنّ تبرهن عنه بعض المعطيات التاريخية، ومنها بشكل خاص الألقاب الأنوماستيكية للكثير من الأفراد والعائلات[2]، بالإضافة إلى سيادتهم التي تم فرضها على المنطقة، ومشاركتهم في المقاومة والحياة السياسية بشكل عام.

ومما تجدر الإشارة إليه حول جماعات أولاد عريف، أنَّه في سنة 768هـ (1367م)، قام السلطان أبو حمو الثاني بحملة لاستعادة الثغور الشرقية التي كانت تحت سيطرة ابن عمه الأمير أبي زيان (وهي المدية ومليانة والجزائر). وأثناء هذه الحملة، قرر النزول على قلعة بني سلامة لطلب طاعة أميرها أبو بكر بن عريف الذي كان قد انشق عن السلطة الزيانية[3]. ولكن الأمر لم يكن مقتصراً على ذلك فحسب، بل تعرض معسكره

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص217-218.

[2] نذكر على سبيل، ونزمار بن عريف، أبو بكر بن عريف، محمد بن عريف، وغيرهم. وأكثر تعبيراً واستعمال هو الإثنونيم "أولاد عريف" الذي يشمل الجماعات المذكورة ككل.

[3] وفقاً لابن خلدون، فإن السبب الرئيسي وراء شق عصى الطاعة للسلطان أبي حمو الزياني، كان يوسف بن عمر بن عثمان: (770هـ_783هـ/1369_1381م)، شيخ جماعات بني تغرين في الونشريس، حيث يقول أنّه: "فسد ما بين السلطان _أبو حمو الثاني_ وبين أبي بكر بن عريف بسبب صاحب جبل الونشريس يوسف بن عمر بن عثمان، اراده السلطان على النزول عن عمله، فغضب له أبو بكر لقديم الصداقة بين سلفهما". ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص182.

الذي أقامه بالقرب من القلعة لهجوم شامل، مما اضطره إلى الانسحاب إلى تلمسان[1]. وبالتالي، يمكن أن يُظهر هذا الحدث بشكل واضح قوة القبيلة وسيطرتها على هذه الجهة.

أما فيما يتعلق بالإشارة بعد فترة إلى أنَّ السلطان أبا حمو خرج إليهم من تلمسان، وانسحابهم إلى الصحراء دون مقاومة[2]، لا يُفسر سوى تخليهم وقتيا عن معسكراتهم، وخاصة عن قلعة بني سلامة. حيث نلاحظ عودتهم مرة أخرى إلى مناطقهم، والدليل أنَّ ابن خلدون نفسه استقر في المجال الذي كان تابعاً لأولاد عريف في الفترة بين 776-780هـ (1374- 1378م)، وتحديداً في مقر مشيختهم بقلعة بني سلامة[3]. كما استمرت الأوضاع على هذا النحو مع القبيلة على الأقل حتى نهاية العصر الوسيط.

_ الحرث:

في هذا القسم، لم تُفوت جماعات الحرث الفرصة للتوغل إلى داخل المجال، حيث شغلت اقطاعاتهم، التي تم منحها بتفويض من سلطان تلمسان، أبو حمو الثاني بعد توليه الحكم في العقد السابع من القرن الثامن الهجري (14م)، المناطق التي كانت مخصصة سابقاً لجماعات بني يرناتن[4]، باستثناء منطقة وزينة في جنوب الونشريس[5].

وعموماً، أشار ابن خلدون في روايات متفرقة إلى أنّ جماعات الحرث بدأت تظهر بوضوح في المجال اعتباراً من سنة 770هـ (1369م)، حيث استولت على جبل دراك/دراق، وخاصة بطن العطاف منهم، واستمروا على هذا الوضع حتى نهاية القرن[6]. وفي المقابل، استولى فصيل آخر منهم على منطقة جبل يعود

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص174.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص175.

[3] ابن خلدون، الرحلة، ص265؛ نفسه، العبر، ج7، ص638.

[4] جاء هذا القرار كعقاب لبني يرناتن نتيجة تمردهم في المنطقة ضد سلطة تلمسان. أنظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص65.

[5] المصدر نفسه، ج7، ص220.

[6] نفسه، ج6، ص154.

بشكل كامل، ونخص هنا جماعات الديالمة[1]، كما وسعوا في وقت لاحق حدودهم تدريجياً حتى أصبحوا مقيمين على ضفاف نهر واصل[2].

2- القسم الشرقي من المجال: (منطقة التيطري وجنوبها إلى غاية نهر واصل)

تُشير المصادر التي كتبت حول هذه الجهة الشرقية، وخاصة النصوص الجغرافية والرحلاتية، إلى استقرار عدة جماعات في المنطقة. وبالتالي، سيكون من الخطأ الاعتقاد أنَّه كان مجالاً خاصاً لصنهاجة-تلكاتة فقط، مع أنها كانت المتحكمة الرئيسية فيه دون منازع إلى غاية القرن السادس الهجري (12م).

2-1 تحولات الستة قرون الأولى للهجرة

_ جماعات زناتة: (Zanenses)

من بين الأمثلة عن جماعات زناتة المتواجدة في هذا الجزء خلال الفترة المبكرة للعصر الوسيط، نجد بطناً صغيراً يُعرف ببني يرنيان، وحسب رواية ابن خلدون فيما يتعلق بتسلسلهم الجيلي أو السلالاتي، فقد أشار إلى أنَّهم أشقاء لجماعات مغرواة وبني يفرن[3]. ومن جانبه، يُشير اليعقوبي في عصره، بمعنى نهاية القرن الثالث الهجري (09م)، إلى أنهم السكان الأصليون لمدينة هاز (Auzia)[4]. لكن لا يظهر ما إذا استمروا في الموقع أو هاجروا إلى جهات أُخرى في وقت لاحق. والمعلومة الوحيدة التي لدينا هي أنَّ مجالهم الرئيسي بالقرب من وادي ملوية كان يزخر بأعدادهم الكبيرة[5].

أما بالنسبة لبني دُمر، فقد ظهر تواجدهم في نواحي الجهة الشرقية مع نهاية القرن الثالث للهجرة (08م)، وعلى وجه الخصوص في البلد الزراعي المعروف بالجيونيم، مصادف بن جرتيل[6]. وأشارت معلومات

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص175.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص436.

[3] نفسه، ج7، ص15. ص33. ص66.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج7، ص66.

[6] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص191.

ابن حوقل إلى استمرارهم في الموقع خلال القرن الرابع الهجري (10م)، لكنه لم يُشر إلى نوعهم كدُمريين، وإنَّما اكتفى بالإشارة إلى أصلهم "العميق" زناتة[1].

داخل المجال دائماً، وفي فترة لاحقة من القرن الخامس الهجري (11م) نُلاحظ أنَّ مجموعة من بني دُمر تسللوا إلى منطقة تامغيلت، حيث شكلوا سوقاً حيوياً على الطريق التجاري بين القيروان وفاس[2]. ولكن لا يظهر ما إذا تم تهجيرهم من البلد السابق جرتيل إلاَّ إذا كان لصنهاجة تدخل مباشر في ذلك، وهذا لم يُذكر في النصوص التاريخية. كما يبدو أنَّ موقع تامغيلت كان الحد الأقصى لهذا البطن نحو الغرب، باستثناء المناطق البعيدة الواقعة غرب وجنوب تلمسان، وأيضاً في الشمال في الساحل الخلفي لوادي الشلف حيث تعاطوا جزءًا من المجال بين مدينتي الخضراء وتنس[3]. أمَّا في الشرق المحاذي[4]، فقد ظهر استقرار بطن بني برزال في المسيلة خلال أواخر القرن الثالث[5]، وحتى في غضون القرن الرابع[6]، وربُما حتى ما بعد القرن السادس الهجري (13م)[7]، ولكن بأعداد قليلة نتيجة هجرتهم في موجات متتابعة نحو الضفة الموازية في الأندلس.

إنَّ اسم زناتة الذي استعملته النصوص بكثرة صعب من عملية تحديد أنواع إضافية من البطون الموجودة، أو حتى تلك التي من الممكن أنَّها غيرت مواقعها فقط. فمثلاً، ورد في نص ابن حوقل خلال النصف

---

[1] ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص830.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص744.

[4] ونفس الأمر في إفريقية شرقاً؛ حيث يظهر استقرارهم بوضوح في بعض الجبال المنيعة. راجع على سبيل المثال: Mohamed Hassen, «Les fortifications du sud-est de l'Ifrīqiya au bas Moyen Âge », Fortificações e Território na Península Ibérica e no Magreb (Séculos VI a XVI), Lisboa, *Edições Colibri & Campo Arqueológicode Mértola*, 2013, p. 270-271.

[5] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

[6] ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[7] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254.

الثاني من القرن الرابع الهجري (10م) حديث عن استقرار زناتة في القرية الكبيرة جرتيل[1]، لكن أي زناتة يجب أن تكون؟ ونفس الأمر ينطبق على وجودهم في القرن السادس الهجري (13م) حول قرية ابن مجبر[2].

أخيراً، جاءت إشارة واضحة لما فعله خليفة الفاطميين على بلاد المغرب، بلكين بن زيري، من نقل "بالقوة" لجماعات زناتة من تلمسان إلى جوار مدينة والده آشير، وذلك بعد تحالفهم مع الأمويين للوصول إلى حكم بلاد المغرب بطريقة غير متوقعة. وعموماً، تُشير الروايات المشرقية والمتفردة أساساً، بهذه القصة التي نُقلت عن ابن شداد الصنهاجي، إلى أنَّهم تمكنوا من تأسيس موقع في بلاد صنهاجة، لكن نجد له اختلافاً في تسميته الطبونيمية بين "تلمسان" و"بلنسان"[3].

_ **صنهاجة**[4]: (Vsinazi)

بغض النظر عن الثقل الديمغرافي، فإنَّ الجزء الأكبر من هذا المجال الشرقي يتم الاعتراف بملكيته لصالح جماعات صنهاجة، ويتعلق الأمر بمنطقة التيطري وضواحيها. وهذا الاعتراف التاريخي لا يقتصر فقط على الفترة الوسيطة، بل يمتد إلى الفترة القديمة، على الأقل منذ بداية القرن الثالث لعصر الإمبراطورية الرومانية. ويؤكد الباحث التونسي أحمد مشارق هذه المقاربة بدقة من خلال عدة معطيات، وعلى رأسها الطوبونيميا الموقعية (Vsinaza /Saneg/ Sanhadja[5]).

---

1 ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

2 الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص256.

3 ابن الأثير، المصدر السابق، ج7، ص332؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص94.

4 فيما يتعلق بتاريخ هذه الجماعات المحلية، وخاصة في المغرب الأوسط. أنظر: Grigori Lazarev, « Les Sanhaja du Maghreb central au X°-XI° siècle», *Revue Irfan, Instituto*, Hispano lusitano, (en cours de parution, 2020) أيضاً مذكرة ماجيستير: رضا بالنية، صنهاجة المغرب الأوسط، المرجع السابق. أما على المستوى المغاربي وخصوصا بلاد الأندلس راجع: Virgilio Martínez Enamorado, «Memoria Toponímica de los Ṣinhāŷa en el Valle del Havaral (Serranía de Ronda, Málaga, España): una presencia previsible», Revista de Ciencias Humanas y Sociales, 5,(2020).

5 Ahmed M'Charek, De Tacite à Ibn Khaldûn, à la recherche de deux tribus berbères: masofi (masûfa) et vsinazi (banû sināg/sanhadja), *op. cit.,* p. 245-251.

في العصر الأموي، وانطلاقا من تصديق رواية خليفة بن خياط[1] العائد للنصف الأول من القرن الثالث الهجري (09م)، نجدها تُشير إلى حضور جماعات صنهاجة بقوة في الجهة الواقعة وراء مدينة طبنة غرباً، وتحديداً في العقد التاسع من القرن الأول الهجري (07م) عندما تعرضت مجالاتهم لحملة الفتح التي قادها موسى بن نصير[2].

وعندما وصف اليعقوبي مدينة هاز قبل تخريبها، ذكر أنَّ بجوارها يوجد سكان من صنهاجة، والبعض الآخر يشير إلى أنّهم من جماعات زواوة، فيقول: "مدينة يقال لها هاز، سكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنو يرنيان من زناتة أيضاً، ثم مدن بعد ذلك سكانها صنهاجة، وزواوة، يعرفون بالبرانس، وهم أصحاب عمارة، وزرع، وضرع، وإلى هاز ينسب البلد"[3].

إنَّ أكثر فترة يبدأ فيها تمييز جهة صنهاجة بشكل واضح في المجال كانت خلال تأسيس مدينة آشير في سنة 324هـ (936م). حيث أشار ابن حوقل في وصفه للمدينة إلى أنَّ سكانها ينتمون بالأساس إلى أسرة آل زيري بن مناد[4]، دون وجود أي جماعات أخرى[5]. ووفقاً لرواية النويري، فإنّ الأمير مناد بن زيري خرج إلى المدن الثلاثة، طبنة المسيلة وحمزة، لاستدعاء بعض "وجوه الناس" للانتقال والعيش في مدينته الجديدة آشير، بناءً على اعتبارهم أكثر ملاءمة في نظره[6]. وبالتالي، فإن هذا لا يعني أنَّ الوافدين كانوا من خارج الجماعات

[1] في إشارة خليفة بن خياط إلى مصدر هذه المعلومات، يذكر أنه استمدها من محمد بن سعيد، والذي يُعتبر شخصية غير معروفة بالنسبة لنا حالياً.

[2] خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995، ص175.
ـ فيما يتعلق بالسيرة التاريخية للقائد الأُموي، موسى بن نصير، راجع دراسة: Yassir Benhima et Pierre Guichard, "Mûsâ ibn Nusayr. Retour sur l'histoire et le pouvoir d'un gouverneur omeyyade en Occident musulman", *Bulletin d'études orientales*, 66, (2017), p. 97-116.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ص191.

[4] تُنسب هذه الجماعات، رفقة بني حسن، إلى تلكاتة الصنهاجية. أنظر: علاوة عمارة، "ابن شداد الصنهاجي جامع تاريخ المغرب الوسيط"، التاريخ العربي، 2002، ص69. ومن جانبها، تكشف الخرائط الطبوغرافية الحديثة أن مجال جماعات بني مناد وصنهاجة عمومًا مازال يُعرف إلى اليوم في منطقة قرب البويرة بالإثنونيم الخاص بهم. أنظر: Ahmed M'Charek, De Tacite à Ibn Khaldûn, *art. cité,* p. 258; id, Sanhaja, *art. cité,* p. 7214.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

[6] النويري، المصدر السابق ج24، ص88.

الصنهاجية، وبشكل خاص من فرع تلكاتة. بالإضافة إلى أن الحديث عن "وجوه الناس"بهذا الشكل من التدقيق لا يُظهر وجود نقل عشوائي. ناهيك عن أنَّ هذا الحزام من المدن الثلاثة في الغالب كانت مواقع منسوبة للتلكاتيين أنفسهم[1].

وفقاً للمصادر، فقد استمرت جماعات تلكاتة وصنهاجة بشكل عام في التوطين بناحية آشير دون اختلاط _وإن كان هذا ليس مطلقًا في كل الحالات[2]_ خلال الفترة الفاطمية في بلاد المغرب وطول الفترة الزيرية وإلى غاية الفترة الحمادية. ويظهر ذلك من مشاركة الآشريين كأحلاف في معركة أمسان سنة 389هـ (999م) التي انهزم فيها جيش باديس بن المنصور أمام قوة زناتة بالقرب من تيهرت، وقد كان معظم المشاركين مع حماد بن يوسف[3] من التلكاتيين فقط[4]. كما يظهر هذا الانتظام نفسه للقبيلة في قضية تولية كرامت بعد وفاة الأمير باديس في سنة 406هـ (1015م)، حيث أشار ابن الأثير إلى أنّ كرامت خرج إلى مدينة آشير ليجمع عناصر تلكاتة وإخوانهم الذين كانوا صنهاجيين فقط، دون الإشارة إلى وجود إضافة لعناصر مجتمعية أخرى[5].

_ هوارة:

بعض المعطيات تُشير إلى أنَّ جماعات هوارة استقرت في هذه الجهة الشرقية من المجال، حيث ذكر ابن الصغير في رحلة التموين التي قام بها إباضية المشرق، أنهم وقفوا في موضع يُعرف بـ "مصلى قبر مسالة"، ورغم

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص202-203, وبشكل عام، يمكننا أن نلاحظ مجالات استقرار صنهاجة المغرب الاوسط في القرنين الرابع والخامس الهجري من خلال دراسة: Lucien Golvin, «Buluggîn fils de Zîri, *art. cité* p. 102-103. ومع ذلك، فإن أخبار صنهاجة القوية والمتحكمة في حدودها لم ترد في العصرين الأغلبي والرستمي.

[2] يظهر أن عناصر من أصول مشرقية كانت تستقر في هذا المجال الصنهاجي، بدليل وجود شاهد قبري اكتشفه جورج مارسي في موقع بنية، يُشير إلى أنَّ الشخص المتوفى في سنة 413هـ كان من أصل تميمي. وقد علق الباحث جور مارسي على هذا الأمر من خلال اقتراح أن الميت ربما وفد إلى مدينة آشير مع الحرفيين القادمين من القيروان، والذين تم إرسالهم من قبل الخليفة القائم بأمر الله الفاطمي. Georges Marçais, Achir, *art. cité*, p35-36.

[3] العامل على مدينة آشير.

[4] النويري، المصدر السابق، ج24، ص103.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص88.

عدم توفر تفاصيل إضافية حول هذا الموضوع، إلا أننا نعلم أن الأنوماستيك "مسالة" في تلك الفترة يرتبط بزعيم جماعات هوارة. والمعلوم أن التعاون بين مصادف بن جرتيل، شيخ قبيلة بني دمر الزناتية، وابن مسالة، كان مبنيًا على معاداة الأئمة الرستميين في تيهرت، ولذا فليس من المستغرب أن يشتركوا معًا في التوطين، سواءً داخل حصن مصادف بن جرتيل أو بالقرب منه[1]. ورُبما أكبر إشارة تدل على هذا التوطين المشترك والاستمرار لهوارة في موقع مصادف هي التغيير الطبونيمي الذي حدث في القرن الخامس الهجري (11م)، حيث أصبح نفس الموقع يُعرف باسم "سوق هوارة"[2]. وعموماً، يبدو أن عددهم كان قليلاً بالمقارنة مع مناطقهم الأخرى قُرب وشمال مدينة تيهرت.

_ **نفزاوة**: (Nefzenses)

يظهر أنّ جماعات نفزاوة لم تحظَ بالاهتمام الكافي من المصادر التاريخية في العصر الوسيط، حيث لم تُرو لها أخبار كثيرة سواءً داخل المجال أو خارجه. كما يبدو أنَّ حجمها كان قليلاً بالمقارنة مع الجماعات التي نالت شهرة واسعة[3].

ففي المجال، نقل ابن خلدون رواية فرار عبد الرحمن بن رستم من القيروان ونزوله في موضع تيهرت الذي كان يحتوي على طوائف من الجماعات المحلية هناك، ومنها ذُكرت نفزاوة التي بايعته برغبتها[4]. ومع ذلك، لا نجد أي معلومات تحدد مجالها الجغرافي في الجهة، وخاصة بالنسبة للمؤلفات التاريخية التي تناولت العصر الرستمي.

---

[1] تقريباً كما هو الحال في التوطين المشترك بين جماعات هوارة وبني برزال الدمريين في منطقة المسيلة، وهو ما تكشف لنا عنه جغرافية: ابن حوقل، المصدر السابق، ص85؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص254.

[2] البكري، المصدر السابق، ج2، ص 724-725.

[3] من بين الدراسات المهمة حول هذه الجماعات المذكورة، وخاصة فيما يتعلق بوزنهم ونقاط تمركزهم وتحولهم، وأيضاً بالنسبة لتطور الأنوماستيك الليبو-بربري بين المصادر القديمة والعصر الوسيط. راجع: Ahmed M'Charek, Continuité de l'ethnonymie ... Le cas des Gétules Misiciri Dansle Livre des Exemples d'Ibn Khaldûn», *art. cité,* p. 131-155.

[4] ابن خلدون، العبر، ج6، ص147.

أما في مرحلة القرن الخامس الهجري (11م)، فنجد البكري يُشير إلى أن حصن ايزمامة/ابن مامة كان موقعاً لسكان يشترك فيه جماعتي نفزاوة ولواتة[1].

وأخيراً، بالنسبة لتحديد موقع هذه الجماعات باستخدام المقاربة الطوبونيمية، فقد أشار فريد بن رمضان إلى وجود "واد أسلي" في الجهة الشمالية من المجال، والذي يأخذ اسمه من أسلاتن، وهم فصيل من جماعات نفزاوة [2].

_ لـواتة:

بالنسبة للمعلومة التي أوردها البكري حول توطن جماعة لواتة في حصن ايزمامة/ابن مامة خلال القرن الخامس الهجري (11م)[3]، فمن المرجح أنّها هاجرت إليه بعد تحوُّلها على يد زناتة من سهل سرسو إلى المنطقة المشرفة على سهل متيجة في الشرق، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع الهجري (10م)[4]. والمعلوم الآخر هو أنَّ بقاياها استمرت في هذه الجهة تحت رحمة الجماعات التي كانت تتغلب عليها في كُل مرة، وصولاً إلى فترة ابن خلدون الذي لاحظ ذلك بشهادته[5].

2-2 تحولات ما بعد هجرة صنهاجة وبداية التغلغل العربي

_ الثعـالبة:

بعد رحيل صنهاجة عن معظم مناطقها الواقعة في جبال آشير _ التي باتت تُعرف ابتداءً من هذه الفترة باسم الطوبونيم الجديد "التيطري"[6]_، استغلت جماعات الثعالبة الفرصة للاستحواذ على هذه المنطقة، في الوقت الذي كانت فيه مجالاتها السابقة تنتهي عند حد التلال الشرقية. وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ هذه

1 البكري، المصدر السابق، ج2، ص830.

2 Farid Benramdane, Toponymie, *art. cité*, p. 377.

3 البكري، المصدر نفسه، ج2، ص 830.

4 ابن خلدون، العبر، ج6، ص154.

5 المصدر نفسه، ج6، ص68. ص154؛ ج7، ص206.

6 نفسه، ج6، ص203.

التوسعات حدثت دون أي معارضة تذكر، سواء من قِبَل العناصر المحلية المتبقية أو من قِبَل حكومات الأطراف المعنية بالسيادة على المنطقة[1].

كما تجدر الإشارة إلى وجود صعوبة تكمن في عدم إشارة المصادر إلى تاريخ بداية امتلاك هذه المنطقة. ومع ذلك، يمكن الترجيح أنَّ ذلك حدث في بداية القرن السابع الهجري (13م)، بدليل أنَّ المعركة التي وقعت في منطقة آشير بين جيش يحي بن غانية وجيش أبي محمد بن الشيخ أبي حفص[2] في سنة 604هـ (1207م)، لم تكشف معلوماتها عن مشاركة أو وجود هذه الجماعات من عرب المعقل في ذلك الوقت[3].

في جميع الأحوال، يُعتبر استيلاء الثعالبة على هذه المنطقة خطوة أولى في توسُّع العرب القادمين في إطار الهجرة الهلالية المتهمة بالكارثة[4] داخل مجال درستنا المطروق. في المقابل، تُشير الروايات إلى أن فترة تواجدهم كانت قصيرة، إذ تم طردهم بسرعة على يد الأمير محمد بن عبد القوي التوجيني في سنة 681هـ (1282م)، حيث هاجروا بعد ذلك إلى سهول متيجة[5] وسيطروا على مدينة الجزائر حتى نهاية الفترة الوسيطة[6]. ومن غير المحتمل تماماً أنّ يكون الثعالبة قد سيطروا على موقع مدينة المدية في أي وقت.

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص84.

[2] خليفة الأمير الناصر الموحدي على الجهة الشرقية للدولة الموحدية.

[3] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص 374.

[4] فيما يتعلق بالأسطورة التي تتهم الهجرة الهلالية بإحداث أزمة في حضارة بلاد المغرب الوسيط، راجع: Allaoua Amara, «Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval: le cas du Maghreb hammadide (XI-XIIe siècles)» *The Maghreb Review*, 28, (2003), p.02-28.

علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي ص7-36.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج6، ص84. ج7، ص210.

[6] علاوة عمارة، "الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطوّر مدينة وسيطة"، *مجلة معابر*، 2016، ص36-37.

_ مغراوة:

في الوطن الشلفي، حيث لعبت مغراوة دوراً هاماً في تاريخها السياسي. انتقل فرع منهم، ممثلا في جماعات سنجاس[1]، إلى السيطرة على مدينة المدية، بعدما أصبحت أقل قوة في منتصف القرن الخامس الهجري (11م). ومع ذلك، تُشير الروايات إلى أن الأمير الناصر الحمادي (453_480هـ/1062_1088م) لم يقبل بهذه التوسعة وقام بإخراجهم منها بسرعة[2].

ولم ينته الأمر عند هذا الحد من الطرد، حيث عادت جماعات مغراوة مرة أُخرى بعد هجرة صنهاجة لمناطقهم الجغرافية، وضموا مدينة المدية إلى ممتلكاتهم الجديدة، على غرار ضمهم أيضا لجميع المنطقة الشمالية للونشريس. وعندما بدأت توسعات بني توجين في الاتجاهين الشمالي والغربي، نُلاحظ أنّ محمد بن عبد القوي نجح في طرد مغراوة من المدية ونواحيها في نفس السنة 681هـ (1282م) التي تم فيها طرد الثعالبة من منطقة التيطري، فعادوا بذلك إلى مناطقهم السابقة في الشلف.

_ أولاد عزيز.

بعد إزاحة الأمير محمد بن عبد القوي لمغراوة من المدية، نجد المعلومات تُشير إلى أنه قام بتعويضهم من خلال استقدام بطن أولاد عزيز بن يعقوب (من بني توجين) لتعمير المدينة ومحيطها. وهذا الإجراء رُبما يُثير احتمالية أنهم كانوا على استعداد مسبقا للتحول إلى هذه الجهة في إطار توسعات اتحاد جماعات بني توجين العسكرية. وبغض النَّظر مدى عن صحة هذا الافتراض، فإنَّ تحولهم، الذي تم في العقد التاسع من القرن السابع الهجري (13م)، قد ساهم في التخلي النهائي عن موطنهم السابق قرب جبل ماحنون[3]. وأصبحت

[1] يُشير الإدريسي خلال القرن 6هـ (12م) إلى أن فصيل من جماعات سنجاس كانت تستقر في المنطقة بين تلمسان وتيهرت. المصدر السابق، ج1، ص257. كما يُلاحظ حالياً أنَّ أكبر تجمع لعناصر هذه الجماعات يقع في الجزء الشمالي السفلي للونشريس، وتحديداً حيث تحمل منطقة انتشارهم الطوبونيم القبلي سنجاس.

[2] ابن خلدون، العبر، ج6، ص231.

[3] المصدر نفسه، ج7، ص210.

حدودهم الجديدة تنتهي في الجنوب-الغربي مع بداية مجالات بني يرناتن في جبل دراك، أو ربما جبل وزينة كأقصى تقدير[1].

هناك مجموعة من المعلومات التاريخية التي تؤكد على استمرارية حضور أولاد عزيز في منطقة المدية لفترة طويلة. ففي سنة 687هـ (1288م)، يُشير ابن خلدون إلى أنهم استقبلوا شيخ بني توجين، موسى بن زرارة، بعد هجوم السلطان عثمان بن يغمراسن الزياني على الونشريس[2]. وفي السنة الموالية، تعرضت عناصرهم لحملة من قبل نفس السلطان العبد الوادي على مدينة المدية، بهدف إخضاعهم للسلطة الزيانية، لكن هذا الحدث لم يؤد إلى أي تغيير في مكان توطينهم[3].

وفي وقت لاحق، نلاحظ أنَّ السلطان أبا حمو عندما خرج إلى مجالات بني توجين في سنة 710هـ (1310م)، قام بكتابة عقد تولية لشخصية من أولاد عزيز، يوسف بن حسن، يجيز له إدارة شؤون المدية وأعمالها[4]. وفي العقد الثاني من نفس القرن، يظهر أنهم استقبلوا، وفي نفس الوقت، بايعوا بقيادة شيخهم يوسف بن حسن بن عزيز، محمد بن يوسف، الذي أعلن انفصاله عن ابن عمه وصهره السلطان أبي حمو الزياني الأول، وبذلك شكلوا منطقة مناوئة للسلطة الزيانية في تلمسان[5].

آخر مرة ظهر فيها أولاد عزيز في المدية بنشاط معلن عنه سياسيا كانت مع منتصف القرن الثامن الهجري (14م)، وذلك عندما روى ابن خلدون تحالفهم مع جيرانهم الغربيين من بني يرناتن، لدعم عُدي بن يوسف في مطالبته باستعادة منصب المشيخة الذي كان يتوارثه بني منكوش على المنطقة[6]. بعد ذلك، بدأت

1 ابن خلدون، العبر، ج7، ص219.

2 المصدر نفسه، ج7، ص124. ص211.

3 نفسه، نفس الصفحة.

4 نفسه، ج7، ص132.

5 نفسه، ج7، ص138. ص213.

6 نفسه، ج7، ص213. ص372.

عملية اختفائهم في النصوص التاريخية الوسيطة. وقد يكون الحضور الحالي للطوبونيمي "سبت عزيز"، في منطقة جنوب–غرب المدية، من بين المناطق التاريخية التي شهدت حضورهم.

_ بنو لمدية: (Lambiensis)

لقد ورد الحديث عن وجود جماعات "لمدية" الصنهاجية في مدينة المدية خلال سنة 688هـ (1289م)، عندما تحالفت مع السلطان العبد الوادي عثمان بن يغمراسن، مما سمح له بالسيطرة على مدينة التي كانت في ذلك الوقت تحت حكم أولاد عزيز[1]. أمّا بالنسبة لتوطنهم قبل ذلك، فقد أشار ابن خلدون إلى أنَّ تسمية المدينة بهذا الطوبونيم تعود إلى هذه الجماعات التي استقرت فيها[2]، وهو ما يُفسر تواجدهم في المنطقة منذ الفترة القديمة، حيث تم استخدام هذا الطوبونيم لامبينسيس (Lambiensis) في القرن الخامس الميلادي[3].

أمّا بالنسبة للفترة قبل القرن السابع الهجري (13م)، فمن دون شك أنَّها كانت عصيّة على الجماعات المذكورة، حيث لم تُذكر لهم أي تأثيرات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. وبالتالي، يُرجح أنهم اندمجوا لفترة مع القبائل الأخرى التي كانت حاضرة في نفس المنطقة.

_ عرب بني حصين:

يعزز السبب وراء وصول هؤلاء القادمين الجُدد إلى منطقة التيطري بفضل منحها لهم من قبل شيخ جماعات بني توجين، محمد بن عبد القوي، بعدما أفرغ لهم المجال سابقاً، بطرد جماعات الثعالبة في سنة 681هـ (1282م)، وهذا رُبما نتيجة الشعور بالوفاء لدورهم المهم كحلفاء استراتيجيين على الجهة اليمنى للمجال، بالإضافة إلى وجود مصالح أُخرى مشتركة بين الطرفين [4].

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص90. ص124. ص211.

[2] المصدر نفسه، ج6، ص231.

[3] Mgr Alfred Baudrillart, *op. cit.*, 1914, p. 1038; Mandouze André, *op. cit.*, p. 434.

[4] يُشير ابن خلدون إلى أنَّ الاتفاق على إقطاع المجال لبني حصين يفرض عليهم أن يكونوا كرعايا تجب عليهم الضرائب والوظائف، بالإضافة إلى استخدامهم كقوة عسكرية إضافية: المصدر نفسه، ج6، ص84.

أما بالنسبة لمنطقة التيطري، وإن كان على الأقّل في النص الخلدوني سيتم توظيفها بأساليب متنوعة: "بلاد حصين" أو "أحياء حصين"[1]، وأحياناً أُخرى دون التخلي عن الطوبونيم السابق (التيطري وليس القديم المعروف بجبل أو جبال آشير المفتقد). فقد كان من الطبيعي أنّ تشتهر بمغامراتهم خلال الفترة الأخير من العصر الوسيط، نظراً لسيطرتهم القوية على المنطقة من جهة، وكذلك للأفضلية العددية التي امتازوا بها من جهة أُخرى، وهي جميعاً إشارات مستمدة من تسلسل أحداثهم التاريخية في هذه المنطقة المعقدة تضاريساً. ففي ربيع سنة 751هـ (1350م)، تحصن بنو حصين في معاقلهم بجبل التيطري، عندما شن الأمير أبو ثابت حملة عسكرية ضد الجماعات العربية التي شقت عصى الطاعة عن السلطة الزيانية، وفي الأخير تمكن من استعادة ولائهم وأسر بعض عائلاتهم كرهائن لصالح تلمسان[2]. وفي نهاية ستينيات القرن ذاته، بعد هزيمة الزيانيين في بجاية سنة 767هـ (1366م)، انضموا إلى سياسة أبي زيان المعادية لابن عمه السلطان أبي حمو، وبالتالي انفصلوا في التيطري مع قائدهم الجديد "اللاجئ" أبي زيان[3]. وتعرضوا بعد ذلك إلى حملتين من قبل الزيانيين، الأولى في سنة 769هـ (1368م)، والثانية في سنة 770هـ (1368م)، لكن لم تؤد إلى أي تغيير يُذكر على جماعات بني حصين[4].

الحادثة الوحيدة التي أثرت على توطين جماعات بني حصين في مجالها الجغرافي وقعت في المحرم سنة 774هـ (جولية 1372م)، نتيجة للحصار الذي فرضه الوزير عمر بن مسعود بأمر من السلطان عبد العزيز المريني بعد احتلاله لتلمسان. وبسبب القوة التي أظهروها، انسحبت جماعات بني حصين من معاقلهم الجبلية نحو الصحراء، رفقة الأمير أبي زيان العبد الوادي. لكنهم في وقت قصير بادروا بمراسلة السلطان عبد العزيز لتجديد الولاء له والتخلي عن أبي زيان مقابل العودة إلى مجالاتهم في منطقة التيطري[5]. ويظهر دليل هذا

[1] ابن خلدون، العبر، ج6، ص134. ج7، ص581.

[2] المصدر نفسه، ج7، ص158.

[3] نفسه، ج7، ص174. ص578.

[4] نفسه، ج7، ص175. ص578.

[5] نفسه، ج7، ص439. ص590-591.

الرجوع في سنة 788هـ (1386م) عندما حصار الأمير أبو تاشفين والده السلطان، أبي حمو في قلعة وهران، اتجه إلى السيطرة على مليانة قبل التقدم إلى جبل التيطري حيث حاصر فيه جماعات بني حصين[1].

وفي الأخير، تُشير شهادة ابن خلدون إلى أنّ التيطري في عصره كان موطن لجماعات بني حصين[2]، وهذا الواقع يمتد حتى إلى عصرنا الحالي (كما يظهر في خريطة قزال). ومن الملاحظ أيضاً أنَّ الإيثنونيم "جندل[3]"، الذي يرتبط بفصيل من جماعات بني حصين، لا يزال مستخدماً حتى اليوم، ولكن أكثر نزوحاً في العصر الحديث بين منطقتي المدية وعين الدفلى، وهي المنطقة التي كانت تسكنها سابقاً جماعات العطاف العربية قبل تحولها بعدة عقود.

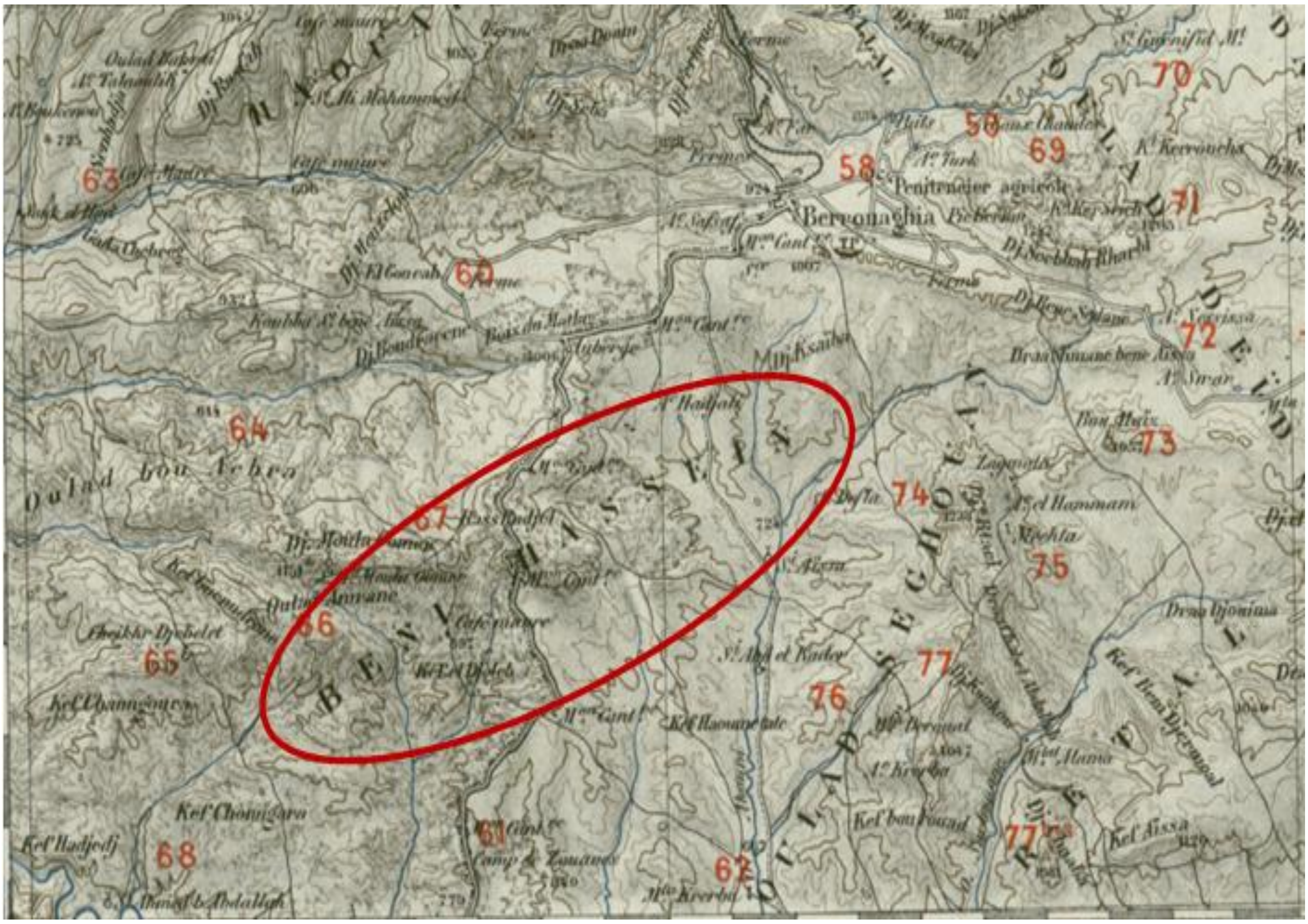

مجالات بني حصين (Beni Hassein) من خلال خريطة ستيفان قزال لإقليم المدية[4]

---

[1] ابن خلدون، العبر، ج7، ص191-192.

[2] المصدر نفسه، ج6، ص65. ص134. ص203.

[3] يُشير ابن خلدون إلى أن جندل وحراش فصيل من جماعات بني حصين: أنظر، المصدر نفسه، ج6، ص59.

[4] Stéphane Gsell, *op. cit.,* feuille 14: (Médéa)

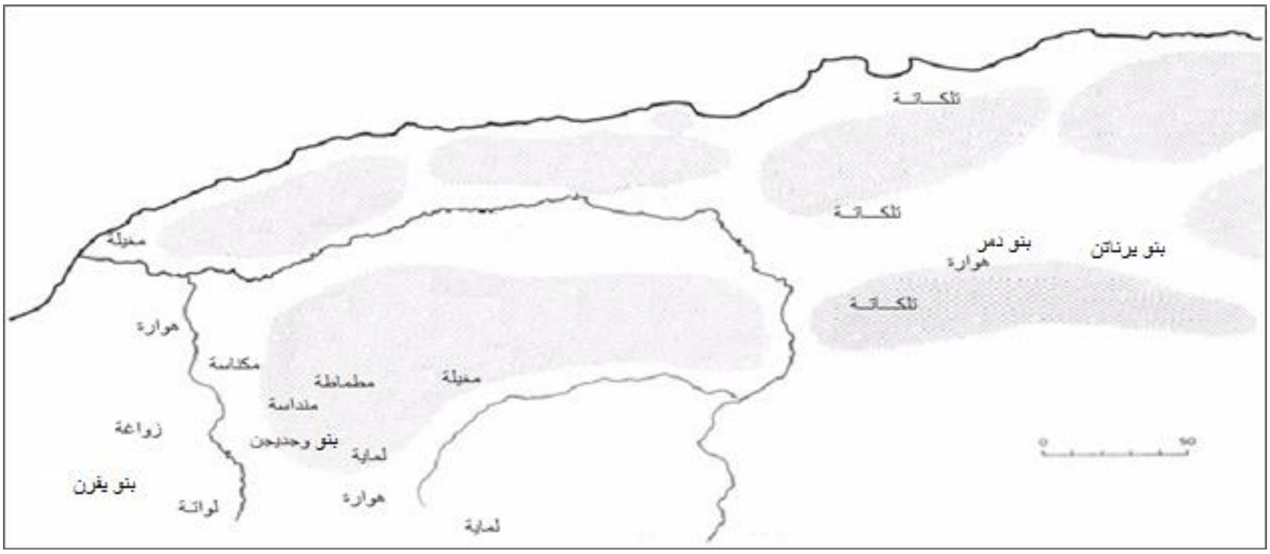

جغرافية التوطين خلال القرنين 2و3هـ/8-9م

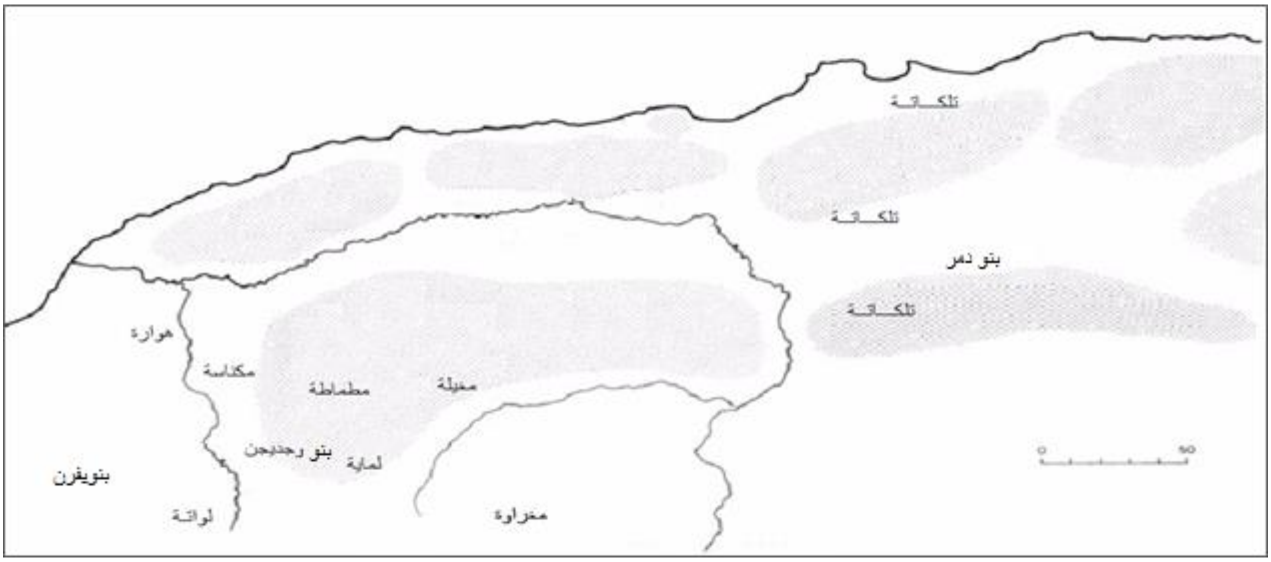

تحولات القرن 4هـ/10م

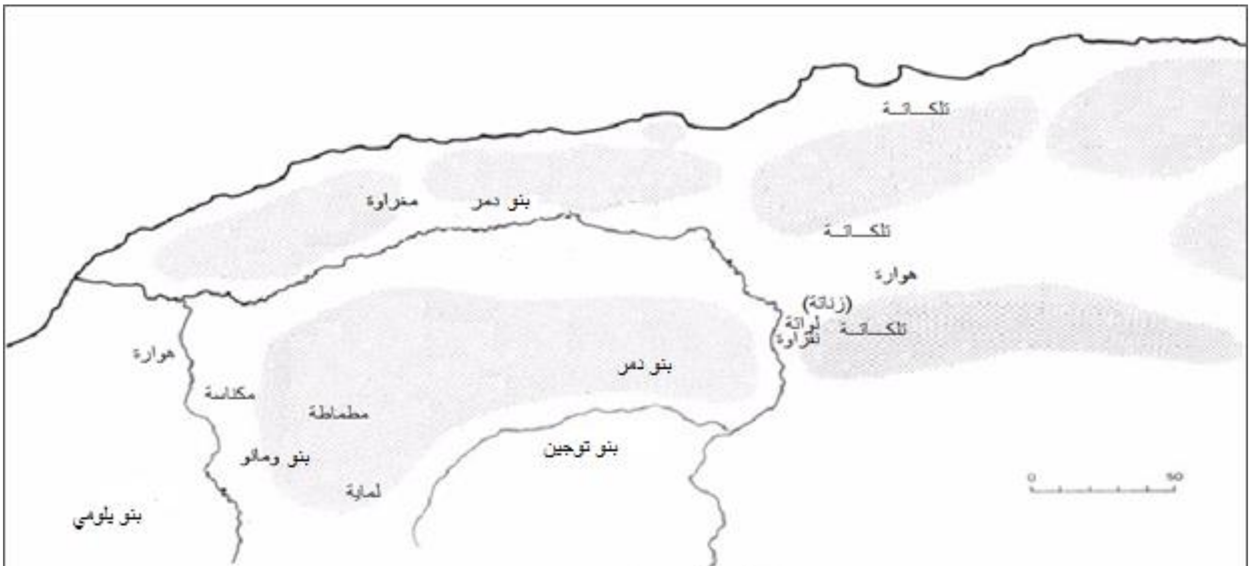

تحولات القرن 5هـ/11م

تحولات القرن 6هـ/12م

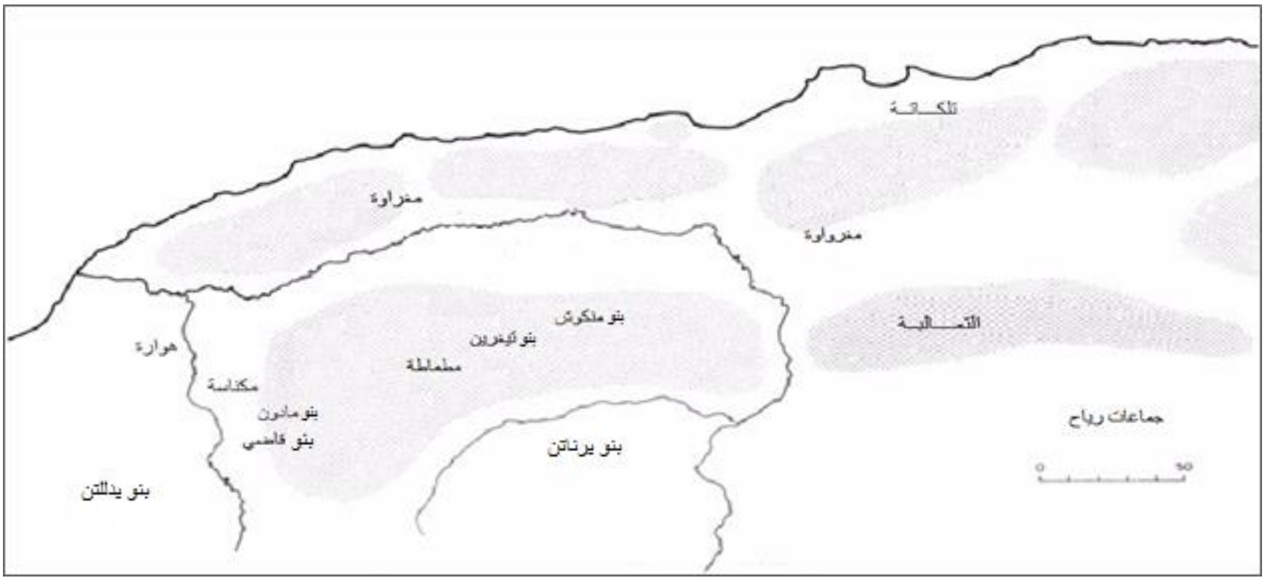

تحولات القرن 7هـ/13م

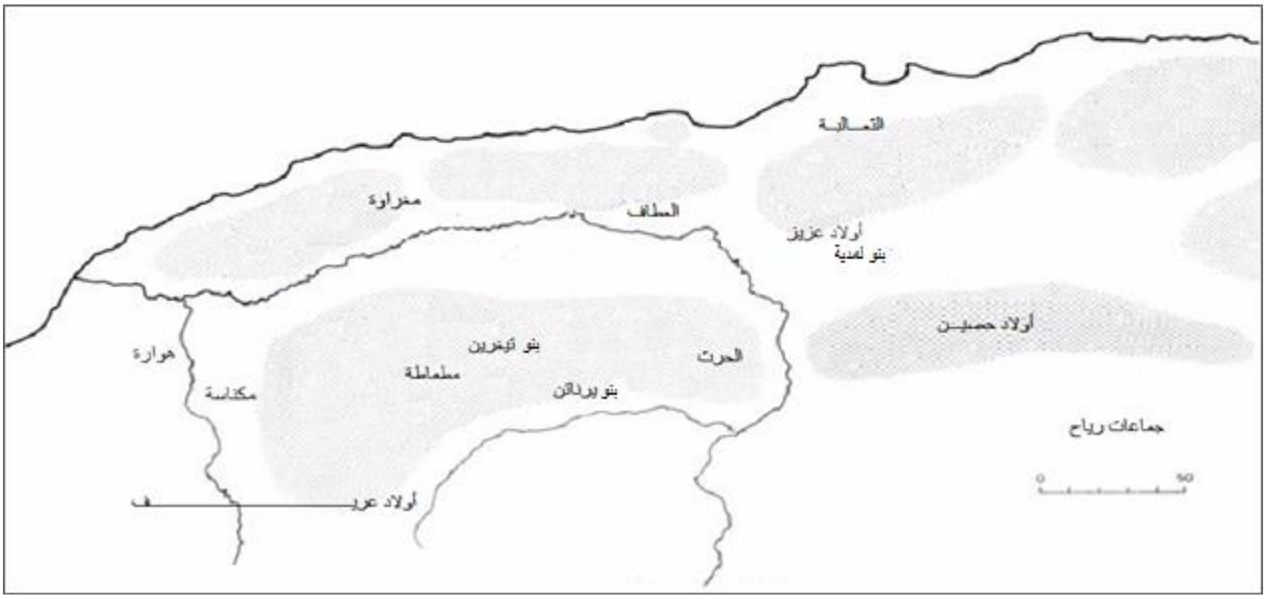

تحولات القرن 8هـ/14م

الخاتمـــة

الخاتمة:

بناءً على ما تم تقديمه في هذه الدراسة، توصلت في النهاية إلى مجموعة من الاجابات التي تعالج الإشكالية الرئيسية التي كانت نقطة انطلاق البحث، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

يجد المتتبع لتنقلات جماعات بني توجين صعوبة تحديد مجال مشترك لهذه الجماعات، وقد قدمت لذلك مجموعة من المبررات الموضوعية، لعل من أهمها التمدد والتقلص من جهة، بالإضافة إلى الاندماج مع جماعات أخرى داخل نفس المجال. هذا الأمر استدعى استخدام المجال الإداري لهذه الجماعة في أقصى توسع لها في عهد أبرز قادتها، محمد بن عبد القوي، حيث امتد مجالها من المدية إلى قرب سعيدة، ومن شمال سلسلة الونشريس إلى جنوب منطقة سهل سرسو.

في مرحة مبكرة من العصر الوسيط، ظهرت مدن تيهرت وقصورها كمقرات خاضعة للحكم الرستمي، والشيء الملاحظ في موضوعاتها هو تسجيل جدال واسع خلفته لنا النصوص الإخبارية، خاصة فيما يتعلق بالفصل أو التفريق في سرد المعلومات بين موقع المدينتين تيهرت؛ التي تقع في أعلى منطقة جبل جزول، وتيهرت/تاقدمت. أمّا بالنسبة للمسألة الطوبونيمة التي شهدت اهتماما كبيراً من قبل الباحثين حول مسألة التوظيف السليم أو الصحيح بين تيهرت وتاهرت فقد تطرقت لموضوعه، وتوصلت في النهاية إلى نتيجة مفادها أنَّ تيهرت في الأساس هو اسم مجالي يتعدى إطار المدينة أو المدينتين بحد ذاتهما.

فيما يتعلق بالدور الاستراتيجي، بقيت تيهرت الممثلة بعاصمتها الرستمية مركزاً للسلطة الحاكمة في المجال، أو القسم الأوسع منه، ولم يكن لمدينة تيهرت الجبلية أي دور بارز بعدما تخلت عنها الجماعات الإباضية وانتقلت إلى تأسيس موقع تاقدمت، وظلت بذلك المدينة طوال الفترة كقاعدة مساعدة للعاصمة الرستمية، تستحوذ عليها بشكل كبير جماعات مختلطة من بقايا التواجد القديم بالمنطقة.

مع بداية القرن الرابع للهجرة (10م) تحولت المنطقة إلى مجرد كورة فاطمية، وسرعان ما تأثرت سلباً بالحركات المناوئة التي شنتها جماعات زناتة ضد عمال السلطة الفاطمية، وهذا النزاع أثر سلباً على العمران، حيث أدى إلى تحويل المدن إلى مراكز للدفاع والمراقبة العسكرية. كما ترتب عن هذه الصراعات تدمير مدينة تيهرت الجبلية في حدود العقد الرابع من القرن الرابع للهجرة (10م). في حين تم الإبقاء على المدينة الكبيرة

ذالتي كانت سابقاً عاصمة رستمية كمركز هامشي لإدارة المقاطعة. واستمرت هذه الحالة حتى تدميرها نهائيا على يد بني غانية في العقد الثالث من القرن السابع الهجري (13م).

في القسم الشمالي الشرقي من المجال، وتحديداً حيث بلاد صنهاجة المدمجة في المجال التوجيني بعد القرن السابع الهجري (13م)، لم تظهر أخبار المدن الحضرية إلّا مع بداية القرن الرابع للهجرة (10م) عندما تأسست مدينة أشير، ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه المدن لم تكن معروفة أصلاً خلال الثلاثة قرون الأولى للهجرة. أمّا المدن التي كانت معروفة في العصر القديم، فقد تحولت إلى مجموعة من الخرائب التي لم يجر ترميمها خلال العصر الوسيط المبكر. بالمقابل، تم تأسيس أنواع بسيطة من القرى والقصور والأسواق الصغيرة على حواف الطريق الداخلي للهضاب.

يمكن تصنيف مدينة المدية كموقع أو مدينة شبه غامضة مقارنةً ببقية المدن الأخرى في المجال، حيث لا تظهر التغيرات التي شهدتها في الجانب العمراني نتيجة غياب المعلومات المكتوبة عنها. وعلى العكس من ذلك، يمكن أن تُساعد الآثار، خاصة القديمة، في تعويض هذا النقص حول المعرفة بالمدينة. بالإضافة إلى ذلك، تتميز المدية بالتحسن المستمر في حالتها كل ما تقدم الزمن، وصولاً إلى بداية العصر الحديث، بينما لم يحقق ذلك مع المدن الأخرى في المجال.

بالنسبة للقرى والحصون، فإنّ حضورها داخل المجال هو أمر لا نقاش فيه، ولكن صعوبتها تكمن في معرفة مدى استمرارها أو انقطاعها من عصر إلى آخر، خاصة إذا كانت موروثة عن الفترة القديمة، ويعود السبب في ذلك دائماً إلى قلة المصادر المتاحة التي تُغطي المجال، وتقتصر عادة على فترات زمنية محددة. وعموماً، بعد دراسة مختلف المصادر التي تتعلق بالمجال، توصلت إلى قائمة تضم 21 موقعاً متنوعاً يشمل كل من الحصون والقرى.

كثيراً ما يعود الفضل في تفسير التغيرات التي طرأت على المواقع والمجالات إلى الطوبونيميا المسجلة والمتوارثة عبر الأجيال، حيث بقيت هذه الأسماء عموماً على ما هي عليه دون تغيير جذري عن أصولها الأولى. ومع ذلك، يطرأ في بعض الأحيان مشكلة تتعلق ببعض الاختلافات في تدوين الحروف لدى النصوص المتأخرة، ويكون ذلك مبنيا على أساس النطق بها. ولفهم معاني هذه الأسماء اللغوية، تطلب الأمر الرجوع إلى القواميس والمراجع المختصة في هذا المجال.

في القرن الخامس للهجرة (11م)، لا يمكن الحديث عن وجود مدن كبيرة أو مهمة نتيجة لانتقال مراكز الثقل نحو الساحل وتزايد الانفتاح على الفضاء التجاري المتوسطي. وفي المقابل، ظهرت في المنطقة الخلفية، وبشكل خاصة في مجال دراستنا، نوع من المراكز أو المواقع التي لم يكن لها الوزن الكبير، والسبب الرئيسي يكمن في تغير مسار الرحلات من طريق الهضاب الذي يعبر سهل سرسو، إلى الطريق الشمالي الثاني حيث محور مدن حوض الشلف. وامتدت هذه الحالة تقريباً حتى نهاية العصر الوسيط.

الشيء المؤكد هو أن الطرق الرئيسية لم تتغير كثيراً مقارنة بما كانت عليه في الفترة الرومانية، وخاصةً خلال فترة النصف الأول من العصر الوسيط، بمعنى إلى غاية القرن الخامس الهجري (11م). حيث استمر نشاط الطريق الرئيسي (القيروان–فاس) على نفس النسق تقريباً مع خط طريق الحاميات الروماني، وهو خط الليمس الثاني أو الجنوبي. باستثناء وجود بعض التغييرات الطفيفة التي طرأت على الجهة الشرقية حيث توجد بلاد صنهاجة، أين تم سحبه قليلاً نحو الجنوب بعدما فقدت مدينة هاز (سور الغزلان) مكانتها كمحطة مهمة لعبور المسافرين. أمّا بالنسبة لحجم الازدحام على هذا الطريق فقد تبين تناقصه التدريجي كل ما تقدم الزمن.

على العكس من ذلك، تعرضت المسالك الفرعية أو الثانوية للكثير من التحولات، ويرجع السبب وفقاً للنصوص الجغرافية والرحلاتية بشكل مباشرة إلى غياب الأمن وتخريب محطات التوقف. وتتميز هذه المسالك عادة بطابعها الطولي بدلاً من العرض، إذ ربطت بين مدن الطريق الرئيسي إلى الشمال والمنطقة الجنوبية حيث المدن والمراكز الوقعة في الهضاب وعلى حافة الصحراء. وقد حددت لنا المصادر الجغرافية الكثير من القياسات والأبعاد التي تفصل بين مختلف الجهات والموقع الداخلية والخارجية ضمن مجال الدراسة.

في البداية، كانت الجماعات المحلية (البربر) تسيطر على كامل المجال تقريباً، باستثناء بعض البقايا من الموروث الروماني في صورة برقجانة. ومع بداية العصر الرستمي، بدأت الوفود المشرقية في الظهور في الحاضرة تيهرت، بعدما استقطبتهم شهرتها، لكن بحجم ديمغرافي قليل نسبياً. وقد ساهم وجودهم وتفاعلهم مع العناصر المحلية في تنشيط حركة التعريب بالمنطقة.

في القرن الرابع للهجرة (10م) بعد سيطرة الفاطميين على المجال، سجلنا اختفاء للجاليات العربية التي يُرجح أنها هاجرت نتيجة للحروب المتكررة في المنطقة. في المقابل، قاومت الجماعات المتجذرة وتلك التي لها

عمر طويل في المنطقة، من أجل الحفاظ على ملكياتها المتوارثة، وتشمل هذه الجماعات (لماية، لواتة، زناتة، مطماطة، مكناسة...)

وبداية من القرن الثامن الهجري (14م)، شهدت الخريطة البشرية تغيراً كبيراً، حيث بدأ التغلغل الهلالي في المجال من الجهة الجنوبية. وقد ساعدت الإقطاعات التي كانت تمنح لهم في كل مرة من قبل السلطتين الزيانية والمرينية في توسيع دائرة نفوذهم على حساب جماعات بني توجين، مما أدى في النهاية إلى تقسيم المجال إلى جنوب عربي هلالي وشمال محصور في جبال الونشريس لباقي الجماعات المحلية البربرية.

الوضع يختلف قلياً في القسم الشرقي من المجال، وتحديداً في جبال التيطري، حيث جاء التوغل العربي لجماعات الثعالبة من الشمال في وقت مبكر نسبياً مقارنةً بالجهة الغربية لبلاد زناتة، وذلك في حدود منتصف القرن السابع الهجري (13م)، أي قبل ما يزيد عن قرن من هيمنة أولاد عريف على سهل سرسو ومنداس. ومع ذلك، كانت فترة تواجدهم قصيرة بسبب عدم تفاهمهم مع أمراء بني توجين، لذا تم ازاحتهم بسرعة نحو بسائط متيجة، واستبدالهم بعرب حصين الذين استمروا في وجودهم حتى نهاية العصر الوسيط وحتى الوقت الحالي.

في ختام هذه الدراسة المتواضعة أعترف بمحاولتي الإجابة على الإشكالية التي تخص الموضوع، ولكن لا أدعي الالمام بكامل التفاصيل الثانوية، فهذه الأطروحة تُعتبر بمثابة مدخل للتعمق مستقبلاً في المزيد من المتغيرات الجغرافية والتاريخية التي شهدها المجال عبر تاريخه الطويل والحافل بالمنجزات. أما الأفاق المستقبلية التي تتفتح عليها هذه الدراسة، ألخصها فيما يلي:

ـ مواصلة البحث في مجال الجغرافية التاريخية لمجالات بني توجين، وتوسيعه ليشمل مناطق ومجالات أخرى.

ـ إنشاء مخابر بحثية متخصصة في دراسات الجغرافية التاريخية، وتوفير الموارد والأدوات اللازمة للباحثين لتنفيذ أبحاثهم وتحليل البيانات بشكل أكثر دقة وفاعلية.

ـ عقد ندوات وملتقيات على مستوى وطني ودولي لمناقشة الأبحاث الجديدة وتبادل الخبرات في مجال الجغرافية التاريخية، بهدف توسيع الفهم وتعزيز التعاون بين الباحثين والمؤسسات المعنية.

ـ إنشاء مجلة دورية متخصصة لنشر البحوث في هذا الجانب.

ـ تعميم تدريس مقياس الجغرافية التاريخية في مختلف الجامعات.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربيـــة

1/ المخطوطات:

1) المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى (ت. حوالي 833هـ/1430م)، مخطوط صلحاء وادي الشلف، الخزانة العامة بالرباط، رقم 2343

2/ المصادر المطبوعة:

2) ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي (ت. 658هـ/1260م)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، 1985م.

3) (ــــــ)، التكملة لكتاب الصلة، مراجعة وتعليق جلال الأسيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2008، ج2.

4) ابن أبي زرع، علي الفاسي (ت. 726هـ/1326م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، صور للطباعة والوراقة، 1972م.

5) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي (ت. 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987م.

6) أحمد بن سهل الرازي (ت. حوالي 325هـ/937م)، أخبار فخ وخبر يحي بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، تحقيق عبد الرقيب مطهر حجر، اليمن، منشورات أهل البيت للدراسات الإسلامية، 2000م.

7) ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الغرناطي (ت. 807هـ/1405م)، نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1987م.

8) الإدريسي، الشريف محمد بن محمد (ت. 559هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ج1.

9) إسحاق بن الحسين اليمني (ت. القرن 4هـ/10م)، أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تحقيق فهمي سعيد، بيروت، عالم الكتب، 1988م.

10) الأشعري، أبو الحسن الملقب بناصر الدين (ت. 324هـ/936م)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، القاهرة، مكتبة النهضة، 1969م، ج1.

11) الإصطخري، أبو القاسم إبراهيم بن محمد الكرخي (ت. 346هـ/958م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، منشورات الذخائر، 2004م.

12) ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد المالك الأندلسي (ت. 578هـ/1183م)، كتاب الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، 1989م.

13) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت. 779هـ/1378م)، تحفة الناظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.

14) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت. 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس، الدار العربية للكتاب، 1992م.

15) البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر البغدادي (ت. 279هـ/893م)، فُتوح البلدان، تقديم وتعليق عبد القادر محمد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2000م.

16) البلوي، أبو البقاء خالد بن عيسى الغرناطي (ت. 780هـ/1378م)، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، المغرب، مطبعة فضالة، ج2.

17) البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت. 559هـ/1164م)، المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971م.

18) (ــــــــ)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط، دار المنصورة للطباعة والوراقة، 1971م.

19) التجاني، عبد الله بن محمد (ت. كان حي في 717هـ/1318م)، رحلة التجاني، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، تونس، الدار العربية للكتاب، 1981م.

20) التنسي، محمد بن عبد الله (ت. 899هـ/1494م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، تحقيق، محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم للنشر، 2011م.

21) ابن حزم، علي بن أحمد الظاهري الأندلسي (ت. 456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام ومحمد هارون، القاهرة، دار المعارف، 1982م.

22) الحسن بن أحمد المهلبي (ت. 380هـ/990م)، المسالك والممالك والمعروف أيضاً بكتاب العزيزي، تحقيق تيسير خلف، دمشق، دار التكوين، 2006م.

23) ابن حماد الصنهاجي، أبو عبد الله محمد بن علي البجائي (ت. حوالي 628هـ/1231م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق عبد الحليم عويس والتهامي نقرة، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1981م.

24) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت. 626هـ/1229م) معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م.

25) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الميورقي (ت. 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، 2008م.

26) الحِميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت. 900هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م.

27) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي البغدادي (ت. بعد 367هـ/978م) صورة الأرض، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1992م

28) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي (ت.469هـ/1077م)، كتاب المقتبس، تحقيق ب. شالميتا ـ ف. كورينطي ـ م. صبح.، مدريد، المعهد الاسباني العربي للثقافة كلية الأدب بالرباط، ج5، 1979م.

29) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت. حوالي 280هـ/894م)، المسالك والممالك ويليه كتاب الخراج، ليدن، مطبعة بريل، 1889م.

30) ابن خلدون، أبو زكرياء يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت. 780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، منشورات الجزائر عاصمة الثقافة العربية،2007م.

31) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت. 808هـ/1406م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط ومراجعة خليل شحاذة وسهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 2000م.

32) (ـــــــ)، رحلة ابن خلدون، تحقيق ابن تاويت الطنجي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003م.

33) ابن خليكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت. 681هـ/1283م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1972م.

34) خليفة بن خياط، أبو عمرو بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت. 240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، مراجعة مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، بيروت، دار الكتب العلمية، 1995م.

35) الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان الأسدي القيرواني (ت. 669هـ/1271م)، معالم الإيمان في معرفة أُصول القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، مصر، مكتبة الخانجي، 1972م.

36) الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت. 670هـ/1272م)، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، قسنطينة، مطبعة البعث، 1974م.

37) الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي (200 -296هـ)، جمع وتقديم محمد بن رمضان شاوش التلمساني، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2011م.

38) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (748هـ/1348م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980م.

39) الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت. 420هـ/1029م) تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م.

40) الزرهوني (ت. نحو 749هـ/1349م)، ملعبة الكفيف الزرهوني، تحقيق محمد بن شريفة، الرباط، المطبعة الملكية، 1987م.

41) أبو زكرياء، يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت. 471هـ/1079م)، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1982م.

42) زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الحنفي (ت. 920هـ/1515م)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، 2014م، ج2.

43) ابن الزيات، أبو الحاج يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي (ت. 627هـ/1230م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، 1984م.

44) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت. 685هـ/1286م)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970م.

45) ابن سلام، لواب المزاتي الإباضي (ت. بعد 273هـ/887م)، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق فيرنر شفارتس والشيخ سالم بن يعقوب، دار النشر فرانز شتاينر، 1986م.

46) الشماخي، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت. 928هـ/1522م) كتاب السير، الجزء الخاص بتراجم علماء المغرب إلى نهاية القرن الخامس هجري، دراسة وتحقيق محمد حسن، تونس، أوربيس للطباعة، 1995م.

47) ابن الصغير المالكي (ت. القرن 3هـ/9م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وابراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1986م.

48) الصفدي، صلاح الدين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك الدِّمشقي (ت. 764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م.

49) الطَّبَرِي، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد (ت. 310هـ/923م)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار الكتب العلمية، 1971م.

50) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت. 571هـ/1176م)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012م، ج18.

51) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله المصري (ت. 257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق شارلز توري، شركة الأمل للطباعة والنشر، 1999م، ج2.

52) العبدري، محمد بن محمد بن علي بن أحمد الحاجي (ت. القرن 8هـ/14م)، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، عنابة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007م.

53) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت. بعد 712هـ/1312م)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2013م.

54) (ـــــــ) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفى بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، 1983م.

55) عماد الدين، الداعي إدريس القرشي (ت. 782هـ/1381م) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب: القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد العيلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985م.

56) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت.732هـ/ 1331م)، تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، بيروت.

57) (ـــــــ)، المختصر في أخبار البشر، القاهرة، المطبعة الحسينية، 1907م.

58) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني الفارسي (ت. 340هـ/951م)، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1996م.

59) القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (ت. 544هـ/1150م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد عراب، المغرب، المكتبة المغربية، 1982م.

60) القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود (ت. 682هـ/1284م) أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960م.

61) القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي (ت. 821هـ/1418م)، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق ابراهيم الأبيار، دار الكتب الإسلامية، 1982م.

62) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت. 256هـ/873م)، الولاة والقضاة، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.

63) لويس دل مارمول كرفاخال (ت. 1009هـ/1600م)، إفريقيا، ترجمة محمد حاجي وآخرون، الرباط، دار النشر المغربية، 1989م، ج2.

64) المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى (ت. حوالي 833هـ/1430م)، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، دراسة ونشر عبد القادر بوباية، الجزائر، الرشاد للطباعة والنشر، 2017م.

65) (ـــــــ)، مختصر ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، نشر، عبيد بوداود، الجزائر، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، 2016م.

66) المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد القيرواني (ت. 438هـ/1047م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994م.

67) مجهول (مراكشي من القرن 6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، 1985م.

68) مجهول (من القرن 6هـ/12م)، كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة، تحقيق الحاج سليمان بن إبراهيم بابزيز الورجلاني، عمان، وزارة التراث والثقافة، 2009م.

69) مجهول، كتاب مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2005م.

70) المراكشي، عبد الواحد (ت. 647هـ/1250م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1963م.

71) المقدسي، أبو نصر المطهر بن الطاهر (ت. 355هـ/966م)، البدء والتاريخ، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 2013م.

72) المقديسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت. 380هـ/991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مراجعة محمد أمين الضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

73) (ـــــــ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار صادر، 1909م.

74) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر العبيد (ت. 845هـ/1442م)، جنى الأزهار من الروض المعطار، تحقيق محمد زينهم، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 2006م.

75) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت. 733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م، ج24.

76) الوزان، الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (ت. بعد 957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1.

77) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح (ت. 284هـ/898م)، تاريخ اليعقوبي، بيروت، دار صادر، 1960م، ج1.

78) (ــــــــ)، كتاب البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002م.

المراجع العربية والمعربة

1/ المراجع العربية:

أ. الكتب:

1) الباروني سليماني، الأزهار الرياضة في أئمة وملوك الإباضية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986م.

2) بحاز إبراهيم، الدولة الرستمية (160 -296هـ) دراسة في الأوضاء الاقتصادية والحياة الفكرية، الجزائر، المطبعة العربية، 1993م.

3) البركة محمد، الطوبونيميا بالغرب الإسلامي أو ضبط الأعلام الجغرافية، المغرب الأقصى، أفريقيا الشرق، 2012م.

4) بورويبة رشيد، مدن مندثرة تاهرت، سدراتة، أشير، قلعة بني حماد، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، 1981م.

5) جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.

6) الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي: حاضرتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس (160-296هـ)، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 1987م.

7) حسن محمد، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع: فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004م.

8) (ـــــــــــ)، القيروان في عيون الرحالة، المجمع التونسي للعلوم والأدب والفنون، تونس، بيت الحكمة، 2009م.

9) دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، 2010م.

10) دحدوح عبد القادر، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية (1258-1252هـ/1836-1842م): دراسة تاريخية أثرية، الجزائر، موفم للنشر، 2008م.

11) روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992م.

12) سامعي إسماعيل، الدولة الفاطمية وجهود القاضي النعمان في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب القرن (4هـ/10م)، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، 2010م.

13) شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات)، الجزائر، دار الحكمة، 2003م.

14) شهاب أحمد نهلة، المغرب العربي في عهد عقبة بن نافع دراسة تحليلية، الأردن، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع،2007م.

15) عثمان محمد عبد الستار، أثر الأحكام الفقهية الإباضية على العمارة الإسلامية في المناطق الإباضية حتى نهاية القرن 6هـ/12م، عمان، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 2015م.

16) عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م.

17) فاليرين دومنيك، بجاية ميناء مغاربي 1067- 1510، ترجمة علاوة عمارة، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، 2014م.

18) الكعاك عثمان، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003م.

19) لفيتسكي تاديوش، "مملكة إباضية مغمورة: دولة بني مسالة" ضمن كتاب دراسات شمال إفريقيا، ترجمة أحمد بومزقو، مؤسسة تاولت الثقافية، ج1.

20) لقبال موسى، عقبة بن نافع أساس نظام الفهريين وتأصيل مجتمع إسلامي جديد في المغرب العربي، الجزائر، دار هومة، 2002م.

21) مطهري فاطمة، تاريخ وحضارة تيهرت الرستمية، الجزائر، النشر الجامعي الجديد، 2017م.

22) المغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ الدولة الأموية، الرياض، العبيكان للنشر والتوزيع، 2011م.

ب. المقالات:

23) أم كلثوم بن يحي، "العلاقات الخارجية بين المغرب الأوسط والأندلس في العهد الرستمي"، مجلة دراسات، 2-3، (2014م).

24) بن معمر محمد، "حفريات في تاريخ قلعة هوارة من التأسيس إلى نهاية العصر الوسيط"، المواقف، 12، (2017م).

25) بوجلابة قوزية سعاد، "تاريخ مدينة تيهرت الأثرية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد 4، (2016م).

26) بوداود عبيد، "تقديم مخطوط كتاب في صلحاء وادي شلف لموسى بن عيسى المازوني"، حولية المؤرخ، 13-14، (2011م).

27) (ــــــــ)، "ثورات الحركة الخارجية الصفرية في المغرب الإسلامي (120-132هـ) وتداعياتها"، المواقف، 2، (2008م).

28) بوركبة محمد، "النمط العمراني لمدينة تيهرت في العهد الرستمي"، منبر التراث الأثري، 1، (2013م).

29) بورويبة رشيد، "آشير عاصمة بني زيري"، الأصالة، 12، (2011م).

30) (ــــــــ)، "الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة"، الأصالة، 45، (1975م).

31) بوشامة أحمد وبن علي طاهر، "تطورات الحركة المذهبية للمجالات الريفية فيما بين جبال الونشريس ووادي مينة (2-7هـ/8-13م)"، المعيار، 52، (2020م).

32) تيثبرت نصيرة، "المعالم الأثرية بمدينة المدية العثمانية"، المجلة المغاربية للمخطوطات، 2، (2010م).

33) حاجيات عبد الحميد، "دور الثعالبة في تاريخ ناحية متيجة خلال عهد الدولة الزيانية"، قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، 1، (2008م).

34) خالد حسين محمود، "جريمة اغتصاب النساء في بلاد المغرب (122 -443هـ/740-1052م)"، مجلة حوليات إسلامية، 49، (2015م).

35) رافعي نشيدة، "شخصية ابن حماد الصنهاجي (628هـ) صاحب مخطوط أخبار ملوك بني عبيد"، الحضارة الإسلامية، 14، (2013م).

36) سعيدوني ناصر الدين، "أين كتب ابن خلدون مقدمته؟" المواقف، 02، (2008م).

37) طارق بن زاوي، "خدمات زيري بن مناد الصنهاجي ودورها في الدفاع على الدولة الفاطمية العبيدية في بلاد المغرب (32هـ-360هـ / 935م-971م)"، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، 9، (2019م).

38) الطيب بوجمعة نعيمة، "الوصف الجغرافي للمدية وضواحيها من خلال كتب الرحالة والجغرافيين عبر مختلف الفترات التاريخية"، المجلة المغاربية للمخطوطات، 2، (2010م).

39) عباد محمود، "العمران الديني في الحاضرة الجهوية تيهرت/تاقدمت خلال العصر الإسلامي الوسيط: شواهد تاريخية وأخرى أثرية تكشف عن الماضي اللاتيني للموقع"، عصور الجديدة، 11، (2021م).

40) عباس إحسان، "المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين،" الأصالة، 11-13، (2011م).

41) عمارة علاوة وموساوي زينب، "مدينة الجزائر في العصر الوسيط"، إنسانيات، 44-45، (2009م).

42) عمارة علاوة، "ابن شداد الصنهاجي جامع تاريخ المغرب الوسيط"، التاريخ العربي، 21، (2002م).

43) (ـــــــ)، "الجزائر العاصمة وقبيلة الثعالبة تأسيس وتطوّر مدينة وسيطة"، مجلة معابر، 2016م.

44) (ـــــــ)، "من الواحات إلى جبال الأوراس ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2_3هـ/8_9م)"، ترجمة عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، 9، (2017م).

45) (ـــــــ)، من القائد العسكري إلى القائد الأسطوري صورة عقبة بن نافع في الدراسات الغربية، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2008م.

46) عياش محمد، "مدينة آشير"، المجلة المغاربية للمخطوطات، 1، (2011م).

47) فنينة عبد الحميد، "حول تأسيس مدينة العباسية بإفريقية"، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، 134، (2007م).

48) لقبال موسى، "من قضيا التاريخ الرستمي الكبرى مكتبة المعصومة بتيهرت هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني ورجلان"، الأصالة، 41، (1977م).

49) لكحل زهيرة، "دور قبائل المغرب الأوسط في الصراع بين دول المغارب خلال القرنين 7-8هـ/13-14م: قبيلة بني توجين أنموذجا"، عصور الجديدة، 10، (2020م).

50) مرسلي محمد، "التوسع العمراني للمدية"، حوليات التاريخ والجغرافيا، 5-6، (2012م).

ج. الرسائل الجامعية:

51) بردودي يوسف، المذهب الإسماعيلي والعمران في المغرب الأوسط (280هـ-893م/362هـ-973م)، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر، 2010-2011م.

52) بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر، مذكرة شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006م.

53) بورملة عربية، إمارة بني توجين بالونشريس خلال القرنين (7_8هـ/ 13_14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمان بن خلدون، مذكرة شهادة الماجيستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2009-2010م.

54) جلجل فاطمة، موقع تيهرت الأثري، مذكرة شهادة الماجيستر، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2012-2013م.

الدراسات الأجنبية

1/ المصادر:

1) Pline L'Ancien, *Histoire naturelle*, Desanges j, (éd. Trad), éd. Belles Lettres, Paris, 1980, XIII,95.
2) Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionale*, traduite par le Baron de Slane, Alger, imprimerie du gouvernement, 1854.

2/ المراجع:

3) Amara Allaoua et Nef Annliese, «Al-Idrīsī et les Ḥammūdides de Sicile: nouvelles données biographiques sur l'auteur du Livre de Roger », *Arabica*, 67, (2000).
4) Amara Allaoua, «Les Fatimides et le Maghreb central: littoralisation de la dynastie et modes de contrôle des territoires», *Revue du monde musulman et de la Méditerranée*, 139, (2016).

5) (______), «Retour à la problématique du déclin économique du monde musulman médiéval: le cas du Maghreb hammadide (XI-XIIe siècles)» *The Maghreb Review*, 28, (2003).
6) Anatole Toulotte, *Géographie de l'Afrique chrétienne*, Montreuil-sur-Mer, Notre-Dame des Prés, 1894.
7) André Mandouze, Prosopographie chrétienne du Bas-Empire, 1. Prososopographie de l'Afrique chrétienne (303-533), Paris, *Centre National de la Recherche Scientifique*, 1982.
8) Auguste-Alexandre, *La Vérité sur l'Algérie*, E. Dentu, Paris, 1871.
9) Basset René, «Une ancienne capitale berbère. Notes sur les ruines de Morat», *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres , 45-4* ,(1901).
10) Baudens Lucien, *La relation de l'expédition de Médéa*, publiée par Victor Demontès, Paris, Édouard Champion, 1921.
11) (______), *Relation historique de l'expédition de Tagdempt*, Germer-Baillière, Paris, 1841.
12) Baudrillart Mgr Alfred, *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastiques,* Paris, publiés par Letouzey et Ané, 1914.
13) Benamara Noureddine, *Les Meknassas de l'Ouarsenis*, Alger, Casbah Editions, 2013.
14) Benchekroun Toufik et Liétard Ludovic, « Les Idrissides à la Lumière de fulus frappés à Volubilis et Tahert », *Arabica*, 62, (2015).
15) Benhima Yassir et Guichard Pierre, "Mûsâ ibn Nusayr. Retour sur l'histoire et le pouvoir d'un gouverneur omeyyade en Occident musulman", *Bulletin d'études orientales*, 66, (2017).
16) Benramdane Farid, «Toponymie, contact des langues et établissements humains dans la région de Tiaret: une approche diachronique», *Trames de langues: Usages et métissages linguistiques dans l'histoire du Maghreb,* Tunis-Paris, IRMC, Maisonneuve & Larose, 2004.
17) Berbrugger Adrien, *La Grande Kabilie sous les Romains,* Paris, au bureau de la "Revue orientale", 1853.
18) Brossard Charles, *Géographie pittoresque et monumentale de la France et de ses colonies*, Paris, E. Flammarion, 1906.
19) Cadenat Pierre, « Curieuse tombe à étage dans une nécropole antique de Tiaret », *Antiquités Africaines*, 3, (1969).
20) (______), « La céramique excisée de Tihert-Tagdempt », *B.C.T.H.*, 19B, 1985.
21) (______), « Les gisements préhistoriques de Mesguida Tiaret », *Bulletin de la société préhistorique française*, 66-5, (1969).
22) (______), «Notes d'archéologie tiarétienne», *Antiquités africaines*, 24, (1988).
23) Cagnat René, *L'armée Romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Ernest Leroux, Paris, 1892.
24) Capitaine Rodit, «Les ruines d'Achir », *Revue africaine*, 52, (1908).
25) Chabassière, « Le Kef el-Akhdar et ses ruines », *Revue Africaine*, 13, (1869).
26) Chaix Paul, « Notice sur Aboulfeda », *Le Globe, Revue genevoise de géographie*, 6, 1867.
27) Chaker Salem, « Données sur la langue berbère à travers les textes anciens », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n° 31, (1981).
28) (______), « Aït (enfant de) », *Encyclopédie berbère*, 3, (1986).
29) Cheny Soléna, «Qu'est-ce qu'être berbère lors de la conquête arabe?», in Être berbère au Moyen-âge, *Centre de Recherche berbère/LACNAD*, 24.05.2012.
30) *Corpus Inscriptionum Latinarum (Inscriptiones Africae Latinae)*, 8.
31) Dagorn René, « Quelques réflexions sur les inscriptions arabes des nécropoles kairouanaises », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 13-14, (1973).

32) de Bayle des Hermens Roger, « Les industries préhistoriques de la cité Fronzy, Tiaret, Algérie », *Bulletin de la Société préhistorique française,* 61-1, (1964).
33) (______), «Influences sahariennes dans le néolithique de la région de Tiaret», *Bulletin de la Société préhistorique française,* vol. 60, n° 1-2, (1è963).
34) (______), « Gisements préhistoriques inédits de la région de Tiaret », *Bulletin de la Société préhistorique française,* 61-2, (1964).
35) De Caussade, « Notice sur les traces de l'occupation romaine dans la province d'Alger », *mémoires de la société archéologique de l'Orléanais, Dumoulin libraire Quai des Augustins*, Paris, 80, (1851).
36) de la Blanchére René, «Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie césarienne», *Archives des missions scientifiques et littéraires, imprimerie nationale*, Paris, 10, (1883).
37) de Montgravier Azéma, « Occupation de Tiaret (ancien Tahort des géographes arabes) », *le spectateur militaire*, 35, (1843),
38) de Paiva Manso Visconde, *Historia ecclesiastica ultramarina*, Lisboa imprensa nacional, 1872,
39) Djait Hichem, « L'Afrique arabe au VIIIe siècle (86-184 H./705-800) », *Annales*, 28-3, (1973).
40) Dufourcq Charles-Emmanuel, «La coexistence des chrétiens et des musulmans dans Al-Andalus et dans le Maghrib du Xe siècle», *Occident et Orient au Xe Siecle: Actes du IXe congrès de la Société des Historiens Médiévistes de l'Enseignement Supérieur Public* Paris, (1979).
41) Dussaud René, « Notice sur la vie et les travaux de M. René Cagnat », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres,* 81-5, (1937).
42) François Nettement Alfred, *Histoire de la conquête de l'Algérie: écrite sur des documents inédits et authentiques*, Paris, J. Lecoffre, 1870.
43) Garcin Jean-Claude, «Ibn Hawqal, l'Orient et le Maghreb», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 35, (1983).
44) Gascou Jacques, «Le cognomen Gaetulus, Gaetulicus en Afrique Romaine», *Mélanges de l'école française de Rome*, 82, (1970),
45) Golvin Lucien, « Le Palais de Ziri à Achîr (Dixième Siècle J. C.) », *Ars Orientalis*, V6, (1966).
46) (______), « Mahdya à la période Fatimide », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 27 (1979).
47) (______), « Buluggîn fils de Zîri, prince berbère », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 35, (1983),
48) Gsell Stéphane, «Les monuments», *antiques de l'Algérie*, Albert Fontemoing, Paris, 28, (1901).
49) (______), «Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne », *Mélanges de l'école française de Rome*, 14, (1894).
50) (______), Atlase archéologique de l'Algérie, Alger, 1911.
51) Guin Louis « Le collier de perles précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble de la contrée du R'eris», *Revue Africaine*, 35, (1891), p. 246.
52) Haddadou Mohand-Akli, *dictionnaire topinymique et historique de l'Algérie,* Edition Achab, 2012.

53) Hassen Mohamed, «Les fortifications du sud-est de l'Ifrīqiya au bas Moyen Âge», Fortificações e Território na Península Ibérica e no Magreb (Séculos VI a XVI), Lisboa, *Edições Colibri & Campo Arqueológicode Mértola*, 2013.

54) J. France «La Mitidja De L'Antiquité a 1830» *Revue ancienne*, 3, (1927).

55) Joleaud Léonce, «Études de géographie zoologique sur la Berbérie », *Société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran*, Oran, Imprimerie Typographique et Lithographique L. Fouque, 37, (1917).

56) Kadaria Kadra Fatima, *les Djedares Monuments funéraires berbères de la région de Frenda*, Alger, office des publications universitaires, 1983.

57) Khelifa Abderrahmane, «L'urbanisation dans l'Algérie médiévale», *Antiquités africaines*, 40-41, (2004).

58) L. Leclerc, «inscriptions romaines, recueillies à Tiaret dans la province d'Alger», *Revue archéologiques*, Paris, 11, (1855).

59) L. Métivier, *Petite histoire de la Tunisie, Editeur* La Fléche, Paris, 1910.

60) *L'Afrique du Nord,* illustrée grand journal hebdomadaire Algérie Tunisie Maroc, Edition coloniale, Alger, 30 juillet 1927.

61) *La Méditerranée de Paul-Albert Février,* Publications de l'École française de Rome, 225, (1996).

62) Lallemand Charles, *L'Ouest de l'Algérie. Réseaux exploités par la compagnie de l'Ouest-Algérien, lignes de l'Ouest-Algérien et de la Cie franco-algérienne*, Challamel et Cie, éditeurs, Paris, 1891.

63) Laporte Jean-Pierre, « Notes sur Auzia (Sour el Ghozlane, ex-Aumale), en Maurétanie césarienne », *Bulletin de la Société nationale des Antiquaires de France*, 1999

64) (______), « Rapidum: le camp et la ville», Bulletin de la Société nationale des Antiquaires de France, 1985.

65) (______), «Notes sur le réseau routier de la Maurétanie Césarienne», *Le réseau routier dans le Maghreb Antique et Médiéval. Actes du deuxième colloque international (Sousse, 06,07,et 08 avril 2015),* édit. A. Mrabet, 2016.

66) Lazarev Grigori, « Les Sanhaja du Maghreb central au X°-XI° siècle», *Revue Irfan, Instituto,* Hispano lusitano, (en cours de parution, 2020.

67) le Lieutenant-Colonel Toussaint, «Reconnaissances archéologiques exécutées par les officiers des brigades topographiques d'Algérie et de Tunisie pendant la campagne de 1905-1906», *Bulletin archéologique du Comité des travaux historiques et scientifiques*, Paris, Imprimerie Nationale, 1907.

68) Leveau Philippe, « Ašir toponyme», *Encyclopédie berbère, 7 | Asarakae–Aurès, Aix-en-Provence, Edisud*, 7, (1989).

69) Liétard Ludovic, «Two Rustamid Fulus struck in Tiharat and Tilimsin », *Journal of the Oriental Numismatic Society*, 220, (2014).

70) M. Fabre, «Note sur la ville romaine de Tiaret», *société de Géographie et d'archéologie de la province d'Oran,* 20, (1900).

71) Mac Carthy Oscar, *Géographie physique économique et politique de l'Algérie*, Dubos Frères imprimeurs-libraires, Algér, 1858.

72) Malte-Brun Conrad, *Précis de la géographie universelle, ou Description de toutes les parties du monde,* Furne et Cie, Libraires-Éditeurs, Paris, 1841.

73) Marçais Georges et Dessus-Lamare Alfred, «Recherches d'archéologie Musulmane:Tihert Tagdemt», *Revue Africaine*, 90,(1946).

74) Marçais Georges, « Recherches d'archéologie musulmane (Achir) », *Revue africaine*, Alger, Jules Carbonel, 1922, p. 29.

75) Martínez Enamorado Virgilio, «Memoria Toponímica de los Ṣinhāŷa en el Valle del Havaral (Serranía de Ronda, Málaga, España): una presencia previsible», Revista de Ciencias Humanas y Sociales, 5,(2020).

76) Masqueray Emile, « Inscriptions inédites d'Auzia et détermination de Rapidi et de Labdia », *Bulletin de correspondance africaine*, Alger, 1882.

77) (______), *formation des cités chez les populations sédentaires de L'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouïa de L'Aoras, Beni Mezab)*, Ernest Leroux, Paris, 1886.

78) Mauroy Pierre, *Question d'Alger en 1844 précédée d'un Précis de la domination romaine dans le nord de l'Afrique et suivie d'un Appendice sur le commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale*, Paris, J-B Gros, 1844.

79) M'Charek Ahmed, «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité à nos jours :le cas des Berbères Auares (Hawāra) et Dianenses ou Zanenses (Zanāta), *Académie des inscriptions et belles-lettres SEMP*, 2015.

80) (______), «Continuité de l'ethnonymie, continuité du peuplement au Maghreb de l'antiquité au Moyen Âge .Le cas des Gétules Misiciri Dansle Livre des Exemples d'Ibn Khaldûn» Les sociétés tribales en Afrique du Nord IX e Journée d'études nord-africaines, *Académie des inscriptions et belles-lettres SEMP*, 2020.

81) (______), De Tacite à Ibn Khaldûn, à la recherche de deux tribus berbères: masofi (masûfa) et vsinazi (banû sināg/sanhadja), *Actes du 7eme colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes*, Sbeitla, 2010.

82) Mentelle Edme, *Encyclopédie méthodique Géographie ancienne*, libraire, hotel de Thou, rue des Poitevins, Paris, 1787.

83) Mesnage Joseph, *L'Afrique chrétienne, évêchés ruines antiques*, Ernest Leroux, Paris, 1912.

84) Miquel André, «La description du Maghreb dans la géographie d'al-Içt'akhrî», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 15-16, (1973).

85) Moliner-Violle, *Précis de géographie historique de l'Algérie*, Alger, Adolphe Jourdan, 1877.

86) Morizot Pierre, « Vues nouvelles sur l'Aurès antique », *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 123-2, (1979).

87) Moukraenta Bakhta Abed, *L'image de l'Algérie antique au travers des sources arabes du moyen âge*, Alger, Ministère de la culture, 2013.

88) (______), «Essai sur le réseau routier de l'Ouest du Maghreb Central (Maurétanie Césarienne) d'après les géographes arabes (9ème –12ème siècles)», *L'Africa Romana, XVIe Congrès international di Studi*, Rabat, 2004.

89) Nef Annliese, « Al-Idrīsī : un complément d'enquête biographique » *Géographes et voyageurs au Moyen Âge*, Presses universitaires de Paris Ouest, 2010.

90) Niel Odilon, *Géographie de l'Algérie*, Legendre libraire, Bône, 1876.

91) Piesse Louis, *Itinéraire de l'Algérie de la Tunisie et de Tanger*, librairie Hachette, Paris, 1882.

92) Playfair James, *A System of Geography: Ancient and Modern*, London, P. Hill Edinburgh, 6, (1814).

93) Prévost Virginie, « L'ibadisme berbère. La légitimation d'une doctrine venue d'Orientm, La légitimation du pouvoir au Maghreb médiéval. De l'orientalisation à l'émancipation politique », *Collection de la Casa de Velázquez, Madrid*, 127, (2011).
94) (______), «Abd al-Raḥmān b. Rustam», *the Encyclopaedia of Islam Three*, Leiden, Brill, (2011).
95) (______), «Ibāḍisme et ṣufrisme dans le Maghreb central», (dir) Houari Touati, *Histoire générale de l'Algérie. L'Algérie médiévale*, Zaytūn, 2014.
96) (______), «L'architecture ibadite: éloge de la simplicité, retour aux sources de l'islam», *Monumentum. L'habitation, le politique, le sacré,* Turnhout, Brepols, 2017.
97) Redjala Mbarek, «Les Barghwâta (origine de leur nom)», *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 35, (1983).
98) Ricque Camille, *Milianah*, Paris, Benjamin Duprat, 1865.
99) Roches Léon, *Trente-deux ans à travers l'Islam, 1832-1864*, Paris, Firmin-Didot, 1884.
100) Salama Pierre, « Les voies romaines de Sitifis à Igilgili. Un exemple de politique routière approfondie », *Antiquités Africaines*, 16, (1980).
101) Shaw Thomas, *Voyage dans la régence d'Alger*, cher Marlin Éditeur, Paris, 1830.
102) Shaw Thomas, *Voyage dans la régence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc. de cet état,* Paris, Marlin, 1830.
103) Souville Georges, « Pierre Cadenat (1902-1998) », *Antiquités africaines*, 35, 1999.
104) Toulotte Mgr, *Géographie de l'Afrique chrétienne,* imprimerie Notre-Dame-des-Prés, 1894.
105) Valérian Dominique, "Bakrī et le Maghreb", Islamisation et arabisation de l'Occident musulman médiéval (viie-xiie siècle); Paris, 2010.
106) Vanacker Claudette, «Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IXe siècle au milieu du XIIe siècle», *Annales Économies, Sociétés, Civilisations, 28-3,* (1973).
107) Vanacker Claudette, «Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes du IX^{e} siècle au milieu du XII^{e} siècle», *Annales*, 28-3, (1973).
108) Vayssettes, « de Boghar à Tlemcen en suivant la ligne des postes (septembre 1861) », *Revue Africaine*, 6, (1862).
109) Walter E. Kaegi, *Muslim Expansion and Byzantine Collapse in North Africa*, New York, Cambridge University Press, 2010.
110) Welsch Jules, « Les terraine jurassiques dans les environs de Tiaret, Frenda et Saida (département d'Oran, Algérie) », *Bulletin de la société géologique de France*, 18, (1890).
111) Yanoski Jean, *L'Afrique chrétienne et domination des vandales en Afrique,* libraire de Firmin-didot, Paris, 1883.
112) Yves Modéran, *Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VIIe siècle)*, l'École française de Rome, (2003).
113) «Excursion chez les Matmata octobre 1892, par le comte du Paty de Clam», *Bulletin de la Société de géographie de Toulouse*, 09-10, (1899).
114) «Section de géographie historique et descriptive», *Bulletin du comité des travaux historiques et scientifiques,* Paris, 1, (1887).

3/ الخرائط:

115) Tiaret, Alegria-Maps, U.S. Army, Corps of Engineers, Geographical section G.S.G.S 4275, G8344. T551 1943, U53, Library of congress (r47b1).

116) Auguste Warnier et Ernest Carette, *Carte de l'Algérie divisée par tribus*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE B-2285 (RES).

117) Auguste-Henri Dufour, *Carte de l'Algérie et d'une partie de la Méditerranée indiquant le rapport qui existe entre l'Afrique et l'Europe*, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, Ge DL 1838-2.

118) L'Algérie politique et routière, Bibliothèque nationale de France, département Cartes et plans, GE D-27851, (1850).

119) Paris, BNF, département Estampes et photographie, 12148/btv1b6902300h..

120) Reclus Élisée, *The Earth and Its Inhabitants, Africa: North-west Africa*, New York, D. Appleton and Company, vol, 2, (1887), p. 343.

121) Tiaret, Alegria-Maps, U.S. Army, Corps of Engineers, Geographical section G.S.G.S 4275, G8344. T551 1943, U53, Library of congress (r47b1).

122) V.-A. Maltebrun, Carte générale de l'Algérie, d'après celle du dépôt de la guerre, Bibliothèque nationale de France, *GEC-429*, (1884).

الفهارس

1- فهرس الأعلام:

(أ)

ابن الأبار: 229.

ابن أبي زرع الفاسي: 161.

ابن الأثير: 12، 157، 158، 159، 170، 175، 178، 216، 258، 274.

أحمد بن الفتح: 64.

أحمد بن نافذ: 215.

إدريس الأكبر: 254.

إدريس الأول: 120.

الإدريسي: 18، 31، 56، 99، 103، 109، 182، 186، 199، 200، 218، 219، 220، 227، 232، 233، 234، 261.

إرهاص بن عصفراصن: 243.

إسحاق بن الحسن: 128.

إسماعيل الشيعي: 111.

الإصطخري: 16، 17، 55، 67، 68، 103. 104، 109، 234، 235.

أفلح بن عبد الوهاب: 30، 122، 125، 143، 150، 215، 217، 240، 234، 252.

الإمام المهدي: 153، 155، 225، 244، 246.

أيوب النفوسي: 218.

(ب)

باديس بن المنصور: 34، 160، 161، 176، 178، 223، 245، 273، 274.

ابن بشكوال: 65.

البشير الونشريسي: 47.

ابن بطوطة: 228.

بكر بن حماد (اليهرتي): 64.

أبو بكر الصنهاجي: ص47.

أبو بكر بن أفلح: 122، 135، 139، 140، 149، 200، 203، 204، 252، 255.

أبو بكر بن عريف: 212، 268.

البكري: 17، 34، 56، 82، 87، 91، 109، 114، 115، 117، 119، 127، 128، 129، 132، 144، 147، 166، 173، 174، 175، 179، 183، 184، 190، 191، 194، 199، 201، 202، 217، 218، 224، 227، 229، 232، 233، 234، 245، 247، 251، 254، 257، 275.

البلاذري: 214، 215.

بلكين بن زيري: 158، 174، 185، 193، 194، 216، 242، 271.

البلوي: 228.

أبو البهار: 158، 159.
أبو البيان واضح المكناسي: 16، 48.

(ت)

أبو تاشفين الزياني: 213، 254.
ابن تومرت: 47.

(ج)

جرجير: 29.
جوهر الصقلي: 112، 157.

(ح)

أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح: 122، 129، 137، 139، 142، 143، 200، 205، 248، 255، 256.
الحرث بن مالك: 265.
ابن حزم القرطبي: 23.
الحسن بن أحمد المهلبي (العزيزي): 17، 66، 69، 98، 233، 234.
أبو الحسن المريني: 254.
الحسن الوزان: 117، 124، 190، 196، 235.
حماد بن بلكين: 34، 159، 160، 161، 176، 178، 223، 245.
أبو حمو الثاني: 15، 209، 226، 230، 263، 267، 278، 280.
أبو حمو موسى الأول: 209.
حميد بن يصل: 110، 111، 156، 229، 256.
أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي: 153، 206، 244.
الحميري: 186، 200، 234.
ابن حوقل: 17، 18، 31، 55، 56، 68، 98، 99، 100، 102، 103، 107، 108، 112، 144، 146، 148، 165، 174، 180، 181، 182، 193، 198، 199، 201، 203، 218، 220، 222، 226، 228، 229، 271، 272.
ابن حيان القرطبي: 13، 198.

(خ)

ابن خرداذبة: 234.
أبو الخطاب عبد الأعلى المعارفي: 29.
خلف الجيزي: 178.
خلوف بن محمد: 158.
خليفة بن خياط: 272.
الخير بن محمد بن خزر: 110، 111، 250.

(د)

الداعي إدريس: 15.
داود بن إبراهيم العجيسي: 156.

الدرجيني: 77، 80، 85، 86، 87، 89، 96، 97، 118، 128، 129، 132، 149، 217، 218.

(ر)

الرازي: 248.

الرقيق القيرواني: 12، 34، 63، 205.

(ز)

أبو زكريا الحفصي: 41.

أبو زكريا الموحدي: 49.

أبو زكريا الورجلاني: 13، 45، 77، 81،84، 85، 132، 148، 225.

أبو زيان (الزياني) 226، 267، 280، 281.

أبو زيد الموحدي: 187.

زيري بن عطية: 159، 160، 223.

زيري بن مناد: 34، 133، 157، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 177، 179، 180، 183، 194، 273.

(س)

سابق بن سليمان المطماطي: 14، 243.

سبتيموس سفيروس (Septimius Severus)، 72 ، 221.

سعد بن علي: 265.

ابن سعيد المغربي: 18، 26، 40، 63.

ابن سلّام الإباضي: 29، 63.

سلامة بن علي: 211.

ابن سليمان المكناسي: 246.

سيد الناس بردوح بن أمير الناس: 261.

(ش)

ابن شداد الصنهاجي: 13، 14، 82، 83، 157، 159، 166، 170، 171، 216، 271.

الشماخي: 85، 89، 143، 150، 258.

(ص)

ابن الصغير: 12، 25، 30، 31، 54، 64، 66، 121، 123، 125، 126، 129، 131، 133، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 143، 147، 149، 200، 201، 203، 204، 205، 217، 218، 233، 240، 243، 251، 252، 253، 254، 255، 274.

ابن الصغير الهواري: 253.

(ظ)

أبو الظفر غانم بن مردنيش: 187.

(ع)

العباس بن عطية: 162.

أبو العباس محمد بن الأغلب: 214.

عبد الرحمان الناصر: 112.

أبو عبد الرحمان بكر بن حماد: 205.

عبد الرحمان بن خلدون: 5، 12، 14، 23، 33، 34، 35، 37 38، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 49، 50، 65، 110، 114، 157، 162، 169، 171، 180، 187، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 207، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 226، 229، 230، 240، 241، 242، 234، 245، 246، 247، 249، 250، 253، 259، 262، 263، 264، 265، 267، 268، 269، 275، 276، 278، 279، 281.
عبد الرحمان بن رستم: 13، 76، 77، 82، 84، 89، 98، 99، 103، 114، 115، 116، 119، 120، 121، 125، 130، 131، 141، 142، 143، 146، 149، 217، 230، 231، 242، 249، 250، 254،251، 275.
عبد العزيز المريني: 281.
عبد العزيز بن المنصور: 261.
عبد القوي التوجيني (الأمير): 39، 40، 41، 43، 45، 46، 207، 225، 245، 262.
أبو عبد الله الداعي: 82، 132، 152.
عبد الله بن المنصور الحمادي: 214، 261.
عبد الله بن خزر: 110، 192، 244.
عبد المؤمن بن علي الموحدي: 186، 261.
عبد الواحد المراكشي: 64، 162.
عبد الوهاب بن أفلح: 31، 66، 87، 125، 130، 143، 149، 248، 251، 252، 354، 255، 255.
ابن عبد ربه الحفيد: 18.
العبدري: 228.
أبو عبيدة الأعرج الهواري، 253.
عثمان بن يغمراسن: 208، 265، 278، 279.
عدي بن يوسف: 279.
ابن العديم: 17.
ابن عذاري المراكشي: 63، 64، 70، 86، 74، 82، 83، 84، 85، 91، 109، 110، 111، 129، 138، 142، 153، 158، 159، 163، 167، 187، 201، 202، 204، 205، 206، 233، 244.
ابن عرفة: 252.
عروبة بن يوسف الكتامي: 246، 249، 243.
العزيز بالله الفاطمي: 17.
عطية الخير: 39.
عطية بن دافلتن: 34.
عقبة بن نافع: 54، 74، 88، 92، 120، 190، 221.

عُمر بن مسعود: 281.
أبو عمران موسى بن عيسى المازوني: 15، 48، 217.
أبو عمران موسى بن يوسف: 162.
عيسى بن الفتوح: 50.

(غ)

غالب الخصي: 209.
غزانة المطماطي: 245.
غزي الصنهاجي: 187.

(ف)

ابن الفقيه: 234.
أبو الفداء: 17، 63، 83.

(ق)

القائم بأمر الله الفاطمي: 155، 172، 201.
أبو القاسم بن عبيد الله: 91، 249، 253، 256.
أبو القاسم محمد: 155.
القاضي النعمان: 12.
أبو قرة المغيلي: 258.
القلقشندي: ص 23، 69، 215، 233.

(ك)

كباب بن زيزي: 178.
كرامت: 274.
كلمام بن حياتي: 259.

(ل)

لقمان بن المعتز: 34.

(م)

ماخور: 261.
أبو مالك يغمراسن اللهيصي: 155.
محسن بن القائد: 184.
محمد بن أفلح: 143.
محمد بن الأشعث: 29، 77، 82.
أبو محمد بن الشيخ أبو حفص: 188، 276.
محمد بن حماد: 205.
محمد بن خزر: 93، 109، 110، 153، 201، 206، 244.
محمد بن رباح: 205.
محمد بن صالح اليفرني: 223.
محمد بن عبد القوي: 9، 43، 44، 45، 46، 48، 49، 50، 188، 265، 277، 278، 280.
محمد بن مسالة الإباضي: 251، 252، 275.
محمد بن يوسف الوراق: 17، 34، 56، 86، 87، 109، 118، 128، 133، 144، 190، 257.
محمد بن يوسف بن تاشفين الزياني: 279.
محمد بن يوسف: 213.
محمود بن الوليد: 149.
أبو مروان عبد المالك بن موسى الوراق: 175.

مصالة بن حبوس المكناسي: 154، 246.

أبو معبد عبد الرحمان: 230.

المعز لدين الله الفاطمي: 12، 157، 158، 216.

المقديسي: 17، 98، 99، 106، 112، 131، 133، 165، 199، 206، 223، 224، 250.

المنتصر بن خزرون: 184.

منديل بن عبد الرحمان: 239.

المنصور الحمادي: 185، 260.

المنصور الفاطمي: 12، 157، 159، 180، 194، 205، 229، 256.

المنصور الموحدي: 162، 225.

المنصور بن أبي عامر: 159.

المنصور بن الناصر بن علناس: 185.

المنكوشي (النسابة): 14.

موسى بن أبي العافية المكناسي: 33، 155.

موسى بن زرارة: 278.

موسى بن نصير: 272.

ميسور الفتى: 33، 142.

(ن)

الناصر الموحدي: 188.

الناصر بن علناس: 184، 258، 260، 277.

الناصر لدين الله الفاطمي: 33.

نصر بن سلطان بن عيسى: 265.

النويري: 12، 82، 158، 166، 167، 177، 178، 182، 216.

(و)

ابن وردة: 148.

الوطواط: 233.

ولد البغال: 217.

ونزمار بن عريف 266.

(هـ)

أبو هريرة الزناتي: 29.

(ي)

أبو اليقظان محمد بن أفلح: 30، 138، 139، 141، 142، 148، 203، 204، 253، 255.

اليقظان بن أبي اليقظان: 152.

أبو يعقوب: 40.

أبو يعقوب المزاتي: 256.

يغمراسن بن زيان: 41، 48، 208، 225، 247.

يوسف بن حسن: 278، 279.

يعلى بن محمد اليفرني: 111، 157، 250، 257.

يعقوب بن أفلح: 129، 204، 248، 255، 256.

أبو يعقوب يوسف المريني، 209.

يصل بن حبوس: 154.

يوسف بن تاشفين: 162.

يوسف بن حماد بن زيري: 183، 184.

يوسف بن يعقوب: 195.

أبو يزيد مخلد بن كيداد: 156.

يطوفت: 158، 159، 160.

يحي بن غانية: 162، 188، 276.

أبو يزيد الزناتي: 171، 180.

يعقوب المنصور: 187.

يحي بن خلدون: 15، 26، 28، 209، 213.

اليعقوبي: 16، 30، 34، 54، 64، 133، 146، 202، 221، 222، 223، 226، 230، 231، 232، 233، 234، 251، 269، 272.

ياقوت الحموي: 17، 18، 69، 92 ،93، 94، 166، 179، 234.

2- فهرس الأماكن والبلدان:

(أ)

ابن ماما/ ازمامة: 198، 199، 203، 219، 222، 224، 275.
أزرو: 247.
أشير: 4، 10، 11، 12، 13، 15، 19، 44، 55، 133، 155، 157، 158، 158، 161، 165، 166، 168، 169، 170، 172، 174، 178، 178، 180، 183، 184، 185، 186، 187، 190، 191، 193، 201، 116، 118، 220، 222، 223، 224، 227، 228، 229، 233، 234، 261، 271، 271، 2273 274 276، 280.
أضنة: 54، 221.
أعبر: 224.
الأغواط: 154.
إفريقية: 29، 31، 68، 77، 90، 152، 166، 222، 234.
افكان: 222، 223، 227.
إمارة بني توجين: 29، 37، 210، 211، 254.
الأندلس: 13، 156، 229، 231، ، 232، 271.
الأوراس: 29، 30، 56، 73، 253.
أوزكا: 230.

(ب)

بوسعادة: 225.
بلاد نفزة: 231.
بلاد مغيلة: 259.
برشك: 47.
بغاية: 221.
البرواقية: 218.
بلنسان: 216.
بلاد أوماش: 44.
بلاد صنهاجة: 19.
بورة: 34، 224.
بغداد: 108.
البطحاء: 50، 212، 214، 228، 230، 260.
بوغار: 58.
البصرة: 142.
بجاية: 130، 184، 186، 187، 228، 260.
بني واريفين: 227.
بني جليداسن: 227.
بوازني سالم الصدر طيب الخاطر: 48.
بسكرة: 45، 225، 226، 230، 231.

بلياس: 229.
بني راشد: 37، 38.
بلاد المغرب الأوسط: 4، 5، 23، 25، 26، 32، 35، 37، 49، 193، 209، 250، 254، 261.
بلاد المغرب الإسلامي: 2، 17، 72، 76، 55، 67، 68، 72، 76، 77، 87، 88، 107، 108، 139، 165، 198، 201، 214، 215، 222، 251، 271، 273.
بلاد الزاب: 4، 6، 32، 35، 36، 37، 42، 44، 54، 54، 56، 67، 83، 221، 239، 253.

(ت)

تاجموت: 232، 247.
تاجنة (قارية): 227، 232.
تادرة: 224.
تاغريت: 232.
تاورغا: 29.
تاوغزوت: 28، 41، 211، 265.
تغنيف: 222.
تمزكيدة: 224.
تمما: 199.
تنس: 47، 224، 227، 231، 232، 234، 270.
تنغارتيا: 62، 70.
تهوذة: 83، 221.
توسنينة: 203.
تونس: 44، 162، 226، 228، 268.
تيهرت (تاقدمت): 10، 17، 19، 30، 53، 55، 56، 67، 68، 69، 78، 84، 85، 87، 97، 98، 104، 106، 109، 116، 117، 119، 121، 124، 132، 140، 155، 204، 207، 233.
تيهرت (المدينة الجبلية): 16، 56، 69، 71، 76، 77، 80، 81، 84، 85، 86، 92، 99، 106، 119، 123، 123، 137، 155.
تلمسان: 15، 19، 31، 41، 47، 48، 54، 58، 59، 73، 192، 195، 222، 223، 224، 226، 228، 230، 234، 235، 238، 247، 261، 263، 265، 270، 271، 279، 280، 281.
تيهرت: 4، 6، 7، 9، 10، 12، 13، 14، 15 18، 19، 20، 25، 30، 32، 39، 53، 55، 56، 58، 60، 62، 63، 64، 65،65، 66، 67، 68، 69، 70، 75، 76، 77، 81، 83، 83، 84 ،85، 87، 88، 91، 93، 96، 97، 106، 109،

110، 111، 112، 116، 118، 120، 148، 150، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 169، 178، 192، 198، 199، 200، 201، 202، 203.

(ث)

ثنية الحد: 259.

(ج)

جبال التيطري: 37، 39، 42، 43، 44، 45، 166، 169، 195، 198، 226، 269، 272، 275، 276، 278، 280، 281.

جبال بني شقران: 31، 32.

جبال سعيدة: 73.

جبال نفوسة: 248.

جبل أنقبق: 231.

جبل بني واطيل: 223.

جبل توجان/ ينجان، 30، 31، 32، 227.

جبل جزول/قزول:9، 56، 78، 114، 116 249.

جبل دراك: 38، 257، 269، 278.

جبل راشد: 35.

جبل قوجيلة: 78، 79، 207.

جبل كريكرة: 239، 257.

جبل ماحنون: 35، 264، 278.

جبل مطماطة: 232، 245.

جبل هوارة: 222، 228، 254، 260.

جبل وافرشان/ أفرشان: 15، 247.

جبل وزينة: 35، 264، 278.

جربة: 6.

الجزائر/جزائر بني مزغنة:2، 44، 55، 172، 185، 187، 190، 191، 192، 191، 228، 232، 233، 261، 268، 277.

جندل: 281.

جواب: 72.

(ح)

حصن ابن بخاثة: 92.

حصن ابن كرام: 202.

حصن إغزر: 91، 191، 219، 233.

حصن الجعبات: 38، 39، 40، 214، 260، 261.

حصن برقجانة: 92، 137، 149.

حصن تافركنيت: 3، 41، 208، 209، 263.

حصن تامغيلت: 199، 200، 201، 202، 224، 233، 270.

حصن توكال: 213، 263.

حصن لواتة: 137، 204، 255.

حصن مرات: 3، 41، 207، 208، 264.

حصن مصادف بن جرتيل: 202، 203، 222، 226، 233، 234، 270، 271، 274.

حصن نماليت: 205.

حمزة (المدينة): 183 228، 229، 273.

(خ)

خربة بنت سارة: 204.

الخضراء: 46، 47، 226، 227.

(د)

دارست: 224.

دمكة: 223.

دوسن: 226.

(ر)

رحبة البصريين: 149.

رحبة القرويين: 149.

رحبة الكوفيين: 149.

رها: 106.

الرهادنة: 147، 148، 253.

ريغة: 218، 224، 227، 234.

(س)

سامراء: 97.

سجلماسة: 154، 157، 158، 230، 235.

سدراتة: 6.

السرسو: 35، 37، 38، 40، 58، 92، 161، 198، 238، 239، 241، 245، 249، 250، 254، 257، 259، 267، 275.

سطيف: 72، 228، 234، 256.

سغوان: 219.

السوادن الغربي: 230.

سوف أجج: 77، 78، 79، 82، 83، 89، 249، 250.

سوق إبراهيم: 222، 226، 227.

سوق كران (ابن كرام): 227.

سوق لوها: 206.

سوق هوارة: 224، 227، 274.

سوقر: 78.

سيدي رابح = مرات.

سيرات: 260.

(ش)

شرشال: 47، 192، 232.

شعبة: 229.

الشلالة: 78، 79.

شلف الطير 30.

الشلف: 15، 39، 193، 201، 224، 226، 227، 228، 239، 246، 278.

طنجة: 221، 228، 234.

(ص)

صحراء زاغر: 42، 45، 226.

صقلية: 108.

(ض)

ضيعة فرفار: 226

(ع)

العباسية (مدينة): 214، 215.

العطاف: 265، 269.

عمي موسى: 49، 210.

عين الدفلى: 281.

عين الصبحي: 232.

عين الصفراء: 168.

عين الصفصاف: 227.

عين بحيرة: 168.

عين بنية: 168.

عين تامليت: 205.

عين تلانتييغ: 168، 173.

عين سليمان: 168، 173.

عين مسعود: 166، 167، 177.

عين وسارة: 225.

(غ)

الغزة: 30، 224، 227، 232، 233،

(ف)

فرندة: 28، 72، 205، 211

الفسطاط: 96

فاس: 18، 31، 120، 154، 157، 158، 222، 224، 226، 234، 270

(ق)

قابس: 29.

القاهرة: 158.

قرطاجة: 188.

قرطبة: 13، 231.

قرية ابن مجبر: 199، 219.

قرية رطل مازوغة: 193، 218، 219، 227، 234.

قرية سطيت: 220، 224.

قسطيلية: 29، 224، 235.

قسنطينة: 187، 226، 228.

قصر البوخاري: 200.

قصر تاسلونت: 139، 203، 204.

قلعة ابن حمة: 205.

قلعة بني حماد: 160، 161، 176، 186، 187.

قلعة بني حماد: 33.

قلعة بني سلامة: 14، 28.

قلعة بني سلامة: 211، 212، 214، 226، 230، 231، 265، 267، 268.

قلعة سعيدة: 37، 50.

قلعة نفوسة: 135، 136، 138.

قلعة هوارة =جبل هوارة.

القيروان: 7، 18، 29، 76، 77، 84، 88، 96، 130، 159، 165، 166، 205، 216، 223، 224، 231، 232، 249، 250، 270، 275.

(ك)

الكاف الأخضر: 178.

كدية العابد: 257.

كزناية: 224، 227.

الكوفة: 96.

(ل)

لجدار: 256.

(م)

مازونة: 40، 47، 187، 228، 258.

ماورغة: 224.

متيجة/ قزرونة: 44، 47، 188، 191، 202، 226، 233، 276، 277.

مجمع الواصلية: 218.

محراب سليمان: 173.

مدكرة: 226.

المدية: 4، 10، 11، 19، 39، 41، 43، 46، 59، 193، 172، 189، 190، 191، 192، 193، 195، 196، 203، 209، 219، 232، 233، 235، 268، 277، 278، 279، 281.

مراكش: 225.

مرسى الدجاج: 229.

مرسى فروخ: 231.

مرسى هنين: 228.

المرية: 228.

مستغانم: 231.

المسيلة: 17، 30، 31، 33، 44، 45، 184، 198، 199، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 227، 239، 256، 270، 273.

مصر: 70، 108، 109.

مصلى قبر مسالة: 274.

مضيق مكناسة: 232.

معبر جوزة: 222، 224، 227.

المعسكر: 31، 32، 227.

المغرب الأقصى: 24، 32.

مقرة: 44، 45، 222، 239.

مليانة: 47، 48، 172، 192، 193، 209، 224، 227، 228، 234، 265، 268، 281.

منداس: 39، 40، 41، 114، 206، 212، 224، 226، 230، 238، 240، 245، 254، 257، 259، 261، 267.

المنصورية: 152، 157، 160، 216.

المهدية: 152، 154، 155، 158، 201.

مورية (موزية): 224.

موريطانيا القيصرية: 21، 53، 69، 73، 75، 116.

موزاية: 189.

ميلة: 228.

(ن)

نداي: 233.

نكور: 154، 235.

النهر الصغير: 137، 219.

نهر ملوية: 33، 35، 270.

نهر واصل: 33، 35، 39، 42، 161، 262، 264، 269.

(و)

وادي ارهيو: 47، 48.

وادي الشلف: 11، 34، 35، 40، 42، 43، 72، 200، 221، 223، 231، 238، 258، 259، 262، 270.

وادي المالح: 222.

وادي المالح: 224، 227.

وادي تاتش: 132، 138.

وادي تافركينت: 210.

وادي تيارت: 58، 71، 91.

وادي ميزاب: 96.

وادي مينا: 12، 132، 114، 130، 137، 138، 139، 204، 205، 214، 217، 218، 239، 240، 252، 255، 259.

وادي هوارة: 252.

ورجلان: 65.

الولجة: 49.

وليلي: 20.

الونشريس: 3، 16، 18، 27، 32، 35، 37، 39، 40، 41 47، 49، 50، 58، 72، 78، 107، 206، 213، 217، 222، 226، 238، 239، 240، 245، 257، 258، 262، 263، 264، 265، 267، 268، 277، 278.

وهران: 30، 72، 281.

(هـ)

هاز/ أوزيا: 6، 16، 30 ،34، 45، 72، 192، 198، 199، 202، 220، 222، 223، 224، 229، 234، 269، 272.

(ي)

يلل: 31، 32، 224، 226، 227، 253.

3- فهرس القبائل والشعوب:

(أ)

الإباضية: 6، 7، 9، 10، 13، 14، 74، 76، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 96، 97، 103، 105، 120، 121، 123، 126، 140، 141، 151، 155، 218، 259.

الأدارسة: 248.

الأغالبة: 215.

الأمويون: 194.

أهل السوس: 56.

الأوس (بنو مسالة): 251.

أولاد عزيز بن يعقوب: 278، 279.

أولاد لقرد: 206، 107، 208.

(ب)

باديس: 37، 247.

بادين: 24، 29.

بادين: 37، 247.

البتر: 5، 23.

البرانس: 5، 23، 272.

البربر: 86، 99.

برزال: 270.

برقجانة: 95.

(ت)

تلكاتة: 10، 11، 44، 165، 238، 269، 273، 274.

توجين: 2، 3 ،4، 5، 6، 9، 11، 14، 15، 16، 20، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 31، 32، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 49، 50، 51، 53، 162 ،209، 212، 214، 217، 218، 220، 240، 247، 262، 263، 265، 267، 277، 279، 280.

تيغرين: 25، 212، 262، 263.

(ث)

الثعالبة: 43، 44، 188، 276، 277، 278، 280.

(ح)

الحرث: 269.

حصين: 44، 195، 280، 181.

الحماديون: 184، 185.

(خ)

خزر: 152، 244.

(د)

دبوس: 93، 153.

دمر: 202، 270، 274.

ديالمة: 269.

(ذ)

الذواودة: 230، 272.

(ر)

راشد: 24.

رحيك: 24.

الرومان: 72، 192، 193.

(ز)

زردال: 24، 25، 221.

زغبة: 166.

زناتة: 6، 9، 12، 24، 27، 28، 29، 30، 32، 33، 49، 155، 157، 160، 165، 171، 172، 175، 177، 185، 194، 201، 206، 216، 225، 230، 238، 240، 241، 242، 245، 247، 250، 257، 258، 259، 260، 262، 269، 270، 271، 272، 273، 275.

الزيريون: 123، 139، 158، 160، 161، 165، 172، 193، 195، 225، 239، 273.

(س)

سدراتة: 255.

سرغين: 25.

سليم: 45، 187.

سنجاس: 277.

سويد: 206، 208، 266.

(ص)

صنهاجة: 6، 11, 32، 33، 43، 44، 70، 86، 87، 115، 147، 157، 173، 175 ،191، 216، 238، 242، 245، 258، 260، 269، 270، 272، 273، 274، 276، 279.

(ض)

ضريسة: 249.

(ط)

طريش: 210.

(ع)

عبد الواد: 23، 24، 37، 50، 254، 263.

العجم: 200، 203.

عرب أزغاز: 41، 45.

عريف: 212، 267.

عطاف: 281.

(غ)

غانية: 10، 19، 123، 162، 163، 176، 178، 225، 250.

(ف)

الفاطميون: 33، 53، 70، 112، 172، 216، ,223، 225، 230، 239، 253، 256.

(ق)

قاضي: 25، 267.

قمري: 25.

(ك)

كتامة: 4، 32، 33.

(ل)

لماية: 249، 250.

لمدية: 191، 179.

لواتة: 12، 200، 204، 205، 239، 240، 243، 245، 251، 254، 255، 257، 259، 275.

(م)

ماخوخ: 262.

مادون: 25، 267.

مامت: 25.

مَدن: 25، 40.

المرابطون: 185، 187.

مرين: 24، 209، 211.

مزاتة: 255، 256.

مزغنة: 193.

مسراتة: 254.

مصاب: 24.

مصعب: 36.

مطماطة: 155، 243، 244، 245، 247، 257.

المعتزلة: 218، 252.

مغراوة: 13، 37، 39، 41، 43، 46، 48، 110، 142، 153، 156، 210، 239، 257، 262، 269، 277، 278.

مغيلة: 257، 268.

منداسة: 86، 87، 115، 146، 242، 243.

منديل: 247.

منكوش: 25، 212، 262، 263، 264، 279.

الموحدون: 162، 239، 261، 262.

المور: 5.

(ن)

نفزاوة: 275.

نفوسة: 200، 203.

النكارية: 217.

(و)

واسين: 23، 25، 27، 29، 30، 32، 33، 34، 36، 37.

وجديجن: 206، 239، 240، 241، 242، 245، 257، 259، 269.

ومانو: 33، 185، 241، 242، 245، 259، 260، 261، 262.

الوهبيون: 36، 217.

(هـ)

هلال: 178، 228.

هوارة: 31، 250، 251، 252، 255، 274.

(ي)

يدللتين: 25، 211، 214، 265.

يرناتن: 33، 50، 263، 264، 268، 278، 279.

يرنيان: 30, 272.

يفرن: 110، 240، 257، 269.

يلومي: 33، 39، 40، 185، 241، 242. 245، 259، 260، 261، 265.

4- فهرس المحتويات:

الصفحة	العنوان
1	المقدمــــــــة
	الفَصْل الأَوّلْ: جَمَاعَات بني تُوْجِين فِي الخَارِطَة الجُغْرَافِيَة للتَحوُلاَت المَجَالِيَة: مُحَاوَلَة ضَبْط مَجالاَت التَعَايُش".
23	1- في أصل جماعات بني توجين ــ قراءة في النسب
25	2- التباين التسموي للإيثنونيم بين الرسم والنطق: (ينجان، توجان، يوجين، تجان، تجين، تيجن، توجين)
27	3- التحولات المجالية من منطلق الشهادات النصية
28	4- محاولة البحث عن جُذور التوطين
28	4-1 بنو توجين إلى وقت الفتح
30	4-2 مجال توجين ضمن اتحاد بني واسين
37	5- دخول جهة التل من المجالات الريفية للمغرب الأوسط وبداية تأسيس إمارة توجينية
37	5-1 النص الخلدوني وإقرار الجغرافيا المجالية
38	5-2 جماعات بني توجين في كرونولوجيا التوسع
46	5-3 السلطة المركزية وإشكالية الولاء لبعض جهات الأطراف
	الفَصْل الثَاني: العَاصِمَة الرِيْفِيَة تِيْهرت الأَعْلَى: مَقْعَد عَلَى رَأْس جَبَل جَزُوْل
53	1- تحديد موقع المدينة
53	1-1 الموقع من منطلق الشهادات النصية
58	1-2 الموقع من خلال المعطيات الحديثة
62	2- المسألة الطوبونيمية
62	2-1 تيهرت/تاهرت على ضوء نقائش العملة

2-2 تيهرت طوبونيم مدينة أم فضاء يشمل الأحواز؟	67
2-3 الطوبونيميا المرافقة وسؤال النموذج الدلالي	69
3- العمق التاريخي لإنشاء تنغارتيا (Tingartiensis) من خلال الكتابات اللاتينية	70
4- هل المنشأة مدينة أم حصن عسكري؟	73
5-ملاحظات حول اختيار الجماعات الإباضية للموضع	75
5-1 سوف-اجج: قاعدة اجتماع جنوبية للبحث عن مكان بناء مدينة	76
5-2 الوافد الجديد: حدث بتاريخ مجهول	81
6- منطلقات في التعمير الإباضي	85
6-1 إشكالية تُطرح حول الملكية العقارية	85
6-2 نحو التأسيس الميثولوجي	88
7- محاولة إعادة تشكيل الفضاء الحضري للمدينة الوسيطة	89
7-1 الحصن القديم	89
7-2 المسجد الجامع	95
7-3 السوق	99
7-4 الحمامات	100
7-5 سور الحاضرة	102
7-6 الدروب	106
8- مرحلة القرن الرابع الهجري (10م): بداية النهاية	108
الفَصْل الثّالِث: المَدِيْنَة تيهرت تَأَقْدمْت حَاضِرَة جِهَوِيَة عَلى حَافة الصَحْرَاء	
1- تضاريس جهة المدينة ومراجعة طوبونيميا الموقع	114
1-1 المشهد التضاريسي	114

1-2 التسجيلات الطوبونيمية	115
2- دافعية التحول في التعمير	118
3- المشهد الحضري للمدينة	121
3-1 بناء التحصينات	123
3-2 المرافق والمؤسسات الإدارية، المالية، والمدنية	140
4- تطورات مدينة ما بعد القرن (3هـ/09م): الانتقال من الحاضرة إلى شبه مدينة حدودية متنافس عليها	151
الفَصْلُ الرَابِع: المَدِينَتَان آشِيْر والمدِيَة، كَيَانَات اسْتراتِيْجِيَة مُنَصَبة بيْنَ ضِفَتَي التيْطْرِي	
1- مدينة آشير: قاعدة صغيرة لتلكاتة الصنهاجيين	165
1-1 الموقع والطوبونيم	165
1-2 أسباب اختيار الموقع	170
1-3 مشاهد قليلة حول عُمران المدينة	174
1-4 الانتقال التدريجي من المدينة إلى الحصن، ثم نحو الاختفاء النهائي	183
2- مدينة المدية: مفصل على محور الطريق الرابط بين الساحل والصحراء	188
2-1 الطوبونيم من الاسم اللاتيني إلى المعرب	188
2-2 الموقع وتاريخية التمصير	191
2-3 ضبابية العُمران	194
الفَصْل الخَامس: جُغْرافية الحصون والقُرى والمسَالِك في مَجالات بَني تُوجين	
1-جدول القُرى المحصنة	198
2- القُرى الغير محصنة	217
3- تطورات شبكة المسالك في المجال التوجيني	220

3-1 شبكة الطرق الرئيسية	221
3-2 المسالك الفرعية	228
3-3 المعطيات الرقمية لمختلف مسافات الرحلة بين المواقع	233
الفَصْل السَادس: **هُدوء وتَطوّر حَركة القَبائِل دَاخل المَجَال**	
1- التوطين في القسم الغربي للمجال: (الونشريس، منداس، سرسو، وتاوغزوت)	238
1-1 تحولات ما قبل منتصف القرن 7هـ/13م	238
1-2 تحولات فترة ما بعد حركة بني توجين	261
2- القسم الشرقي من المجال: (منطقة التيطري وجنوبها إلى غاية نهر واصل)	268
2-1 تحولات الستة قرون الأولى للهجرة	268
2-2 تحولات ما بعد هجرة جماعات صنهاجة وبداية التغلغل العربي	274
الخاتمـــة	284
قائمة المصادر والمراجع	289
الفهارس	
1- فهرس الأعلام	307
2- فهرس الأماكن والبلدان	315
3- فهرس القبائل والشعوب	323
4- فهرس المحتويات	

أطروحة دكتوراه

الجغرافية التاريخية لمجالات بني توجين

الطالب: محمود عباد

تخصص: تاريخ المغرب الأوسط وحضارته في العصر الوسيط.

الملخص:

تُناقش هذه الأُطروحة موضوعاً يتعلق بالجغرافية التاريخية في جوانبه الخمسة: المجال، العمران، المسالك، الطوبونيميا، والجماعات، ويمس هذا العمل المجال الجغرافي للونشريس وجنوبه وصولاً إلى غاية تخوم الصحراء، هذا وتظهر أهمية الموضوع في بحثه عن أهم المتغيرات التي شهدها المجال المطروق منذ نهاية الفترة القديمة وإلى غاية نهاية العصر الوسيط، استعنت فيها بمنهجية ومقاربات تختلف عن سابقاتها من الدراسات التي اهتمت بتاريخ المجال أو بمجرد جهات وجوانب منه فقط، وبالإجمال فقد تطرقت إلى ستة فصول بحثية تحكمت فيها المعطيات المصدرية بشكل كبير، فزيادة عن رصد وتحديد الوعاء المجالي للبحث بينت المراكز الحضرية وحجم التطورات التي مستها على مختلف الأزمنة، بما في ذلك البحث في ما إذا كانت موروثة عن الفترة الكلاسيكية القديمة. ونفس الأمر ينطبق على القرى والحُصون المنتشرة في المجال، فقد حاولت التدقيق في مدى استمرارها أو انقطاعها، وأيضاً مُراقبة تغيراتها الطوبونيمية وحجم التأثير الذي خلفته عمليات التعريب التدريجي على سلامة أصولها القديمة (الفينيقية، اللوبية، اللاتينية) وهذا من حيث النطق والكتابة، أو من حيث التحول لصالح استخدام أسماء جديدة.

تناقش الأطروحة أيضاً مدى تطور المسالك والطرق الطولية والعرضية في المجال، بحيث هناك تسجيل لوجود استمرار في عملية استخدام المنافذ القديمة المرتبطة أساساً بشبكة خط الليمس الروماني، وخصوصاً طريقي الهضاب وحوض الشلف، باستثناء بعض الخطوط القصيرة التي مستها انحرافات متأثرة بقيام محطات جديدة واختفاء أُخرى قديمة، وهو أمر وضحته لنا جيداً النصوص الجغرافية والوصفية. وأخيراً تسمح الدراسة بمعرفة التحولات التي شهدتها البُنية الاجتماعية نتيجة التمييز الإثني وما ينضاف إليه من الحروب والتحالفات والاقطاعات التي كانت في كل مرة تُغير من خارطة التوطين، وصولاً في النهاية إلى نتيجة مباشرة توضح هجرة أو اندماج غالبية العناصر المحلية (البربرية) بعد هيمنة الجماعات العربية الهلالية على معظم المجال السهلي بداية من منتصف القرن الثامن للهجرة (14م).

الكلمات المفتاحية: الجغرافية التاريخية _ بنو توجين _ الونشريس _ سهل سرسو _ الطوبونيميا _ الجماعات _ المجال _ المدن _ العصر الوسيط.

Summary:

This thesis discusses a topic about historical geography in its five sides: area, urbanization, paths, Toponymy and communities. This work handles the geographical area of Ouarsenis and its south, unto the edge of desert. The value of this topic is evident, in search of the most important changes witnessed by reffered area, from the ancient period end to the Middle Ages end. In this thesis, I relied on a different methodology and approaches than the precedent studies which has interested in area history or just sides of it. Overall, I have dealt with six research chapters, highly controlled by the available references. As well as of monitoring and determing the area pot for the research, I have indicated the urban centers and the scale of developments that have touched them through different times, and besides, searching if it was inherited from ancient classical period, and the same applies to villages and fortresses scattered on the area. I attempted to check how long it lasts or stops. Also, monitoring its Toponymic changes and extent of the effect left by the gradual Arabisation process on the integrity of its ancient origins (Lobby, Latin), in terms of pronounciation and writing, or shifting in favor of using new names.

In addition, the thesis in its content discusses the evolution extent of paths longitudinal and transverse routes in the area, so that there is a continuity in the process of using old paths, mainly associated with the Roman Limas line. Especially, Highlands path and Chlef Basin, excepting some short lines, that were touched by deviations, affected because of the emergence of new stations and the disappearance of old ones. It was something well explained to us by geographical and descriptive texts. Finally, the study allows to know the transformations that have occured in the social structure due to the ethnic discrimination, besides of wars, alliances and fiefs which had changed every time the map of homelands. At the end, the direct result clarifies the migration or integration of most local elements (Berber), after the domination of Beni Hilal Arab communities on most of the plain area, starting of middle eight century AH (14 AD).

Key words: Historical Geography, Banu Tujin, Ouarsenis, Sarso Plain, Toponymy, Communties, Area, Cities, Middle Age.

Résumé:

Cette thèse traite d'un sujet lié à la géographie historique dans ses cinq aspects : le terrain, l'urbanisation, les chemins et la toponymie. Ce travail touche à l'aire géographique d'EL OUANCHARIS et de son sud, jusqu'au bout du désert. Cela montre l'importance du sujet dans sa recherche des variables les plus importantes observées depuis la fin de la période antique jusqu'à la fin du Moyen Âge, j'ai utilisé une méthodologie et des approches qui diffèrent des études précédentes qui se concentraient sur l'histoire du domaine ou uniquement sur ses côtés et ses aspects, et au total, j'ai abordé six chapitres de recherche dans lesquels les données de sources ont été largement contrôlées, et en plus de surveiller et de déterminer la portée de la recherche, les centres urbains et la taille des développements qui ont affecté diverses époques, y compris les fouilles pour savoir s'ils étaient hérités de l'ancienne période classique, et il en va de même pour les villages et forteresses dispersées sur le terrain, j'ai essayé de vérifier l'étendue de leur continuité ou de leur interruption, et aussi de surveiller leurs changements toponymiques et l'ampleur de l'impact laissé par les processus d'arabisation. L'intégrité progressive de ses origines anciennes (phénicienne, lubienne, latine) et ceci en termes de prononciation et d'écriture ou en termes d'évolution en faveur de l'utilisation de nouveaux noms.

La thèse traite également le développement des chemins et les méthodes longitudinales et transversales sur le terrain et des routes sur le terrain, de sorte qu'il existe un enregistrement de l'utilisation continue des anciens ports associés principalement au réseau de Limes Roman, en particulier les Highlands. Et le bassin de CHLEF, à l'exception de quelques lignes courtes affectées par des déviations affectées par l'implantation de nouvelles stations et la disparition des autres, ce qui est bien expliqué par des textes géographiques et descriptifs.

Enfin, l'étude permet de connaître les transformations que la structure sociale a subies à la suite de la discrimination ethnique et des guerres, alliances et fiefs ajoutés qui ont à chaque fois changé la carte de peuplement, conduisant à un résultat direct montrant la migration ou l'intégration de la majorité d'éléments locaux (les Berbères) après l'hégémonie des groupes du Croissant arabe Sur la plus grande partie de la plaine, à partir du milieu du VIIIe siècle de migration (14 après JC).

Mots-clés: géographie historique _ Banu Tujen _ EL OUANCHARIS _ plaine du Sersou _ toponymie _ collectivités _ terrain _ villes _ moyen âge.

People`s Democratic Republic of Algeria

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Emir Abd Elkader University for Islamic Sciences -Constantine-

Arts and Islamic Civilization Faculty

Département of History

Serial Number ....

Registration Number ......

Historical geography of the Beni Toujine region

Thesis Doctorat LMD in History

Specialty: History of the Medieval Maghreb and its Civilization in the Middle era

Branch: Power and society in Medieval Maghreb at Middle era

Presented by:

Mahmoud Abbad

Supervised by:

Pr: Allaoua Amara

Members of the Jury

Name and surname	Rank	The Original University	Description
Nasira Azroudi	Senior Lecturer A	Emir Abd-el-Kader University -constantine-	President
Allaoua Amara	Professor	Emir Abd-El-kader University -constantine-	Supervisor And reporter
Abdelkhalil Gueriane	Senior Lecturer A	Emir Abd-el-Kader University -constantine-	Examiner
Abid Boudaoud	Professor	Ibn Khaldoun University -Tiaret-	Examiner
Omar Belbachir	Professor	Ahmed Ben Bella University -Oran-	Examiner
Hocine Boubidi	Senior Lecturer A	Abdelhamid Mehri University -constantine-	Examiner

Academic Year : 1443-1444 h/ 2022-2023